المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية الدراسات العليا (قسم الثقافة الإسلامية)

كتاب شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

دراسة وتحقيق

بحث تكميلي لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) في تخصص العقيدة

إعداد الطالب :
إبراهيم بن محمد عبد الله السياري
٤١٩٠٢٠٤٣٩

المشرف د / محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي

الفصل الدراسي الثاني عام ١٤٢٣ هـ

المملكة العربية السعودية

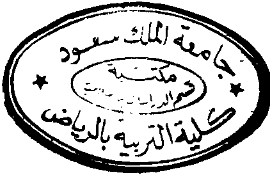
جامعة الملك سعود

كلية الدراسات العليا (قسم الثقافة الإسلامية)

كتاب شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

دراسة وتحقيق

بحث تكميلي لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) في تخصص العقيدة



إعداد الطالب :

إبراهيم بن محمد عبد الله السياري

٤١٩٠٢٠٤٣٩

المشرف د / محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي

الفصل الدراسي الثاني عام ١٤٢٣ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، أولاً وآخرا ، وظاهراً وباطناً ، عدد خلقه ، ومداد كلماته، وزِنَــة عرشـــه ، ورضا نفسه ، وعدد كل شفع ووتر ، ورطب ويابس في كتاب مبين ، وجميع ما خلق ربنا وذرأ وبرأ ، خالقٌ بلا مثال ، أبداً سرمداً طيباً مباركاً.

الــذي خلــق فسوَّى ، وقدَّر فهدى ، وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، وقرَّب وأدنى ، وأرحم وأخزى ، وأطعم وأسقى ، وأسعد وأشقى ، ومنع وأعطى .

الــذي بكلماتــه قامــت السبع الشِّداد ، وبها رست الرواسي والأوتاد ، واستقرت الأرض المهــاد ، فلا مقنوطاً من رحمته ، ولا مأموناً من مكره وغيرته ، وإنفاذ أقضـــيته وفعلـــه وأمـــره ، ولا مستنكفاً عن عبادته ، ولا مخلواً من نعمته ، فهو المحمود بما أعطى ، والمشكور بما زوى .

ثم الصلاة على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ الذي من اتَّبع ما جاء به اهتدى ، ومن صدف عنه ضلَّ وارتدى [١] ، النبي الصادق المصدوق ، الزاهد فـــي الدنيا ، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى ، المُجتبى من خلقه ، المُنتخب من بريــته ، الــذي جـــاء الحق بمحبته ، وزهق الباطل بظهوره ، وأشرقت الأرض بنوره.

ثم الصلوات الوافيات ، والبركات الطيبات الزاكيات المباركات عليه ثانياً ، وعلـــى آلـــه الطيبين ، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، الأحسنين لربهم فعلاً ، الأقومين له قُبْلاً [٢] ، والأصوبين إليه طريقاً وسبيلاً .

ثـــم تضـــرُّعنا ود عاؤنا ورجوعنا إلى ربنا ، ومنشئُنا وخالقنا ورازقنا ، ومطعمنا ومسقينا ، ونافعنا وحافظنا ، وكالئنا ومحيينا ، والذَّاب والدَّافع عنا جميع ما يؤذينا

---

(١) ردى وارتدى : هلك ، ومنه قوله تعالى : **(قال تالله إن كدتَّ لتردين)** ؛ أي تهلكني لو اتبعتك . انظر لسان العرب ١١٥٥/٢ .

(٢) قال في اللسان : (القُبُل : الوجه) انظر لسان العرب ١٠/٥ .

ويســوعنا ، كــل ذلــك برحمــته وتحنَّته وفضله ومنته بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعــال فــي السر والإعلان ، والإظهار والكتمان ، والشدَّة والرخاء ، والنعمة والبأســاء والضــراء ، إنــه فعال لما يريد ، الحاكم بما يشاء ، العالم بما يخفى ، المُطَّلــع علــى الشؤون على الأحوال ؛ من الزلاَّت والطاعات والقُرُبات ، السامع للأصوات ، المجيب للدعوات لمن يشاء من غير تنازع ولا تردد [1] .

أما بعد :

فــإن مــن أعظــم نعم الله على عبده أن يستعمله في طاعته ، ومن أعظم الطاعات وأجلِّها تعلُّم العلم وتعليمه ، والحرص على طلبه وتحصيله ، وبذل الجهد والوقت في سَبْر مسائله ، وتحقيق قواعده ؛ بُغية تحصيل ذخيرة علمية يستفيد منها الباحــث ، وإسهاماً منه في خدمة علوم الشريعة الغراء ، وإفادة ــ وهو المهم ــ لعامة الناس بتقريب العلوم الشرعية لهم ، وبيانا للحق للناس ؛ لتقوم الحجة وينتفي العــذر ، وتصــحيحاً لما قد يوجد لديهم من الأخطاء ــ وما أكثرها ــ العقدية أو العملية أو السلوكية ، والتي يصل بعضها إلى حد الشرك بالله المخرج من الملة ، إن قامت على فاعلها الحجَّة .

وإن مــن أهم مجالات العلم التي يجب الاعتناء بها ، تحقيق تراث السلف ، والعــناية بــه ، واستخراج كنوزه ، وتقريبها للناس ؛ ليستفيدوا منها ، وينهلوا من معيــنها الصــافي ، وفاءً لهؤلاء العلماء ، وربطاً لطلبة العلم بل وعامة الناس ، بالسلف الصالح .

ولعل أولى التراث بالعناية ، كتب شيخ الإسلام وإمام الدين أحمد بن تيمية (قــدس الله روحه) ، الذي كان بحق إمام أهل السنة والجماعة ، بعد القرن الثالث الهجري .

لذا عزمت ــ بعد الاسعانة بالله ــ على أن تكون رسالتي لدرجة التخصص الأولــى (الماجســتير) تحقيقاً لأحد كتب شيخ الإسلام رحمه الله ، فبدأت البحث والتنقيب ، إلى أن استقر الرأي على تحقيق كتاب (شرح كلمات الشيخ عبدالقادر

---

(١) هذه خطبة كتاب : فتوح الغيب للشيخ / عبدالقادر الكيلاني (رحمه الله) ، انظرها في ص٣-٤.

الكيلانـــي من فتوح الغيب [1] لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي) قدَّس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، وأسبغ عليه من شآبيب رحمته .

ـ أسباب اختيار الموضوع :

أمـــا عن الأسباب التي حملتني على أن أخص هذا الكتاب بالتحقيق ، فأذكر منها ما يأتي :ـ

١- مكانـــة مؤلفـــه ، فهو من هو علماً وفهماً وتقوى وورعاً وشجاعة وجوداً ، لا يشق غباره ولا يُلحق شأوه ، سارت بتصانيفه الركبان ، وشهد له بالفضل أهل الفضـــل في كل زمان ، ولا إِخالُ أنني في حاجة إلى التوسع في ذكر مناقبه ، إذ هـــو أعرف من أن يعرَّف ، ولكن حسبي أن أذكر كلام إمام علماء الرجال فـــيه ، يقـــول فيه شمس الدين الذهبي رحمه الله : (وأنا أقلُّ من أن يُنبِّه على قـــدره كلمي ، أو أن يوضح نبأه قلمي ، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه ، مقرون بسرعة فهمه ، وأنه بحر لا ساحل له ، وكنز لا نظير له ، وأن جوده حاتمي وشجاعته خالديَّة) [2] .

٢- أهمية موضوع الكتاب ، وقيمته العلمية ، إذ هو يرد على المتصوفة في مسائل : الإرادة ، والفـــناء ، والـــزهد ، وخفـــاء الأمر والنهي ، كما ينقض مذهبهم الباطل في جواز خروج من شهد الحقيقة الكونية عن شريعة الله .

كمـــا يُبيِّن الشيخ ــ رحمه الله ــ أن رضا الله لا ينال إلا باتباع هدي رسوله ، وتلك لعمري كلها مسائل مهمة ، ويزيد من أهميتها كثرة المتصوفة وتفريخهم في هذا الزمان .

٣- وللموضـــوع أهمـــية أخرى من جهة صاحب الكتاب المشروح وهو الشيخ (عبدالقادر الكيلاني) ، الذي يعُدُّه الصوفية إماماً لهم ، وتنسب إليه طريقة من طـــرق المتصـــوفة هي (القادرية) ، ويزعمون له أقوالاً وأحوالاً وشطحات

---

(١) والكتاب غير (الرسالة الكيلانية) في كلام الله تعالى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والمطبوعة ضمن مجموع الفتاوى الجزء الثاني عشر ص٣٢٣-٥٠٢ .

(٢) انظر : ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص٣٢٧ .

كفـــرية ، وأنـــه كغيره من مشايخ الصوفية يسعهم الخروج عن الأمر والنهي الشرعيين ؛ بزعم شهودهم للحقيقة الكونية .

بل لقد بنوا على قبر الشيخ عبدالقادر قبة ، وجعلوا له مشهداً يُزار إلى الآن في الجزء الشرقي من بغداد القديمة .

والشيخ عبدالقادر ــ وغيره من فضلاء السالكين ــ من كل ذلك براء ، بل قد عُرف عنهم التقوى والورع والاجتهاد في العبادة والترفع عن المحارم .

وفـــيهم يقـــول شيخ الإسلام : (فأما المستقيمين من السالكين كجمهور مشايخ السـلف ؛ مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والسريُّ السقطي ، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبدالقادر والشيخ حماد ، والشيخ أبي البيان وغيرهم من المتأخرين ، فهـم لا يسـوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمـر والنهـي الشرعيين ، بل عليه أن يفعل المأمور ، ويدع المحظور إلى أن يموت ، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف) [(١)] .

٤- أن طـبعة الكـتاب ضمن مجموع الفتاوى ، طبعة ناقصة إذ سقط منها على سبيل المثال فصل كامل من آخر الكتاب ، فيه خمسة وخمسون سطراً ، أي ما يزيد عن صفحتين .

٥- أن الكـتاب لـم ينل ما يستحق من العناية والتحقيق ومقابلة نسخة الخطية ــ برغم توفرها ــ وتخريج أحاديثه ، وترجمة ما ورد فيه من الأعلام ، وشرح بعـض عـباراته المشـكلة ، لا في طبعته ضمن مجموع الفتاوى ، ولا في طبعاته الأخرى، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على طبعات الكتابة السابقة .

٦- أن طـبعة الكتاب ضمن مجموع الفتاوى كانت ــ على ما يبدو ــ وفق نسخة واحدة بدليل سقوط الفصل الأخير منها ــ مع أنه موجود في كل النسخ الخطية التـي عـثرت عليها ، ولا يخفى ما في مقابله النسخ من إكساب الكتاب قيمة علمية ، والتحقق من صحة مفرداته .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥١٦/١٠-٥١٧ .

٧- أنـــه توفـــر لدي ــ بفضل الله ــ سبع نسخ خطية للكتاب ، منها نسخة نادرة كتـــبها شـــيخ الإسلام ابن تيمية بخط يده ، وثانية كتبت بعد وفاة الشيخ باثني عشر عاماً ، وثالثة كتبت سنة ٨٢٩هـــ [١] .

٨- بعد مقابلة النسخ الخطية بالمطبوع ، اتضح وجود السقط الفاحش ــ أحياناً ــ والتقديم والتأخير ، والخطأ في تحرير بعض الكلمات ، وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على طبعات الكتاب السابقة .

٩- ومـــن مبررات الاختيار أيضاً ، ما قمت به من الدراسة للكتاب ، والتوسع في البحث في موضوعاته ، ومثل هذه الدراسة ــ مع عظيم نفعها ــ لم توجد في الطبعات السابقة .

ــ خطة البحث :ــ

* **المقدمة** : وفيها أُبيِّن أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وخطة البحث فيه .

* **التمهيد** : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وفيه ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله).

المطلب الثاني : وفيه ترجمة موجزة للشيخ عبدالقادر الكيلاني (رحمه الله).

* **القسم الأول : الدراسة :**

وتشتمل على ثلاثة فصول :

* **الفصل الأول : في التعريف بالكتاب ، ويشمل :**

١- اسم الكتاب .

٢- نسبته إلى المؤلف .

٣- سبب تأليفه .

٤- تاريخ تأليفه .

٥- أهمية الكتاب وقيمته العلمية .

٦- منهج المؤلف فيه .

٧- موضوعه .

---

(١) سيأتي مزيد كلام عن هذه النسخ عند الكلام على نسخ الكتاب الخطية ص٩١.

٨- مصادر المؤلف في كتابه.

*** الفصل الثاني : في التعريف بنسخ الكتاب ، ويشمل :**

المبحث الأول: التعريف بنسخ الكتاب الخطيَّة .

المبحث الثاني: طبعات الكتاب السابقة .

*** الفصـــل الثالـــث : دراســـة تحليلـــية لبعض موضوعات الكتاب ، وفيه تمهيد ومباحث[١] :**

أولاً: التمهيد: وقد بيَّنت فيه بشكل موجز نشأة التصوف،وظهور الطرق الصوفية، وأهم ما اشتهروا به من البدع، مع بيان موقف شيخ الإسلام منها بإيجاز :

ثانياً : المباحث : وتشمل تسعة مباحث هي :

المبحث الأول : حال العبد بين الفعل والترك والرضا .

المبحث الثاني : الفناء عن الإرادة وحقيقة التوكل على الله .

المبحث الثالث : هل يسع أحداً الخروج عن الشريعة ؟ .

المبحث الرابع : الفرق بين الإرادة الشرعية والقدرية

المبحث الخامس : أنواع الناس في الإرادة لما يحبه الله ويرضاه .

المبحث السادس: هل يكون الإلهام سبباً شرعياً للترجيح عند خفاء الأمر والنهي ؟.

المبحث السابع : هل حصول خوارق العادات يعني كمالاً في الولاية ؟.

المبحث الثامن : الفرق بين الزهد والورع الشرعيين والبدعيين .

المبحث التاسع : العبادة لا تكون إلا بعلم وحسن قصد .

*** القسم الثاني :**

الكتاب محققاً .

- منهجي في التحقيق :

أولاً : المقابلة بين النسخ ، وتوثيق النص وضبطه وتصحيحه ، وقد اتبعت في ذلك ما يأتي :

---

(١) تصرفت في ترتيب هذه المباحث بحسب ترابط معانيها .

١- اعتمدت أوثق النسخ وأعلاها ، وأقربها من عصر المؤلف(وهي نسخة ليبزج ورمزت لها بـ: الأصل) لتكون هي النسخة الأصل ، التي قابلت عليها سائر النسخ الأخرى ، واتخذتها أساساً في تحرير الكتاب .

٢- إذا ظهرت فروق بين النسخ أثبتُّ ما في الأصل ، وأشرتُ إلى ما في النسخ الأخرى في الحاشية ، إلا أن يغلب على الظن خلاف ذلك فإني أثبته في المتن.

٣- إن كانت هناك زيادات في النسخ الأخرى عما في الأصل ، فإني أثبت الزيادات في المتن ، واضعاً لها بين قوسين معقوفين ، هكذا [ ] ، مشيراً إلى مصدر الزيادة في الحاشية . هذا إذا كانت الزيادة مناسبة للسياق ، وإلا أشرتُ إليها في الحاشية فقط .

٤- إذا تعذر فهم ما في الأصل بسبب بياض أو طمس ، أكملته باعتماد ما في النسخ الأخرى .

٥- إذا لم يتم الكلام إلا بزيادة حرف أو كلمة غير موجودة في جميع النسخ ، فإني أزيدها بعد التحرِّي ، مع وضعها بين قوسين هكذا ( ) ، والإشارة إلى ذلك في الحاشية .

٦- إذا ورد تصحيح في الحاشية فإني أدخله في المتن من غير إشارة إلى ذلك ، إلا أن يقول الناسخ (لعله) فإني أذكر ذلك .

٧- أهملت ذكر الياء التي يبدلها كثير من النساخ مكان الألف المقصورة مثل : (يرضي ـ بدل : يرضى ، وعصي ـ بدل : عصى) ، وكذلك إبدال الهمزة التي على نبرة ياء ؛ مثل : (ساير ـ بدل : سائر ، وطايفة ـ بدل : طائفة) ونحوها .

٨- إذا كان الحرف غير منقوطٍ في الأصل ، فإني اعتمد على تحديده (ياء أو تاء ... ونحوه) على بقية النسخ ، مع مراعاة السياق في ذلك ، من غير إشارة إلى ذلك في الحاشية .

٩- درج ناسخ (ك) على اختصار الآيات بقوله : (... الآية) ، والأحاديث بقوله : (.... الحديث) ، ولكثرة ذلك ، تركت الإشارة إليه في الحاشية .

١٠- يعمد بعض النُساخ إلى كتابة همزة ابن (كهمزة قطع) ؛ ولتكرار ذلك أيضاً، أهملت الإشارة إليه في الحاشية .

١١- الألفاظ التي تدل على الدعاء والثناء مثل : (تعالى ، وسبحانه ، وصلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنه ، ورحمه الله) أثبتها في المتن ، وإن لم ترد إلا في نسخة واحدة .

١٢- إذا اتفقت النسختان(ظ ، ك) على خلاف سائر النسخ فإني أقدمهما ؛ نظراً لتقدم تاريخ نسخهما وأهميتهما.

١٣- راعيت عند تحرير المخطوط الكتابة الإملائية الحديثة ، مع ضبط الكلمات المُشْكلة في المتن بالشكل .

ثانياً : عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف ؛ بذكر رقم الآية والسورة ، فإن حصل سقط أو غلط في الآية ، صححته من غير أن أشير إلى ذلك.

ثالثاً : تخريج الأحاديث من مظانها ، متَّبعاً في ذلك ما يلي :

١- إذا وجدت الحديث في الصحيحين أكتفيت بهما عن سائر كتب الحديث .

٢- فإن لم أجده في البخاري ومسلم ، ذكرت مواضعه من بقية الكتب الستة إن وجدته فيها ، ثم فيما تيسر من كتب الحديث المشهورة الأخرى ، مع ذكر درجة الحديث وحكم أهل الحديث عليه .

٣- إذا أشار الشيخ إلى بعض الحديث من غير إتمامه ، فإني أتمه في الحاشية ، هذا إذا لم يكن الشيخ قد ذكره بتمامه في موضع سابق .

٤- إذا اتضح لي سقط أو غلط في الحديث ، فإني أصححه في الحاشية وفق أقرب الروايات له ، مع الإشارة إلى الرواية الأصح في الحاشية أيضاً .

رابعاً : تخريج الآثار من المصادر الأصلية التي هي مظانها ، مع ذكر حكم العلماء عليها إن وجد .

خامساً : توثيق النقول وأقوال العلماء ، بعزوها إلى مصادرها المطبوعة أو المخطوطة (إذا تيسر ذلك) ، مع مراعاة ما يلي :

١- تمييز أول الكلام المنقول وآخره بوضعه بين قوسين .

٢- مقابلة النص المنقول على موضعه في الكتاب الأصلي ، فإن وجد فرق تركت الـــنص كمـــا هو وأثبت الفرق في الحاشية ، لاحتمال الوهم من ناسخ الكتاب الأصلي .

سادساً : ترجمت للأعلام غير المشهورين ، وكذلك الأعلام المشهورين ممن كثر الكلام حولهم ، أو اشتهروا بقضية لها مساس بموضوع الدراسة ، فإني أتوسع في ترجمتهم .

سابعاً : التعليق على بعض مسائل الكتاب في الحاشية ، مراعياً ما يلي :

١- إن كانت المسالة مما وقع فيه الخلاف ، فإني أذكر مذهب السلف فيها ، ثم ما وقعت عليه من مذاهب المخالفين ، مع ذكر المصادر التي بحثتها .

٢- إن كـــان الشـــيخ توسع في المسألة في أحد كتبه الأخرى ، فإن أبين ذلك في الحاشية .

ثامناً : شرح الكلمات الغريبة ، مع ذكر الشواهد لها من القرآن أو السنة أو الشعر إن وجد .

تاسعاً : التعريف بالفرق والأماكن والبلدان التي ورد ذكرها في المتن .

عاشـــراً : الـــتعريف بالمصطلحات الصوفية والكلامية والعلمية وغيرها مما ورد ذكره في المتن .

حادي عشر : نسبة الأبيات الشعرية إلى مصادرها ما أمكن .

ثاني عشر : قمت بوضع عناوين جانبية في حاشية الكتاب ، تُبيِّن موضوعاته .

ثالث عشر : اشتهر شيخ الإسلام ابن تيمية ، بكثرة الاستطردات وخاصة في كتبه المطولـــة ، ولذلك فإني أشير إلى هذا الاستطرادات مبيناً وجه ارتباطها بموضوع الكتاب ، كما قمت بربط أجزاء النص بعضها ببعض ما أمكن .

خامس عشر : قمت بوضع فهارس للكتاب على النحو التالي :

١- فهرس للآيات .

٢- فهرس للأحاديث .

٣- فهرس للآثار وأقوال العلماء .

٤- فهرس للأعلام .

٥- فهرس للمصطلحات العلمية ، والصوفية ، والكلامية .

٦- فهرس للكلمات الغريبة .

٧- فهرس الفرق.

٨- فهرس للكتب الوارد ذكرها في المتن .

٩- فهرس المصادر والمراجع .

١٠- فهرس الموضوعات .

وبعـــد: فهذا جهد المقل ، فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه .

وقد كنت آمل ان تكون الرسالة أفضل مما هي عليه الآن ؛ نظراً لعظمة شيخ الإســلام وهيبته ، وتوقان النفوس إلى خدمة كتبه ، مما يجعل المشتغل بها ملزماً بإخراجها كما تستحق ، أو تركها لمن هو خيرٌ منه ، لكن قَدَرُ الله وما شاء فعل ، ولعل الله أن ييسر استدراكات ــ مني أو من غيري ــ تزيد من قيمتها.

وختاما أشكر الله أولاً وآخراً ؛ أن يسَّر لي إتمام هذه الرسالة ، ثم أشكر جامعة الملــك سعود على منحها الفرصة لي للذهاب إلى كل من القاهرة ودمشق ؛ لجلب المخطوطات من هناك.

كمــا أشــكر شــيخنا د/ محمد بن عبد الله الوهيبي رئيس القسم ؛ على قبوله الإشراف على الرسالة ، وعلى ما بذله لي من نصح وتوجيه ، كان له الأثر الكبير في خروج هذه الرسالة.

كمــا أشكر شيخنا د/حمد بن عبد المحسن التويجري ، وشيخنا د/ عبد الله بن صالح الــبراك ؛ علــى قــبولهما مناقشــة الرسالة ، جازماً أنني سأستفيد من ملاحظاتهما وتوجيهاتهما.

والشــكر ممتد إلى كل من قدم لي نصيحة ، أو توجيهاً ، أو سهل لي أمراً من الأمور ، راجياً من الله أن يثيبهم على عملهم هذا.

نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ؛ صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً[1].

كما أسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا ــ بل كل أعمالي ــ خالصة لوجهه الكريم ، وأن يُسددنا في أقوالنا وأفعالنا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه

إبراهيم بن محمد بن عبد الله السياري

الرياض في ١٤٢٣/٢/٢٥هـ

---

(١) هذا الدعاء كان شيخ الإسلام كثيراً ما يدعوا به ، انظره مثلاً في: مجموع الفتاوى ١٩٨/١، ٤٥٣/١٠ ، ١٠٢/١٣ ، ٢٧٩/١٩.

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة موجزة لمؤلف الكتاب (رحمه الله).

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمه الله).

المطلب الأول

ترجمة موجزة لمؤلف الكتاب:

ليس من اليسير الترجمة لعلم كشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ؛ إذ مقصود الترجمة التعريف بالمترجَم ، فإذا كان المترجَم قد طبَّقت شهرته الآفاق ، وكثر مترجموه قديماً وحديثاً ،فأنَّى لمثل هذا أن يُعرَّف .

وللدلالة على ذلك قمت باستقصاء تراجم الشيخ القديمة فقط ، فوجدتها تقارب الثمانين ترجمة ؛ ما بين مفردة ، أو ضمن كتب التراجم العامة أو الخاصة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن التراجم الملحقة بالرسائل العلمية ، يفترض أن تحفل بشيء من الجِدَّة ، شأنها في ذلك شأن سائر مفردات الرسالة ، وهذا المطلب عزيز كسابقه ؛ لأن تراجم الشيخ في العصر الحديث ــ سواء كانت ملحقة بكتبه ، أو تضمنتها رسائل علمية ، أو تلك التراجم المفردة ــ لا تكاد تترك جانباً من حياة الشيخ إلا تناولته بالتفصيل.

ثم إن من الفضلاء من نشطت نفسه لجمع تراجم الشيخ على مر العصور ، مرتباً إياها بحسب قدمها ، ناقلاً لها بنصها، واضعاً لها فهارس موضوعية تدلك على ما أردت معرفته عن الشيخ (رحمه الله).(1)

بل قد عقدت حول شخصية ابن تيمية ندوة عالمية ، جمعت أهل العلم من أصقاع العالم ، وقُدِّمت فيها بحوث تزيد على خمسة وثلاثين بحثاً.(2)

ولأن ما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه ــ أو لنقل بعضه كما في حالتنا هذه ــ فقد آثرت مراعاة الاختصار في ترجمة الشيخ ، على أن أخصَّ بمزيد بحث تلك الجوانب التي لم تنل حقها من التحقيق والبحث حسب ما أرى.

---

(1) هما الشيخان الفاضلان محمد عُزيز شمس ، وعلي بن محمد العمران في كتابهما(الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون) والذي صدرت طبعته الأولى عن دار عالم الفوائد عام ١٤٢٠هـ .
ولا أنسى هنا جهود الشيخ/ زهير الشاويش ، والشيخ/ صلاح الدين المنجد ، والشيخ/محمد الشيباني وغيرهم ؛ في خدمة تراجم الشيخ ؛ بتحقيقهم لكثير منها ، وإخراجها للناس.

(2) عقدت هذه الندوة (الجامعة الإسلامية في بنارس الهند) من التاسع والعشرين من ربيع الأول إلى الثاني من ربيع الآخر عام ١٤٠٨هـ وكان عنوانها(شيخ الإسلام ابن تيمية :حياته العلمية ومواقفه الخالدة) .

أولاً/اسمه ونسبه :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن العالم المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية النميري الحراني ثم الدمشقي .

و(تيمـــية) لقب لجده الأعلى(محمد بن الخضر)، وفي سبب تلقيبه بذلك قولان مشهوران، لم أجد ما يرجح أحدهما على الاخر:

الأول/ أن جـــده (محمد) حج ــ وله امرأة حامل ــ على درب تيماء ، فرأى هـــناك جارية طِفْلة خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد ولدت بنـــتاً ، فلمـــا رآهـــا قال: يا تيمية يا تيمية ؛ أي أنها تشبه تلك الجارية التي رآها بتيماء، فلُقِّب بذلك .

والثاني/ أن تيمية أم(محمد) وليست ابنته ، وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها. [1]

وهـــناك قـــول ثالث مرجوح ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي وردّه ، وهو: أن أمهم كانت من وادي التيم، فنسبوا إليها، وهو قول مرجوح كما سبق أن ذكرت[2].

وأمـــا(النُمـــيري) فقد انفرد بهذه النسبة ابن ناصر الدين في(التبيان) ، ووافقه عليها العدوي في(الزيارات)[3]، وأيدهما من المتأخرين الشيخ زهير الشاويش نقلاً عن الشيخ محمد بن مانع[4]، واستدل بذلك على أن شيخ الإسلام عربي .

و(نُمَـــيْر)بطن من عامر بن صعصعة ، وهو(نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاويـــة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) ، وقد كانت الجزيرة الفراتية والشام من منازل هذه القبيلة [5].

---

(1) انظر: العقود الدرية ص (٢) ، ومختصر طبقات علماء الحديث٢٧٩/٤، والتبيان(ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام) ص(٤٢٦) ، والشهادة الزكية ص(٢٣) ، وجلاء العينين ص (١٧).

(2) انظر: التبيان(ضمن الجامع) ص (٤٢٦) .

(3) انظر: التبيان(ضمن الجامع) ص(٤٢٦)،والزيارات ص(٩٤).

(4) انظر: مقدمة شرح حديث النزول ص(٦) ، ومقدمة كتاب الإيمان ص (هـ) ، كلاهما بتحقيق الشيخ زهير الشاويش.

(5) انظر: الاشتقاق ٢٩٤/١، وجمهرة أنساب العرب ص(٢٧٩) ، واللباب ٣٢٧/٣، ونهاية الأرب للقلقشندي ص(٤٣٣) ، والأنساب٤٢٦/٥ .

وعليه فإنه لايستبعد نسب الشيخ إلىهذه القبيلة ؛ لأن بلده(حرَّان)من منازلهم[1] ، لكن هل نسبته إليهم نسبة أصالة أم ولاء ؟ ، الحق أنه من العسير الجزم بذلك.

وعلـــى كـــل حـــال فإن مآثر الشيخ وما قام به من خدمة الإسلام ، تغني عن البحـــث في نسبه ، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"...ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[2].

وأما(الحرَّاني) فنسبة إلى(حرَّان) وهي اسم لعدة مدن :

ـ قرية بغوطة دمشق ، وقد أخطأ من نسب الشيخ إليها .

ـ وقرية قرب حلب[3] .

ـ ومديـــنة مشهورة بين الموصل والشام ، بينها وبين الرُّها يوم، وبين الرَّقة يومان وهي التي ينسب إليها الشيخ [4].

ثانياً/ولادته ونشأته:

ولـــد شـــيخ الإســـلام يوم الإثنين العاشر من ربيع الأول ـ وقيل الثاني عشر والأول هو الأشهرـ سنة٦٦١هـ في(حرَّان)[5].

ولما بلغ السادسة من عمره سنة٦٦٧هـ ، تحول به أبوه من(حرَّان)إلى دمشق هـــرباً من جور التتار، مستترين بظلام الليل ، يجرون الذُّرية والكتب على عجلة تجـــرها البقر[6]، فكلَّت البقر من ثقل العجلة وكادت تقف ، فخافوا من أن يدركهم العدو، ولجئوا إلى الله ، فلطف بهم ، وساروا حتى انحازوا إلى ديار الإسلام[7].

---

[1] انظر:المدخل المفصل ٥٣٢/١ .

[2] هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ؛ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤(٢٦٩٩).

[3] انظر: معجم البلدان٢٣٥/٢ ، ومعجم ما استعجم٤٣٥/١، وأحسن التقاسيم ص (١٤١).

[4] ذكر في سبب تسميتها:أنها منسوبة إلى(هاران) أخي إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ووالد لوط عليه الصلاة والسلام ، ثم عُرِّبت فقيل(حرَّان) ، وذكر ياقوت الحموي (أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان) ، وقد فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدي (عياض بن غنم الفهري) سنة ١٩هـ ، ونزلها من الصحابة (أنس بن مالك) رضي الله عنه وغيره ، وخرج منها أئمة أعلام ، وهي الآن في جنوب تركيا.
انظر:معجم البلدان٢٣٥/٢ ، والتبيان(ضمن الجامع) ص(٤٢٥) ، والزيارات ص (٩٤).

[5] انظر: مختصر الطبقات٢٨٠/٤، والتبيان(ضمن الجامع) ص(٤٢٦) ، والشهادة الزكية ص(٢٤).

[6] هذا مما يبيِّن حرص هذه الأسرة الكريمة على العلم، فعلى الرغم من خوفهم على أنفسهم من بطش التتار إلا أنَّ هذا لم يثنهم عن حمل الكتب.

[7] انظر: العقود الدرية ص(٢)، وذيل تاريخ الإسلام ص٣٢٤.

وفي دمشق نشأ الشيخ تحت كنف والده ، وفي بيت كريم خرَّج علماء أفذاذ،كان لهم قصب السبق ، لا في فقه الإمام أحمد فحسب بل في سائر الشريعة المنقولة منها والمعقولة ، ذلكم هو بيت(آل تيمية)[1].

وسأذكر هنا بعضاً ممن اشتهر من هذا البيت الكريم:

محمد بن أبي القاسم الخضر ابن تيمية(عم جد الشيخ) ٥٢٤ـ٦٢١هـ .

عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم ابن تيمية ٥٨١ـ ٦٣٩هـ .

مجد الدين أبو البركات عبد السلام ابن تيمية(جد الشيخ) ٥٩٠ـ٦٥٢هـ.

فخر الدين عبدالقاهربن عبد الغني بن محمد بن تيمية ٦١٢ـ٦٧١هـ.

شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم ابن تيمية(والد الشيخ) ٦٧٢ـ٦٨٢هـ.

شرف الدين عبدالأحد بن أبي القاسم بن عبد الغني ابن تيمية ت ٧١٢هـ.

ست النعم بنت عبد الرحمن الحرَّانية(والدة الشيخ) ت ٧١٦هـ.

بدر الدين محمد بن خالد الحرَّاني(أخو الشيخ لأمِّه) ٦٥٠ـ٧١٧هـ.

شرف الدين عبدالله بن عبد الحليم ابن تيمية(أخو الشيخ) ٦٩٦ـ٧٢٧هـ.

زين الدين عبدالرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية(أخو الشيخ) ٦٦٣ـ٧٤٧هـ.

زينب بنت عبد الله بن عبدالحليم(بنت أخ الشيخ) ت ٧٩٩هـ.

ناصر الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن عبد الحليم ابن تيمية(ابن ابن أخ الشيخ)٧٥٧ـ٨٧٣هـ[2].

نشأ الشيخ في هذا البيت الكريم في تصوّن وعفاف وتألُّه، واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاًسلفياً،براً بوالديه،تقياً ورعاً،عابداً ناسكاً،صوَّاماً قوَّاماً، ذاكراً لله في كل أحواله ، واقفاً عند حدود الله تعالى[3].

---

(١) ذكر الشيخ/ بكر أبو زيد أن بيت(آل تيمية) تفرع إلى دوحتين: آل عبدالله وآل محمد ، وأن شيخ الإسلام من آل عبدالله ، ثم ساق شجرة نسبهم ، وبيَّن وجودهم إلى القرن الثالث عشر الهجري.
انظر: المدخل المفصل ٥٣٢/١ .

(٢) سرد الشيخ بكر أبو زيد تسعة وعشرين علماً من آل تيمية، فليرجع إليه في المدخل المفصل ٥٣٥/١ ، وانظر: أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام للشيباني ص٩ـ٢٢.

(٣) انظر: مختصر الطبقات٢٨٠/٤.

ثالثاً / طلبه للعلم:

كـــان شيخ الإسلام من أذكى الناس،سريع الحفظ ،سيَّال الذهن ، قلما حفظ شيئاً فنسيه ، ويذكر في ذلك من القصص ما منعني من ذكرها إلا خشية الإطالة(١).

هذا مع ما كان عليه من حرص على طلب العلم ، وشدة محافظة على الوقت، وقـــد ذكر الصفدي قصة تدل على ذلك يقول: " قيل إن أباه وأخاه وأهله وآخرين ممـــن يلـــوذون بظله ، سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرج ، فهرب منهم وما ألوى عليهم ولا عرج ، فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلفه وتركه لاتباعهم ، وما في انفراده من تكلفة ، فقال: أنتم ما تزيَّد لكم شيءٌ ولا تجدد ، وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد ، وكان ذلك الكتاب(جنة الناظر وجنة المناظر)(٢)" (٣).

والظاهـــر أن شيخ الإسلام لم يرحل في طلب العلم ، بل أخذ العلم من علماء دماشـــقة ، أو مـــن دراســـة كتب السلف ، ومع هذا فقد بزَّ غيره من الأقران بل والشيوخ ممن رحل في طلب العلم ، بما أوتي من قوة الشكيمة وسرعة الفهم.

وقـــد بدأ الشيخ بتعلم الخط والحساب في المكتب ، وحفظ القرآن صغيراً ، ثم انصرف إلى طلب العلم(٤).

وكان مبدأ سماعه من (ابن عبد الدائم) حيث سمع منه(جزء ابن عرفه)(٥) سنة ٦٦٧هـــ(٦)، وعنـــي بالحديـــث فسمع الكتب ، والمسند مرات ، والمعجم الكبير للطبراني ، وما لايحصى من الكتب والأجزاء.

وأما الفقه وأصوله فقد أخذه عن والده ، وعن الشيخ ابن أبي عمر، والشيخ ابن المنجَّى، فبرع فيه وناظر، حتى كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخـــلاف ، ثـــم يســـتدل ويرجح ويجتهد ، وحق له ذلك ؛ فإن شروط الاجتهاد قد اجتمعت فيه(٧).

---

(١) ينظر في ذلك: العقود الدرية ص(٤)، والرد الوافر ص(٢١٨)، والمقصد الأرشد١/١٣٥.
(٢) لعل مقصوده كتاب(روضة الناظر وجُنة المناظر) لموفق الدين ابن قدامة.
(٣) أعيان العصر ١/٢٣٦.
(٤) انظر: العقود الدرية ص(٣)، ومختصر الطبقات٤/٢٨٠، وتتمة المختصر٢/٤٠٨.
(٥) طبع هذا الجزء بتحقيق/ عبد الرحمن الفريواني ، عن دار الأقصى في الكويت، في(١٠١) صفحة .
(٦) انظر: مختصر الطبقات٤/٢٨٠،ومعجم الشيوخ١/٥٦ ، وهذا يعني أن عمره إذ ذاك ست سنين ، وقد صرح شيخ الإسلام بهذا السماع ، انظر: مجموع الفتاوى ١٨/٧٧.
(٧) انظر: ذيل ابن رجب٢/٣٨٨، والمقصد الأرشد١/١٣٣، وشذرات الذهب٦/٨٠.

أمـــا العربـــية فقد أخذها عن (ابن عبد القوي) في أيام ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وبرع في النحو[١].

وأقـــبل على التفسير فبرز فيه حتى قال عنه ابن الوردي: "وأما التفسير فسلم إليه ، وله في استحضار الآيات للاستدلال قوة عجيبة ، ولفرط إمامته في التفسير، وعظمة اطلاعه ، بين خطأ كثير من أقوال المفسرين[٢]". وقال ابن رشيِّق:" وقال لي مرة(أي شيخ الإسلام): وقفت على نحو خمسة عشر تفسيراً مسندة ، وقال لي مرة: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير[٣]".

ودرس أصول الدين ، وآراء المبتدعة ، وعلم أهل الكتابين ، وعلوم المتكلمين والمتفلســفة ، وبــرز فــي ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وأكابرهم ، قال الذهبـــي: "وأمـــا أصـــول الدين ومعرفتها ، ومعرفة أحوال الخوارج والروافض والمعتزلة وأنواع المبتدعة ، فكان لايشق فيه غباره ولا يلحق شأوه[٤]".

وأحكم الشيخ الفرائض ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والتاريخ ، والسيرة، وغير ذلك ، وهو ابن بضع عشرة سنة[٥].

وكانـــت نفس الشيخ لا تشبع من العلم ، ولا تروى من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال، ولاتكل من البحث، وقل أن يدخل في علم من العلوم؛ في باب من أبوابه إلاّ ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك في ذلك العلم على حُذَّاق أهله[٦].

وكـــان يحضـــر المدارس والمحافل في صغره ، فيتكلم ويناظر ويُفحم الكبار، ويأتي بما يتحيَّر فيه أعيان البلد في العلم[٧].

رابعاً / شيوخه:

أخـــذ شيخ الإسلام ابن تيمية عن أزيد من مائتي شيخ[٨]، كلهم دماشقة ، وفيهم الحنبلي والشافعي والحنفي ، منهم:

---

(١) انظر: ذيل ابن رجب٢/٣٨٨ ، وشذرات الذهب٦/٨١ ، والتاج المكلل ص٤٣٢.
(٢) تتمة المختصر ٢/٤٠٩.
(٣) أسماء مؤلفات ابن تيمية (ضمن الجامع) ص٢٢١.
(٤) ذيل تاريخ الإسلام ص(٣٢٦).
(٥) العقود الدرية ص(٣) ، ومختصر الطبقات٤/٢٨١ ، وتتمة المختصر ٢/٤٠٨ ، وذيل ابن رجب٢/٣٨٨.
(٦) العقود الدرية ص(٥) ، ومختصر الطبقات٤/٢٨١.
(٧) العقود الدرية ص(٥) ، ومختصر الطبقات٤/٢٨١.
(٨) العقود الدرية ص(٣) ، والمقفى الكبير ١/٤٥٤ ، والقول الجلي ص(٣٦).

- زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي(٦٦٨هـ)أخذ عنه(جزء ابن عرفة)، ودرس عليه الحديث.

- مجد الدين ابن عساكر(٦٦٧هـ) سمع منه الحديث.
- جمال الدين عبد الرحمن البغدادي(٦٧٠هـ) سمع منه الحديث.
- والده عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية(٦٧٢هـ) أخذ عنه الفقه.
- ابن أبي اليسر التنوخي(٦٧٢هـ) سمع منه الحديث.
- الكمال بن عبد الحارثي(٦٧٢هـ) سمع منه الحديث.
- ابن عطاء الأذرعي الحنفي(٦٧٣هـ) سمع منه الحديث.
- جمال الدين يحيى ابن الصيرفي(٦٧٨هـ) سمع منه الحديث.
- أحمد بن أبي الخير الحدَّاد(٦٧٨هـ) سمع منه الحديث.
- المسلم بن علاَّن العلائي(٦٨٠هـ) سمع منه الحديث.
- الكمال عبد الرحيم ابن قدامة المقدسي(٦٨٠هـ) سمع منه الحديث.
- القاسم الأربلي(٦٨٠هـ) سمع عليه صحيح مسلم.
- إبراهيم بن الدرجي الحنفي(٦٨١هـ) سمع منه الحديث.
- شمس الدين ابن قدامة المقدسي(٦٨٢هـ) سمع منه الحديث.
- الشرف ابن القواس الطائي(٦٨٢هـ) سمع منه الحديث.
- علي بن بلبان الكركي(٦٨٤هـ) سمع منه صحيح البخاري.
- أحمد بن شيبان الشيباني الدمشقي(٦٨٥هـ) سمع منه الحديث.
- زينب بنت مكي الحرَّانية(٦٨٨هـ) سمع منها الحديث.
- علي بن أحمد السعدي(ابن البخاري)،(٦٩٠هـ) سمع منه الحديث.
- شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي(٦٩٤هـ).
- زين الدين ابن المنجى المعرّي(٦٩٥هـ) أخذ عنه الفقه.
- محمد بن عبد القوي المقدسي الحنبلي(٦٩٩هـ) أخذ عنه العربية.

وغير هؤلاء كثير[1].

---

[1] انظر: العقود الدرية ص(٣)، ومختصر الطبقات ٢٨٠/٤، وذيل تاريخ الإسلام (٣٢٥)، والوافي ١٦/٧، والفوات ٧٤/١، والبداية والنهاية ١٣٦/١٤، وذيل ابن رجب ٣٨٧/٢، وذيل التقييد ٧٢/٢، وطبقات المفسرين ٤٦/١ ،وشذرات الذهب ٨٠/٦، والمنهل الصافي ٣٣٧/١، والدارس ٧٦/١، والدرر الكامنة ١٤٤/١.

خامساً/تلاميذه:

أمـــا تلامـــذة الشـــيخ فكثير، ومنهم من كان من أقرانه ، ثم تتلمذ على يديه؛ كالبرزالي ، والمزي، والذهبي ، وقد يتعذر إحصاؤهم، لكن سأذكر هنا أشهرهم[١]:

ـ ابن شيخ الحزّامين، أحمد بن إبراهيم الواسطي (٧١١هـ).
ـ بدر الدين محمد بن خالد الحراني(أخو الشيخ لأمه)، (٧١٧هـ).
ـ شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم(أخو الشيخ)، (٧٢٧هـ).
ـ ابن سيِّد الناس، أبو الفتح محمد اليَعْمُري (٧٣٤هـ).
ـ البرزالي، القاسم بن محمد الشافعي (٧٣٩هـ).
ـ المزي، أبو الحجاج يوسف (٧٤٢هـ).
ـ ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (٧٤٤هـ).
ـ زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحليم (أخو الشيخ) (٧٤٧هـ).
ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (٧٤٨هـ).
ـ ابن رشيق، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي (٧٤٩هـ).
ـ البزار، عمر بن علي (٧٤٩هـ).
ـ ابن فضل الله العُمري، أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ).
ـ ابن الوردي، عمر بن المظفر (٧٤٩هـ).
ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ).
ـ مغلطاي بن قليج المصري (٧٦٢هـ).
ـ ابن مفلح، شمس الدين محمد الحنبلي (٧٦٣هـ).
ـ ابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ).
ـ الصفدي ، خليل بن أيبك (٧٦٤هـ).
ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ).
ـ ابن مُري، أحمد بن محمد الحنبلي[٢].

---

(١) اللافت للنظر هنا هو حب تلامذة الشيخ له ـ بسبب حبهم للمنهج الذي سار عليه ـ وتفانيهم في خدمته ، حتى لو لحقهم بسبب ذلك صنوف المحن ؛ من سجن وضرب وغير ذلك ، ولعل ما تعرض له ابن القيم، والمزي ، وابن كثير وغيرهم من الأذى ، أكبر دليل على ذلك.
انظر في ذلك نهاية الأرب(ضمن الجامع) ص(١٢٠).

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣٠٢/١(ولم يذكر تاريخ وفاته).

ـ الغيَّاني ، إبراهيم بن أحمد(خادم الشيخ)[1].

وغيرهم كثير.

سادساً/من صفات الشيخ:

أـ صفاته الخَلْقية:

قـال الذهبي في ذكر صفة الشيخ: "وكان الشيخ أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، رَبْعة من الرجال، بعيد مـا بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدة ثم يقهرها بحلم وصفح"[2].

وقـال الصفدي: "وكان إذا تكلم أغمض عينيه، وازدحمت العبارة على لسانه، فرأيت العجب العجيب"[3].

وقـد تأملت هذه الصفة ، فما رأيت صفة أقرب إليها من صفة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم[4]، وقد زادها حسناً ما تخلق به الشيخ من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الميامين ، وما أحسن قول أبي حيان النحوي[5]:

لمَّا أتانا تقي الدين لاح لنـــا ... داعٍ إلى الله فرد ما له وزر

على مُحَيَّاه من سيما الأُلى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر[6]

ب ـ صفاته الخُلُقية:

١ـ الإيمان وقوة اليقين بالله:

على الرغم مما أثر عن الشيخ من حدة في البحث، وشدة في مناظرة الخصوم، إلا أنه عند وقوع البلاء والمحن، نجد عكس ذلك من الصبر والرضا والثبات، مما

---

[1] انظر: مختصر الطبقات٢٨٤/٤، وأعيان العصر ٢٨٣/١، والبداية والنهاية١٤/ ٨١ ـ٨٣ ، وذيل ابن رجب٢/ ٤٩٣، وذيل التقييد٧٢/٢، وطبقات المفسرين٤٧/١، وشذرات الذهب٨١/٦.

[2] ذيل تاريخ الإسلام ص (٣٢٩).

[3] الوافي بالوفيات١٩/٧.

[4] انظر في صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري ؛ كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٧٠٠/٦ رقم(٣٥٥١).

[5] أبو حيان أمين الدين النحوي ، كان أول أمره محبا لشيخ الإسلام ، لكنه انحرف عنه آخر أمره ؛ لأن شيخ الإسلام كذَّب سيبويه في مسألة من مسائل النحو ، توفي سنة ٧٤٥هـ .
انظر: البداية والنهاية ٢١٣/١٤.

[6] انظر: أعيان العصر ٢٤٧/١، وذيل ابن رجب٣٩٢/٢.

يدل على أن غضبه لم يكن انتصاراً لنفسه، بل دفاعاً عن دين الله وذبّاً عن حدوده، وهذا من خلق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك: " أنه لمَّا ورد مرسوم السلطان بنقله إلى سجن الإسكندرية ، قال له رجل: يا سيدي هذا مقام الصبر، فقال الشيخ: بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنَّه نـــازل على قلبي من الفرح والسرور شيءٌ لو قسم على أهل الشام ومصر لفضل عـــنهم ، ولو أنَّ معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته ما أديت عُشر هذه النعمة التي أنا فيها "[١].

وقـــال وهـــو في سجن القلعة بدمشق ــ كما ذكر ذلك تلميذه ابن القيم ــ:"ما يصـــنع أعدائـــي بـــي، أنـــا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة"[٢].

فالشـــيخ لم يكن غضبه وحِدَّته لحظِّ النفس، وإلا لكان ظهور ذلك منه في مثل هذه الأحوال من باب أولى ؛ نصرة لنفسه ، ودفعا للضرر عنها.

وممـــا يدل على ذلك أنَّ الملك لمَّا مكَّن الشيخ من القضاة الذين آذوه قال: "من آذانـــي فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح"[٣].

٢ــ الزهد:

أمـــا الـــزهد في الدنيا ورفض زخارفها ، فإليه الغاية ، وعنده يوجد في ذلك الشـــأن الـــنهاية[٤]، فهو عَلَمٌ على الزهاد ــ كما وصفه بذلك الذهبي[٥] ــ وقدوة الســـالكين، لا لـــذة له فـــي غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه، فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والجماع[٦].

---

[١] ناحية من حياة شيخ الإسلام ص(٣٠).
[٢] الوابل الصيب ص(٤٤)، وذيل ابن رجب٢/٤٠٢، والتاج المكلل ص(٤٢٨).
[٣] العقود الدرية ص(٢٨٢)، والبداية والنهاية١٤/٥٤.
[٤] لقطة العجلان(ضمن الجامع) ص(١٨٥).
[٥] تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩٦.
[٦] المعجم المختص ص(٢٥).

أما المال والوجاهة فلا يذكرها، ولا أظنها تدور في ذهنه، بل قد عُرض عليه قضـــاء القضاة ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل شيئاً من ذلك، ولم يكن له مال، بل كان أخوه شرف الدين يقوم بمصالحه[1].

وأما اللباس" فكلباس آحاد الفقهاء، بل كعامة الناس؛ فَرَجيَّة[2] ودَلَق[3] وعمامة، تكون قيمة ثلاثين درهماً، ومداس[4] ضعيف الثمن"[5].

وأما مأكله فلم يكن يطلب من أهله غداء ولا عشاء غالباً، بل ما تيسر أكل منه؛ وقد ذكر الصفدي أن أم الشيخ طبخت قرعة فلما ذاقتها وجدتها مرة فتركتها، فلما جاء الشيخ أكل منها حتى شبع، ولم ينكر شيئاً منها[6].

أمـــا الجمـــاع فالثابت أن الشيخ لم يتزوج ولم يتسرى[7]، وهي مسألة موضع بحـــث؛ إذ الشـــيخ مـــن أشد الناس اتباعاً للسنة، ومن المعلوم أن النكاح من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم رغب عنه الشيخ؟.

الحق أن المصادر التي ترجمت للشيخ لم تتعرض لسبب ذلك، لكن المعلوم من حـــال الشيخ ترغيبه في الزواج وحثه الناس عليه[8]، فلعل الشيخ لم تكن له رغبة في النكاح، ولم تكن نفسه توّاقة إليه، والله أعلم بالصواب[9].

---

(1) انظر: تتمة المختصر ٤١٢/٢، ودرة الأسلاك(ضمن الجامع)ص(٣٩٣)، وذيل ابن رجب٣٩٧/٢، والمنهج الأحمد٣٢/٥.

[2] الفرَجيَّة: ثوب مفرج من قدامه، من أعلاه إلى أسفله، مزرر بالأزرار، وكان من لباس القضاة والعلماء في الدولة الأيوبية فما بعدها .
انظر صبح الأعشى٤٢/٤،ومعجم متن اللغة٣٧٧/٤.

[3] الدّلَق: ثوب متسع الأكمام طويلها، مفتوح من فوق كتفيه من غير تفريج، وكان من لباس القضاة في الدولة الأيوبية فما بعدها .
انظر صبح الأعشى٤٢/٤، ومعجم متن اللغة٤٤٢/٢.

[4] المداس: ضرب من الأحذية.
انظر القاموس المحيط٢٢٥/٢.

[5] ذيل ابن رجب٣٩٥/٢، والمنهج الأحمد٣٢/٥، والتاج المكلل ص(٤٢٧).

[6] انظر: تتمة المختصر ٤١٢/٢، والوافي١٦/٧.

[7] انظر: تتمة المختصر ٤١٢/٢،وذيل ابن رجب٣٩٥/٢، والمنهج الأحمد٣٢/٥، والتاج المكلل ص(٤٢٧).

[8] انظر في ذلك على سبيل المثال: مجموع الفتاوى٤٥٦/١٤، ٢١٥/٢٠، ١٦/٣٢.

[9] من العلماء الذين لم يتزوجوا أيضاً : محمد بن جرير الطبري ، والنووي ، وابن جماعة وغيرهم، وقد ذكر عبدالفتاح أبو غدة أن عدم زواج أمثال هؤلاء الأعلام ، هو انصرافهم إلى الاشتغال بالعلم ، وهو توجيه لا أظنه يستقيم ؛ إذ النبي صلى الله عليه وسلم، وكبار الصحابة ، وأئمة الإسلام ، كان عندهم من الشغل بالجهاد ، وطلب العلم ، ونشر الإسلام مثل ما لدى من ذكرنا هنا بل أكثر ، ولم يثنهم ذلك عن النكاح بل والتعدد منه، فعلم عدم وجاهة هذا التعليل ، والله أعلم بالصواب.
انظر في ذلك العلماء العزاب لأبي غدة ص ٢٠.

٣ـ الشجاعة:

إن مما تميز به علماء السلف، أنهم أهل علم وعمل، وجهاد ودعوة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهكذا كان ابن تيمية ؛ إذ بشجاعته كانت تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه الأبطال.

فمن ذلك موقفه مع(قازان)[١] ملك التتار، حيث خرج إليه وأسمعه الكلام الغليظ، وقازان يؤمن ظناً منه أن الشيخ يدعو له، حتى أيقن من كان معه أنهم هالكون لا محالة، وفعل بنائب ملك المغول(خطلوشاه)[٢] وغيره من رؤوس المغول مثل ما فعل بقازان بل أشد[٣].

وعاد الشيخ من(قازان) وفي ركابه ثلاثمائة فارس، وتمكَّن في دمشق بعد تلك الحادثة ، وزاد قدره بين العامة والخاصة ، حتى صار يقيم الحدود ويأمر بالقطع والقتل[٤].

ثم خرج الشيخ بعد ذلك بسنة(أي سنة٧٠٠هـ)إلى مصر يستحثُّ الملك الناصر لقتال التتار، ويذكِّره بما وعده الله للمجاهدين، ويتلو عليه الآيات والأحاديث، حتى استجاب فجهز جيشاً لمقاتلتهم[٥].

وبعد ذلك بسنتين؛ في رمضان سنة٧٠٢هـ ، كانت وقعة(شَقْحَب) ؛ حيث خرج الشيخ إلى الملك الناصر[٦]، وحثَّه على القتال، ووعده بالنصر، فقيل له: قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وطلب الشيخ أن يُجعل في مقابلة العدو، حتى يُثَبِّت الملك الذي أخافته كثرة التتار، ثم قاتل الشيخ في مقدمة الناس، حتى كتب الله النصر للمسلمين[٧] .

---

[١] اسمه محمود بن أرغون بن بغا بن تولي بن جنكيزخان ، قتل مسموما سنة ٧٠٣هـ ، فخلفه أخوه(حزبندا).
انظر: البداية والنهاية ٢٩/١٤.

[٢] خطلوشاه نائب ملك التتار ، كان كافراً ماكراً ، وهو قائد التتار يوم شقحب ، قتل سنة ٧٠٧هـ.
انظر: الدرر الكامنة ٨٥/٢.

[٣] انظر: العقود الدرية ص ١١٨، ومسالك الأبصار(ضمن الجامع)ص ٢٥٨، والبداية والنهاية١٤ /٧.

[٤] انظر: مسالك الأبصار(ضمن الجامع)ص ٢٥٩.

[٥] انظر: العقود الدرية ص١١٩.

[٦] ناصر الدين محمد بن السلطان المنصور قلاوون الصالحي ، تولى الملك في دولة المماليك وعمره خمس عشرة سنة ، وانتصر على التتار في (شقحب) وعمره تسع عشرة سنة ، ثم تسلط عليه نائباه الجانكشير وسلار فأخذا ملكه ، لكنه ما لبث أن عاد إليه ، كان ملكا مهابا ذا حزم وشدة في أموره ، توفي سنة ٧٤١هـ.
انظر: الوافي بالوفيات ٣٥٢/٤.

[٧] العقود الدرية ص١٧٥، والبداية والنهاية ٢٣/١٤.

ومن ذلك خروجه مع نائب السلطنة على دمشق(الأفرم)[1] لقتال الرافضة في جبل(كسروان) سنة ٧٠٥هـ، فهاب الروافض القتال وخرجوا إلى الشيخ واستتابهم، فردوا ما سرقوا من الأموال، وأجلاهم النائب عن الجبل[2].

هذه بعض مواقف الشيخ البطولية الدالة على شجاعته، ولا أجد وصفاً لتلك الشجاعة أصدق من وصف الذهبي لها بأنها(شجاعة خالدية)[3].

٤ـ الكرم :

أما كرم الشيخ فحاتمي، فقد كان ينفق ما يأتيه من مال على الفقراء وأهل الحاجات، قال ابن فضل الله: "كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهبه بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في مواضعه، لايأخذ منه شيئاً إلا ليهبه، ولا يحفظه إلا ليذهبه كلّه في سبيل البر[4]".

وذكر البزار قصة عجيبة تدل على إيثاره الفقراء حتى على نفسه، يقول: "جاء إنسان فسلّم عليه، فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يعتم به، فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك، فقطعها نصفين، واعتم بنصفها، ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل[5]".

وقال الصفدي في كرم الشيخ: "هذا إلى كرم يضحك البرق من غمائمه، وجود ما يصلح حاتم أن يكون فص خاتمه[6]".

سابعاً/مؤلفاته:

بدأ الشيخ التأليف وعمره سبعة عشر عاماً، واستمر في التأليف حتى وهو في السجن؛ إذ لم يكن الشيخ بحاجة إلى كتب ينقل منها، بل كان كثيراً ما يكتب من حفظه، وينسب الأقوال إلى قائليها، فإذا قوبلت بعد ذلك وُجدت كما نقل[7].

---

(1) جمال الدين آقوش الأفرم ، من مماليك المنصور قلاوون ، ولاه الملك الناصر نيابة دمشق ، ثم نقله منها إلى طرابلس بمشورة شيخ الإسلام ، كان خيراً عادلا لايظلم ، توفي بعد سنة ٧٢٠هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٣٢٦/٩.

(2) المرجع السابق ص١٨١، والبداية والنهاية١٢/١٤ ، ٣٥.

(3) ذيل تاريخ الإسلام ص٣٢٧.

(4) مسالك الأبصار(ضمن الجامع)ص٢٥٥.

(5) الأعلام العلية ص٦٣.

(6) أعيان العصر ٢٣٦/١.

(7) انظر: مختصر الطبقات٢٨٠/٤، والأعلام العلية ص٢٢، والمنهج الأحمد٢٧/٥، والدرر الكامنة١٥٠/١.

وقـــد كان الشيخ سريع الكتاب، حتى أنه كتب مجلَّداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مـــرة أربعيـــن ورقـــة فـــي جلسة أو أكثر، وكتب (الحموية) في قَعدة بين الظهر والعصر، والواسطية في قَعدة بعد العصر، وربما كتب في السؤال الواحد مجلداً[١].

مـــن أجـــل ذلك كثرت مؤلفات الشيخ ، فقد عدَّها الذهبي بأنها أكثر من مائتي مجلد[٢]، وذكر في موضع آخر بأنها أكثر من ثلاثمائة مجلدة[٣]، وفي موضع ثالث أنهـــا تـــبلغ خمسمائة مجلدة[٤]، ونقل عنه ابن ناصر الدين الدمشقي قوله: "جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية ـــ رضي الله عنه ـــ فوجدتـــه ألف مصنف، ثم رأيت له أيضاً مصنفات أخر[٥]"، وأحصاها في موضع بأربعة آلاف كرَّاس[٦] أو أكثر[٧].

والحق أن مؤلفات الشيخ يصعب إحصاؤها، لا لكثرتها فحسب، بل لتوافر عدة أسباب منعت من ذلك، منها:

١ـــ أن الشـــيخ كـــان يكتب الجواب على المسألة، فإن حضر من يُبَيِّضه من تلاميذه ، وإلا أخذ السائل الجواب، وتعذر معرفة ما فيه[٨].

٢ـــ كـــان خـــط الشيخ في غاية التعليق والإغلاق، وليس كل تلامذته يستطيع قراءته، فإن أخذ الكتاب من تلاميذه من يستطيع نقله، وإلا فإن الكتاب لا يشتهر[٩]، وقـــد كـــان أبو عبدالله ابن رُشيِّق المالكي أعرف أصحاب الشيخ بخطه، بل كان أعرف به من الشيخ نفسه.

---

[١] انظر: العقود الدرية ص٦٤، وأعيان العصر ٢٣٥/١، وذيل ابن رجب ٣٩١/٢، والمنهج الأحمد ٢٧/٥، والتاج المكلل ص٤٣٤.

[٢] انظر: ذيل العبر ص٨٤ ، والمنهل الصافي ٣٤٠/١.

[٣] انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤، وذيل تاريخ الإسلام ص٣٢٦.

[٤] نقله عن الذهبي ابن عبد الهادي في مختصر الطبقات ٢٨٦/٤، وفي العقود الدرية ص٢٥، وابن الوردي في تتمة المختصر ٤٠٩/٢، وانظر: شذرات الذهب ٨٤/٦.

[٥] الرد الوافر ص٧٢.

[٦] الكراس/جمع مفرده كراسة ، وهي:مجموعة من الأوراق تعد للكتابة فيها، وهي جزء من الكتاب. انظر لسان العرب ٢٤٢/٥ ، والمعجم الوسيط ٧٨٤/٢.
ولا منافاة بين قول الذهبي: ألف مصنف، وقوله: خمسمائة مجلد ونحوه ؛ إذ المجلد قد يحوي أكثر من مصنف، خاصة أن أكثر مصنفات الشيخ هي عبارة عن فتاوى ورسائل قصيرة ، أما قوله: أربعة آلاف كراس ، فإن من المعلوم أن المؤلف الواحد يحوي أكثر من كراسة.

[٧] نقله عن الذهبي ابن عبدالهادي في مختصر الطبقات ٢٨٤/٤، والعقود الدرية ص٢٣، وانظر: المقفى الكبير ١/ ٤٦٨، والدرر الكامنة ١٥١/١، والبدر الطالع ٧٢/١، والقول الجلي ص٣٦.

[٨] انظر: العقود الدرية ص٦٥.

[٩] المرجع السابق ص٦٥.

٣ــ مـــا حصـــل للشـــيخ بعد حبسه من المنع من إظهار كتبه، يقول ابن عبد الهــادي: "ومــا كفـــى هـــذا إلا أنه لما حبس تفرق أتباعه وتفرقت كتبه، وخوفوا أصـــحابه من أن يظهروا كتبه. ذهب كل أحد بما عنده، وأخفاه ولم يظهروا كتبه، فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتى أن منهم مـــن تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها[١]"، بل إن بعض كتب الشيخ أحرقت، ولا حول ولاقوة إلا بالله[٢].

٤ــ أن الشيخ لما دخل السجن في المرة التي توفي فيها، ورد مرسوم السلطان بإخــراج ما عنده من الكتب(وكانت تصانيفه منها أربع عشرة رزمة)، وبقيت عند متولـــي القلعة مدة، ثم أرسلها إلى قاضي القضاة علاء الدين القزويني، ففرقها بين القضاة والفقهاء، وبقيت عندهم، ولم يُعلم عنها شيء بعد ذلك[٣].

ولســـت هنا بصدد إحصاء كتب الشيخ، إذ قد سبقت إلى ذلك[٤]، لكني سأحاول ذكر بعض مؤلفاته في العقيدة ؛ لتعلقها بموضوع بحثنا.

ــ فمن مؤلفاته ــ رحمه الله ــ في العقيدة:

١ــ الاستقامة:

وهو مطبوع بتحقيق د/محمد رشاد سالم في جزئين طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة١٤٠٣هــ.

٢ــ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:

وهـــو مطـــبوع بتحقيق د/ناصر بن عبد الكريم العقل ، كرسالة دكتوراة سنة ١٤٠٤هــ.

٣ــ الإيمان: ويسمى الإيمان الكبير؛ تمييزاً له عن الإيمان الأوسط.

وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وطبع مستقلاً بتحقيق الشيخ زهير الشاويش، وتخريج العلامة ناصر الدين الألباني، عن المكتب الإسلامي ، وهو محقق في جامعة أم القرى في رسالتي دكتوراة.

---

[١] انظر: العقود الدرية ص٦٥.

[٢] انظر: المقفى الكبير ٤٦٨/١.

[٣] انظر: نهاية الأرب(ضمن الجامع) ص١٣١ ، والمقفى الكبير ٤٦٧/١.

[٤] ممن فعل ذلك محققا(الصارم المسلول)، حيث ذكرا للشيخ أكثر من ٧٠٠ كتاب، ورسالة، وجواب، كثير منها مكرر، انظر: الصارم (بتحقيق محمد الحلواني، ومحمد شودري)٧١/١.

٤ـ بُغـية المـرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد: وتسمى(السبعينية) ؛ لأن الشيخ رد فيها على ابن سبعين، و(المسـائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة والاتحادية) ؛ لأنه ألفها مدة مقامه في حبس قلعة الإسكندرية.

والكتاب مطبوع بتحقيق د/موسى بن سليمان الدويش ، سنة١٤٠٨هـ .

٥ـ بـيان تلبـيس الجهمـية في تأسيس بدعهم الكلامية: ويسمى أيضاً(نقض تأسـيس الجهمية) و(نقض أساس التقديس)؛ لأن الشيخ ردَّ فيه على كتاب: أساس التقديس للرازي.

وقد طبع منه أولاً مجلدان بتحقيق العلامة محمد ابن قاسم، ثم حقق في جامعة الإمام في ثمان رسائل علمية ، ولما يطبع حتى الآن.

٦ـ التدمرية:

وهي مطبوعة بتحقيق د/محمد بن عودة السعوي (رسالة ماجستير) عام١٤٠٥ هـ.

٧ـ التسعينية: وتسمى(كتاب في محنته في مصر).

وهي مطبوعة بتحقيق الشيخ د/ محمد العجلان(رسالة دكتوراة).

٨ ـ الجواب الباهر في زوَّار المقابر:

طـبع ضـمن مجمـوع الفتاوى١٧/٣١٤ـ٤٤٥، ومستقلاً بتحقيق الشيخين: سليمان الصنيع وعبد الرحمن المعلِّمي سنة١٤٠٤هـ ، ثم حقق قريباً في الجامعة الإسلامية.

٩ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:

وهـو مطـبوع بتحقيق المشايخ: علي بن حسن ناصر، وعبد العزيز العسكر، وحمدان الحمدان، عن دار العاصمة، في ست مجلدات والسابع فهارس.

١٠ـ الحموية الكبرى:

طبعت بتحقيق الشيخ/حمد بن عبد المحسن التويجري(رسالة ماجستير).

١١ـ درء تعـارض العقـل والـنقل:ويسمى(موافقة صريح المنقول لصحيح المعقول).

وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق د/محمد رشاد سالم، سنة١٣٩٩هـ ، في عشرة مجلدات، والحادي عشر فهارس.

١٢ـ الرد على الإخنائي في مسألة الزيارة: ويسمى أيضاً(الإخنائية).

وقد طبع بتحقيق الشيخ/أحمد بن مونس العنزي(رسالة ماجستير).

١٣ـ الرد على البكري في الاستغاثة:

وقد طبع تلخيصه بتحقيق الشيخ عبد الله بن دجين السهلي(رسالة ماجستير).

١٤ـ الرد على المنطق: ويسمى(نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان)

وهو مطبوع في الهند سنة ١٣٦٨هـ، بتحقيق الشيخ/ عبد الصمد الكتبي.

١٥ـ شرح حديث النزول:

وهو مطبوع بتحقيق الشيخ محمد الخميِّس(رسالة ماجستير).

١٦ـ شرح العقيدة الأصفهانية:

وقد طبعت مستقلة، ثم حققها الشيخ/ محمد بن عودة السعوي(رسالة دكتوراة) لكنها لم تطبع حتى الآن.

١٧ـ شرح بعض كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب:

وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه.

١٨ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول:

وقد طبع عدة طبعات من آخرها طبعة بتحقيق الشيخين: محمد الحلواني، ومحمد شودري(رسالتي ماجستير) في ثلاثة مجلدات.

١٩ـ الصفدية:

وقد طبعت بتحقيق د/محمد رشاد سالم سنة١٣٩٦هـ في مجلدين.

٢٠ـ العبودية:

وهي ضمن مجموع الفتاوى١٠/١٤٩ـ٢٣٦، وطبعت مستقلة مراراً، وللشيخ عبد العزيز الراجحي شرح مفيد عليها.

٢١ـ العقيدة الواسطية:

طبعت ضمن مجموع الفتاوى٣/١٢٩ـ١٥٩، ومستقلة مراراً، ولها عدة شروح؛ منها شرح للشيخ صالح الفوزان ، وآخر للشيخ محمد خليل هراس.

٢٢ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

وهو مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الرحمن اليحيى(رسالة ماجستير).

٢٣ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:

وهي مطبوعة مستقلة بتحقيق الشيخ ربيع بن هادي مدخلي.

٢٤ـ النبوات:

وقد طبع عدة مرات آخرها طبعة بتحقيق د/عبد العزيز بن صالح الطويان ، في مجلدين.

٢٥ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية:

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق د/ محمد بن رشاد سالم، سنة١٤٠٦هـ ، في ثمان مجلدات والتاسع فهارس.

٢٦ـ نقض المنطق:

وهو مطبوع مستقلاً بتحقيق الشيخين: محمد عبد الزاق حمزة ، وسليمان الصنيع، وصححه العلامة محمد حامد الفقي.

هذه بعض مؤلفات الشيخ الكبار، ويضاف إليها المئات من الرسائل التي حوتها عدة من المجاميع؛ كمجموع الفتاوى الذي جمعه العلامة عبد الرحمن بن قاسم، ومجموعة الرسائل والمسائل التي جمعها الشيخ محمد رشيد رضا، وجامع الرسائل الذي جمعه د/محمد رشاد سالم، ومجموعة الرسائل الكبرى، والفتاوى الكبرى، ومجموعة الرسائل المنيرية، ومجموعة التوحيد[1].

ثامناً / محنة الشيخ وسجنه :

تعرض الشيخ للمحن والبلاء ـ في نفسه وفي أصحابه ـ من اتهام في المعتقد، وسجن وضرب، فلم يزده ذلك إلا عزًّا وتمكناً في قلوب العامة والخاصة،

---

[1] من أكثر من اعتنى بذكر مؤلفات الشيخ: ابن عبدالهادي في العقود الدرية ص٢٥ـ٦٧، وابن رشيق في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم في الكافية الشافية ص٢٦٧-٢٧٠، والصفدي في أعيان العصر ١/ ٢٣٩ـ٢٤٦، وفي الوافي٧/٢٣ـ٣٠، وابن شاكر في الفوات١/٧٥ـ٨٠ ، وابن رجب في الذيل٢/٤٠٣ـ٤٠٤، والعليمي في المنهج الأحمد٥/٣٦ـ٣٧، وفي الدر المنضد٢/٤٧٨ـ٤٧٩، والداوودي في طبقات المفسرين١/٤٩ ، والقنوجي في أبجد العلوم٣/١٣١، والآلوسي في جلاء العينين ص١٨.

ولا يكاد يمر زمن، إلا وتزداد منزلته في قلوب الناس، فعامل الله خصوم الشيخ ــ الذين أغروا به الحكام والعامة ــ بنقيض قصدهم ، ولله الحمد.

وتكاد تنحصر أسباب هذه المحن في ثلاثة أمور:

١ــ الصفات.

٢ــ الطلاق.

٣ــ شد الرحال إلى القبور.

إضـــافة إلى محنته بسبب كلامه ـــ رضي الله عنه ـــ في مشايخ الصوفية بمصــــر، وسجنه بسبب واقعة عساف النصراني[١]، الذي سب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وسأتكلم عن كل واحدة من هذه المحن بشيء من الإيجاز غير المخل:

(١) محنته بسبب فتاواه في الصفات :

أ ــ محنته بسبب الفتوى الحموية :

وقعت هذه المحنة في أول شهر ربيع الأول سنة٦٩٨هـــ ، وكانت إرهاصاً لما سيحصل للشيخ بعد ذلك من الابتلاء.

وملخصـــها: أن جماعة من أعداء الشيخ أغروا به قاض الحنفية بدمشق(جلال الديـــن الحنفـــي[٢])، مستخدمين(الحموية)، محرفين لألفاظها، مؤولين لمعانيها إلى معـــان لا تحتملها، فما كان من القاضي الحنفي إلا أن طلب حضور الشيخ، فامتنع الشيخ عن الحضور، فغضب القاضي وأمر المنادي بأن يطوف في دمشق ببطلان هذه العقيدة.

فلمـــا ســـمع بذلك(سيف الدين جاغان)[٣] ــ الذي كان قائماً مقام نائب السلطنة بدمشق ــ غضب، وأمر بضرب المنادي ومن كان معه، وطلب من سعى في ذلك

---

[١] كانت هذه هي أول المحن التي وقعت للشيخ، حيث ضربه وسجنه نائب السلطنة(عز الدين أيبك الحموي) هو والشيخ زين الدين الفارقي، سنة٦٩٣هـ، بسبب واقعة عساف النصراني، الذي سب الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه ما لبث أن أطلقهما وأكرمهما.
انظر: البداية والنهاية١٣/٣٥٥، وذيل ابن رجب٢/٣٩٦.

[٢] أحمد بن الحسن بن أحمد الرازي الحنفي، كان قاضيا للحنفية بدمشق، ولدسنة٦٥١هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ.
انظر: البداية والنهاية١٤/٢١٤.

[٣] سيف الدين جاغان المنصوري الحسامي ، عمل في الدواوين بدمشق لما كان قبجق نائبا لها ، وكان صاحب عقل ودين ، وتفي سنة٦٩٩هـ. انظر: الوافي بالوفيات١١/٣٩.

إلا أنهم توارروا عن الأعين.

ثم إن الشيخ اجتمع بقاضي الشافعية(إمام الدين الشافعي[1])، يوم السبت الرابع عشـــر مـــن الشـــهر، في جماعة من القضاة، فعرض عليهم(الحموية)، وبيَّن لهم مواضـــع أشكلت عليهم، فما حصل من أحد منهم إنكار، وانفض المجلس ــ الذي استمر من بكرة النهار إلى ثلث الليل ــ على قول القاضي الشافعي: (كل من تكلم في الشيخ يُعزَّر)، فسكنت المحنة إلى أمد[2].

ب ــ محنته بسبب(العقيدة الواسطية) :

كانـــت هـــذه المحنة في يوم الإثنين الثامن من رجب سنة٧٠٥هـــ، حيث ورد مرســـوم السلطان بسؤال الشيخ عن عقيدته، فجمع نائب السلطنة القضاة والفقهاء، وأرســـل إلى الشيخ، فلما اجتمع الشيخ والقضاة، أخبرهم النائب بمرسوم السلطان، فأحضـــر الشيخ (الواسطية)، وقرئت في المجلس، وحصل بحث في مواضع منها، وأُجِّلت مواضع إلى المجلس الثاني.

ثم كان المجلس الثاني في يوم الجمعة الثاني عشر من رجب، وحضره(الشيخ صـــفي الديـــن الهندي[3]) ليناظر الشيخ ، فبحث معه مواضع من(الواسطية) ، فلم يـــرض القضـــاة وطلـــبوا(الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني[4]) ليناضره؛ لأنه ــ بـــزعمهم ــ أقـــوى حجة، لكنهم لم ينالوا مقصودهم، بل أظهر الله الشيخ وأعزه، ورجع إلى بيته معززاً مكرَّماً، يحفه الناس وتشيعه العامة.

ثم إنه وقع بسبب غياب نائب السلطنة أذى لبعض أصحاب الشيخ؛ حيث عُزِّر بعـــض مـــن يلوذ به، وطُلب آخرون لذلك، وحُبس(الحافظ المزي)؛ بسبب قراءته فصـــلاً فـــي الـــرد على الجهمية من صحيح البخاري، فعمد الشيخ إلى أن أطلق

---

(1) عمر بن عبدالرحمن القزويني، ولي قضاء قضاة الشافعية بدمشق، بعد ابن جماعة ، ثم إنه هرب إلى مصر لما جاء التتار إلى الشام سنة٦٩٩هـ، ومات هناك في تلك السنة.
انظر البداية والنهاية١٤/١٣.

(2) انظر تفصيل ذلك في العقود الدرية ص١٩٨ــ٢٠٢، والبداية والنهاية١٤/٤ــ٥، وذيل ابن رجب٢/٣٩٦.

(3) محمد بن عبدالرحيم الأرموي ثم الهندي الشافعي، كان فيه ميل إلى منهج السلف في ترك تأويل الصفات، ولد سنة٦٤٤هـ، وتوفي سنة٧١٥هـ.
انظر: البداية والنهاية١٤/٧٤.

(4) محمد بن علي الأنصاري السِّماكي الشافعي، كان قاضياً بحلب، ثم طلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق، وكان قد عقد العزم على الكيد لشيخ الإسلام، فتوفي قبل وصوله إلى مصر سنة٧٢٧هـ.
انظر: البداية والنهاية١٤/١٣١.

الحافظ المزي بيده، ثم ذكر الشيخ للنائب لما عاد ما حصل لأصحابه، فرسم النائب بمنع الكلام في العقائد.

ثم عقد المجلس الثالث في يوم الثلاثاء السابع من شعبان، وانفض المجلس على الرضى بالعقيدة الواسطية، ووقع الاتفاق على أنها عقيدة سُنِّية سلفيَّة، فمن الفقهاء من قال ذلك طوعاً، ومنهم من قاله كرهاً.

وفـــي هـــذا المجلس الأخير عزل قاضي القضاة(نجم الدين ابن صصري[1]) نفســـه، بسبب كلام سمعه من ابن الزملكاني، لكنَّ مرسوم السلطان ورد بعد ذلك بإعادته إلى القضاء، وفيه أن السلطان إنما أراد من سؤال الشيخ عن عقيدته، إبراء ســـاحته ممـــا نُســـب إليه، والحق أن ذلك كان بإيعازٍ من(نصر المنبجي[2]) الذي أغضبه طعن الشيخ في ابن عربي[3].

وقد كتب شيخ الإسلام تفصيل ما وقع في هذه المجالس الثلاثة، وكتب في ذلك أيضاً الشيخ(علم الدين البرزالي)، و(عبد الله ابن تيمية) أخو الشيخ، في كتاب بعث به إلى أخيه زين الدين، رحمهم الله جميعاً[4].

ج ــ ذهاب الشيخ إلى مصر وسجنه :

لـــم يـــرض(نصر المنبجي) بما آلت إليه المجالس الثلاثة التي عُقدت لمناظرة الشـــيخ ، فأغرى السلطان به، فجاء مرسومه إلى نائبه في دمشق، بإرسال الشيخ مع(ابن صصري) إلى مصر على البريد، وكان ذلك يوم الإثنين الخامس من شهر رمضان من سنة ٧٠٥هـــ.

ولما وصل الشيخ إلى القاهرة ــ يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان ــ عُقد له مجلس بعد وصوله بيوم، فرفض الشيخ الجواب عن أسئلة القضاة، لمَّا علم

---

(1) أحمد بن محمد بن صصري التغلبي الدمشقي الشافعي، ولي قضاء الشافعية بدمشق مدة إحدى وعشرين سنة، ولد سنة٦٥٥هـ، وتوفي سنة٧٢٣هـ، انظر: البداية والنهاية١٤/١٠٦.

(2) نصر بن سلمان المنبجي، كان إماماً للمتصوفة بمصر، وكان الجانكشير(نائب السلطان) يعظمه ويعتقد فيه، وهو ممن آذى شيخ الإسلام بسبب طعنه في ابن عربي الذي كان نصر يغالي فيه، ولد سنة٦٨٣هـ،وتوفي سنة ٧١٩هـ.
انظر: البداية والنهاية١٤/٩٥.

(3) انظر: العقود الدرية ص٢٠٣ـ٢٠٦، والبداية والنهاية١٤/٣٧ــ٤٠، وذيل ابن رجب٢/٣٩٦.

(4) انظر مجموع الفتاوى٣/١٦٠ـ٢١٠، ونقلها بنصها ابن عبدالهادي في العقود الدرية ص٢٠٦ــ٢٤٨.

أن الــذي ســيحكم فيه هو(ابن مخلوف[1]) ، وقال: كيف يحكم فيَّ وهو خصمي، فحُبس في البرج أياماً، ثم نقل ليلة العيد إلى حبس(الجُبِّ) هو وأخواه عبد الله وعبد الرحمن.

وبقـــي الشـــيخ وأخواه في حبس(الجبِّ) سنة كاملة، فلما كانت ليلة الفطر سنة ٧٠٦هـــ ، أراد نائب السلطان(سيف الدين سلار[2]) إخراج الشيخ، فدعاه فامتنع عن الحضور؛ لعلمه باشتراط القضاة رجوع الشيخ عن بعض عقيدته.

فلما كان شهر ربيع الأول سنة٧٠٧هــ، خرج الشيخ من الحبس على يد(الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى[3])ملك العرب، الذي كان ذا جاه عند السلطان.

وبقـــي الشيخ في القاهرة يخطب ويفتي ويلقي الدروس، فانتفع الناس به، وذاع صيته، فأوغر ذلك صدور أعدائه، وعلى رأسهم(نصر المنبجي)[4].

د ــ محنته بسبب الصوفية :

كان الشيخ بعد خروجه من الحبس، يَعِضُ الناس ويُذكِّرهم، ويبيِّن لهم ما عليه الصـــوفية مـــن الـــبدع، وأكـــثرَ من الحطِّ على ابن عربي الملحد، فأغضب ذلك الصـــوفية، وشـــكوه إلـــى الســـلطان، فخُيِّر الشيخ بين السير إلى دمشق، أو إلى الإســـكندرية بشـــروط، أو الحبس، فاختارــ بعد مشورة الأصحاب ــ السفر إلى الشام، لكن لما خرج رُدَّ من الطريق ، وأودع حبس الحاكم بحارة الديلم ، في ليلة التاسع عشر من شوال سنة٧٠٧هـــ.

وفـــي الحبس حصل بالشيخ خير كثير، واهتدى على يديه كثير من المساجين، وتردد الناس عليه وازدحموا طلباً للعلم والفتيا.

---

[1] علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي ، ولي قضاء القضاة بمصر ، وكان يتسرع في الحكم في القضايا، وهو ممن آذى شيخ الإسلام، ولد سنة٦٣٤هـ، وتوفي سنة٧١٨هـ.
انظر البداية والنهاية١٤/٩٠.

[2] سيف الدين سلار التركي الصالحي ، كان نائباً للملك الناصر ، مات محبوساً بعد أن تآمر هو والمظفر بيبرس على الملك ، وذلك سنة٧١٠هـ.
انظر: الفوات٢/٨٦، والدرر الكامنة٢/٢٧٦.

[3] حسام الدين مهنا بن عيسى ، من آل فضل من ربيعة، كان يلقب بملك العرب ؛ لأنه كان أميراً لعرب الشام، وكان جاهه عند الملك الناصر كبيراً ، توفي سنة٧٣٥هـ.
انظر: البداية والنهاية١٤/١٧٢.

[4] انظر: العقود الدرية ص٢٤٨ـ٢٥٦ ، والبداية والنهاية١٤/٤٠ــ٤٧، وذيل ابن رجب٢/٣٩٦ـ٣٩٧.

ثم إن الشيخ أُخرج بعد ذلك من الحبس[1]، واستهلت سنة٧٠٨هـ وهو خارج الحبس في (دار ابن شُقير)، وانكبَّ الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً، فساء ذلك أعدائه، وقرروا تسفيره إلى الإسكندرية[2].

هـ خروج الشيخ إلى الإسكندرية :

خرج الشيخ إلى الإسكندرية في نهاية شهر صفر سنة٧٠٩هـ، ومنع أصحابه من مرافقته، ونزل الشيخ في الإسكندرية في برج من دار السلطان، فسيح ونضيف، له شُبَّاكان ، أحدهما على البحر ، والآخر على المدينة ، ولم يمنع أحد من الدخول عليه ، وكان يحضر مجلسه الجمع من الناس ، ويأتيه العامة والخاصة فيستفيدون منه.

وأكثر الشيخ من الحطِّ على الاتحادية؛ من أتباع ابن عربي وابن سبعين، الذين كانوا قد باضوا وفرخوا هناك، وهتك أستارهم، حتى صار الناس يلعنونهم بأسمائهم في المجالس، كما استتاب ـ رحمه الله ـ جماعة منهم، فتابوا ورجعوا عن القول بالاتحاد.

وكانت مدة لُبث الشيخ في الإسكندرية ثمانية أشهر، حتى الثامن من شوال سنة ٧٠٩هـ ، حيث عاد إلى القاهرة بطلب من الملك الناصر ، بعد عودته إلى السلطنة[3].

و ـ عودة الشيخ إلى القاهرة :

لما عاد الشيخ إلى القاهرة استقبله الملك الناصر، وبالغ في إكرامه، وقربه إليه، واستفتاه في قتل جمع من القضاة ممن آذوا الشيخ، وتآمروا على عزل الملك، فأبى الشيخ ذلك، وتنازل عن حقه، وعظَّم أمر القضاة والعلماء، حتى عفى عنهم الملك.

---

(1) نص على ذلك ابن كثير ، انظر: البداية والنهاية٤٧/١٤.

(2) انظر: العقود الدرية ص٢٦٧ـ٢٧٢، والبداية والنهاية٤٥/١٤، وذيل ابن رجب٣٩٨/٢، والدرر الكامنة١/ ١٤٨.

(3) العقود الدرية ص٢٧٢ـ٢٧٧، والبداية والنهاية ٤٩/١٤ـ٥١، وذيل ابن رجب٣٩٩/٢، والدرر الكامنة ١/ ١٤٨.

ونــزل الشــيخ فــي القاهرة بالقرب من مشهد الحسين، والناس يترددون إليه والأمراء والأجناد والفقهاء والقضاة؛ منهم المعتذر، ومنهم المستفتي، وصار للشيخ جــاه عــند الملك الناصر ؛ حتى أنه نقل(الأفرم)إلى نيابة طرابلس، وعزل نائب دمشق(كراي)[1]بمشورة الشيخ.

وبقــي الشيخ في القاهرة في عز وكرامة حتى سنة٧١٢هـ ، حيث قرر الملك الناصر المسير إلى قتال التتر، فخرج الشيخ معه ، قاصدين دمشق[2][3].

(٢) محنته بسبب فتوى الطلاق :

وقعــت هذه المحنة للشيخ في الثاني والعشرين من رجب سنة٧٢٠هـ ؛ وذلك بســبب فــتاواه في الطلاق(حيث أفتى الشيخ بإجزاء الكفارة عمن حلف بالطلاق وكــان قصــده اليمين لا إيقاع التطليق، وأن الطلاق بالثلاث في كلمة واحدة يقع طلاقاً رجعياً لا بائناً، وأن الطلاق البدعي المحرم لا يقع).

فحبس الشيخ ــ بسبب ذلك ــ في القلعة مدة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم أخرج منها بمرسوم سلطاني يوم الإثنين العاشر من محرم سنة٧٢١هـ[4].

(٣) محنته بسبب مسألة(شد الرحال إلى القبور) :

وقعــت هــذه المحنة في السادس من شعبان سنة٧٢٦هـ؛ بسبب فتوى للشيخ بعــدم جواز القصر لمن شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أوقبر غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، باعتباره سفراً غير شرعي.

فحُــبس الشــيخ في القلعة في قاعة حسنة، وقام معه أخوه زين الدين يخدمه، ويقوم بشؤونه، وبقي الشيخ في حبسه حتى توفاه الله.

---

(١) كراي المنصوري ، تولى النيابة بصفد ثم بدمشق ، فضيق على أهلها ، فعزل ثم حبس إلى أن مات ، كان شجاعا كريما لا يقبل الرشوة. انظر: الوافي ٣٣١/٢٤.

(٢) حصل للشيخ في هذه المدة أذى من بعض الغوغاء، في جامع مصر، في الرابع والعشرين من رجب سنة ٧١١هـ، ومن فقيه يعرف بـ(المبدي)، فانتصر له الأجناد، وأهل الحسينية، والشيخ يعفوا عنهم في كل مرة. انظر: العقود الدرية ص٢٨٥ـ٢٨٩.

(٣) انظر: العقود الدرية ص٢٧٨ـ٢٩٠، والبداية والنهاية٦٧/١٤، وذيل ابن رجب٤٠٠/٢، والدرر الكامنة١/ ١٤٨ـ١٤٩.

(٤) العقود الدرية ص٣٢٤ـ٣٢٧، والبداية والنهاية٨٩/١٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠١ ، وذيل ابن رجب٤٠٠/٢، والدرر الكامنة١٤٨/١.

وقد كانت هذه أشد المحن على الشيخ وأصحابه؛ إذ بالرغم من أن مرسوم السلطان ورد بحبس الشيخ فقط، إلا أن نائب السلطنة ـ بإيعاز من القضاة ـ لاحق أصحاب الشيخ، فحبس جماعة منهم، وعزّر آخرين، ثم أطلقهم جميعاً، خلا ابن قيم الجوزية ، فإنه حبس في القلعة، مفرداً عن الشيخ ، وبقي في الحبس حتى توفي الشيخ رحمه الله.[1].

تاسعاً / وفاته :

كانت معاملة نقيب القلعة ونائبها للشيخ معاملة حسنة، وكانا يكرمانه، ويستعرضان حوائجه ويبالغان في قضائها، فانكب الشيخ ـ مدة مقامه بالقلعة ـ على العبادة والتلاوة والذكر، وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكان من أعظم ما كتبه، وأشده على الخصوم(الإخنائية)، التي رد فيها على الإخنائي قاضي المالكية بمصر؛ رد عليه في مسألة الزيارة.

ثم إنه قبل وفاته بشهر، ورد مرسوم السلطان، بإخراج ما عند الشيخ من كتاب أو ورق أو دواة أو قلم، فكان الشيخ إذا أراد أن يكتب، كتب بالفحم، وله رسائل إلى أصحابه كتبها بالفحم، ذكر بعضها ابن عبدالهادي[2]، وإذا لم يكن لدى الشيخ ما يكتب عليه كتب على الجدار.

وعندئذٍ أقبل الشيخ على التلاوة والتهجد والذكر، إلى أن كان قبل وفاته ببضع وعشرين يوما، أصابته حمّى اشتدت به، حتى فجأ الناس نعيه، ولم يعلموا بمرضه، وكان ذلك لليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة٧٢٨هـ.

وكانت مدة إقامة الشيخ بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً، ختم خلالها القرآن إحدى وثمانين ختمة، انتهى في الأخيرة إلى قوله تعالى: "**إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**[3]".

ولما أصبح الناس اجتمعوا عند باب القلعة، ففُتحت أبوابها لأصحاب الشيخ وخواصه، ومن أراد السلام عليه، ثم خرج الجميع، ولم يبق إلا من باشر غسله، أو ساعد في ذلك ، ومنهم الحافظ المزي.

---

[1] العقود الدرية ص٣٢٧ـ٣٣٠، والبداية والنهاية١٤/١٢٣، وذيل ابن رجب٢/٤٠١، والدرر الكامنة١/١٤٩.
[2] انظر: العقود الدرية ص٣٦٤ـ٣٦٨.
[3] سورة القمر، الأيات(٥٤ـ٥٥).

هذا وقد صُلِّي على الشيخ عدة مرات؛ بسبب كثرة الناس، فصُلي عليه بالقلعة، وأمَّ الناس الشيخ (محمد بن تمام[1])، ثم حُمل إلى الجامع الأموي ، وقد امتلئ والشوارع المحيطة به بالناس، حتى أن المصلي لم يكن يجد موضعاً لسجوده، وتقدم للصلاة عليه بُعيد الظهر نائب الخطيب(علاء الدين الخراط[2]).

ثم حملت جنازة الشيخ إلى خارج الجامع، وسير بها إلى المقبرة تتقدم تارة وتتأخر أخرى بسبب الزحام.

وعَظُم الزحام في سوق الخيل ؛ إذ أكثر الناس لم يمكنهم الوصول إلى الجامع للصلاة عليه ، فوضعت الجنازة هناك، وصُلي عليها، وأم الناس أخو الشيخ زين الدين عبدالرحمن، ثم حُمل إلى مقابر الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله قبيل العصر.

ثم إنه بقي بعد ذلك جمع لم يصلوا عليه، فصلوا على قبره، وصُلي عليه صلاة الغائب في مساجد الشام ومصر والعراق وتبريز وغيرها.

أما من شيَّع جنازة الشيخ فقد حُزِروا بمائتي ألف من الرجال، وخمسة عشر ألفاً من النساء، غير اللاتي كنَّ في الأسطح، ولم تُر جنازة أعظم منها إلا ما كان من جنازة الإمام أحمد بن حنبل، إذ حُزِر من حضرها من الناس بألف ألف، هذا مع أن بغداد كانت دار الخلافة، وأهل دمشق لا يعشرون أهل بغداد كثرة، والإمام أحمد توفي والدولة تحبه وتكرمه وتعظمه، أما شيخ الإسلام فقد توفي محبوساً من جهة السلطان.

ولم يتخلف عن جنازة الشيخ من أهل دمشق إلا ثلاثة نفر، عُرفوا بعدائهم له؛ وإنما لم يخرجوا خوفاً على أنفسهم، بحيث أنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس[3].

---

[1] محمد بن أحمد بن تمام الصالحي الحنبلي الخياط، كان مقرباً عند نائب الأمراء(تنكز)، وشفع عنده غير مرة، ولد سنة٦٥١هـ، وتوفي سنة٧٤١هـ .
انظر البداية والنهاية ١٨٩/١٤، وذيل ابن رجب٤٣٣/٢.

[2] علي بن عثمان الدمشقي الشاغوري الشافعي، كان والياً لنيابة الخطابة بدمشق، توفي سنة٧٣٩هـ.
انظر العبر ١١٥/٤، والدرر الكامنة٨٣/٣.

[3] هم(يوسف بن جملة ، ونجم الدين القحفازي ، وصدر الدين القزويني) ، انظر البداية والنهاية ١٤٥/١٤، وتعليق الشيخ/زهير الشاويش ، على الأعلام العلية ص٨٣ (هامش رقم ٢).

وبالجملة فقد كان يوم دفنه مشهودا، فقد أغلق التجار حوانيتهم، ونوى كثير من الـناس الصـوم؛ لعلمهم بما سيكون من اشتغالهم ذلك اليوم عن الأكل والشرب، وحـزن الـناس علـيه حـزناً شـديداً ، ورثاه جمع من العلماء والفضلاء يتعذر إحصاؤهم[1].

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأعظم له الأجر والمثوبة ، بما قام عليه من خدمة دين الله ، والذب عنه ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.[2][3]

---

[1] انظر في مراثي الشيخ: العقود الدرية٣٩٣-٥١٦، وتاريخ ابن الوردي٢/٤٠٧-٤٠٨، والوافي٧/٣١-٣٢.

[2] انظر: العقود الدرية ص٣٦٩-٣٧٥، والبداية والنهاية١٤/١٣٥-١٣٩، وذيل ابن رجب٢/٤٠٥-٤٠٧.

[3] وهذه قائمة بما اطلعت عليه من الكتب القديمة التي ترجمت للشيخ :

- التذكرة والاعتبار لعماد الدين الواسطي (ابن شيخ الحزامين) ، تحقيق/علي حسن عبدالحميد.
- ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لإبراهيم الغياني (خادم الشيخ)، تحقيق/محب الدين الخطيب.
- قطعة من مكتوب الشيخ شهاب الدين أحمد بن مرى الحنبلي ، تحقيق/ محمد الشيباني .
- كنز الدرر لابن إيبك الدواداري ٩/١٨ .
- نهاية الأرب للنويري ٣٢/٩٧ ، ٣٣/٢١١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦.
- أجوبة ابن سيد الناس اليعمري ٢/٢٢١.
- تاريخ حوادث الزمان للجزري القرشي ٢/١١١ ، ١٢٣.
- المقتفى لتاريخ أبي شامة للبرزالي القسم الأول من الجزء الثاني من الكتاب .
- لقطة العجلان لليماني (ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام) ص ١٨٥ .
- رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام لابن حامد الشافعي ، تحقيق/ محمد الشيباني
- العقود الدرية لابن عبد الهادي ، تحقيق/ محمد حامد الفقي .
- مختصر طبقات علماء الحديث لابن عبدالهادي ٤/٢٧٩ .
- ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ص ٣٢٤ – ٣٣٠ .
- بيان زغل العلم للذهبي ص ١٧ .
- دول الإسلام للذهبي ٢/٢٣٧ .
- تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٩٦ .
- ذيول العبر للذهبي ص ٨٤ .
- معجم الشيوخ للذهبي ١/٥٦
- الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي ص٣٠٨
- المعين في طبقات المحدثين للذهبي ص ٣٢٢.
- ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي ص ٧٢ .
- المعجم المختص للذهبي ص ٢٥ .
- الأعلام العلية للبزار تحقيق / زهير الشاويش . =

- أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن رشيق المالكي (طبعها صلاح الدين المنجد) على أنها لابن قيم الجوزية) .
- مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ضمن الجامع) ص ٢٥٠ .
- تتمة المختصر لابن الوردي ٤٠٦/٢ .
- برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تحقيق د / محمد الهيلة ، ص١٠٩ .
- الكافية الشافية لابن القيم ص١٦٣ .
- الإيصال لمغلطاي بن جليق المصري (ضمن الجامع) ص ٢٨١ .
- فوات الوفيات للكتبي ٧٤/١ .
- عيون التاريخ للكتبي (ضمن الجامع) ص٣٣٦ .
- الوافي بالوفيات للصفدي ١٥/٧ .
- أعيان العصر للصفدي ٢٣٣/١-٢٥٣.
- البداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/١٤ .
- مرآة الجنان لليافعي ٢٧٧/٤ .
- نثر الجمان للفيومي (ضمن الجامع) ص ٣٤٠ .
- تذكرة النبيه لابن حبيب ١٨٥/١ .
- درة الأسلاك لابن حبيب (ضمن الجامع) ص٣٩٣ .
- تحفة النظار لابن بطوطة (رحلة ابن بطوطة) ٣١٦/١ .
- ذيل طباقت الحنابلة لابن رجب ٣٨٧/٤ (ملحق بطبقات أبي يعلى) .
- ذيل التقييد للفاسي ٧٢/٢ .
- التبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين الدمشقي (ضمن الجامع) ص٤٢٥ .
- الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي (تحقيق زهير الشاويش) .
- تقريض العيني على الرد الوافر (ملحق بآخر كتاب الرد الوافر) .
- تقريض البلقيني على الرد الوافر (ملحق بآخر الكتاب) .
- تقريض ابن حجر على الرد الوافر ، تحقيق/ محمد الشيباني .
- المقفى الكبير للمقريزي ٤٥٤/١ .
- المواعظ والاعتبار للمقريزي ٣٥٨/٢ .
- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٣٠٤/٢ .
- مختصر ذيل ابن رجب للبغدادي (ضمن الجامع) ص٤٦٤ .
- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١٥٤/١ .
- ترجمة شيخ الإسلام لابن حجر (تحقيق أبو عبد الرحمن معشاشة) .
- عقد الجمان للعيني (ضمن الجامع) ص ٤٨٩ .
- المنهل الصافي لابن تغري بردي ٣٥٨/١ .
- الدليل الشافي لابن تغري بردي ٥٦/١ .
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٩٦/٧ .
- المقصد الأرشد لابن مفلح ١٣٢/١ . =

....

- دستور الأعلام لابن عزَم التميمي (ضمن الجامع) ص ٥٢١ .
- طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢٠ .
- صدق الأخبار لابن ساباط ٦٤٦/٢ .
- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٧٥/١ .
- المنهج الأحمد للعليمي ٢٤/٥ .
- الدر المنضد للعليمي ٤٧٦/١ .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ص ٤٧٨ .
- طبقات المفسرين للداوودي ٤٦/١ .
- الكواكب الدرية لمرعي بن يوسف الكرمي (تحقيق/ نجم خلف) .
- الشهادة الزكية لمرعي بن يوسف الكرمي (تحقيق/ نجم خلف) .
- الزيارات للعدوي ص ٩٤ .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٨٠/٦.
- درة الحجال للمكناسي ٣٠/١ .
- ديوان الإسلام للغزي ٤٠/٢ .
- رسالة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه لولي الله الدهلوي
- البدر الطالع للشوكاني ٦٣/١ .
- القولي الجلي لصفى الدين الحنفي (تحقيق د/سالم الدخيل) .
- أبجد العلوم لصديق حسن خان ١٣٠/٣ .
- التاج المكلل لصديق حسن خان ص ٤٢٩ .
- جلاء العنين للآلوسي ص١٧ .
- إيضاح المكنون للبغدادي ٢٣/١ ، ٥٨/٢ .

المطلب الثاني

ترجمة الشيخ عبد القادر الكيلاني :

نظـــراً للاخـــتلاف الواضـــح في ترجمة الشيخ عبد القادر ، بين كتب التراجم العامة، وكتب التراجم الصوفية؛ لذا آثرت أن أفرد كل واحدة منهما بمبحث خاص، ثم أعقب ذلك بما ييسره الله من الملاحظات على هاتين الترجمتين.

المبحث الأول:

ترجمة الشيخ عبدالقادر الكيلاني، من خلال كتب التراجم العامة :

أولاً / اسمه ونسبه :

هـــو الشـــيخ محيي الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله بن جنكي دوست[١] بن أبي عبدالله الجِيلي ثم البغدادي الحنبلي.

وقـــيل ينتهـــي نســـبه إلى الحسن[٢] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فتكون سلسلة نسبه بعد أبي عبد الله ــ بناءً على هذا القول ــ(ابن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون[٣] بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٤]).

ونســـبته إلى(جِيلان) بالكسر؛ وهي اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس فيها مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال[٥].

والنسب إلى هذه البلاد(جِيلاني) و(جِيلي) كلاهما بالكسر، قال ياقوت الحموي: "وقد فرق قوم ؛ فقيل : إذا نسب إلى البلاد قيل جِيلاني، وإذا نسب إلى رجل منهم قيل: جِيلي[٦]"، وقد وردت كلا النسبتين للشيخ عبدالقادر.

---

[١] جنكي دوست: كلمتان فارسيتان تعنيان :(محب الحرب).
انظر: المعجم الفارسي للدسوقي ٨٥٣/١ ، ١٢٥٤.

[٢] ذكر ابن شاكر انتساب الشيخ عبدالقادر إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، انظر الفوات٣٧٣/٢.

[٣] في شذرات الذهب: ابن موسى الحوزي، انظر الشذرات١٩٨/٤.

[٤] انظر: السير ٤٣٩/٢٠، ودول الإسلام٥٤/٢، والعبر١٧٥/٤، والفوات٣٧٣/٢، وذيل ابن رجب٢٩٠/١، والشذرات١٩٨/٤.

[٥] انظر: معجم البلدان٢٠١/٢، ومراصد الاطلاع٣٦٨/١، والشذرات١٩٨/٤.

[٦] المصدر السابق٢٠١/٢.

وأما(الكيلاني) ـ وهي نسبة أقل شهرة من سابقتيها ـ فنسبة إلى (كيلان) وهي لفظ الأعاجم لكلمة(جِيلان)[1]، وقد أثبتها للشيخ: السمعاني، وابن رجب، وابن العماد، والزركلي وغيرهم[2]، كما وردت في جميع النسخ المخطوطة للكتاب المحقق؛ ولهذا فقد اعتمدت هذه النسبة في أثناء هذه الرسالة.

ثانياً / ولادته ونشأته :

ولد الشيخ عبدالقادر في(جِيلان) سنة ٤٧١هـ[3]، وقيل سنة ٤٩٠هـ، وقيل سنة ٤٩١هـ[4]، والأول أظهر[5].

وقد نشأ الشيخ عبدالقادر في بيت زهد وورع، يقول ابن العماد في ذلك:"وهو سبط أبي عبدالله الصومعي من جلة مشايخ جِيلان،أمه أم الخير بنت أبي عبدالله، وأخوه أبو أحمد عبدالله أصغر منه سناً، نشأ في العلم والخير، ومات بجيلان شاباً، وعمته الصالحة أم عائشة، استسقى بها أهل جيلان فلم يسقوا، فكنست رحبة بيتها، وقالت: يارب كنست رحبة بيتي، فرُشَّ أنت، فمطروا كأفواه القرب[6]".

ثالثاً/ طلبه للعلم:

قدم الشيخ عبدالقادر بغداد سنة٤٨٨هـ[7]؛ لطلب العلم، حيث كانت بغداد مقصداً لطلبة العلم، ومحطاً لرحال العلماء؛ إذ هي حاضرة من حواضر الإسلام، ومقر الخلافة في ذلك الوقت.

وقد أخذ الشيخ عبدالقادر الحديث من أبي غالب الباقلاني[8]،وجعفر السراج[9]،

---

(1) انظر: معجم البلدان٢/٢٠١، ومراصد الاطلاع١/٣٦٨.
(2) انظر: الأنساب٢/١٧٨، وذيل ابن رجب١/٢٩٠، والشذرات٤/١٩٩، والأعلام٤/٤٧.
(3) انظر: السير٢٠/٤٣٩، والعبر١/٢٩٠.
(4) انظر: الفوات٢/٣٧٣، وذيل ابن رجب١/٢٩٠.
(5) وذلك أن الشيخ عبدالقادر لما سئل عن مولده قال: لا أعلمه حقيقة، لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي، وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة، انظر: بهجة الأسرار ص٨٨، والتميمي هذا هو رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز التميمي المتوفى سنة٤٨٨هـ، انظر: السير، وتذكرة الحفاظ٤/١٢٠٨، وبناء على ذلك فيكون مولد الشيخ سنة٤٧٠هـ، لكن لم أجد هذا التاريخ في أي من تراجم الشيخ، ولذا فقد رجحت التاريخ أعلاه؛ لأنه أقرب التواريخ إلى التاريخ المذكور، والله أعلم.
(6) انظر الشذرات٤/١٩٩.
(7) انظر: السير٢٠/٤٤٣.
(8) أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني ، من كبار المحدثين في بغداد في عصره، توفي سنة٥٠٠هـ، انظر: السير١٩/٢٣٥.
(9) أبو محمد جعفر بن أحمد السراج، كان عالماً بالقراءات والنحو والشعر، وله نضم كثير في الفقه والمواعظ، ولد سنة٤١٧هـ، وتوفي سنة٤٩٧هـ، انظر: السير١٩/٢٢٨.

وأبـــي بكـــر بـــن سُوْسَن[1]، وابن بيان[2] ، وأبي طالب بن يوسف[3]، وابن خُشَيش[4] ، وغيرهم[5].

وأخـــذ فقـــه الإمـــام أحمـــد بن حنبل من أبي الوفاء بن عقيل، وأبي الخطاب الكلوذانـــي، والقاضـــي أبـــي سعد المخرمي[6] ، والقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى[7]،وأماالأدب فقد أخذه عن جماعة منهم أبوزكريا التبريزي[8][9].

وقـــد أمضى الشيخ عبدالقادر في طلب العلم ما يقرب من ثلاثين سنة، إلى أن جلس للوعظ والفتيا سنة ٥٢١هـ[10].

كما عانى مدة الطلب صنوف الجوع والفقر، حتى لقد كان يأكل أوراق الشجر، والمنـــبوذات، يقـــول عن نفسه: "وكنت أقتات بخرُّوب الشوك، وورق الخس، من جانـــب الـــنهر" ويقـــول: "بَلَغَت بي الضائقة في الغلاء إلى أن بقيت أياماً لا آكل طعاماً، بل أتبع المنبوذات[11] ".

رابعاً / تدريسه وإفتاؤه :

جلس الشيخ للوعظ والإفتاء والتدريس سنة ٥٢١هـ[12]، أي بعد قدومه بغـــداد

---

[1] أبو بكر أحمد بن المظفر بن سُوسَن التمار، كان ضعيفاً جداً ؛ إذ كان يلحق سماعاته في الأجزاء ، قال عنه الأنماطي: شيخ مقارب ، توفي سنة٥٠٣. انظر: السير ٢٤١/١٩.

[2] أبو القاسم علي بن أحمد بن بيان الرزاز، راوي جزء ابن عرفة، وكان لا يجيز لأحد رواية هذا الجزء عنه ، إلا أن يزن له ديناراً ، ويقول لستم تطابون الحديث إنما تطلبون علو الإسناد ، ولد سنة٤١٣هـ، وتوفي سنة٥١٠ هـ. انظر: السير ٢٥٧/١٩.

[3] أبو طالب عبدالقادر بن محمد بن يوسف اليوسفي، سمع المصنفات الكبار على كبار محدثي عصره ، قال عنه السمعاني:" شيخ صالح ثقة ، دين متحرز في الرواية ، كثير السماع ، انشرت عنه الرواية في البلدان ، وحمل عنه الكثير " ، توفي سنة٥١٦هـ. انظر: السير ٣٨٦/١٩.

[4] أبو سعد محمد بن عبدالكريم بن خُشَيش البغدادي ، من رواة جزء ابن عرفة ، وسماعه صحيح ، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: السير ٢٤٠/١٩.

[5] انظر: السير ٤٤٠/٢٠، وذيل ابن رجب ٢٩٠/١.

[6] أبو سعد المبارك بن علي المُخرّمي، من فقهاء الحنابلة ، وباني مدرسة باب الأزج ، التي نسبت إلى الشيخ عبدالقادر بعد ذلك ، أخذ الفقه عن أبي يعلى ، وكان نزهاً عفيفاً ، توفي سنة٥١٣هـ. انظر: السير ٤٢٨/١٩.

[7] أبو الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء البغدادي الحنبلي، من فقهاء الحنابلة ، كان سلفي المعتقد ، كثير الحط على الأشاعرة، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولد سنة٤٥١هـ، وتوفي سنة٥٢٦هـ. انظر: السير ٦٠١/١٩.

[8] أبو زكريا يحيى بن علي بن بسطام الشيباني التبريزي ، من علماء اللغة في عصره ، أقام بدمشق مدة ، ثم ارتحل إلى بغداد ، وكان ثقة في علمه ، مخلطاً في دينه ، وقيل إنه تاب قبل وفاته ، توفي سنة٥٠٢هـ. انظر: السير ٢٦٩/١٩.

[9] انظر: السير ٤٣٩/٢٠،٤٤٣،٤٤٤، وذيل ابن رجب ٢٩٠/١،٢٩١، والشذرات ١٩٩/٤.

[10] المرجع السابق ٤٤٤/٢٠ ، وذيل ابن رجب ٢٩١/١.

[11] المرجع السابق ٤٤٤/٢٠ ، وذيل ابن رجب ٢٩٨/١، والشذرات ٢٠١/٤.

[12] المرجع السابق ٤٤٤/٢٠ ، والفوات ٣٤٧/٢، وذيل ابن رجب ٢٩١/٢.

بثلاث وثلاثين سنة، وعمره إذ ذاك خمسون سنة، وهو عمر متأخر نسبياً.

والحق أن الشيخ عبدالقادر كان متحرجاً من الجلوس للتدريس، حتى قدم بغداد (يوسف الهمذاني[1]) فقال للشيخ عبدالقادر: " تكلم على الناس، فقلت(أي الشيخ عبدالقادر) :يا سيدي أنا رجل أعجمي قُح أخرس، أتكلم على فصحاء بغداد، فقال لي: أنت حفظت الفقه وأصوله، والخلاف، والنحو، واللغة، وتفسير القرآن، لا يصلح لك أن تتكلم؟!،اصعد الكرسي وتكلم، فإني رأيت فيك عذقاً سيصير نخلة[2]".

أما مكان التدريس فمدرسة بناها شيخه أبو سعد المُخرِّمي[3]، حيث فوضت إلى الشيخ عبد القادر بعد وفاة شيخه، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد[4].

وكان يحضر عنده أول الأمر اثنين أو ثلاثة، ثم تسامع به الناس حتى صار يحضر مجلسه نحوٌ من سبعين ألفاً[5] ، فضاقت بهم المدرسة، فخرج بهم الشيخ إلى سور بغداد، فكان يجلس هناك مستنداً إلى الرباط يعظ الناس ويفتيهم[6].

ثم إن المدرسة عُمِّرت بعد ذلك، بأموال جمعت من الناس، حتى إن امرأة وهبت نصف صداقها لزوجها، بشرط أن يعمل في بناء المدرسة[7].

أما ما يلقى في المدرسة من الدروس، وطريقة التدريس، وحسن رعاية الشيخ لتلاميذه، فيبينها الموفق ابن قدامة بقوله لما سئل عن الشيخ عبدالقادر:"أدركناه في آخر عمره فأسكننا في مدرسته، وكان يُعنى بنا، وربما أرسل إلينا ابنه يحيى، فيسرج لنا السراج، وربما يرسل إلينا طعاماً من منزله، وكان يصلي الفريضة بنا

---

(1) أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف الهمذاني ، من شيوخ الصوفية بمرو ، قدم بغداد فحصل له القبول عند الناس ، رحل في طلب الحديث كثيراً ، لكن تفرقت أجزائه ، ثم طلب الفقه فبرع فيه ، ثم ترك ذلك وانقطع للعبادة ، ولد سنة ٤٤٠هـ ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ. انظر السير ٦٦/٢٠.

(2) المرجع السابق ٤٤٦/٢٠-٤٤٧.

(3) تقع هذه المدرسة بباب الأزج(تسمى الآن محلة باب الشيخ) في بغداد ، ولا زالت المدرسة قائمة إلى اليوم، وقد بني في جزء منها جامع ومكتبة تحوي العديد من المخطوطات والمطبوعات ، كما بني على قبر الشيخ في الجامع المنسوب إليه ضريح مجصص ، يزار ويتوسل إلى صاحبه ، وتذبح عنده النذور، ويدعى من دون الله .
انظر: تاريخ جامع الشيخ عبدالقادر ص٦٧-٧٠، ومكتبة المدرسة القادرية ص٤٠-٤١.
وقد ذكر ابن شاكر أن جلوسه في المدرسة كان سنة ٥٢٨هـ، أي أن تدريسه قبل ذلك لم يكن فيها.
انظر: السير ٤٤١/٢٠، والفوات ٣٧٤/٢.

(4) انظر: السير ٤٤١/٢٠.

(5) كذا ذكر الذهبي ، والضاهر أن في هذا العدد مبالغة.

(6) انظر المرجع السابق ٤٤١/٢٠،٤٤٧، والفوات ٣٧٤/٢، وذيل ابن رجب ٢٩١/١.

(7) انظر: السير ٤٤١/٢٠، وذيل ابن رجب ٢٩١/١.

إمامــاً، وكنت أقرأ عليه من حفظي من كتاب الخِرَقي[1] غدوة، ويقرأ عليه الحافظ عبدالغنـــي مـــن كتاب(الهداية)[2]، وما كان أحد يقرأ عليه في ذلك الوقت سوانا، فأقمنا عنده شهراً وتسعة أيام[3]".

خامساً / تلاميذه :

تــتلمذ علـــى الشيخ عبدالقادر علماء جهابذة، وأئمة حفاظ، مما يدل على علو شـــأنه وســـعة علمه، ويكفي في ذلك أنه أصبح مقصداً لأمثال الموفق بن قدامة، والحافظ عبدالغني المقدسي.

وفيما يأتي أشهر تلامذته:

- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد ت٥٦٢هـ.
- القرشي، القاضي أبو المحاسن عمر بن علي ت٥٧٥هـ.
- المقدسي، الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد ت٦٠٠هـ.
- ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد بن أحمد المقدسي ت٦٢٠هـ.
- عبدالوهاب بن عبدالقادر الكيلاني(ابن الشيخ) ت٥٩٣هـ.
- عبدالرزاق بن عبدالقادر الكيلاني(ابن الشيخ) ت٦٠٣هـ.

وغيرهم كثير[4].

سادساً / عقيدته :

كان الشيخ على منهج السلف الصالح في الاعتقاد، وقد صرح بذلك في مواضع عــدة مــن كتبه، وأكد انتسابه إلى الإمام أحمد في الأصول والفروع، يقول:" قال

---

[1] هو كتاب(المختصر في فقه الإمام أحمد) لأبي القاسم عمر بن الحسين الخِرَقي ت٣٣٤هـ، وهو أول متن وضع في مذهب الإمام أحمد، وله من الشروح ما يقرب من الثلاثين، أحسنها وأشهرها(المغني) لموفق الدين ابن قدامة، انظر: المدخل المفصل٦٨٧/٢ـ٧٠٥.

[2] هو كتاب(الهداية) لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني ت٥١٠هـ، المشتهر بأبي الخطاب، والكتاب مطبوع في مجلدين، وله عدة شروح واختصارات، انظر: المدخل المفصل٧١٢/٢.

[3] السير ٤٤٢/٢٠، وانظر: ذيل ابن رجب ٢٩٣/١.

[4] انظر: السير ٤٤٠/٢٠، والفوات ٣٧٣/٢.

الإمـــام أحمـــد بـــن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله، وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعاً، وحشرنا في زمرته[1]".

بل إن الشيخ يؤكد أنه لا يمكن لرجل أن يكون ولياً لله تعالى، إلا إن كان على اعـــتقاد الإمام أحمد، حيث سُئل: هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل، فقال الشيخ: ما كان ولا يكون[2].

وكان ــ رحمه الله ــ ينكر الابتداع ويأمر بالسُّنة والاتباع، ويحث الناس على اتباع منهج السلف الصالح، يقول: "عليكم بالاتباع من غير ابتداع، وعليكم بمذهب السلف الصالح، امشوا في الجادة المستقيمة[3]".

كما كان يكره علم الكلام، وينهى عن الاشتغال به، فقد سأله عمر السهروردي عن الكلام، فقال: " يا عمر ما هو من زاد القبر، ما هو من زاد القبر[4]".

أمـــا الإيمان فقوله فيه موافق لقول السلف الصالح، يقول في ذلك: "ونعتقد أن الإيمـــان قـــول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[5]".

وأما الصفات فيعتقد وجوب الاكتفاء فيها بما ورد في الكتاب والسنة، يقول: " ونعوذ بالله أن نقول فيه وفي صفاته، ما لم يخبرنا به هو أو رسوله صلى الله عليه وسلم[6]".

ويمـــنع الشـــيخ عـــبد القـــادر ما درج عليه أهل الكلام، من تأويل أسماء الله وصفاته، يقول في كلامه على صفة الاستواء: "وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غـــير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة، كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة، كما قالت الأشعرية، ولا على معنـــــــى الاستيـــــلاء والغلبـــــة كمـــــا قـــــالت المعتـــــزلـــــــة[7]؛

---

(1) الغنية ٥٥/١.

(2) أورد هذا الكلام عن الشيخ عبد القادر ، ابن رجب في الذيل ١٩٦/١، وابن العماد في الشذرات ٢٠١/٤.

(3) الفتح الرباني ص٦٢، (المجلس العاشر).

(4) السير ٤٤٣/٢٠، وذيل ابن رجب ١٩٦/١.

(5) الغنية ٦٢/١.

(6) الغنية ٥٧/١.

(7) الظاهر أنه حصل خلط ممن كتب هذا الكتاب عن الشيخ ، بين مذهب المعتزلة ، ومذهب الأشاعرة في الصفات ، أو أن يكون الخلط حصل من الشيخ نفسه ، وإن كنت أرجح الاحتمال الأول ؛ لأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب الأشاعرة ، وليس مذهب المعتزلة ، كما أنه ليس من مذهب الأشاعرة تأويل الاستواء=

لأن الشرع لم يرد بذلك[١]".

أمـــا اعتقاده في القرآن فهو أنه كلام الله مُنزَّل غير مخلوق، يقول: "ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه، الذي نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]".

ويُثبــت الشـــيخ عبدالقادر رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، يقول: "وينظر أهل الجنة إلى وجهه، ويرونه لا يضامون في رؤيته[٣]".

ويُبيِّـــن الشيخ عبدالقادر اعتقاده في القدر بقوله: "ونعتقد أن أفعال العباد خلق الله عز وجل وكسب لهم؛ خيرها وشرها[٤]"، ويقول في موضع آخر: " وإنما أثبتنا للعــباد كســباً؛ لموضـــع توجه الأمر والنهي والخطاب إليه، ثم استحقاق الثواب والعقاب لديه[٥]"، إلى أن قال: "فعلَّق سبحانه الجزاء على أفعالهم، فأثبت لهم كسباً خلاف ما قالت الجهمية، من أنه لا كسب للعباد[٦]".

وهـــذا الكـــلام وإن كانت لا تتضح فيه مخالفة الشيخ عبدالقادر للأشاعرة؛ إذ الأشـــاعرة يثبـــتون الكســـب للعـــباد، لكنه كسب غير مؤثر في إيجاد الفعل، بل مصاحب له ، إلا أن لدينا ما يدل على موافقة الشيخ لمنهج السلف في ذلك ، يقول ابـــن رجـــب فـــي بيان هذا الأمر: "وللشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلام حسن في التوحـــيد والصـــفات والقـــدر وفي علوم المعرفة موافق للسنة[٧]"، ويقول أيضاً: "وكـــان(أي الشيخ عبدالقادر) متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة، بالغاً في الرد على من خالفها[٨]".

=بالعلو والرفعة ، بل هذا هو معنى الاستواء الحقيقي الذي يثبته السلف الصالح ، بل إن الأشاعرة ينفون صفة العلو عن الله؛ لاعتقادهم بأنها تدل على الجهة والتحيز والمكانية لله ، وهم ينفون ذلك كله عن الله .
انظر في مذهب الأشاعرة في ذلك: المواقف ص٢٧٠ـ٢٧٣.

[١] الغنية ٥٦/١.
[٢] الغنية ٥٨/١.
[٣] المرجع السابق ٥٥/١.
[٤] المرجع السابق ٦٤/١.
[٥] المرجع السابق ٦٤/١.
[٦] المرجع السابق ٦٤/١.
[٧] ذيل ابن رجب ١٩٦/١، والشذرات ٢٠١/٤.
[٨] المرجع السابق ١٩٦/١، والشذرات ٢٠١/٤.

سابعاً/ التصوف عند الشيخ عبدالقادر:

أ ــ تصوفه:

إذا كان في الشيخ عبدالقادر ما يمكن أن يكون محلاً للطعن، فهو تصوفه، على أنه ليس كتصوف المارقين عن الشرع، المبيحين لأنفسهم ما حرم الله، المغالين في التَّبذُّل والدروشة، بل هو تصوف قريب من السنة، وإن شئت فقل عنه زهد وورع جاوز الحد قليلاً.

فهــو لا يرى جواز اشتغال العبد بالتصوف قبل تحصين نفسه بالعلم الشرعي، حتى يعبد الله على بصيرة ، ولهذا لما جاءه من سأله عن الانقطاع والتعبد قال له: "إذا أردت الانقطـــاع، فـــلا تنقطع حتى تتفقه، وتجالس الشيوخ، وإلا تنقطع وأنت فُرَيْخ ما ريَّشت[١]".

وقـــد طبق الشيخ ذلك على نفسه، فهو لم يشتغل بالتصوف إلا بعد أن أمضى ســـنين عديـــدة في طلب العلم، بل إنه أثناء صحبته للصوفية، كان يتركهم ويذهب لطلب العلم، حتى ناله منهم بعض الأذى بسبب ذلك[٢].

أمـــا ما زيَّنه الشيطان لكثير من المتصوفة من استحلال ما حرم الله، وترك ما فرضـــه؛ بحجة الوصول إلى درجة اليقين، فإن الشيخ عبدالقادر ينكره، ويرى أنه من عمل الشيطان وتزيينه.

وقد نجا الشيخ عبدالقادر من تزيين الشيطان هذا، حيث تعرَّض له إبليس فصده وزجـــره، ويذكر الشيخ القصة فيقول: "كنت مرة في العبادة، فرأيت عرشاً عظيماً وعلـــيه نور، فقال لي: يا عبدالقادر أنا ربك وقد حلَّلت لك ما حرَّمت على غيرك، قـــال: فقلـــت له: أنت الله الذي لا إله إلا هو؟! اخسأ يا عدو الله، قال: فتمزَّق ذلك الـــنور وصـــار ظلمـــة، وقال: يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك، وعلمك بمـــنازلاتك في أحوالك، لقد فَتنتُ بهذه القصة سبعين رجلاً، فقيل له: كيف علمت أنـــه الشـــيطان؟ قال: بقوله لي: حلَّلت لك ما حرمت على غيرك، وقد علمت أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا تُنْسخ ولا تُبدَّل، ولأنه قال: أنا ربـــك ، ولم

---

[١] السير ٢٠/٤٤٨.

[٢] المرجع السابق ٢٠/٤٤٦.

يقدر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا[١]".

ويـــرى الشـــيخ عبدالقادر أن العبادات مبناها على التوقيف والاتباع، وأنه لا يجوز للمسلم ــ وإن حَسُنت نيّته ــ أن يتخذ لنفسه عبادة لم يرد بها الشرع، يقول: "ولا تخـــالفوه(أي الرســـول صـــلى الله علـــيه وسلم) فتتركوا العمل بما جاء به، وتخـــترعوا لأنفســـكم عمـــلاً وعـــبادة، كما قال الله عز وجل في حق قوم ضلوا السبيل:**(ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم...)**[٢][٣]".

ويُـــنكر الشيخ عبدالقادر ما عليه حال كثير من الصوفية؛ من الاعتقاد في لُبس الصـــوف، وتصفير الوجوه، والإتيان بأفعال لم يشرعها الله ولا رسوله، يقول: "يا من لبس الصوف! الصوفي الصادق في تصوفه، يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل، وهذا شيئ لا يجئ بتغيير الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللســـان، وحكايـــات الصـــالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجئ بالصدق في طلب الحق عز وجل[٤]".

وأمـــا الســـماع[٥] ــ الذي ابتلي به كثير من الصوفية ــ فإن الشيخ عبدالقادر يكرهه، وإن لم يستطع تغييره بسبب عموم البلوى به بين الصوفية، يقول: "وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب[٦] والرقص، وقد قدَّمنا كراهيته، إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم[٧]".

والتوكل عند الشيخ عبدالقادر لايعني ترك الأخذ بالأسباب، كما هو الحال عند كثـــير من الصوفية، بل الأخذ بالأسباب من مستلزمات التوكل، يقول:"أعط السبب حقـــه وتوكـــل، واقعد على باب العمل....ألق نفسك في بحر التوكل، فتجمع بين السبب والمسبب[٨]".

---

[١] مجموع الفتاوى١/١٧٢، وذيل ابن رجب١/٢٩٤، والشذرات٤/٢٠٠.
[٢] سورة الحديد الآية(٢٧).
[٣] فتوح الغيب ص٦٥ (المقالة السادسة والثلاثون).
[٤] الفتح الرباني ص ١١٥-١١٦(المجلس الخامس والخمسون).
[٥] قال ابن منظور: هو الذكر المسموع الحسن الجميل، وقال الكلاباذي: السماع/استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال ، انظر:لسان العرب٨/١٦٥، والتعرف ص١٨٨.
[٦] قال في اللسان: " القاصبُ: الزامر ، والقصَّابة: المزمار " ، انظر: لسان العرب ٥/٩٥.
[٧] الغنية٢/١٦٧.
[٨] الفتح الرباني ص ١٨٨(المجلس الخمسون).

ب ــ شيخه في التصوف :

صــحب الشيخ عبدالقادر حماداً الدباس[١] في تصوفه، وأخذ عنه ولازمه، بل هو الذي سلك به طريق التصوف ولولا ذلك لما عرفه الشيخ[٢].

أمــا كــيف كانــت بداية صحبته لشيخه؛ فيذكر الشيخ عبدالقادر أنه لما بدأت الأحوال تطرقه[٣]، ولما رأى الفساد استشرى في الناس، قرَّر الخروج إلى البريَّة، ثــم عــدل عــن ذلــك، ومــر بــدار فخرج إليه منها رجل فسأله:" إيش طلبت البارحة؟(وكان قد سأل الله أن ييسر له من يكشف عنه هذه الأحوال)، قال: فنسيت فسكتُ فاغتاظ، ودفع الباب في وجهي، فلما مشيت ذكرت، فرجعت أطلب الباب ، فلم أجده، قال: وكان حماداً الدباس، ثم عرفته بعد، وكشف لي جميع ما كان يشكل علي[٤]".

أما معاملة حماد الدباس للشيخ عبدالقادر، فقد كانت قاسية ــ كما بيَّن الشيخ ــ إذ دفعه مرة حتى سقط في الماء في يوم شديد البرد، فتأذى الشيخ بسبب ذلك أذى كثــيراً، يقول الشيخ عبدالقادر في وصف أذاه له:"وكان الشيخ يؤذيني ويضربني، وإذا جئــت يقــول: جاءنــا اليوم الخبز الكثير والفالوذج[٥]، وأكلنا وما خبَّأنا لك، وَحْشَة عليك[٦]".

وقد كان حمَّاد أمياً لا يقرأ ولا يكتب، بخلاف الشيخ عبدالقادر، فإنه كان عالماً فقــيهاً، ولــذا كان حماد يؤذيه لأجل ذلك، يقول: "وكنت إذا غبت عنه لطلب العلم وجئت يقول: أيش جاء بك إلينا، أنت فقيه، مُرَّ على الفقهاء، وأنا أسكت[٧]".

---

[١] ستأتي ترجمته ص٣٢٨.
[٢] انظر: العبر ١٧٥/٤، والسير ٤٤٦/٢٠، والفوات ٣٤٧/٢، وذيل ابن رجب ٢٩١/١، والشذرات ١٩٩/٤.
[٣] الذي يظهر أن مقصود الشيخ بالأحوال هنا ؛ هي الأحوال التي يزعم الصوفية أنها تصيبهم في أول سلوكهم الطريق ؛ بسبب استغراقهم في الأذكار والعبادات البدعية ، والتي ينتج عنها حالة من الذهول تصيب المريد ، فيصدر عنه من التصرفات والأقوال والشطحات ؛ كالرقص، والتواجد، وتمزيق الثياب، والكلمات الكفرية وغيرها مما اشتهر عن الصوفية.
انظر: التصوف بين الإفراط والتفريط ص٨٣ ، وانظر تعريف الحال عند الصوفية في اصطلاحات الصوفية ص ٥٧.
[٤] السير ٤٤٦/٢٠.
[٥] قال في اللسان:الفالوذ من الحلواء: هو الذي يؤكل، ويُسوَّى من لبِّ الحنطة، فارسي معرب.
انظر: لسان العرب ٥٠٣/٣.
[٦] السير ٤٤٦/٢٠.
[٧] المرجع السابق ٤٤٦/٢٠.

تاسعاً / مؤلفاته :

بالرغم من عدم اهتمام الشيخ عبدالقادر بالتأليف، وصرفه جُلَّ وقته في الوعظ والـتدريس ، إلا أن له ــ مع ذلك ــ مؤلفات ليست بالكثيرة صحت نسبتها إليه ، وهي:

١ــ فتوح الغيب:

وهو الكتاب الذي شرح بعضاً منه شيخ الإسلام، في كتابه الذي أقوم بتحقيقه هنا، وهو عبارة عن ثمانٍ وسبعين مقالة في التصوف وتربية المريدين.

لكن أضيف إلى آخره إضافات ليست منه ، تشمل وصايا لأولاده، وذكر نسبه، وعقيدة تنسب إليه وهو منها براء ، إضافة إلى ثمان عشرة قصيدة تنسب إليه ، وتحوي أقوالاً كفرية وشطحات صوفية ، لا يمكن أن تكون من نظم الشيخ.

والكتاب طبع عدة مرات منها طبعة عن مكتبة البابي الحلبي في القاهرة سنة ١٣٩٢هـ، وثانية عن دار الألباب بدمشق سنة ١٤١٣هـ، وثالثة أخرجتها المكتبة الأزهرية سنة ١٤١٩هـ، في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط، وهي التي اعتمدت عليها هنا.

٢ــ الغُنْيَة لطالبي الحق:

وهو أكبر كتب الشيخ، وأكثرها احتواء على عقيدته، وقد تم تقسيمه إلى كتب وأبواب وفصول ومجالس، في الأحكام الفقهية، والعقيدة، والوعظ والإرشاد، والتصوف.

والكتاب مطبوع في جزئين في مجلد واحد، عن أكثر من دار نشر؛ من أشهرها طبعة قديمة عن المطبعة المصرية ببولاق سنة١٢٨٨هـ، وأخرى عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة سنة١٣٧٥هـ، وثالثة عن دار الحرية في بغداد سنة١٤٠٨هـ.

٣ــ الفتح الرباني والفيض الرحماني:

وهو عبارة عن مجالس ألقاها الشيخ، بين عامي٥٤٥ــ٥٤٦هـ، ثم جمعت في هذا الكتاب، وعددها اثنان وستون مجلساً.

وهي مرتبة بحسب زمن إلقائها غالباً[1]، حيث يُبيِّن تاريخ إلقاء كل مجلس في بدايـــته، ومواضيعها تدور حول التصوف، والوعظ، والزهد والرقائق، والنصائح للتلاميذ والمريدين.

والكتاب طبع عدة مرات؛ من أشهرها طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي في القاهـــرة ســـنة١٩٧٩م، وطبعة مكتبة دار الألباب بدمشق، ومن آخرها طبعة دار الفكر في بيروت سنة١٤١٩هـــ[2].

هـــذه هي الكتب التي صحت نسبتها إلى الشيخ عبدالقادر، وهناك كتب تنسب إليه، وتطبع باسمه، والشيخ منها بَرَاء، منها: (الأوراد القادرية، والسفينة القادرية، والفيوضـــات الربانية في المآثر والأوراد القادرية)، وهي تحوي أوراد وصلوات وأدعية مبتدعة، وقصائد شركية، تنسب إلى الشيخ ، وهي ليست من تأليفه، بل هي من وضع أتباع الطريقة القادرية من بعده[3].

عاشراً / وفاته :

توفـــي الشيخ عبدالقادر ليلة السبت عاشر[4] ربيع الآخر سنة٥٦١هــ، قال ابن رجـــب:"وســـمعت أنـــه كان يقول عند موته: رفقاً رفقاً، ثم يقول: وعليكم السلام وعليكم السلام، أجئ إليكم أجئ إليكم[5]".

وقـــد فُرِغ من تجهيزه في ليلته، وصلى عليه ابنه عبدالوهاب إماماً لمن حضر مـــن أولاده وأصحابه وتلاميذه، ثم دُفن في رواق مدرسته، ثم لما علا النهار من غد، فُتح باب المدرسة لمن أراد الصلاة عليه من العامة.

هذا وقد وُلد للشيخ عبدالقادر تسعة وأربعون ولداً، منهم سبعة وعشرون ذكراً، والباقي إناث[6].

---

(1) انظر انخرام الترتيب في ص١٢٠(المجلس السابع والعشرون)، وفي ص٢١٨(المجلس التاسع والخمسون).
(2) انظر في نسبة هذه الكتب إلى الشيخ: البداية والنهاية٢٥٢/١٢، وذيل ابن رجب٢٩٦/١، والأعلام٤٧/٤.
(3) انظر في تحقيق ذلك: الشيخ عبد القادر الجيلاني د/ سعيد بن مسفر ص٦٠ــ٦١.
ومما ينسب إلى الشيخ أيضاً وليس من تأليفه:(حزب بشائر الخيرات ـ المواهب الرحمانية والفتوحات الربانية ـ يواقيت الحكم ـ جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر ـ سر الأسرار في التصوف ـ تفسير القرآن العظيم).
انظر: كشف الظنون ٢٠٥٣/٢ ، وتاريخ جامع الشيخ عبد القادر ص٥٠ ، ومكتبة المدرسة القادرية ص١٥-١٧.
(4) قال ابن رجب: " ليلة السبت ثامن ، وقال غيره: تاسع" ذيل ابن رجب٢٩٩/١.
(5) المرجع السابق٢٩٩/١.
(6) انظر في وفاته: السير ٤٥٠/٢٠، والوفيات٣٧٣/٢، وذيل ابن رجب٢٩٩/١، والشذرات٢٠٢/٤.

المبحث الثاني:

ترجمة الشيخ عبدالقادر الكيلاني، من خلال كتب تراجم الصوفية:

أولاً / اسمه ونسبه :

لا نجـد فرقاً بين نسب الشيخ عبدالقادر في كتب الصوفية وبين نسبه في كتب الـتراجم العامة، غير القطع بنسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، في حين ذُكرت هذه النسبة في كتب التراجم العامة بصيغة التمريض[١].

وتـزيد بعض المصادر الصوفية نسبته إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما من جهة أمه[٢]، ومنها ما يؤكد أن جدته لأبيه من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عـنه، وأن أم جده العاشر(عبدالله) هي حفصة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب، كما تؤكد نسبته إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه من جهة إحدى جداته![٣].

ثانياً / ولادته ونشأته :

تذكـر كتـب الصوفية أموراً عجيبة يزعمن أنهاصاحبت ولادة الشيخ ونشأته؛ مـنها أن أمه ولدته وهي بنت ستين سنة، ومنها أنه لم يكن يقبل الرضاع من ثدي أمـه في نهار رمضان، حتى أنه لما غُمَّ هلال رمضان على أهل جيلان، أتوا أمه فسألوها، فقالت: لم يلتقم اليوم له ثدياً، فعلموا أن ذلك اليوم من رمضان[٤].

ومن ذلك ما تحكيه عنه كتب الصوفية أنه قال:"كنت صغيراً في بلدنا فخرجت إلى السواد في يوم عرفة، وتبعت بقرة حراثة، فالتفتت إلي وقالت: يا عبدالقادر! ما لهـذا خلقـت ، فرجعت فزعاً إلى دارنا، وصعدت إلى سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات، فجئت إلى أمي وقلت: هبيني لله عز وجل ، وأْذني لي في المسير

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني١/١٠٨، وجمهرة الأولياء٢/٢٠١، وبهجة الأسرار ص٨٨ ، وقلائد الجواهر ص٣، وفتوح الغيب ص٤، وتفريج الخاطر ص٦٧.

(٢) انظر: فتوح الغيب ص١٠٩، وتفريج الخاطر ص٦٧.

(٣) انظر: فتوح الغيب ص١٠٩-١١١، وبهجة الاسرار ص ٨٩-٩٠.

(٤) انظر: طبقات الشعراني١/١٠٨، وبهجة الأسرار ص٨٩، وقلائد الجواهر ص٣، وتفريج الخاطر ص١٦.

إلى بغداد[١]".

ومن ذلك أنه لما سئل متى علمت أنك ولي لله، قال: "كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا لأذهب إلى المكتب، فأرى الملائكة يقولون: افسحوا لوليٍّ الله حتى يجلس[٢]".

ثالثاً / تدريسه وتلاميذه :

تذكـــر كتب الصوفية تدريس الشيخ عبدالقادر في مدرسة أبي سعيد المخرّمي، وما كان يحضر عنده من آلاف الطلاب والمريدين، وما كان يدرِّس فيها من علوم التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة وغيرها، مما سبقت الإشارة إليه.

لكـــن اللافـــت للنظر هو ما تذكره تلك الكتب من الكلام المنسوب إلى الشيخ عـــبدالقادر في فضل التتلمذ على يديه، وأن مريديه هم أفضل الناس، مما لا يمكن أن يصدر عن من هو في مكانة الشيخ عبدالقادر علماً وعقيدة وتقوى.

فمـــن ذلك ما ذكره التادفي[٣] من أن مريدي الشيخ عبدالقادر لا يدخلون النار، يقول: "ومريديه ومريدي مريديه إلى سبعة لا يدخلون النار[٤]"، ويَنْسِب هذا الكلام ــ فـــي موضـــع آخـــر ــ إلى الشيخ يقول: "ضمن سيدنا الشيخ عبدالقادر لمريديه ومريدي مريديه إلى يوم القيامة ، أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة، وأُعطي أن مريديه ومريدي مريديه إلى سبعة يدخلون الجنة[٥]".

ويـــزعمون أن الشـــيخ عبدالقادر لقي مالكاً خازن النار فسأله إن كان أحد من مـــريديه يدخل النار فقال:لا، يقول التادفي: "قال الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه: سألت مالكاً خازن النار؛ هل عندك من أصحابي أحد؟ فقال: لا وعزة الله[٦]".

كما ــ زعموا ــ أن الشيخ لن يبرح الموقف يوم القيامة حتى يسير بأتباعـــه

---

[١] قلائد الجواهر ص١٥.
[٢] قلائد الجواهر ص١٦، وسيأتي التعليق على ذلك عند الكلام على كرامات الشيخ عبدالقادر ص٧٠.
[٣] محمد بن يحيى الربعي التادفي الحنبلي ، ولي القضاء في(رشيد) بمصر، ثم في(حوران) بالشام، ثم عزل سنة ٩٤٩هـ، فأقام بحماة، وبها ألف كتابه(قلائد الجواهر) ولدسنة٨٩٩هـ في حلب، وتوفي بها سنة٩٦٣هـ. انظر: السحب الوابلة ١١٠٢/٣.
[٤] قلائد الجواهر ص٢٧.
[٥] بهجة الاسرار ص٩٩ وقلائد الجواهر ص٢٩.
[٦] المرجع السابق ص١٠٠، وقلائد الجواهر ص٢٧.

ومـــريديه إلى الجنة، فقد نسبوا إلى الشيخ أنه قال: " وعزة ربي لا برحت قدماي من بين يدي ربي عز وجل ، حتى يُنطلَق بي وبكم إلى الجنة(١)".

ولا يقتصـــر الأمرـــ بزعمهم ـــ على من تتلمذ على الشيخ أو صَحِبه، بل إن مجـــرد رؤيته تخفف على الرائي من عذاب القبر، وتوجب رحمة الله، فقد اشتكى إلـــيه أهل ميت أنهم يسمعون صراخه في قبره، فكان مما قاله لهم: " إن الملائكة علـــيهم السلام قالت لي: إنه رأى وجهك وأحسن بك الظن، وإن الله تعالى رحمه بك، أو قال بذلك، ولم يُسمع له صراخ ببَرَكَة الشيخ رضي الله عنه(٢)".

بـــل إن مـــن عَـــبَر باب مدرسة الشيخ، خُفِّف عنه العذاب يوم القيامة، حيث يزعمون أن الشيخ عبدالقادر قال:" أيما مُسلم عَبَر على باب مدرستي، فإن عذاب يوم القيامة يخفف عنه(٣)".

وأمـــا الذين يحضرون درسه ـــ حسب زعمهم ـــ فليسوا فقط مشاهير العلماء فـــي عصره، بل ما من نبي ولا ولي إلا وقد حضر مجلسه، فقد نسبوا إلى الشيخ أنه قال: " وما من نبي خلقه الله تعالى ولا وليٍّ إلا وقد حضر مجلسي هذا؛ الأحياء بأبدانهم، والاموات بأرواحهم(٤)".

كمـــا تحضـــر مجلسه الملائكة، وتبكي من وعظه، ويراها الناس، حيث يذكر التادفـــي عن أحد مريدي الشيخ أنه حضر مجلس الشيخ عبدالقادر فسمعه يقول:" لستُ كوعظكم، وإنما أنا بأمر الله، إنما كلامي على رجال في الهواء، وجعل يرفع رأسه إلى الهواء، فرفعت رأسي(أي المريد) فإذا بإزائه رجال من نور، على خيل من نور، قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم، وهم مطرقون، ومنهم من يبكي، ومنهم من يرعد، ومنهم من في ثيابه نار، فأغشي علي(٥)".

وهذا الكلام يجزم من له أدنى مسكة عقل أنه مدسوس على الشيخ عبد القادر ؛ فمـــن عرف الشيخ عبد القادر وزهده وحسن معتقده ، يعلم علم اليقين أن الشيخ لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام ، الذي لا يسوغ للرسول صلى الله عليـــه وسلم أن

---

(١) بهجة الأسرار ص١٠٠، وقلائد الجواهر ص٢٧.
(٢) بهجة الأسرار ص١٠١، وطبقات الشعراني ١٠٨/١، وقلائد الجواهر ص٢٧.
(٣) المرجع السابق ص١٠١، وطبقات الشعراني ١٠٨/١، وقلائد الجواهر ص٢٧.
(٤) قلائد الجواهر ص٤٩.
(٥) المرجع السابق ص٦١.

يقوله فكيف بمن دونه.

ومما تزيده كتب الصوفية على الكتب العامة في هذا الباب، بيان أوقات تدريس الشيخ في مدرسته، حيث أنه ـ كما أخبر ابنه عبدالوهاب ـ كان:" يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بالمدرسة؛ بُكرة الجمعة وعشيَّة الثلاثاء، وبالرباط بكرة الأحد[1]".

أما ما يُلقى في تلك الدروس فيبينه الشعراني بقوله: " وكانوا يقرؤن عليه في مدرسته درساً من التفسير، ودرساً من الحديث، ودرساً من المذهب، ودرساً من الخلاف، وكانوا يقرؤن عليه طرفي النهار التفسير، وعلوم الحديث، والمذهب، والخلاف، والأصول، والنحو، وكان ـ رضي الله عنه ـ يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يُفتي على مذهب الشافعي والإمام أحمد رضي الله عنهما[2]".

رابعاً / عقيدته :

لم تتطرق كتب الصوفية إلى عقيدة الشيخ عبدالقادر كثيراً؛ ولعل سبب ذلك هو اتِّباعُه منهج السلف الصالح ـ كما سبق بيانه في ترجمته السابقة ـ وهي عقيدة تخالف ما عليه أكثر الصوفية المتأخرين الآخذين بمذهب الأشاعرة أو مذهب الماتريدية.

ولعل أكثر ما تذكره تلك الكتب عن عقيدة الشيخ، هو تنزيهه لله، ونفيه الشبيه والمثيل والند عنه سبحانه[3]، والحق أن هذه هي عقيدة السلف الصالح، والشيخ بقوله مثل هذا الكلام في التنزيه، متبع لقول السلف الصالح.

على أن بعض الصوفية يرى أن لا منافاة بين منهج السلف الصالح الذي قال به الشيخ عبدالقادر، وبين مذهب بعض الأشاعرة الذي يقول به أكثر الصوفية؛ إذ إثبات السلف للصفات وعدم تأويلهم لها، لا يعني ـ بحسب زعم هؤلاء ـ إثباتهم لظواهرها، بل سببه توقفهم في تعيين تأويل لها بعينه بسبب كثرة التأويلات

---

[1] قلائد الجواهر ص٣٣.
[2] طبقات الشعراني ١٠٨/١، وانظر: قلائد الجواهر ص٧١.
[3] انظر: العقيدة الملحقة بكتاب(فتوح الغيب) ص١١٣، وبهجة الأسرار ص٥٠-٥١.

الصحيحة، يقول محمد السنوسي[١]:" وما عُرف عنهم رضي الله عنهم(أي السلف) من التوقف في عن تأويل الظواهر المستحيلة نحو(على العرش استوى) وما أشبههن، فَتُوهِّم أن توقفهم عن تأويلها لاعتقادهم ظواهرها، وحاشاهم من ذلك، وإنما وقفوا عن تأويلٍ لها ؛ لتعدد التأويلات الصحيحة، من غير علم بالمراد منها، بعد قطعهم بأن الظواهر المستحيلة غير مرادة البتة[٢]".

ولهذا فإن منهج السلف ومذهب الأشاعرة ــ بزعمهم ــ واحد؛ إذ كل منهما عائد إلى التنزيه يقول صاحب (السيف الرباني[٣]) في معرض تعليقه على عقيدة الشيخ عبدالقادر التي ذكرها في كتابه الغنية: " وبالجملة فقد أرسى النظر السديد كما سمعت كلامهم على صحة المذهبين، وأن مرجع أحدهما(وهو المشار إليه في الغنية) إلى التفويض، ومرجع الآخر إلى التأويل، وكلاهما مُنزِّه للباري عما لا يليق بجلاله[٤]".

ومن الصوفية من أنكر انتساب الشيخ عبدالقادر إلى الإمام أحمد في الأصول وإن أثبت انتسابه إليه في الفروع يقول المناوي: " إن سلَّمنا عدم خروج هذا الشيخ(أي عبدالقادر) عن التقليد للمذهب في الفروع، لا نُسلِّم ذلك في العقائد والأصول" [٥].

أما اليافعي[٦] فيرى رجوع الشيخ عبد القادر إلى مذهب الأشاعرة يقول: " ثبت رجوع الشيخ في الغنية عن ذلك الاعتقاد ؛ أي القول بالتفويض ، إلى القول بالتأويل، الذي هو مذهب الأشاعرة، ولعله ظهر له رجحان ذلك" [٧].

---

[١] محمد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي ، مؤسس الطريقة السنوسية ، تعلم في فاس ، ثم رحل إلى مكة وكان مبدأ تصوفه فيها ، ثم عاد إلى برقة وبنى زاوية في الجبل الأخضر ، فانتشرت طريقته هناك ، ولد سنة ١٢٠٢ ، وتوفي سنة ١٢٧٦هـ. انظر: الأعلام ٢٩٩/٦.

[٢] ذكر ذلك في كتابه(شرح الوسطى)، ونقله عنه محمد المكي في السيف الرباني ص١١٢.

[٣] هو محمد مكي بن مصطفى بن عزُّوز الإدريسي التونسي، ولد بتونس سنة١٢٧٠هـ، وولي القضاء بها، ثم انتقل إلى الأستانة للتدريس فيها ومات هناك سنة١٣٣٤هـ. انظر: الأعلام١٠٩/٧.

[٤] السيف الرباني ص١١٣.

[٥] نقله عنه محمد المكي في السيف الرباني ص١١٥.

[٦] عبد الله بن أسعد اليافعي اليماني ،مؤرخ باحث متصوف ، ولد ونشأ في عدن ، ثم سافر إلى مكة وأقام بها إلى أن توفي ، من مؤلفاته: مرآة الجنان ، ونشر المحاسن الغالية ، وأنس المفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر ، ولد سنة ٦٩٨هـ ، وتوفي سنة ٧٦٨هـ. انظر: الأعلام ٧٢/٤.

[٧] نقله عنه محمد المكي في السيف الرباني ص١١٦.

أما الشعراني فيرى أن ما ورد في(الغنية) من اتِّباع الشيخ لمنهج السلف منحول مكذوب على الشيخ عبدالقادر، يقول: " لعل كلام الغنية مدسوس على الشيخ"[1].

كما نسبت كتب الصوفية إلى الشيخ عبد القادر القول بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين ، بل دعوته الناس إلى التوسل والاستغاثة به ، وأن ذلك سبيل إلى كشف الكربات وقضاء الحاجات ، فقد نسبوا إلى الشيخ عبد القادر أنه قال : " من استغاث بي في كُرْبَة كشفت عنه ، ومن نادى باسمي في شِدَّة ، فرَّجت عنه ، ومن توسَّل إلى الله بي في حاجة قضيت حاجته " [2].

بل قد زعموا أن الشيخ عبد القادر ، قد علَّم مريديه كيفية الاستغاثة به ، وهي كيفية عجيبة ، حيث (يصلي ــ صاحب الحاجة ــ ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ، إحدى عشرة مرة ، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد السلام من التشهد إحدى عشرة مرة، يُسلِّم عليَّ (أي على الشيخ) ويذكرني باسمي ويذكر حاجته ، فإنها تُقضى إن شاء الله تعالى ، وفي رواية : ويخطو نحو قبري أحد عشر خطوة، أو قال سبع خطوات ويذكرني ويذكر حاجته، فإنها تُقضى ، وفي رواية ويُنشد من كلامه :

أيدركني ضيمٌ وأنت ذخيرتـــي   وأُظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعار عليَّ الحِمى وهو منجدي   إذا ضل في البيدا عقال بعيري[3]

كما نسبت إلى الشيخ أنه أخذ من الله سبعين موثقاً أن لا يمكر به ، وذلك في قصة طويلة ، وفيها: (فأخذت من ربي سبعين موثقاً أن لا يمكر بي ، وأن لا يموت لي مريد إلا عن توبة) [4] ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقالوا بقدرته على التصرف في الكون حال حياته وبعد موته ، يقول التادفي: (وقد انعقد الإجماع من جماهير الأشياخ من الفقهاء والفقراء ، وتضمنت الكتب

---

(1) السيف الرباني ص١١٦.

(2) قلائد الجواهر ص٦٦ ، وتفريج الخاطر ص ٧٠ .

(3) قلائد الجواهر ص ٦٧ ، وانظر: تفريج الخاطر ص ٧١ .

(4) قلائد الجواهر ص ٢٣ ، وانظر: تفريج الخاطر ص ٥٧ .

المدونة ، أن أصحاب التصريف العام من السادة القادة الأولياء في حياتهم ، وفي قبورهم بعد وفاتهم ؛ كتصرف الأحياء إلى يوم القيامة ، بتخصيص الله لهم ، وهم .... الشيخ عبد القادر الجيلي .....)[1]، ثم ذكر سائر المشايخ المتصرفين بزعمه.

وزعموا أن أحد مريديه نجا من سؤال منكر ونكير ، بجوابه بـ(عبد القادر) على أسئلتهم الثلاثة ، وأن نصف الأمة غفر الله لهم بشفاعته[2].

بل قد زعموا أن للشيخ عبد القادر تسعة وتسعين اسماً ؛ مظاهاة لأسماء الله تعالى ، وأن من ذكر اسمه بغير طهارة يفارق رأسه جسده فيموت[3] .

كما زعموا أن الله وعده بأن يجعل أسماءه كأسماء الله ، قال في تفريج الخاطر : (فجاء الخطاب من الله العزيز القدير : جعلت أسماء ك قَبْل أسمائي في الثواب والتأثير ، ومن قرأ اسماً من أسمائك فهو كمن قرأ اسماً من أسمائي)[4] .

لكن المُتتبع لكتب تراجم الصوفية يجدها تتناقض ؛ إذ تروي من كلام الشيخ عبد القادر ما يناقض العقائد الباطلة والبدع التي تنسبها إليه ، فقد روى الشعراني عن الشيخ قوله : (اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تخالفوا)[5] .

كما يذكر قول الشيخ في نهيه عن سؤال غير الله : (ما سأل أحد الناس من دون الله تعالى ، إلا لجهله بالله وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه ، وقلة صبره)[6] .

ويذكر التادفي أن رجلاً دخل على الشيخ عبد القادر ومعه كتب فلسفة وعلوم الروحانيات فقال له الشيخ : (بئس الرفيق كتابك هذا ، قم فأغسله)[7] .

فسبحان من أعمى الأبصار كما أعمى البصائر .

---

(1) المرجع السابق ص٦٩، وذكر صاحب تفريج الخاطر ، أن الشيخ قادر على كل شيء سوى الله، انظر: تفريج الخاطر ص ٦٣ .

(2) تفريج الخاطر ص ٣٤ .

(3) المرجع السابق ص ١٧ ، ٨٦ .

(4) المرجع السابق ص٢١.

(5) طبقات الشعراني ص ١ / ١١٠ .

(6) المرجع السابق ص ١ /١١٢ .

(7) قلائد الجواهر ص ٣٨ ، وانظر: بهجة الأسرار ص ٤٨ .

خامساً : تصوفه :

تذكر كتب الصوفية ما كان يدعو إليه الشيخ عبد القادر من وجوب ضبط التصوف بضوابط الشرع ، ووجوب عرض المتصوف أحواله وأقواله وأفعاله على الكتاب والسنة ، وردَّ ما خالفهما منها ، ووجوب الوقوف عند حدود الله وأمره ونهيه ، فقد نقل عنه الشعراني قوله: (ولا ترى غير ربك مع لزوم الحدود وحفظ الأوامر والنواهي ، فإن انخرم فيك شيء من الحدود ، فاعلم أنك مفتون قد لعب بك الشيطان)[1].

كما تذكر ردَّ الشيخ عبد القادر على من زعم انفصال الحقيقة عن الشريعة ؛ إذ كل حقيقة لا يشهد لها الشرع فهي باطلة يقول:(فارجع إلى حكم الشرع والزمه ، ودع عنك الهوى ؛ لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي باطلة)[2].

ويفرِّق الشيخ عبد القادر بين الموارد الإلهية وبين الطوارق الشيطانية ، إذ كثير مما يرد على المتصوفة من الأحوال والكشوفات والإلهامات ما هي إلا من تلبيس الشيطان عليهم ، يقول الشعراني: (وسُئل رضي الله عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية ، فقال : الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء ، ولا يذهب بسبب ، ولا يأتي على نمط واحد ، ولا في وقت مخصوص ، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً)[3] .

ولذا فإن الشيخ لم ينخدع بتلبيس الشيطان ، عندما تجلَّى له ، وزعم إباحة المحرمات له وسقوط الواجبات عنه ، لعلمه بحرص إبليس على إضلال العباد ، ولفقهه في دين الله[4] .

أما موقف الشيخ عبد القادر من الحلاج، فتذكر كتب الصوفية رفضه لأقواله، واعتقاده خطأ أفعاله وأحواله ، وبطلان شطحاته ، واستحقاقه لحكم شرع الله فيه ،

---

(١) طبقات الشعراني ١/١١٢ ، وانظر: بهجة الأسرار ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ١ /١١٢ .

(٣) المرجع السابق ١/ ١٠٩ .

(٤) المرجع السابق ١/١٠٩

فقد ذكر التادفي أن الشيخ سُئل عن الحلاج فقال : (جناح طال دعواه ، فسُلِّط عليه مقراض الشريعة فقصَّه)[1].

ويتمنَّى الشيخ عبدالقادر أنه كان في زمن الحلاج ليرُدَّه إلى الحق والشرع ، يقول أحد مريديه:(سمعت سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي يقول : عثر حسين الحلاج ، فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ، ولو كنت في زمنه لأخذت بيده)[2].

وأما عن زهده ، فإن الدنيا كانت في يده ولم تكن في قلبه ، وقد كانت تأتيه الصدقات والهبات والعطايا ، فيبذلها في سبل الخير ، ولهذا أُثر عنه قوله عن الدنيا : (أخرِجْها من قلبك إلى يدك ، فإنها لا تضرك)[3].

ولم يكن له طَمع في سلطان أو ولاية ، ولهذا لم يكن يذهب للسلاطين والملوك ، ولم يكن يقوم لهم إذا دخلوا عليه ، قال الشعراني : (وكان لا يقوم لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة ، ولا ألمَّ قط بباب وزير ولا سلطان)[4] .

وأما عبادته فقد ذكرت كتب الصوفية ، أنه بقي أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء[5] ، وكان كلما أحدث توضئ ثم صلى ركعتين، وكان يصلى العشاء، ثم يدخل خلوته ، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر[6] .

ومن جانب آخر تنسب كتب الصوفية إلى الشيخ عبد القادر بعض البدع مثل الإجتماع على الذكر؛ حيث زعموا أنه قال:(واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا)[7].

لكنها تذكر أن الشيخ كان يكره الألحان في قراءة القرآن ، فما بالك بالقصائد ، ولهذا كانت القراءة في مجلسه غير ملحَّنة ، قال التادفي : (وكان يقرأ في مجلسه

---

(١) قلائد الجواهر ص ٣١ .

(٢) طبقات االشعراني ١٠٨/١ ، وقلائد الجواهر ص٣١، وفي البهجة ص٧٣ خلاف ذلك من المدح للحلاج والثناء عليه وعلى شطحاته.

(٣)طبقات الشعراني ١٠٩/١

(٤) المرجع السابق ١٠٩/١ .

(٥) المبالغة ظاهرة هنا ، والعجيب أن للشيخ تسعة وأربعين ولداً ، فكيف أتوا إذاً!.

(٦) المرجع السابق ١١٠/١ ، وجامع كرامات الأولياء ٢٠٢/٢ وقلائد الجواهر ص ١٤٣ .

(٧) المرجع السابق ١١١/١ .

إخوان ، قراءة مرسلة مُجرَّدة بغير ألحان)[1] .

وفــي مجــاهدة الشيخ لنفسه تذكر تلك الكتب مبالغات لا يمكن تصديقها ، فمن ذلــك أن الشيخ مكث ثلاث سنوات في خرائب المدائن ، فكان يأكل المنبوذات ولا يشــرب المــاء ســنة ، ثم سنة يشرب الماء ولا يأكل شيئاً ، ثم ثالثة لا يأكل ولا يشرب[2] .

ومــن الكلمات الكُفْرية التي تُنسب إليه ، ما ورد فيما يسمى بـــ (الغَوثيَّة)[3] مــن أن الله قــال للشــيخ عــبد القادر : إن العبادة تسقط عن الواصل في طريق الصوفية: (ومن أراد العبادة بعد الوصول فقد أشرك بالله العظيم[4]).

ومــن ذلــك أيضاً زعمهم أن الشيخ عبد القادر قال بإمكان نزول الوحي على الولي إذا تخلَّص إلى مقام المعرفة ، حيث نسب إليه الشطنوفى[5] قوله: (العبد إذا تخلــص إلــى مقام المعرفة أوحي إليه بخاطره ، وحرس سره أن يسبح في غير خاطر الحق[6]).

ويؤكد ذلك صاحب (السيف الرباني) في معرض تعليقه على الغوثية، فيقول: (إن وحي الأولياء تارة يكون بواسطة ملك الإلهام وتارة بلا واسطة [7]).

ـ صُحبته لحماد الدباس :

على الرغم من أن كتب التصوف تذكر ما كان يعانيه الشيخ عبد القادر في صحبته للدباس من صنوف الشدة والإهانة والأذى والضرب[8] ، إلا أنها تذكر في موضــع

---

(1) قلائد الجواهر ص ٣٣.

(2) طبقات الشعراني ١/١١٠ ، وقلائد الجواهر ص١٩ ، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٠٢.

(3) الغوثية: رسالة منسوبة إلى الشيخ عبدالقادر، وفيها خطاب الله تعالى له، وقد ذكر القرماني انها منتحلة على الشيخ، وأن واضعها هو حفيد للشيخ اسمه(عبدالسلام)، انظر:السيف الرباني ص٥٥.

(4) السيف الرباني ص٥٦، نقلاً عن القرماني في(الحق الظاهر).

(5) علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي، من فقهاء الشافعية، أصله من الشام، ومولده ووفاته بالقاهرة، من مؤلفاته: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، في مناقب الشيخ عبدالقادر الكيلاني، توفي سنة٧١٣هـ.
انظر: الدرر الكامنة٣/١٤١.

(6) بهجة الأسرار ص٢٢٢.

(7) السيف الرباني ص٥٩.

(8) سبق أن ذكرت أمثلة على ذلك في ترجمة الشيخ السابقة، فليرجع إليها ص٥١.

آخر صورة مغايرة لذلك .

ففي مبدأ دخوله بغداد تذكر هذه الكتب أن الشيخ أتى إلى زاويـــة الدبـــاس ، فلما وجدهـــا مغلقة نام على عتَبَتِها ، فلما أصبح الصبح وفُتحت الزاوية ، دخل الشيخ إليها ، فقام إليه الدباس واعتنقه وبكى وقال : (يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك ، فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة[1]) هذا في مبدأ دخوله بغداد ، والدباس لم يعرف الشيخ عبد القادر بعد !.

وفي موضع آخر تذكر أن حماداً الدباس كان يوماً في مجلسه ، فدخل عليه الشيخ عـــبد القادر ، فقام إليه وتلقاه وقال : (مرحباً بالجبل الراسخ والطود المنيف الذي لا يـــتحرك وأجلســـه إلى جانبه)[2]. وتذكر كتب التصوف أمراً عظيماً تنسبه إلى الشيخ عبد القادر ألا وهو قوله: (قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله تعالى) ، وأن مشايخ الصوفية ، ممن حضر المجلس ، ومن هم في البلاد المختلفة حنوا رؤوسهم لما قال الشيخ عبد القادر هذه الكلمة[3].

سادساً / كراماته :

كانـــت مســـألة الكـــرامات ، أكبر مجال دسَّ فيه الصوفية غُلُوهم وزياداتهم وكذبهم على الشيخ عبد القادر ، كما هي حالهم مع سائر الشيوخ .

وقـــد كنت ذكرت طرفاً من هذه الكرامات ، في ثنايا هذه الترجمة ، وسأحاول هنا أن أذكر جملة منها أيضاً ، مما هو مخالف للشرع .

ـ فمن الكرامات المنسوبة إليه :

- أنه كان يمشي في الهواء ، يقول الشعراني : (وربما خطا في الهواء خطوات على رؤوس الناس ، ثم يرجع إلى الكرسي)[4].
- وهو يعلم ما في قلوب الناس قبل أن يحدِّثوه ، فقد أتاه رجل وأضمر في نفسه صورة على غير العادة ، وقال إن صدق كاشفني بما أضمرته في نفسي ، فلما

([1]) قلائد الجواهر ص٥ـ٦.

([2]) قلائد الجواهر ص٢٩ ، وتفريج الخاطر ص٦١.

([3]) انظر: قلائد الجواهر ص٤١.

([4]) طبقات الشعراني ١/١٠٨ ، وانظر: قلائد الجواهر ص٢٤ ، ٣٣.

دخل على الشيخ عبد القادر أخبره بما في نفسه[1].

- بـــل إنه يتحكَّم بما في قلوبهم ويغير فيه ويبدل كما يشاء ، فقد ذكروا أنه أتاه مائة من الفقهاء وأضمر كل واحد منهم مسألة (فلما جلسوا عند الشيخ أطرق، فظهـــرت مـــن صـــدره بارقة من نور فمرَّت على صدر المائة فمحت ما في قلوبهم...)[2].

- وهو يستطيع قتل من أراد بمجرد نظرة واحدة إليه ، قال الشعراني : (وتوضأ رضـــي الله عـــنه يومـــاً فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوقع ميتاً) [3].

- وهـــو مُـــتحكِّم في الجن ، وهم خاضعون لأمره ، حيث يذكرون أنه أعاد إلى رجل ابنه من الجن ، بأن أمره أن يخرج إلى موضع ويخط فيه دائرة ويقول : بســـم الله علـــى نية عبد القادر ، فأتاه ملك الجن وأعاد إليه ابنته ، وأخبره أن مَرَدَةَ الجن يفرون عند سماع اسم الشيخ عبد القادر[4].

- كمـــا أنـــه ــ بزعمهم ــ يُحيي موتى الحيوان ، فقد مرت على مجلسه حدأة فصاحت فشوشت على الحاضرين فقال : ياريح خذي رأسها ، فسقطت ميتة ، ثم قام إليها الشيخ، وأخذها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فحييت وطارت ، وقد أحيا مرة دجاجة بعد أن أكلها![5].

- وتـــزعم أنـــه يشـــفي المرضـــى ، فقـــد جـــاءه رجـــل يشـــكي إليه حُمَّى لا تفـــارق ابـــنه ، فقـــال له الشـــيخ : اذهـــب وقـــل فـــي أذنـــه يا أم ملدم! يقـــــــول لـــــك عبد القـــــادر: ارتحلي عن ولدي إلى الحلَّـــــــــة[6] ،

---

(1) انظر: قلائد الجواهر ص٧٠ – ٧١.

(2) طبقات الشعراني ١/١٠٩ ، وقلائد الجواهر ص ٦١ ، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٠١ .

(3) طبقات الشعراني ١/١٠٨ ، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٠١ ، وقلائد الجواهر ص ٦٥ .

(4) انظر: جامع كرامات الأولياء ٢/٢٠٣ ، وقلائد الجواهر ص ٥٨ – ٥٩ .

(5) انظر: المرجع السابق ٢/٢٠٣ ، وقلائد الجواهر ص ٦٩، وتفريج الخاطرص٦١ ، وبهجة الأسرارص ٦٥.

(6) الحلَّة: قرية مشهورة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، تنزلها القفول.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٩٥.

فلما فعل ذلك ذهبت الحمى عنه[1] .

- بـــل ــ قد زعموا ــ أنه يحي الموتى من قبورهم بقوله : (قم بإذني) ، فقد تجـــادل مسلم ونصرانى في التفضيل بين محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى علـــيه الصلاة والسلام ، فلما رآهما الشيخ عبد القادر قال : أنا من أتباع محمد ولســـت بنبي وأحيي الموتى ، فمروا على قبر ، فقال الشيخ : قم بإذني ، فقام المَيْت يمشي حافياً ، فآمن النصراني بسبب ذلك[2] .
- ولا تقتصر كرامات الشيخ – بزعمهم – على حال حياته ، بل تكون بعد موته كذلك ؛ فقد قام من قبره وأوصل بعض الطالبين إلى الله ، وتاب عليهم وهداهم، فصاروا من أولياء الله الصالحين[3] .
- ولهذا يقول التادفي عن الشيخ : (وهو ممن أُعطي التصريف في الأكوان بعد موته ، كما كان قبل موته رضي الله عنه ورضي عنا به)[4] .

سابعاً / وفاته :

تذكر كتب الصوفية أموراً صاحبت وفاة الشيخ عبد القادر ، منها أنه قال : (ويلكم أنا لا أبالي بشيء ، لا بملك ولا بملك الموت ، مُنح لنا من يتولانا سواك ، وصاح صيحة عظيمة) وذلك في اليوم الذي توفي فيه .

ولمـــا سُـــئل عن أَلَمِه قال: (لا يسألني أحد عن شيء ، أنا أتقلَّب في علم الله عز وجل) .

ويذكـــر أنـــه لمـــا قربته الوفاة قال : (تعزَّز ولم يؤدها على الصحة ، فما زال يكـــررها ، حـــتى إذا قال : تعزز ، ومد بها صوته وشدها حتى صاح لسانه ، ثم قال: الله الله ، ثم خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه ، ثم خرجت روحه إلى ربه)[5] .

---

(1) انظر: قلائد الجواهر ص٦٤.

(٢) انظر: السيف الرباني ص ١٩ – ٢٠ .

(٣) انظر: تفريج الخاطر ص ٣٠-٣١.

(٤) قلائد الجواهر ص ٧٢ ، وسيأتي التعليق على هذه الكرامات في ص٧٠.

(٥) انظر في ذلك فتوح الغيب ١٠٦ – ١٠٨ ، وتفريج الخاطر ص ٧١ – ٧٣ .

ـ ملاحظات على ترجمتي الشيخ عبد القادر :

الأولى / مسألة نسب الشيخ: فالذي ترجح لدي في هذه المسألة ، هو عدم انتساب الشيخ عبد القادر إلى آل البيت ؛ وذلك للأسباب التالية :

١- عدم إجماع كتب التراجم (غير الصوفية) على هذه المسألة ، فالذهبي – وهو إمـــام المترجمين – لم يذكر هذه النسبة لا في تاريخ الإسلام ، ولا في العبر ، ولا في السير ، ولا في معجم الشيوخ ، ولو كان نسب الشيخ عبدالقادر إلى آل البيت ثابتاً ، لما وسع مثل الذهبي جهله أو إغفاله.

٢- أن من ذكروا هذه النسبة ، قد اختلفوا فيها ؛ ففي حين نجد أن ابن رجب وابن العمـــاد رفعاها إلى الحسن ، نجد أن ابن شاكر رفعها إلى الحسين رضي الله عنهما ، كما أن ابن رجب ذكرها بصيغة التمريض .

٣- المبالغة الظاهرة في ذكرهم لنسب الشيخ ، إذ لم يكتفوا بانتسابه إلى الحسن من جهـــة أبيه ، والحسين من جهة أمه ، بل إن إحدى جداته من نسل أبي بكر ، وثانية من نسل عمر وثالثة من نسل عثمان! رضي الله عنهم أجمعين .

٤- أنه ورد في كتب الصوفية ـــ في أكثر من موضع ـــ التصريح بأن الشيخ عبد القـــادر أعجمي ، فمن ذلك قول حماد الدباس عن الشيخ: (لِهذا العَجَمي قدم تعلـــو فـــي وقتها رقاب الأولياء)[1] ، بل قد سُمِّي أحد الأبراج باسم (برج العجمـــي) لأن الشـــيخ عبد القادر سكنه مدة من الزمن[2]، فكيف يُستساغ أن يسمى شريف من آل البيت بالعجمي[3] .

٥- ورد في سلسلة نسب الشيخ عبد القادر أن اسم جده (جنكي دوست) وهو اسم أعجمـــي فارسي ، فكيف يمكن أن يكون اسم رجل من نسل آل البيت (جنكي دوست) .

---

(١) قلائد الجواهر ص ٢٨ ، وانظر: ص ٢٣ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٢) انظر: قلائد الجواهر ص ٣٤ .

(٣) تكلم صاحب (السيف الرباني) عن مسألة انتساب الشيخ عبد القادر إلى آل البيت، ورد على القرماني الذي أنكرها بردود أكثرها لا يستقيم انظر: السيف الرباني ص ٣ ـــ ٣٢ .

٦- أن الصوفيين درجوا على نسبة مشايخ طرقهم إلى آل البيت ، ليكتسبوا مزيداً من القداسة والحُرْمة ، ولكي يَعْظُم قدرهم عند عامة الناس ، فأحمد الرفاعي ، والسيد البدوي ، وأبو الحسن الشاذلي، والبكتاشي، والسنوسي ، والمهدي وغيرهم من أصحاب الطرق ، كلهم ينُسبون إلى آل البيت .

الثانية / لم تتعرض كتب التراجم الصوفية إلى كافة جوانب حياة الشيخ عبد القادر ، وإنما كان جُلُّ عنايتها مُنصبًّاً على ذكر كراماته ومناقبه ، وإذا حدث وذكرت بعض الجوانب كنشأته وطلبه العلم وتدريسه ، فإنها غالباً ما تذكرها لتورد من كرامات الشيخ ما يتعلق بتلك الجوانب .

الثالثة / الغلو الواضح في الشيخ ، والمبالغة في إطرائه ، من قبل كتب الصوفية ، ورفعه فوق منزلته ، وخلع بعض الصفات عليه مما هو من خصائص الألوهية ، كما سبق بيانه في ترجمتي الشيخ .

الرابعة / التناقض الواضح في ترجمة الشيخ في كتب الصوفية ، فبينما تذكر نهيه عن الابتداع في موضع ، تذكر أمره وممارسته للبدع في موضع آخر ، كما تبين نهيه عن سؤال غير الله أو التعلق به ، ثم تذكر أمره بالإستغاثة بغير الله في موضع آخر ، وهكذا دواليك .

الخامسة / أما زعمهم بأن مريدي الشيخ لا يدخلون النار ، فذاك من عظائم الأمور ؛ إذ النبي صلي الله عليه وسلم لم يضمن لأحد من أصحابه ــ سوى العشرة ــ بدخول الجنة ، فكيف يضمنها الشيخ عبد القادر أو غيره لأصحابه ومريديه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : (يابني عبد مناف : اشتروا أنفسكم من الله ، يابني عبد المطلب : اشتروا أنفسكم من الله ، يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا فاطمة بنت محمد : اشتريا أنفسكما من الله ، لا أملك لكما من الله شيئاً ، سلاني من مالي ما شئتما)[١] ، فقاتل الله الغلو وأهله .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ، ٦٨٣/٦ (٣٥٢٧) .

السادســة / لم تركِّز كتب التراجم ــ عامة كانت أو صوفية ــ على عقيدة الشيخ عبدالقادر ، فكأنهم لم يريدوا لرجل بهذه المكانة في نفوس الناس ، أن يكون سلفي الاعــتقاد . على أن الذهبي صرَّح بوجود انتقاد لعقيدة الشيخ عند الصوفية ، حيث روى عــن العــز ابن عبد السلام قوله : (ما نُقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر فقيل له : هذا مع اعتقاده ، فكيف هذا ، فقال : لازم المذهب ليس بمذهب)[١]، ثم يُعلِّق الذهبي على ذلك بقوله : (قلت : يشير إلى إثباته صفة العلو ونحو ذلك ، ومذهب الحنابلة في ذلك معلوم)[٢].

الســابعة / ما ذكره صاحب (السيف الرباني) من رجوع الشيخ عبد القادر عن مــنهج الســلف إلى مذهب الأشاعرة غير مقبول ، ولم أجد من يذكر ذلك غيره ، وهــو مردود بما حفل به كلامه الشيخ من تأكيد وتأييد وثناء على منهج السلف ، مما سبق أن نقلت بعضه في ثنايا ترجمته .

الثامــنة / وأمــا مــا أورده صاحب (السيف الرباني) من أن منهج السلف هو تفويــض معانـــي الصفات مع عدم اعتقاد ظاهرها، وأنه لا منافاة ــ لذلك ــ بين مــنهجهم ومــنهج الأشاعرة القائم على تأويل هذه الظواهر ، فباطل وكذب على السلف ؛ إذ منهج السلف في الصفات هو الإيمان بها كما وردت في الكتاب والسنة ، علــى ظاهــرها ، وإثبات معانيها ، وأما الذي يفوضونه فهو كيفة الصفة وليس معناها ، وكلام السلف خير شاهد على ذلك:

يقول الإمام أحمد بن حنبل : (نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه) ، ويقول أيضــاً: (ولا نزيل عنه تعالى ذكره صفة من صفاته شناعة شنعت ، ولا نزيل ما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخُلُوِّه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه[٣]).

وقــال الصابوني : (ويعرفون ــ أي السلف ــ ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ، على ما وردت الأخبــار الصحــاح به ،

---

[١] السير ٢٠/٤٤٣.

[٢] المرجع السابق٢٠/٤٤٣.

[٣] انظر في كلام الإمام أحمد: الإبانة لابن بطة(الرد على الجهمية)٣/٢٢٦.

ونقلت العدول الثقات عنه)[1].

وقـــال الموفـــق ابن قدامة : (ومذهب السلف ــ رحمة الله عليهم ــ الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ، ولا نقص منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها)[3].

وقـــال الشـــيخ عـــبد الرحمـــن بن حسن آل الشيخ: (فأهل السنة يقولون ذلك ويتـــبعون مـــا وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله ، لا تشبه صفاته صفات خلقه)[4].

التاســعة / أما مسألة كرامات الشيخ عبدالقادر ، فواضح فيها المبالغة، والزيادة ، والكـــذب علـــى الشيخ ، وهذا لا يعني نفي أو استحالة وقوع كرامة للشيخ ، فهو كولـــي لله ، لا يبعد أن يَخُصَّه الله بكرامات من عنده ، ومن المعلوم أن من عقيدة السلف إثبات الكرامات لأولياء الله الصالحين .

لكن في هذه المسألة وقفات :

١- أن الكـــرامة لا تكون باستدعاء من الولي أو باختياره ، بل هي مِنحة من الله للولـــي لقضاء حاجة ألمَّت به ، أو لنصرة دين الله ؛ ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وخيار أولياء الله كراماتهم لحُجَّة في الدين ، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك)[5].

---

(1) عقيدة السلف للصابوني ص١٦١

(2) ذم التأويل ص٩.

(3) مجموع الفتاوى٣٣/١٧٧.

(4) فتح المجيد ص ٤٠٣ .

(5) مجموع الفتاوى ١١/٢٧٤.

٢- أن وقــوع خــرق العادة من الرجل ليس دليلاً على كمال ولايته لله ، بل قد يكــون لــدى أهــل الفسق والفجور من الأحوال الشيطانية، ما يفوق ما لدى الأولياء من الكرامات[١].

٣- لا يمكــن أن تقــع لأولــياء الله كــرامات تجعــل مقامهم يساوى مقام النبوة والألوهــية، كمــا يرويه الصوفية عن مشايخهم من شفاء للمرضى ، وإحياء للموتى ، أو علم للغيب ، أو تصرف في مخلوقات الله العظام من شمس وريح ونحوهــا ، أو معارضة لقدر الله ونحو ذلك مما هو من خصائص الألوهية ، فمــثل ذلك إما أن يكون مكذوباً على هؤلاء المشايخ ، أو أن يكون من تلبيس الشياطين عليهم.

٤- لا يمكــن لولي أن تقع له كرامة بعد موته ، فكما أن معجزات الأنبياء تنقطع بموتهم ، فكذلك كرامات الأولياء ، يقول شيخ الإسلام : (وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة ، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهوميت ، أو يستغيث به عند قبره ويسأله ، وقد ينذر له نذراً ونحو ذلك ، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ، ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلمه ببعض ما سأله عنه ، ونحو ذلك ، فيظنه الشيخ نفسه أتى) ثم بين أنهم يعدون ذلك من كرامات شيوخهم[٢] .

العاشــرة / وأمــا مــا أوردته كتب التراجم العامة وأيدته كتب الصوفية ، من أن الشيخ عبد القادر قال : (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى) ، فلا يمكن أن يكون من كلام الشيخ ؛ لأن (كل) من ألفاظ العموم ، فيلزم من ذلك أن يدخل في قوله هذا، الأنبياء من لدن آدم إلى محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، كما يدخل فيه كبار الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم ؛ إذ كل هؤلاء من أولياء الله، وهذا الكلام ظاهر البطلان .

---

(١) سيأتي بيان ذلك بالتفصيل لاحقاً في مبحث خاص ١٩٩

(٢) مجموع الفتاوى ٤٥٦/١٧.

هـــذا وقد حاول بعض الصوفية تأويل هذه الكلمة ، أو إيجاد مخرج لها ، وإن لم ينكر نسبتها للشيخ أحد منهم ، فمنهم من حصرها في أولياء عصره وقال : (لأنه لا يعـــرف فـــي عصره من كان يساويه في الجمع بين هذه الكمالات)[١] ، وقال بعضـــهم : (القـــدم هنا مجازي لا حقيقي ؛ لأنه المناسب للأدب ...... يقال فلان علـــى قدم حميد أي على طريقة حميدة)[٢] ، ومنهم من قال : المراد قادمي (أي رأسي) وليس قدمي [٣] .

وقال ابن رجب : (وأحسن ما قيل في هذا الكلام ، ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردي في عوارفه : أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها)[٤].

هذا ما تيسر جمعه من ترجمة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والله أعلم.

---

(١) قلائد الجواهر ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٤) ذيل ابن رجب ٢٩٥/١ .

القسم الأول :
الدراسة

الفصل الأول :

في التعريف بالكتاب

القسم الأول / الدراسة

الفصل الأول : في التعريف بالكتاب :

أولاً : اسم الكتاب :

يعلم كل من له صلة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، صعوبة تحديد اسم معين لكثير من مؤلفاته ؛ بسبب تعدد الأسماء للمؤلَّف الواحد .

ولعل سبب ذلك هو أن الشيخ لم يسمِّ أكثر كتبه ؛ إما لأنها فتاوى لأسئلة وردت عليهم من أهل بلد معين ، فتنسب تلك الفتوى إلى ذلك البلد[1] ، أو لأن الكتاب كتبه الشيخ ولم يُبيِّضه حتى يضع له عنواناً ، ثم أتى أصحابه وتلامذته والنساخ من بعدهم ، فاجتهد كل منهم في وضع اسم لذلك المؤلَّف .

وهناك سبب آخر لذلك ، وهو أن الشيخ قد يطلق على مؤلف واحد أكثر من اسم ، في مواضع مختلفة من مؤلفاته [2] .

ولعل الكتاب الذي بين أيدينا الآن ، داخل في النوع الأول الذي لم يسمه الشيخ ، بدليل أن المسودة [3] التي كتبها الشيخ بخط يده والتي تضمنت هذا الكتاب ، ليس فيها اسم له ، بل بدئها بحمد الله والثناء عليه ، ثم شرع في الشرح مباشرة.

ولهذا اجتهد النساخ في وضع اسم لهذا الكتاب ، يناسب موضوعه ، فجاءت اجتهاداتهم مختلفة ، و إن كانت متقاربة المعنى .

فمن هذه الأسماء :

١- شرح بعض كلمات من فتوح الغيب :

ذُكر هذا الاسم في نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [4] ، وفي نسخة جامعة برنستون في أمريكا [5] .

---

(١) كما هو حال : (الواسطية ــ والحموية ــ والتدمرية ــ والبعلبكية ــ والمراكشية ...ونحوها) .

(٢) لعل من أوضح الأمثلة على ذلك كتاب (بيان تلبيس الجهمية) فقد سماه الشيخ باسمين في موضع واحد ، يقول : (كما أوضحنا ذلك في بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ويسمى أيضاً تلخيص التلبيس من كتاب التأسيس) انظر: الفتاوى الكبرى ٨٦/٥ .

(٣) هي نسخة مكتبة الظاهرية ، ورقمها(٣٨٠٥).

(٤) ورقمها في الجامعة (١١/٨٧٧٩/ خ).

(٥) ولها شريط مصغَّر بالجامعة الأردنية برقم (٢٣١).

٢- شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني :

ورد هذا الاسم على نسخة مكتبة المعارف في شقراء[١] .

٣- شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب :

ذُكر هذا الاسم على إحدى طبعات الكتاب ، وهي طبعة مكتبة المثنى ببغداد ، والتي حققها الشيخ/ إياد عبداللطيف إبراهيم .

٤- شرح كلمات لعبد القادر في كتاب فتوح الغيب :

ورد هذا الاسم في فهرس مجموع الفتاوى [٢] .

٥- شرح كلمات من فتوح الغيب :

ذكر هذا الاسم د/ محمد رشاد سالم ، في تحقيقه للكتاب ، ضمن جامع الرسائل [٣] .

٦- شرح كلمات رُويت عن الشيخ الإمام العالم الناسك الزاهد عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بفتوح الغيب :

ذُكر هذا العنوان الطويل ، على النسخة الأصل ، وهي نسخة مكتبة ليبزج بألمانيا [٤] .

٧- شرح كلام الشيخ عبد القادر من فتوح الغيب :

ورد هذا العنوان على نسخة الشيخ محمد بن عمر بن سليم (رحمه الله) .

٨- شرح كلام الشيخ عبد القادر :

ذكر هذا الاسم ابن عبد الهادي في العقود الدرية [٥] .

٩- شرح فتوح الغيب :

ورد هـذا الاسـم على إحدى طبعات الكتاب ؛ وهي طبعة دار القادري ، والتي حققها حسن السماحي سويدان .

---

(١) ولها شريط مصغَّر في دارة الملك عبد العزيز برقم (٨٨٤ – ٨٩٤) .

(٢) انظر فهرس الجزء العاشر من المجموع ص ٧٨٤ .

(٣) انظر جامع الرسائل ٧١/٢ .

(٤) ولها شريط مصغَّر في مركز الملك فيصل برقم (١/١٢٩٤) .

(٥) انظر العقود الدرية ص ٥٣ .

١٠- تعليقة على فتوح الغيب لسيدي عبد القادر الكيلاني :

ذكر هذا الاسم ابن رُشيِّق المالكي في كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية[١] .

١١- شرح كلمات عبد القادر الكيلاني في كتاب فتوح الغيب :

ذكر هذا الاسم بروكلمان[٢] .

ـ العنوان المُرجَّح :

إن العنوان الذي أُرجحه هو (شرح كلمات الشيخ عبدالقادر الكيلاني من فتوح الغيب) ، وهو العنوان الذي ورد في طبعة دار المثني ببغداد .

وسبب تَرَجُّحِه أنه عنوان جامع ؛ يُبيِّن اسم الكتاب المشروح (فتوح الغيب)، واسم صاحب الكتاب المشروح ، مما يعطي دلالة واضحة عن محتوى الكتاب.

إضافة إلى وروده في إحدى طبعات الكتاب الجيدة ، وهي طبعة دار المثني ، التني حققها الشيخ إياد بن عبد اللطيف إبراهيم . أسأل الله التوفيق والسداد .

ثانياً : نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

ما من شك في أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، هو من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ والذي أدى إلى الجزم بذلك ما يأتي :

١- أن بين أيدينا النسخة الأصل لهذا الكتاب ، وهي المسودة التي كتبها شيخ الإسلام بخط يده [٣] ، ولو لم يكن هناك إلا هذا السبب لكفي .

٢- ما من نسخة من نسخ الكتاب الخطية ، إلا وقد زينت ديباجته بنسبة الكتاب إلى شيخ الإسلام ، وليس في أي منها ما يدل على نسبته إلى غيره .

٣- أن بعض تلامذة الشيخ صرَّح بنسبة الكتاب إليه ، فابن عبد الهادي في العقود الدرية ، أكد ذلك في معرض سرده لمؤلفات الشيخ ، يقول : (وله شرح كلام الشيخ عبد القادر في غير موضع نحو مجلد) [٤]

---

(١) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢ .

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي ٤٠٥/٦ .

(٣) سيأتي مزيد كلام عن هذه النسخة ، عند الكلام عن وصف النسخ الخطية ص٩١.

(٤) العقود الدرية ص ٥٣ .

كما ذكره ابن رشيّق المالكي في كتابه (أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية) يقول في سرده لمصنفات الشيخ : (تعليقة على فتوح الغيب لسيدي عبد القادر الكيلاني)[1] .

٤- أن المُطَّلع على الكتاب يدرك أنه من تأليف شيخ الإسلام ؛ فالأسلوب هو أسلوب الشيخ ، والمنهج هو منهجه ؛ من كثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث ، والرد على المخالفين من صوفية وأشاعرة ونحوهم ،وكثرة الاستطرادات ، ونحو ذلك مما اشتهر به الشيخ رحمه الله .

٥- أن الكتاب قد طبع سابقاً عدة مرات ، ونسب فيها جميعاً إلى شيخ الإسلام ، ولم يرد في أي منها نسبته إلى غيره ، ولم أطلع على من أنكر نسبة هذا الكتاب إليه .

ثالثاً : سبب تأليف الكتاب :

لم أجد ما يمكن أن يقوم كسبب مباشر لتأليف هذا الكتاب ، سواء كان سؤالاً ، أو حادثة معينة ، وقد اجتهدت في البحث في ثنايا الكتاب نفسه ، وفي مؤلفات الشيخ الأخرى، وفي كلام من ترجم الشيخ ، فلم أظفر بنتيجة محددة في ذلك .

لكن الشيخ قد سُئل عن الشيخ عبد القادر كثيراً ، ومن ذلك السؤال الذي ورد إليه (عن الشيخ عبد القادر أنه أفضل المشايخ والإمام أحمد أنه أفضل الأئمة ، فهل هذا صحيح ؟) ، وقد أجاب الشيخ بأن التفضيل بين المشايخ كلام بالظن وما تهوى الأنفس ؛ لأن هؤلاء الذين يفاضلون بين المشايخ لا يعلمون حقيقة مراتبهم ،وليس مقصودهم اتباع الحق ، وإلا فما من أحد من الأئمة إلا ولديه مسائل راجحة ، وأخرى مرجوحة .. إلى أخر كلام الشيخ[2] ، فلعل الشيخ لما توارد عليه الأسئلة عن الشيخ عبد القادر ، أراد ــ رحمه الله ــ بيان عقيدته السلفية للناس ، من خلال شرح كتابه (فتوح الغيب) والله أعلم .

ثم إن الصوفية كانت منتشرة في زمن الشيخ ، فلعله أراد من شرحه لفتوح الغيب ، بيان الزهد والورع الشرعيين الذين كان عليهما أئمة الزهد وعلى رأسهم

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/٢٩١ .

الشيخ عبد القادر ، كما أراد بيان ما كانوا عليه من سلامة المعتقد ، ونبذ البدع والخرافات والشركيات التي كثرت عند الصوفية ؛ وذلك حتى يمكن للمغرَّر بهم من المتصوفة ؛ إدراك أن لا منافاة بين معتقد السلف الصالح ، وبين الزهد الشرعي الحقيقي ، وأن حطَّ أئمة السلف ــ ومنهم شيخ الإسلام ــ على الصوفية ، سببه انحرافهم عن الصراط المستقيم ، وابتداعهم في الدين ، وليس لأجل تنسُّكِهم وعبادتهم وزهدهم في متاع الدنيا .

رابعاً : تاريخ تأليف الكتاب :

جاء في فهرس مجاميع المدرسة العمرية أن تاريخ كتابة مجموع الظاهرية ــ ومنه الكتاب المُحقَّق ــ كان سنة ٧٠٦هـ[١] ؛ وذلك اعتماداً على ما ورد في الورقة (٢٩٧ /ب)[٢].

والحقيقة إن هذا التاريخ هو للمجالس التي عقدها شيخ الإسلام للمناظرة في العقيدة الواسطية ، وذلك في شهر رجب سنة ٧٠٦هـ ، قبل أن يذهب الشيخ إلى مصر ، وليس تاريخاً لكتابه المجموع كله ، كما توهم واضع الفهارس .

ثم إن هذا التاريخ فيه غلط ، فالذي ذكره ابن عبدالهادي وغيره أن تلك المجالس عُقدت في ثامن رجب سنة ٧٠٥هـ ، وأنَّ سفر الشيخ إلى مصر كان في الخامس عشر من رمضان من تلك السنة [٣] .

ويدل على ذلك ــ أيضاً ــ ما ورد في الورقة (٢٦١/ظ) ، في أول ذكر الشيخ لتلك المجالس ، بخط الشيخ ما نصه : (لما كان يوم الاثنين ثامن رجب طلبني نائب السلطان ...) من غير ذكر السنة ، مما يدل على أن الشيخ كتب ذلك في نفس السنة التي حصلت فيها مجالس المناظرة ، وهي سنة ٧٠٥هـ كما ذكر ذلك ابن عبد الهادي وغيره .

---

[١] انظر: فهرس مجاميع المدرسة العمرية لياسين السواس ص٣٥٣.

[٢] ورد ذلك بعد صفحة واحدة من نهاية الكتاب المحقق ، والذي ينتهي عند الورقة (٢٩٦/ب) ، وكاتبه ليس هو شيخ الإسلام ؛ لاختلاف خطه عن الخط الذي كتب به المجموع.

[٣] انظر: العقود الدرية ص٢٠٧ ، ٢٤٨.

كذلك ورد في الورقة (١٤٦/ظ) ما نصه : (قواعد مصرية للإمام العلامة بخط تقي الدين ابن تيمية) ، وهذه القواعد كتبت في مصر ــ كما هو معلوم ــ التي أقام فيها الشيخ سبع سنوات ، فيما بين عامي ٧٠٥هـ ــ ٧١٢هـ ، فيكون جزء من هذا المجموع كتب في تلك الفترة .

فإن صح أن المجموع كتب في أوقات متقاربة ، فإن الكتاب المحقق يكون قد ألفه الشيخ بين عامي ٧٠٥هـ ــ ٧١٢هـ ، أو قبل ذلك بقليل .

والذي أُرجحه ــ والله أعلم ــ أن الكتاب من أول ما ألفه الشيخ ، أي قبل سنة ٧٠٥هـ ، أو قبل ذهابه إلى مصر ، وذلك لما يأتي :

١- أن الشيخ لم يصرح في كتابه هذا ، بأي من كتبه الكبار ، ومن المعلوم أن أكثر تلك الكتب ، إنما ألفه في مصر (كبغية المرتاد ــ وشرح الأصفهانية ــ وبيان تلبيس الجهمية) ، أو بعد عودته من مصر (كدرء التعارض ــ ومنهاج السنة ــ والصفدية ــ والجواب الصحيح ــ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ــ والرد على المنطقيين) [١] .

فدلَّ ذلك على أن الشيخ ــ رحمه الله ــ قد ألَّف كتابه هذا قبلها ؛ أي قبل ذهابه إلى مصر ، ولو كان تأليفه تأخر إلى ما بعد رحلة مصر ، لصرَّح الشيخ فيه بذكر مؤلفاته الأخرى ، كما هي عادته في أكثر كتبه .

٢- أن الكتاب ورد في نسخة الظاهرية بعد ذكر مناظرة الواسطية ، مما يدل على أنه ألفه في وقت قريب من حصول تلك المناظرة ؛ ولأن الوقت بين المناظرة (رجب ٧٠٥هـ) وبين ذهابه إلى مصر (رمضان ٧٠٥هـ) ، كان قصيراً فلهذا يكون الراجح ــ والله أعلم ــ أنه ألفه قبل تلك المناظرة ، أي قبل سنة ٧٠٥هـ .

وذلك كله محض استنتاجات ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) للشيخ / عبدالعزيز الطويان كلام جيد في ترتيب كتب الشيخ من حيث زمن تأليفها ، انظره في النبوات (بتحقيق الطويان) ٨٩/١ .

خامساً : أهمية الكتاب وقيمته العلمية :

لم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية من أولئك العلماء الذين يؤلفون الكتب لمجرد التأليف ، كنوع من الترف العلمي ، الذي سببه استقرار أكثر العلوم من جهة ، وقلة الشُّغل ، والفراغ عند هؤلاء العلماء من جهة أخرى .

بل إنه مع ما كان عليه من الاشتغال بالجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة البدع بلسانه ويده ، لم يكن ليجد الوقت الكافي للتأليف ، ولهذا جاءت أكثر مؤلفاته أجوبة لأسئلة وردت إليه ، أو بياناً للحق في حوادث معينة وقعت في عصره ، ولو لم ترد هذه الأسئلة ، أو تقع مثل هذه الحوادث ، لما خرجت أكثر مؤلفات الشيخ .

لذا فإن كل كتب الشيخ مهمة كلٌّ في بابه ؛ لما سبق أن ذكرت ، ولأنها تمثل منهج السلف الصالح ، الذي تكالب عليه أهل البدع من أتباع المذاهب والفرق المختلفة .

أما الكتاب الذي بين أيدينا الآن ، فإنه يكتسب أهميته من عدة أمور ، لعل أهمها ما يأتي :

١- يمثل الكتاب دَفعة كبيرة في تقريب الصوفية إلى المنهج السلفي ، وإلى ابن تيمية باعتباره أحد رموز السلفية في العصور المتأخرة ، خاصة إذا علمنا مقدار حطِّ رموز التصوف وغيرهم على ابن تيمية رحمه الله ، فقيام الشيخ بشرح كتاب لرجل يعده الصوفية من أكبر مشايخهم ، يسهم في كسر الحاجز بين الصوفية وبين المنهج السلفي ، ويقربهم إلى الحق .

٢- أن الكتاب يُبيِّن إقساط علماء السلف عامة ، وابن تيمية خاصة ، إذ لم يمنعه بغض ما عليه الصوفية من البدع والمخالفات ، من الثناء على رجل يعدونه من كبار مشايخهم ، وبيان مناقبه ، وقد كان هذا هو ديدن شيخ الإسلام في جميع مؤلفاته ، بل قد أقسط الشيخ في رجل كالإخنائي ، وأثنى عليه ، واستغفر له ، مع أن الإخنائي أقذع في الرد على الشيخ ، وحرَّف كلامه ؛ يقول الشيخ في رده على الإخنائي لخلطه بين الأحاديث الواردة في زيارة القبور ، وتلك الواردة في السفر إليها والتوسل بها ، يقول : (وهذا الموضع

يغلط فيه هذا المُعترض وأمثاله ، ليس الغلط فيه من خصائصه ، ونحن نعدل فيه ، ونقصد قول الحق والعدل فيه كما أمر الله تعالى ، فإن الله أمر بالقسط على أعدائنا الكفار ، فقال سبحانه وتعالى : (**كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقوى**) [١] ، فكيف بإخواننا المسلمين ، والمسلمون إخوة ، والله يغفر له ويسدده ، ويوفقه وسائر إخواننا المسلمين)[٢].

٣- أنه يُبيِّن لعامة الصوفية أنهم مغرَّر بهم ، وأن ما ترتع فيه الصوفية الآن من البدع والشركيات ، مخالف لما كانت عليه حال أعلام الزهد في العصور الأولى ، بل مخالف لحال من تُنْسب إليهم أكثر الطرق الصوفية اليوم ، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله.

٤- يؤكد الكتاب أن لا منافاة بين السلفية ، وبين الزهد والورع الشرعيين ؛ إذ كبار علماء السلف كانوا زُهَّاداً ، بل إن الشيخ عبد القادر كان سلفي المعتقد ، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان من الزُّهاد العبَّاد ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمتيهما .

٥- ينسف هذا الكتاب ــ بالدليل النقلي والعقلي ــ كثيراً من أباطيل المتصوفة ، كدعوى الإلهام ، والفناء ، والخروج عن الشرع ، وغيرها من تخليطات الصوفية وضلالاتهم .

---

(١) المائدة (٨) .

(٢) الرد على الإخنائي ص ٨١-٨٢ .

سادساً : منهج المؤلف في الكتاب :

لا يختلف منهج شيخ الإسلام في هذا الكتاب عن منهجه في سائر كتبه ، سوى بعض الجوانب ، التي اقتضاها كون الكتاب شرحاً لكتاب آخر .

ويمكن لنا أن نُلخِّص أهم ملامح هذا المنهج بما يأتي :

١- **كثرة الاستدلال بالكتاب والسنة** : وهو منهج سار عليه الشيخ في جميع كتبه ، وقد وُهِب الشيخ القدرة على استحضار الآيات والأحاديث في مواضعها ، ولذا نجده كثيراً ما يسرد الآيات والأحاديث ذات الدلالة في الموضع الواحد [١] .

أما استدلاله بالسنة ، فإن الشيخ لا يستدل إلا بالصحيح منها دون الضعيف والموضوع ، وقد ساعده في ذلك علمه بالسنة وأحوال الرجال.

والشيخ لا يذكر اسم الصحابي راوي الحديث وتارة يذكره ، لكنه كثيراً ما يبين من أخرجه من أصحاب السنن وغيرهم ؛ كقوله: (كما روى ذلك الإمام أحمد في المسند ورواه غيره) وقوله : (وفي الترمذي عن أبي سعيد) [٢] .

كما أنه يُبين أحياناً درجة الحديث مثل قوله :(وقال في الحديث الصحيح) ، وقوله : (وفي الترمذي بإسناد جيد)[٣] .

وإن كان للحديث راوٍ آخر فإن الشيخ كثيراً ما يذكره ، كقوله : (وهذا مطابق لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة ، وهو معروف من حديث عمر بن الخطاب)[٤] ، وكذا روايات الحديث الأخرى كقوله في حديث (من سأل القضاء ..) إلى قوله (وفي رواية " وان أكره عليه ") [٥] .

ثم إن الشيخ كثيراً ما يُتْبع الآيات والأحاديث بتفسيرها ، وهو يعمد إلى البدء بالتفسير بالمأثور ــ إن وجد ــ ومثال ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: **(وإنك**

---

(١) انظر: (طبعة جامع الرسائل للكتاب المحقق) ٢/ ٧٥ ، ٧٧، ٨٤، ٩٥ وغيرها.

(٢) انظر: الطبعة السابقة ٢/ ٨١ ، ٩٤ .

(٣) انظر: ٢/ ٩٧، ٨٠ .

(٤) انظر: ٢/١٣٣.

(٥) انظر: ٢/١٥٣.

لعلى خلق عظيم) يقول: (قال ابن عباس ومن وافقه كابن عيينه وأحمد بن حنبل: على دين عظيم) [1] .

٢- **نهجه في الشرح** : سلك الشيخ في شرحه للكتاب أسلوباً سهلاً سلساً ؛ وهو تارة يطيل فيه ، ويختصر تارة أخرى بحسب أهمية الموضوع ، أو سعة الخلاف فيه ، كما أنه قد يذكر الكلام ثم يستدل عليه بمواضع من كلام الشيخ عبد القادر ، فيكون الشرح قد سبق المتن ، فمثلاً عندما تكلم عن إجماع المستقيمين من السالكين على عدم جواز الخروج عن الشرع ، أعقب ذلك بقوله: (وهذا كثير في كلامهم ، كقول الشيخ عبد القادر في كتاب فتوح الغيب...)[2] ثم ذكر كلام الشيخ عبد القادر .

٣- **منهجه في الرد على المخالفين** :

أ – يبدأ الشيخ في ردّه بأدلة الشرع ثم أدلة العقل ، حتى يُقنع المخالف أو يَحُجه ، ومن ذلك قوله : (والوقوف مع الإرادة الخلقية القدرية مطلقاً غير مقدور عقلاً ولا مأمور شرعاً) [3] ، ثم بدأ بالشرع ، وثنّاه بالعقل .

ب- يستخدم الشيخ أسلوب الحوار ، بأن يفترض أسئلة للمخالف ، ثم يجيب عليها، ومن ذلك قوله بعد أن ذكر لزوم الأمر والنهي للسالك في كل حال: (فإن قلت فما الفرق بين هذا ، وبين صاحب التقوى الذي قبله ، وبين صاحب حق الحق الذي بعده ...) [4] ثم أجاب الشيخ عن ذلك .

جـ- لا يُعمِّم الشيخ عند ذكره لمذاهب الخصوم ، بل ينسب كل قول إلى قائله ، ومن ذلك قوله: (...أنهم (أي الفلاسفة) اعتقدوا أن الكمال في مجرد العلم ، كما اعتقد جهم، والصالحي ، والأشعري في المشهور من قوله ، وأكثر أتباعه ، أن الإيمان مجرد العلم) [5] .

---

(١) انظر: (طبعة جامع الرسائل) ٢/١٣١.

(٢) انظر: ٢/١٤٥.

(٣) انظر: ٢/ ٨٣.

(٤) انظر: ٢/ ١٥٩ .

(٥) انظر: ٢/ ١٨٤ .

د- إذا ردَّ الشيخ على فرقة فإن هذا لا يمنعه من العدل فيها ، ومن ذلك قوله بعد أن ذكر بعض أقول الجهمية : (لكن المتفلسفة أسوأ حالاً من الجهمية) [1] .

٤- الأمانة العلمية :

إن المُطَّلع على هذا الكتاب ــ بل جميع كتب الشيخ ــ يدرك مقدار الأمانة العلمية ، وتحري الدقة في نقل أقوال العلماء ، التي كان عليها الشيخ ، فمن ذلك أن الشيخ في نقوله من كتاب فتوح الغيب ، ينقل الكلام بنصه ، ويتضح هذا بمقابلته بالكتاب الأصلي ، وإن وجدت فروق ، فهي فروق يسيره سببها اختلاف النسخ الخطية لكتاب فتوح الغيب ، في عصر الشيخ .

ومن ذلك أيضاً أن الشيخ لما نسب إلى أبي حامد الغزالي أنه قال عن الاستحسان بأنه (هوس) [2] ، وجدت هذه الكلمة بنصها في كلام الغزالي .

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الشيخ إذا ترك في أثناء النقل كلاماً ، أشار إلى ذلك ، حتى لا يُظن أن الكلام مستمر ، فمثلاً لما نقل كلام الشيخ عبد القادر تاركاً بعضه ، أشار إلى ذلك بقوله : (إلى أن قال ...) [3] .

٥- تفريع المسائل :

مما سلكه الشيخ في كتابه هذا ، أسلوب تفريع المسائل ، وهو أسلوب جيد ، يزيد من الحصيلة العلمية للقارئ ، ويعضد الموضوع الأصلي .

ومثال ذلك : أن الشيخ لما شرح كلام الشيخ عبد القادر عن فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ، توسع في ذلك ، فتكلم عن المباح ، ثم انتقل منه إلى أقسام الناس فيما يحبه الله ويرضاه ، ومنه إلى إمكان الترجيح بالإلهام ، وهي كلها مواضيع متعلقة بالموضوع الأصلي .

---

(١) انظر: (طبعة جامع الرسائل) ٢/ ١٨٥.

(٢) انظر: ٢/ ١٠٠ .

(٣) انظر: ١٤٧/٢ .

٦- **الاستطراد :**

وهو منهج أشتُهر به الشيخ في جميع كتبه ، لكنه ــ رحمه الله ــ لا يستطرد إلا في موضع له مسيسٌ مباشر بموضوع الكتاب الأصلي ، كما أن استطرداته قد تكون لغوية ، أو فقهية ، أو بيان بعض القواعد الكلية للفلاسفة والمتكلمين ونحو ذلك مما يخدم الموضوع الذي يطرقه الشيخ .

فمن ذلك استطراده في ذكر المباح ، واختلاف علماء الأصول فيه ، وذكر حجج كل فريق ، وترجيح أحد الأقوال ، مما يدل على تبحر الشيخ في علم أصول الفقه ، وسَبْره لدقيق مسائله [١] .

٧- **العدالة والموضوعية :**

كانت الموضوعية والعدالة سمة من سمات الشيخ ، لا في مؤلفاته فحسب ، بل في مناظراته ، وجميع شئون حياته ، فهو وإن خاصم أحداً أو رد عليه ، فإنه لا يحمل عليه حقداً أو ضغينة شخصية ، ولذا فإنه لا يَستَنكف عن ذكر محاسن ذلك الشخص ، بل والثناء عليه .

ومثال ذلك قوله عن كبار مشايخ الصوفية : (فأما المستقيمين من السالكين كجمهور مشايخ السلف ؛ مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والسري السقطي وغيرهم من المتقدمين ، ومثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ حماد ، والشيخ أبي البيان ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يُسوِّغون للسالك ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، أن يخرج عن الأمر والنهي ... وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف)[٢].

ومن موضوعيته ــ رحمه الله ــ أنه إذا ذكر مسألة ، ذكر أقوال أهل الاختصاص فيها ، ثم رجح بعد ذلك بالدليل[٣] .

---

(١) انظر: (طبعة جامع الرسائل) ١٦٥/٢.

(٢) انظر: ٢/ ١٤٥ .

(٣) انظر: كلامه عن المباح ٢/ ١٦٥ .

٨- الإحالة :

وهو أسلوب سلكه الشيخ ـــ أيضاً ـــ في أكثر كتبه ، فهو كثيراً ما يحيل في تفصيل مسائل بعينها إلى مواضع أخرى من كتبه ، مثل قوله في زعم الهروي صاحب (منازل السائرين) أن حكم الله هو مجرد القدر ، قال فيه الشيخ : (فهذا فيه من الغلط العظيم ما قد نبَّهنا عليه في غير هذا الموضع) [١] .

وكذلك عندما تكلم الشيخ ـــ رحمه الله ـــ عن ما يعتقده بعض غلاة الصوفية من القول بسقوط التكاليف ؛ بزعم شهود الحقيقة الكونية ، قال بعد ذلك: (فتلك أقوال وطرائق فاسدة ، قد تُكُلِّم عليها في غير هذا الموضع)[٢].

٩- الصياغة اللغوية :

على الرغم من أن الكتاب في العقيدة والسلوك ، إلا أنك لا تعدم فيه سلامة اللفظ ، والأسلوب البياني ، والمحسنات البديعية ، مما يشهد بعلو شأن الشيخ في علوم اللغة .

فمن ذلك قوله : (وسؤال ثالث : وهو أن حقيقة هذا القول طيٌّ بساط الأمر والنهي عن العبد في كل الأحوال ، مع كون أفعاله اختيارية ، وهب أنه ليس له هوى ، فليس كل ما لا هوى فيه يسقط عنه فيه الأمر والنهي) [٣] .

---

(١) انظر: (طبعة جامع الرسائل) ٢/ ١١١.

(٢) انظر: ٢/١٤٥.

(٣) انظر ٢/ ١٧٢ .

سابعاً : موضوع الكتاب :

هذا الكتاب هو شرح لمقاطع اختارها شيخ الإسلام من كتاب (فتوح الغيب) للشيخ عبد القادر الكيلاني ، وبناء على ذلك فإن موضوع الكتاب هو السلوك .

لكن المُتمعِّن في الكتاب يُدرك أن الشيخ أراد التأكيد من خلال هذا الكتاب على قضية مهمة ، وهي أن السالك مُلزم باتباع الأمر والنهي ، في كل حال ، وأنه لا يسوغ له مهما بلغ في مراتب الطريق ، الخروج عن الشرع ، أو ترك الأمر والنهي ، وهي قضية غلط فيها كثير من مشايخ الصوفية .

على أن الشيخ ــ رحمه الله ــ تكلم عن مسائل أخرى أيضاً ، تخدم المسألة السابقة ؛ وذلك كالفناء ، والإرادة ، والإلهام ، وخوارق العادات ، والزهد والورع ونحوها من المسائل .

ثامناً: مصادر المؤلف في كتابه:

كان القرآن الكريم المصدر الأول الذي رجع إليه المؤلف؛ إذ لا تكاد تمر صفحات من الكتاب إلا ويستدل فيها بآيات القرآن الكريم في مواضعها.

ثم تأتي بعد ذلك السنة ؛ والشيخ لا يستدل منها إلا بالصحيح أو ما قاربه، ومصدره فيها كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات وكتب الزهد والورع وغيرها من أسفار السنة.

ومما يمكن أن يذكر من المصادر إضافة إلى ما سبق:

- الإحكام للآمدي.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- البرهان للجويني
- جامع البيان للطبري.
- الرسالة القشيرية للقشيري.
- روضة الناظر لابن قدامة.
- شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان اللخمي.
- الغنية لعبد القادر الكيلاني.

– فتوح الغيب لعبد القادر الكيلاني.
– قوت القلوب لأبي طالب المكي.
– المستصفى للغزالي.
– المغني لابن قدامة.
– المقصد الأسنى للغزالي.
– منازل السائرين للهروي.

وغيرها من المصادر الأخرى.

الفصل الثاني: التعريف بنسخ الكتاب ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بنسخ الكتاب الخطيَّة.

المبحث الثاني: طبعات الكتاب السابقة.

المبحث الأول : التعريف بنسخ الكتاب الخطيَّة :

قابلت هذا الكتاب على سبع نسخ خطية ، هي مجموع ما وجدته من نسخه في مكتبات العالم ، وقد كنت بدأت المقابلة بخمس نسخ ، لعدم تيسر الحصول على نسختين (وهما نسخة المكتبة الظاهرية ، ونسخة دار الكتب المصرية) ، وأضفت إلى النسخ الخمس طبعة (جامع الرسائل) لاعتمادها على نسختي الظاهرية والمصرية ، وطبعة (مجموع الفتاوى) لعدم علمي في ذلك الوقت بالنسخة التي اعتمد عليها الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم ، وأنهيت المقابلة بهذه الطريقة .

ثم إنه يسر الله لي الحصول على النسختين الباقيتين (الظاهرية والمصرية) فأعدت المقابلة مرة أخرى ، واستبعدت طبعة (جامع الرسائل) ؛ لعدم الحاجة إليها بعد توفر الأصول التي اعتمدت عليها ، وطبعة (مجموع الفتاوى) ؛ لأن غالب الظن أن الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم ، اعتمد على (النسخة الظاهرية) في تحريره للكتاب ، لدلائل سأذكرها لاحقاً .

وبذا فقد اكتمل عدد النسخ ، ولله الحمد والمنة ، واليك بيانها :

أولاً : نسخة المكتبة الظاهرية : ويرمز لها بـــ (ظ) .

تقع هذه النسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، ضمن مخطوطات المدرسة العمرية [١] برقم (٣٨٠٥عام) ، ورقمها الخاص (٦٩ مجاميع) ، وعدد أوراقها ٣٢٩ ورقة ، وصفحاتها ٦٥٦ صفحة ، في كل صفحة ما متوسطه ٢٧ سطراً وفيه ما يصل إلى ما يفوق ٧٠ سطراً ، وفي كل سطر (١٥) كلمة في المتوسط، خلافاً لما في الحواشي ، الذي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات المخطوط.

وهذا المخطوط عبارة عن مجموع نفيس جداً يضم مُسوَّدات كتبها شيخ الإسلام بخط يده ، وخطها معتاد مستعجل ، وكلماتها مترابطة من حيث الرسم .

والذي يدل على أنها بخط الشيخ ما يأتي :

---

(١) هي مدرسة بناها الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، في الصالحية في سفح جبل قاسيون بدمشق ، وقد بناها للفقراء والمساكين المشتغلين بالقرآن الكريم ، والشيخ أبو عمر هو الأخ الأكبر للشيخ موفق الدين بن قدامة ، وقد كان من أهل الصلاح ، والتقوى والعلم توفي سنة ٦٠٧هـــ .

انظر: السير ٢٢/٥ والبداية والنهاية ١٣/٥٨.

١- ورود ذلك في صفحات المجموع ؛ وذلك في الورقة رقم (٤٣ظ) حيث كتب تحت ختم المكتبة الظاهرية ما نصه : (بخط ابن تيمية قدس سره) .
٢- أن الشيخ محمد ابن قاسم ذكر المجموع في مقدمة مجموع الفتاوى ، ونص على أنه كله بخطه ، يقول : (ومن تلك المجاميع " مجموعة مسودة " كلها بخطه) لا يوجد شيء منها في المكاتب ولا غيرها) [١] .
٣- كما ذُكر في فهرس المكتبة العمرية ، بأن المخطوط من كتابة الشيخ [٢] .

والمخطوط متفاوت ؛ فمنه ما كتب الكلام فيه بعرض الصفحة ، ومنه ما كتب بطولها ، ولا تخلو صفحة منه من تعليق في الهامش ؛ في جانب واحد أو أكثر من جوانب الصفحة ، ومنها ما ورد فيه تعليق في جوانب الصفحة الأربعة .

كما أن في المخطوط فراغات كثيرة منها ما هو مُخلٌ بالمعنى ، ومنها ما ليس كذلك ، ولعل الشيخ ــ والله أعلم ــ ترك مثل هذه الفراغات ليزيد فيها الكلام عن المسالة ، في وقت لاحق .

والمجموع يضم عدداً كبيراً من فتاوى ورسائل الشيخ ، في مختلف العلوم ، كالتفسير وأصوله ، والحديث ، والمصطلح ، والعقيدة، والسلوك ، والفقه وأصوله، والفضائل وغيرها .

وأما عن تاريخ كتابة هذا المخطوط ؛ فقد ورد في فهرس المكتبة العمرية ، بأن كتابته كانت سنة ٧٠٦هـ ، اعتماداً على مارد في الورقة (٢٩٧ب) ، والحق أن هذا التاريخ هو لبيان المجالس التي عقدت للشيخ لمناظرته في العقيدة الواسطية، في شهر رجب من ذلك العام قبل سفره إلى مصر[٣] .
وقد ورد في الورقة (٢٦١ظ) في بداية حكاية الشيخ لما حصل في تلك المجالس قوله: (ولما كان يوم الاثنين من رجب...) من غير ذكر للسنة ، مما يدل على أن الشيخ كتب ذلك في نفس سنة حصول المناظرة التي حصلت في سنة ٧٠٥هـ ، فتكون هذه الرسالة كتبت في تلك السنة .

---

(١) مقدمة مجموع الفتاوى ١/ و .

(٢)انظر: فهرس مجاميع المدرسة العمرية لياسين السواس ص ٣٥٣ .

(٣) وهذا التاريخ غلط ، والصحيح أن ذلك كان في سنة ٧٠٥هـ ، كما سبق بيانه في ص٧٩.

وبناء على ذلك فإن الذي يظهر أن المجموع عبارة عن مُسوَّدات كتبها الشيخ في تواريخ مختلفة ، ثم جمعت ونُظم سلكها في هذا المجموع[١] .

أما كتابنا الذي نحن بصدد تحقيقه فيقع بين الأوراق (٢٧٧ظ –٢٩٦ب) يتخلله في الأوراق (٢٨٥ظ–٢٨٦ب) (فصل في قوله تعالى : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..) ، و (فصل في السماع) ، وهذا هو الذي جعل د / محمد رشاد سالم يقول بأن هذه النسخة غير كاملة [٢]، والواقع أن هذا الأوراق دخلت عرضاً في الكتاب ، إلا أنه يستكمل بعد ذلك في الورقة (٢٨٧ظ) ، وعلى ذلك فإن هذه النسخة كاملة وليست ناقصة .

وقد كُتب في الورقة (٢٩٥ب):(تشرَّف بمطالعة هذه الكتاب المستاطب (أو كلمة نحوها)الحقير محمد مراد بن العلامة محمد الشطي الحنفي عفى الله عنه)[٣] .

وفي أخر الكتاب الورقة (٢٩٦ب) ختم المكتبة الظاهرية ، وتحته كلام مطموس بسواد لم أتبينه ، و تحته رقم (٦٩) إشارة إلى رقم المجموع ، وتحت ذلك كتب عمودياً لا أفقياً : (مجموع فوائد) ، كما تكررت في الهوامش عبارة (نقله محمد بن المحب)[٤]

ثانياً : نسخة مكتبة جامعة ليبزج بألمانيا :(ويرمز لها بـــ (ل) أو (الأصل) .

وهي في مكتبة جامعة ليبزج بألمانيا برقم (٢٢٣) ، ولها شريط مصغر في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم (١٢٩٤ /١) ، وعدد أوراقها ٥٣ ورقة ، أي (١٠٥ صفحات) ، في كل صفحة (١٧) سطراً ، في كل

---

[١] انظر مزيد تفصيل في المبحث الخاص بتاريخ تأليف الكتاب ص٧٩.

[٢] انظر: جامع الرسائل ٢/د.

[٣] محمد مراد بن محمد حسن الشطي الدمشقي الحنبلي ، أديب له علم بفنون شتى، كان حسن الخط ، وقد نقل كثيراً من الكتب بخط يده ، من مؤلفاته: تحفة النساك في فضائل السواك، والكواكب المتقابلة في الجبر والمقابلة ، ولد سنة ١٢٨٩هـــ ، وتوفي سنة ١٣١٤هـــ. انظر: تسهيل السابلة ١٧٣٠/٣.

[٤] وهذا يدل على أن المسودة قد نقل أكثرها ، ومحمد المحب لعله (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن المحب المقدسي السعدي الدمشقي الحنبلي ، كان ممن جاور في الحرمين ، وحدث بهما وبدمشق ، وشرع في شرح الصحيحين وتركه مسودة ، ولد سنة ٧٥٥هـــ وتوفي بالمدينة سنة ٨٢٨هـــ) .
انظر: المقصد الأرشد ٥٢٥/٢ ، والمنهج الأحمد ٢٠٧/٥ .

سطر ٨ كلمات في الغالب .

وقد كتبت بخط نسخ جيد وواضح وعريض ، وكتبت بعض كلماتها مثل: (قال ــ وقلت ..) باللون الأحمر ، وغالب كلماتها منقوطة ، وبعضها معجمة من غير نقط .

وتاريخ كتابتها هو الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ٧٤٠ هـ أي بعد وفاة المؤلف باثنى عشر عاماً تقريباً ، وناسخها هو محمد بن أحمد بن علي الخطيب[١].

وهي نسخة مقابلة بالأصل ، إذ ورد في أخرها (هذا ما وجد في الأصل)، وفي حواشيها الكثير من التصحيحات .

وفي صفحة العنوان كتب (هذا كتاب يشتمل على شرح كلمات رويت عن الشيخ الإمام العالم الناسك الزاهد عبد القادر الكيلاني رحمه الله ، في كتابه المعروف بفتوح الغيب ، وشرحها شيخ الإسلام ومفتى الشام الإمام العالم العامل الزاهد الورع تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، نفع الله به ، وأثابه الجنة ، وغفر له ولجميع المسلمين آمين) وكتب تحت ذلك : (ومتعه بالثناء الجميل والعطاء الجزيل) وتحت ذلك دائرة ، يظهر أنها ختمٌ ، كتب فيها (BIBE. VNIVERS.LIPS) ، وفي الزاوية السفلي اليمني كتب بخط اليد (DC.١٩١) وتحته (B١١ ٥٤) .

وقد جَعلْت هذه النسخة هي النسخة الأصل ، وكان الأولى جعل سابقتها ، وإنما فعلت ذلك للأسباب الآتية :

١- تأخر حصولي على نسخة الظاهرية ، إذ لم أحصل عليها إلا بعد الانتهاء من مقابلة نسخ الكتاب .

٢- عدم وضوح خطها ، وصعوبة استظهار كلماتها ، مما يتعذر معه اعتمـــادها

---

(١) الذي وجدته بهذا الاسم ، هو شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي ، الشهير بابن الخطيب ، لكن هذا ولد سنة ٨٠٥هـ وتوفي ٨٩٩هـ ، وكتابة المجموع كانت سنة ٧٤٠هـ أي قبل ولادته .

انظر : المنهج الأحمد ٣١١/٥ ، والسحب الوابلة ٨٦٢/٢ ، وتسهيل السابلة ١٤٤٠/٣ .

كنسخة أصل .

٣- أن نسخة (ليبزج) تميزت بمزايا عدة ؛ من تقدم تاريخ نسخها ، وكونها مقابلة على الأصل ، ووضوح خطها وجودته ، وقلة الخطأ والسقط فيها ، وكل هذه مزايا ترشحها لتكون النسخة الأصل .

ثالثاً : نسخة دار الكتب المصرية : ويرمز لها بـ (ك) .

تقع هذه النسخة في دار الكتب القومية المصرية ، ضمن الكتاب الضخم الشهير (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري)[١] لابن عروة الحنبلي ، المعروف بـ (ابن زكنون) [٢] ، ورقمها العام (٤٧٢١٤) والخاص (٦٤٥تفسير) .

والكتاب يقع ضمن المجلد الخامس والثمانين من (الكواكب الدراري) ، وصفحات المجلد غير مرقمة ، وعددها (١٩٨ورقة) أي (٣٩٤صفحة) ، في كل صفحة ٢٨ سطراً ، في كل سطر ١٨ كلمة في المتوسط .

وخط النسخة معتاد منقوط ، وحروفها صغيرة، وقد كتبت بعض كلماتها بمداد أحمر مثل: (البسملة ، وقوله تعالى ، وحدثنا .... ونحوها) ، وفيها بياض كثير .

وتاريخ نَسْخها هو عشيَّة يوم الأحد العاشر من شهر شعبان سنة ٨٢٩هـ ، أي في حياة المؤلف ، وناسخها هو (إبراهيم بن محمد بن محمود الحنبلي)[٣] .

---

(١) موسوعة علمية ضخمة ، رتب فيها ابن عروة الحنبلي أحاديث مسند الإمام أحمد ، على أبواب صحيح البخاري ، وقد ضمَّنه الكثير من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية مثل:(اقتضاء الصراط المستقيم ، والتوسل والوسيلة ، والسياسة الشرعية ، وشرح حديث النزول ... وغيرها) ، وأكثر الكتاب في المكتبة الظاهرية ، وبعضه في دار الكتب المصرية .

(٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن عروة المشرقي الدمشقي الحنبلي ، من كبار فقهاء الحنابلة في عصره ، كان عالماً بالحديث والرجال ، ولد سنة ٧٥٨هـ وتوفي سنة ٨٣٧هـ بدمشق .

انظر المقصد الأرشد ٢/٢٣٧ ، والمنهج الأحمد ٥/٢١٦ ، والسحب الوابلة ٢/٧٣٢ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر الدمشقي الحنبلي ، المعروف بالناجي ، تتلمذ على ابن عروة ، وحفظ عليه القرآن ، وتزوج ابنته .

قال في السحب الوابلة : رأيت بخطه جانباً من الكواكب الدراري شرح مسند الإمام أحمد مؤرخاً سنة ٨٢٩ هـ ، وهو خط حسن ، ولد سنة ٨١٠هـ وتوفي سنة ٩٠٠هـ . انظر السحب الوابلة ١/٦٦ .

وقد كتب في صفحة العنوان : (وقف شيخنا الزاهد أبي الحسين[1] علي بن الحسين بن عروة الحنبلي رحمه الله ورضي عنه وجمعنا به في الجنة) ، وفوق ذلك ختم (الكتبخانة الخديوية المصرية) ، وفوقه كتب (٦٤٥خصوصية تفسير) ، وعن يسار ذلك كتب(٤٧٢١٤ عمومية) .

وتحت الوقف كتب (ما يتعلق بالتفسير هنا أعنى من أثناء الأحزاب إلى أثناء ص موجود في جزء ١٢) ، وتحته كتب (وفيه شرح .... الغيب ، ث [2] كراريس) وتحته: (سب الله أو رسوله) وتحته: (وفيه قاعدة من كلام الشيخ محمد بن ....)، وتحته كتب:(فيه من أثناء سورة الأحزاب إلى أثناء سورة ص)، وتحته (وفيه من طريق الهجرتين على قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا ، وفيه كلام ابن القيم...وفيه كتاب تعبير الرؤيا ، وفيه قاعدة للشيخ تقي الدين في إبدال الوقت والمناقلة به ، وفي آخره رسالة ... في علم الهيئة ، وفيه رسالة ....)[3] .

وعن يسار ذلك كتب: (وفيه س، ص، والصافات ، وجواب للشيخ تقي الدين في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليها جواب له في التوسل) ، وعن يساره كتب : (ورسالة في عصمة الأنبياء عليهم السلام) .

وهذه النسخة مقابلة ، ومصحَّحة ، يدل على ذلك التصحيحات في هوامشها، وعليها بلاغات ؛ منها ما ورد في الورقة (٤٤ب) ونصه : (بلغ قراءة علي مرتين محمد بن عبد الهادي أمتع الله به ، في المجلس في الجامع الأموي) ، وفي الورقة (٤٨ب) كتب : (بلغ (ثم كلمة لم أتبينها) قراءة علي مرتين أمتع الله تعالى به في الجامع الأموي ، وسمع ولدي محمد ، وإبراهيم ابن عمه وجماعة غيرهما) ، وقد تكرر هذا البلاغ عدة مرات ، آخرها في الورقة (١٦٢ظ) وفيه زيادة: (وذلك يوم الجمعة سادس ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين)[4].

---

(١) الصحيح أبو الحسن .

(٢) أي ثلاث .

(٣) الفراغات الموجودة في النص مكانها كلام مُحي بتاثير الرطوبة.

(٤) أي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

وقد كتبت هذه البلاغات بخط واحد ، وبمراجعة خط ابن عروة في كتاب الأعلام[١] ، وجدته مطابقاً لهذا الخط ، فيكون ابن عروة هو كاتب هذه البلاغات والله أعلم .

وفي هامش الورقة (٩٣/ ظ) ترجمة للشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن نعمة المقدسي[٢] ، كتبها الشيخ موسى الحجاوي [٣] ، وتحت ذلك كتب : (الحمد لله وحده طالعه العبد الفقير لرحمة مولاه القدير عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطِّي الحنبلي[٤] لطف الله به ، سنة ١٢٨٩هـ) .

وكتابنا الذي نحققه يقع في الصفحات (٥٤ب –٦٩ب)، وليس له عنوان ، بل بدأ بالكتاب مباشرة ، وفي أثناء الكتاب الكثير من البياض ، وخاصة في آخره ، وبعضه يصل إلى سطر كامل .

رابعاً : نسخة مكتبة المعارف في شقراء : ويرمز لها بـ (ش) .

تقع هذا النسخة ـ ضمن مجموع كله لشيخ الإسلام ـ في مكتبة المعارف في شقراء ، ولها شريط مصغر في دارة الملك عبد العزيز برقم (٨٩٤،٨٨٤) ، وقد نُقل أصلها إلى مكتبة الملك فهد الوطنية برقم (١٣١ مكتبة المعارف شقراء).

وعدد صفحات المجموع (٤٧٠) صفحة ، في كل صفحة ١٧ سطراً ، في كل سطر ١١ كلمة في المتوسط .

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي ٢٨٠/٤.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي ، من كبار فقهاء الحنابلة اشتهر بتعبير الرؤيا ، من مؤلفاته (البدر المنير في علم التعبير) ولد سنة ٦٢٨هـ وتوفي سنة ٦٩٧هـ.
انظر : ذيل ابن رجب ٣٣٦/٢ ، والمقصد الأرشد ١٢٦/١ .

(٣) أبو النجا موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي ، مفتي الحنابلة وشيخ الإسلام في عصره ، من مؤلفاته: (زاد المستقنع في اختصار المقنع ، والإقناع... وغيرها) توفي سنة ٩٦٨هـ .
انظر السحب الوابلة ١١٣٤/٣ .

(٤) عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطِّي ، فاضل ، بغدادي الأصل ، دمشقي المولد والوفاة ، كان إمام الحنابلة في الجامع الأموي ، ولد سنة ١٢٥٦هـ وتوفي سنة ١٢٩٥هـ.
انظر الأعلام ٦/٤ ، ومعجم المؤلفين ١٤٧/٢ .

وخط النسخة نسخ جيِّد ، وحروفها عريضة ، وغالب كلماتها منقوطة ، وبعضها معجمة من غير نقط ،وقد كُتبت بعض كلماتها بالمداد الأحمر مثل: (فصل ، وقال ، وقلت .... وغيرها) .

أما تاريخ كتابتها فقد ورد في الصفحة الأولى تحت العنوان ــ بخط يختلف عما كتب به المجموع ــ كلام ذكر في آخره ما يأتي (حرر نهار الاثنين لعله ٢ من شعبان سنة ١١٣٢هــ) ، والذي يظهر أن هذا ليس هو تاريخ نسخ المخطوط ، بل هو تاريخ اطلاع كاتب التاريخ عليه ، يدل على ذلك اختلاف الخط الذي كتب به هذا التاريخ عن الخط الذي كتب به المجموع ، كما يعضد ذلك أن نوعية الخط؛ من حيث كبر حجم الحروف ، وطُرُق رسمها ، وعدم نقط بعض الكلمات ، وتلك لم تكن طرق الكتابة في القرن الثاني عشر .

والذي يظهر ــ والله أعلم ــ أنها كتبت في القرن التاسع أو العاشر ، نظراً للتشابه في طريقة الرسم بين هذه النسخة وبين النسخة (ل) والتي كتبت في القرن التاسع الهجري ، ولم يُذكر ناسخ هذا المجموع في أي صفحة من صفحاته.

وقد كتب في صفحة العنوان (شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية الحراني قدَّس الله روحه) ،وكتب تحته بخط مختلف:(ونور ضريحه، وجعل الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه) ، وكتب تحته بنفس الخط السابق: (اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ، وسكان سماواتك وأرضك ، وكل شيء هو كائن أو قد كان ، أني أشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن سيدنا محمد عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، حرر نهار الاثنين لعله ٢ من شعبان سنة ١١٣٢ هــ) .

وعن يسار ذلك ختمٌ كتب فيه (محمد بن عبد الله الأمير)[١] ، وعن يسار العنوان كتب: (يقال الجيلاني وبالكاف بدل الجيم ، كذا رأيته مصرَّحاً به في بعض الحواشي) .

---

(١) تكرر هذه الختم أكثر من مرة عند بداية ونهاية كل رسالة في هذا المجموع .

وهذه النسخة مقابلة مُصحَّحة ؛ يدل على ذلك التصحيحات الكثيرة ، في هوامش المخطوط .

وكتابنا الذي نحققه يقع في أول المجموع في الصفحات من (١- ٩٧) ، والسقط والغلط فيه قليل ، والتصحيحات في الهوامش قليلة أيضاً .

خامساً : نسخة جامعة برنستون في أمريكا : ويرمز لها بـ (ب) .

توجد هذه النسخة في جامعة برنستون بأمريكا برقم (١٥٣١ جاريت) ، ولها شريط مصغر في الجامعة الأردنية برقم (٢٣١) ، ومصورة ورقية في مكتبة الحرم المكي برقم ١٢/٨٧٩ص [١] .

وهي عبارة عن مجموع يضم (٢٣) رسالة أكثرها لشيخ الإسلام ، وعدد أوراقه٢٥٧ ورقة ، وصفحاته٥١٣ صفحة ، في كل صفحة ٢٥ سطراً ، في كل سطر ١٣ كلمة في المتوسط ، وصفحات المجموع مرقمة .

وخط النسخة معتاد منقوط ، وكلماتها مرصوصة متداخلة في الرسم ، وقد جاء تصوير المخطوط بحيث صارت الخلفية باللون الأسود والكتابة بالأبيض ، مما زاد من صعوبة قراءاتها .

وتاريخ نسخها هو يوم الأربعاء الخامس من رجب سنة ١١٨٧هـ [٢]، وناسخها ـ كما هو مبين في آخر صفحة في المجموع ـ هو (إبراهيم بن أحمد بن يوسف النجدي التميمي) [٣].

وقد كتب في صفحة العنوان أسماء الثلاث والعشرين رسالة التي يحويها المجموع ، وفوق ذلك كتب : (اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك والمشرق مشرقك ، والمغرب مغربك ، اللهم ضيِّق عليهم الأرض برحبها ، حتى تجعلها عليهم أضيق من سمِّ جمل ، حتى تقدرني عليهم ، قال ابن عباس رضي

---

(١) المجموع في مكتبة الحرم الملكي ، ناقص إذ يحوي ١٣٣ ورقة فقط ، وينتهي في أثناء الرسالة رقم (١٤) ، وهي (فصل في القلب) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) هذا هو تاريخ نسخ الكتاب الذي نحققه، أما المجموع ككل فنسخ في سادس عشر من صفر سنة١١٨٨هـ.

(٣) هو الشيخ إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف الوهيبي التميمي النجدي ولد في أشيقر سنة ١١٤٦هـ ، ورحل إلى دمشق سنة ١١٨١هـ ، فدرس على مشايخ الحنابلة في الجامع الأموي ، ثم عيِّن للتدريس فيه بعد وفاة شيخه ، توفي سنة ١٢٠٥هـ انظر: علماء نجد ١/ ٢٦٤ .

الله تعالى عنهما : هذا الدعاء لكل آبق ، ولكل من ضلت له ضالة من إنسان أو غيره ، يدعو بهذا الدعاء ، ويُكتب في شيء ويدفن في مكان نظيف ، انتهى من الدر المنثور للسيوطي) .

وفي الورقة ٢ظ كتب : (الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعهد آمين ، تملكه بالشراء وطالع فيه ويسر له فهم معانيه ، أفقر الورى إلى مولاه والغني به عما سواه محمد بن الشيخ عثمان بن الشيخ عباس الشهير بخطيب دوما[١] ، وذلك في العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢٨٧هـ).

والنسخة مقابلة ومصححة ، يدل على ذلك ، التصحيحات التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات المخطوط ، كما يدل عليه المقابلات التي تكررت في أثناء المجموع ؛ منها ما ورد في الورقة ١٥ ب : (بلغ مقابلة وتصحيحاً على يد كاتبه) ، وفي الورقة ٢٥ب كتب : (بلغ مقابلة وتصحيحاً بحسب الطاقة على نسخة أصلية) .

أما كتابنا الذي نحققه فهو الرسالة الثانية عشرة من المجموع ، في الأوراق بين ١٠٣ظ إلى ١٢٧ب ، وعليها العديد من العناوين الجانبية، كما كتبت بدايات الفصول فيها بخط واضح .

سادساً : نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ويرمز لها بـ (أ) .

تقع هذه النسخة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام ،ورقمها (٨٧٧٩/١خ) وقد ردت إلى الجامعة من ورثة الشيخ عبد الله العبدان [٢] ، وهي عبارة عن مجموع يحوي ٢١ رسالة أكثرها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وعدد أوراقه ٢٩٢ ورقة فيها (٥٨٢صفحة) في كل صفحة ٢١ سطراً ، وفي كل سطر ١٣كلمة في المتوسط .

---

(١) محمد بن عثمان بن عباس بن محمد بن عثمان الحوراني المليحي الأصل ثم الرحيباني ، الشهير بخطيب دوما ، تولى الإمامة والخطابة بدوما، ثم رحل إلى دمشق، ثم إلى المدينة، وأقام بها وتولى أوقاف الحنابلة هناك، وبقي بها إلى أن توفي، ولد سنة ١٢٣٧هـ وتوفي سنة ١٣٠٨هـ. انظر : تسهيل السابلة ٣/١٧٢٧ .

(٢) الشيخ عبد الله بن العزيز بن سعيد بن عبدان، تتلمذ على يدي الشيخ عمر بن سليم ، والشيخ عبدالله بن سليم ، وولي قضاء أبها ثم الزلفي ثم عنيزة ، كان مشهوراً بسرعة البت في القضايا والأحكام ، ولد ببريدة سنة ١٣٢٢هـ وتوفي بها سنة ١٤٠٦هـ . انظر: علماء نجد ٤ / ٢٦٣ .

وخطُّها معتاد منقوط وقد كتبت بعض كلماتها باللون الأحمر كـ (فصل ، وقال شيخ الإسلام ... ونحوها) إضافة إلى بداية كل رسالة.

وتاريخ نسخها هو يوم الجمعة ثاني عشر من شعبان ١٢٣٢هـ ، وناسخها هو (عبد القادر بن مصطفي القفال الحنبلي النابلسي)[١] وفي صفحة العنوان كتبت عناوين الإحدى وعشرين رسالة التي يحويها المجموع ، وفوقها كلام قد محي بسبب الرطوبة ، وفوقه إلى اليمين ، ختم قسم المخطوطات بالجامعة ، وعن يساره كتب (بسم الله) ، وعن يسار ذلك كتب : (قال ابن مفلح في الآداب في كراهة نقط المصحف وشكله وكتابة الأخماس والأعشار .. والسور وعدد الآيات فيه روايتان ، وعنه يستحب ، وقال ابن حمدان: ومثله شكله وتمامه فيه) .

وفي الورقة ١/ب كتب (الحمد لله وحده ، وقف لوجه الله ، قد تملك هذا المجموع العبد الفقير إلى رحمة الملك الوهاب ، عبده ابن عبده ابن أمته ، عبد الله بن عبد العزيز بن سعيد بن محمد بن عبد الله آل عبدان ، بالشراء الشرعي ، فمن قضى وطره فليرده إليه من غير تفويق فليعلم الناظر في ذلك ، وذلك سنة ١٣٤٤ هـ ٢٨جماد أول) .

وفي هامش الورقة ٢ظ كتب : (بسم الله والحمد لله ، انتقل هذا المجموع بالابتياع الشرعي من إبراهيم الشبل لعلي المحمد بثلاثة أريل ، وأقر إبراهيم أنه بلغه الثمن بالتمام ، وذلك في شوال سنة ١٢٥١هـ ، شهد على ذلك منصور العبد الكريم وشهد به كاتبه مسلم ... وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم) وتحته تملُّك وتحت التملُّك تملُّك ثانٍ لم أستظهرهما .

وهذه النسخة مقابلة مصححة ، يدل على ذلك التصحيحات التي في الحاشية وفيها زخارف بديعة ، خاصة في الصفحة الأولى ، وعند ذكر أبيات الشعر .

أما كتابنا الذي نحققه فيقع بين الأوراق (١٠٥ظ –١٣٤ب) ، وقد وضع له كاتبه عناوين جانبيه في الهامش ، وهو ما لا نجده في سائر رسائل المجموع .

---

(١) لم أجد له ترجمة ، فيما تحت يدي من المرجع.

وهذه النسخة شبيهة بنسخة (برنستون) ، وتتفقان في الخطأ والصواب ، مما يدل على أنهما نقلتا من نسخة واحدة ، أو أن هذه النسخة نقلت من نسخة برنستون ؛ نظراً لتقدمه تاريخ نسخها .

سابعاً : نسخة الشيخ محمد بن سليم : ويرمز لها بـ (ع) :

توجد هذه النسخة ضمن مجموع كتبه الشيخ محمد بن عمر بن سليم (١) ، وأصل هذا المخطوط محفوظ في مكتبة العلامة محمد بن حامد الفقي في مصر ، ثم اشترته ــ مؤخراً ــ مكتبة الملك فهد الوطنية ، وهو فيها برقم(٣٤٨).

وهذا المجموع يحوى ١١٢ رسالة وفتوى وجواب (٢) لشيخ الإسلام ، وعدد أوراقه ١٨٣ ورقة ، أي ٣٦٥ صفحة ، في كل صفحة ٣١ سطراً في المتوسط ، في كل سطر ١٤ كلمة في المتوسط .

وخط النسخة معتاد منقوط ، وكتبت بعض كلماتها كـ (فصل ، قلت ، وقال الشيخ عبد القادر...) بالمداد الأحمر ، وكتب بعضها بخط عريض ، والنسخة بها بياض ليس بالكثير .

أما كاتبها فهو الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم ، وتاريخ كتابتها هو يوم الأربعاء العاشر من شوال سنة ١٢٧٦هـ (٣) .

وقد كتب في صفحة العنوان في مثلث مزخرف (هذا جزء فيه الكلام على قول النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما الأعمال بالنيات الخ ، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه آمين) ، وتحت ذلك كتب في مستطيل: (مثل ابن تيمية في العلماء كالبدر في نجوم السماء) .

---

(١) هو الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم ، تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه الشيخ عبداللطيف ، وعلى الشيخ عبد الله أبا بطين ،والشيخ سليمان بن مقبل وغيرهم ، رفض تولي القضاء ، واشتغل بالتدريس والإفتاء ، وكان له نشاط في تحرير فتاوى شيخ الإسلام ، ولد في بريدة سنة ١٢٤٥هـ وتوفي سنة ١٣٠٨هـ ، وقد كتب أكثرهذا المجموع في شقراء في أثناء رحلته إليها لطلب العلم. انظر: علماء نجد ٣٤٠/٦ .

(٢) بعضها قصير لا يتعدى السطرين ، وبعضها طويل .

(٣) هذا فيما يخص كتابنا الذي نحققه ، أما المجموع فقد كتب بين عامي ١٢٧٦ –١٢٧٨هـ .

وفي أعلى الصفحة إلى اليمين كتب: (قال الشيخ بن تيمية قاعدة في الشرع لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة) وتحته كتب: (قال رجل للأحنف بن قيس علمني الحلم ، قال: هو الذل يا ابن أخي اقتصر عليه ، وقال الأحنف: لست حليماً ولكن أتحالم ، وقيل له من أحلم أنت أو معاوية؟ ، قال: تالله ما رأيت أجهل منك ، إن معاوية يقدر فيحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر ، فكيف أقايس عليه ، وقيل لقيس بن عاصم ما الحلم ؟ ، قال: أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك) .

وكُتب تحت ذلك: (قال لقمان الحكيم: ثلاث لا تعرف إلا في ثلاث؛ لا يعرف الحكيم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه) ، وتحته كتب: (قال زياد بن أبي سفيان اثنان يتعجلان النصب ولا يظفران بالبُغْية ، الحريص في حرصه ، ومعلِّم البليد ما ينبوا فهمه عنه ، مراده الحرص على المال) .

وتحت ذلك كتب : (مسند الإمام أحمد ثلاثون ألف حديث ، وصنف التفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفا ، وصنف الناسخ والمنسوخ ، والتاريخ ، وحديث شعبة ، والمقدم والمؤخر في القرآن ، وجواب القرآن ، والمناسك الكبير والصغير ، وأشياء أخرى ، وكان لا يرى تصنيف الكتب ، وينهي الناس عن كتابة كلامه)، وتحت ذلك كتب: (دواء الحبة رشاد وحليب عنز يغلي إلين يصير مثل العجين ، ويصبخ عليها ثلاث مرات .... ، وقروف رمان يوزن أرباع ، وينعَّم ويذر عليها) ، وتحته كتب: (قال بعضهم إذا أردت دواء للسعة الحية ، فخذ بعر الغنم والملح والثوم ويعجن ويجعل على موضع اللسعة ، فتبرأ بإذن الله ، وأما لسعة العقرب ؛ فقتلها وجعل ما في بطنها على موضع اللدغة انتهى) .

وعن يسار ذلك كتب: (روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عبيد الله بن الزبير أنه قال وهو مستند إلى الكعبة: ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله صلى

الله عليه وسلم فلان وما ولد من صلبه) وتحته كتب : (قال رجل لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله قالوا إن عندك كعاب[1] زندقة ، فقال لا يحرز المؤمن إلا قبره) .

وفي أعلى الصفحة إلى اليسار ختم الشيخ محمد بن سليم ، وتحته كتب: (قال البغوي في المصابيح : قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم ، رواه جابر ، من الحسان) وكتب تحت ذلك: (قوله في التحريش بينهم يعنى: أيس إبليس أن يرتد أهل جزيرة العرب بعد الإسلام إلى الكفر ، وليس له سبيل إلى ردهم إلى الكفر ، لأن الإسلام قد ثبت في قلوبهم ، ولكن أبداً يوقع الفتنة والعداوة بينهم ، ويأمرهم بالخصومة وقتل بعضهم بعضاً ، فإن قيل قد ارتد جماعة من جزيرة العرب إلى الكفر فكيف يكون وجه استقامة هذا الحديث؟ ، قلنا: لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لم يرتدوا إلى الكفر ، بل قال: قد أيس الشيطان أن يرتد أهل جزيرة العرب إلى الكفر ، فيجوز أن ييئس إبليس عن ارتدادهم ، ويرتد بعضهم بعد ذلك ؛ لأن إبليس لا يعلم ما يحدث في المستقبل ، ويحتمل أن يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث حكم الأكثر لأن من ارتد منهم قليل ، والحكم كثير ، ويحتمل أن يريد بالمصلين الدائمين على الصلاة عن اعتقاد صادق خالصة ، ومن ارتد من أهل جزيرة العرب لم يكن بهذه الصفة) .

وهذه النسخة مقابلة مصححة ، يدل على ذلك التصحيحات في هوامش الكتاب ، كما يدل عليه قول كاتبه في الورقة ٦٦ ب : (بلغ مقابلة على أصله ولله الحمد والمنتهى) ، كما تكررت مثل هذه البلاغات في نهاية كل رسالة تقريباً .

أما كتابنا الذي نحققه فيقع في الأوراق من ٤٩ظ إلى ٦٦ب ، وقد ذكر الناسخ فيه عناوين في الهامش لبعض المطالب المهمة مثل: (مطلب في ذكر المباح ، ومطلب في حقيقة التوحيد ، ومطلب في الإكراه .... ونحوها) ، والكتاب هو الرسالة الحادية عشرة من المجموع .

---

(١) كذا وردت في الأصل .

وعلى النسخة قراءات كثيرة على أئمة أعلام فقد ورد في الورقة (٢٤ب) ما نصه (قرأت شرح أبي ذر لشيخ الإسلام تقي الدين ، على شيخنا علامة الوقت شرف القرن أبي عبد الله عبد اللطيف بن شيخنا عبد الرحمن في داره في سنة ١٢٣٨هـ وكتبه محمد بن عمر عفى الله عنه ، وعن والديه ومشايخه وإخوانه في الله ومحبيه) .

وجاء في الورقة ٣٧ب ، ما نصه: (قُرِئت هذه النسخة على شيخنا علامة الوقت عبد الرحمن بن حسن وأنا أسمع، وهذه النسخة بيدي فلله الحمد والمنة كاتبه).

وعلى يمين ذلك كتب عمودياً: (الذي قرأها شيخنا وصاحبنا عبد الرحمن بن ناصر بن بشر عفى الله عنه سنة ١٢٧٦هـ) .

المبحث الثاني : طبعات الكتاب السابقة :

وقع تحت يدي أربع طبعات للكتاب ، ثنتان منهما ضمن مجاميع ، والأخريان طبعاً مفردتين ، وهذه هي الطبعات مرتبة بحسب تاريخ طباعتها :

أولاً : طبعة مجموع الفتاوى :

طُبع الكتاب أولاً ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي أخرجه سماحة العلامة عبد الرحمن بن قاسم ، وابنه الشيخ محمد بن قاسم رحمهما الله ، وهو في المجلد العاشر (علم السلوك) ، في الصفحات من ٤٥٥-٥٤٨ ، وعدد صفحاتها ٩٣صفحة .

وهذه الطبعة سقط منها الفصل الأخيرة والذي يبدأ بقوله : (فصل : وقد تفرق الناس في هذا المقام الذي هو غاية مطالب العباد .....) إلى آخر الكتاب ، وبتتبع مجموع الفتاوى اتضح أن الشيخ ذكر هذا الفصل بكامله في المجلد الثاني: (توحيد الربوبية) في الصفحات من ٩٤ - ٩٧ ، على أنه فصل مستقل وليس جزءاً من الكتاب .

وهذه الطبعة خِلْوٌ من التعليقات أو التخريجات أو الحواشي أو التراجم ، ومنهج الشيخ عبد الرحمن بن قاسم معروف في ذلك ، إذ هو يرى أن مؤلفات شيخ الإسلام استغنت بما عرف عنه من العلم والأمانة والتحقيق ، عن أن يعلق عليها ، أو يوضع لها حواشي يقول الشيخ عبد الرحمن : (وأعيذ بالله من قد يتولاه[1] أن يُحشِّي عليه ، فهو ذهب مصفًّى ، حققه من قد علمت نزراً من مزايا فضله ، فهو غني عن زعم تحقيق بعض العصريين الذين لم يبلغوا شأوه ، وغني عن عنونتهم وغيرهم أثناء كلامه ، وعن تعليقاتهم ، فلبعضهم من الاعتراضات والسقطات ما يعرفه الناقد البصير)[2] .

أما الأصل المخطوط الذي اعتمد عليه الشيخ ابن قاسم في إخراج الكتاب ، فغالب الظن ــ والله أعلم ــ أن الشيخ اعتمد على نسخة الظاهرية في ذلك ، والذي رجح هذا الاحتمال ما يأتي :

---

(١) أي تحقيق كتب شيخ الإسلام .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١/ د (الحاشية رقم ٢) .

١- أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن اطلع على هذه النسخة ، وذكر رقمها [١] ، ووصفها وصفاً دقيقاً بقوله في أثناء ذكره لمجاميع المكتبة الظاهرية : (ومن تلك المجاميع " مجموعة مسودة " كلها بخطه ، لا يوجد منها في المكاتب ولا غيرها ، عدد صفحاتها (٦٦٤) ، تشتمل أقل صفحة منها على ٢٠ سطراً ، ومتوسطها على ٢٧ سطراً وفيها ما يشتمل على ٧٥، في كل سطر من خمسة عشر كلمة ــ غالباً ــ إلى عشرين ، وكثير من صفحاتها مُحشّى عليه بخط المؤلف أيضاً من بعض الجوانب ، أو الجوانب الأربع ، يتألف منها لو طبعت مفردة " أربعة مجلدات أو خمسة " فيها بياضات ، بعضها مخل بالمعنى ، وبعضها غير مخل ، وقد جنى عليها المجلد بقصِّه ما زاد من الأوراق عن معظم صفحات الكتاب ، فاسقط كثيراً من الحواشي ، وأواخر الأسطر ، وأعلى الصفحات وأسفلها ، وقد حرص الناسخ أن يذكرها كما هي. تمتاز هذه " المجموعة " بغزارة المعاني ، وندور بعض الأبحاث عما في مؤلفاته الأخر ، وتشمل على كثير من فنون العلم ، وهي أحسن خطه رحمه الله)[٢].

وهذه الصفة تنطبق تماماً على نسخة (مسودة الظاهرية).

٢- قال الشيخ في إحدى الحواشي (في حاشية الأصل نحو ثلاثة أسطر وكأنها تشير إلى اشتقاق هذه الكلمة وتفضيل ابن عربي للولي على النبي) ، وهذه الأسطر الثلاثة التي أشار إليها الشيخ موجودة في النسخة الظاهرية في الموضع الذي ذكره الشيخ وهو قول المؤلف (وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم...الخ[٣] .

٣- اتفاق هذه الطبعة مع نسخة الظاهرية في كثير من الخطأ والزيادات ؛ من ذلك قوله : (فلن يقبل باطنك ساكناً غير إرادة الله) ، وهو كذلك في نسخة الظاهرية ، والصحيح (شيئاً) بدل (ساكناً) .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١/ح (المقدمة) .

(٢)المرجع السابق ١/و (المقدمة) .

(٣)مجموع الفتاوى ٩٦/٢ (وهو الفصل الأخير الذي نقله الشيخ إلى المجلد الثاني) .

ومن ذلك أيضاً سقوط قوله تعالى" والله لا يحب المفسدين " من المجموع ١٠/ ٤٨٣ ، وهي كذلك ساقطة من نسخة الظاهرية ورقة(٢٨١/ب).

وكذلك الاتفاق في قوله: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها(من هذا وهذا) ، فقوله: من هذا وهذا ، لم ترد في النسخ الخطية إلا في نسخة الظاهرية ورقة(٨٢/ب) ، وهي في المجموع ١٠/٤٨٩.

ثانياً : طبعة جامع الرسائل :

هذه الطبعة تقع ضمن جامع الرسائل لابن تيمية ، الذي أخرجه د/ محمد رشاد سالم ــ رحمه الله ــ ، عن دار المدني سنة ١٤٠٥هــ ، في المجموعة الثانية ، الصفحات من ٧٣ –١٨٩ .

وهـــي أفضل طبعات الكتاب ، حيث اعتمد المحقق في إخراجها على ثلاث نسخ هي (الظاهرية ، ونسخة دار الكتب ، وليبزج) إضافة إلى مجموع الفتاوى، كمـــا أن فيها الكثير من الحواشي ، وتخريج الأحاديث ، ونحو ذلك مما امتازت به تحقيقات د . محمد رشاد سالم .

ومـــع جـــودة هـــذه الطبعة إلا أنها لا تخلو من الغلط ؛ مثال ذلك قوله : (فـــالأمور الخـــبرية لا بد أن تطابق حب الله وأمره فهذا حكمه وذاك علمه) [١] ، والصـــحيح :(فـــالأمور الخبرية لابد أن تطابق علم الله وخبره ، والأمور العملية لابـــد أن تطـــابق حـــب الله وأمره ، فهذا حكمه وذاك علمه) ، وأيضاً الغلط في قولـــه:(وتكون عبادتهم ومجاهدتهم كذلك) ، والصحيح:(وتكون عبادتهم ومجاهدتهم لذلك)[٢].

كما أن بعض أحاديثها وأكثر الآثار الواردة فيها لم تخرَّج، ناهيك عن التراجم، وشرح الألفاظ الغريبة .

ثالثاً : طبعة دار المثني :

حقـــق هذه الطبعة إياد بن عبد اللطيف إبراهيم ، وطبعتها دار المثني في بغداد سنة ١٤٠٦هــ وعدد صفحاتها ٨٤ صفحة .

---

(١) انظر: جامع الرسائل ٢/١١٠ .

(٢) المرجع السابق ٢/١٨٨.

وقـــد اعتمد محققها في إخراجها على نسختين: إحداهما في المكتبة القادرية ضـــمن مجموع عدد أوراقه ٣٩٣ ورقة ، ولم يبين تاريخها ، لكنه اشار إلى أنها أقدم من النسخة الأخرى الموجودة في مكتبة الأوقاف في بغداد ، والمؤرخ نسخها في سنة ١٣٠٦هـــ ، كما قابلها على مجموع الفتاوى .

ولـــم تَسْـلم هذه النسخة من التصحيف والسقط ، ومن ذلك : أنه سقط ما مقداره خمسة وعشرون سطراً من قوله : (أن لا يكون للعبد إرادة أصلاً ...) إلى قوله : (...... وكل محب فهو مريد) [(١)] ، ومن ذلك أيضاً الخطأ في قوله:(واستؤنفت لهم إرادات ربانية) ، والصحيح:(واستوثقت لهم إرادات ربانية) ، كما أن بعض الأحاديث وأكثر الآثار لم تخرج .

رابعاً : طبعة دار القادري :

أخـــرج هـــذه الطـــبعة حسن السماحي سويدان ، وطبعتها دار القادري في بيروت سنة ١٤١٥هـــ وعدد صفحاتها ١٩٦ صفحة .

ولـــيس في هذه الطبعة أية إضافة على ما سبق ، إذ لم يعتمد في إخراجها على أصل مخطوط ، بل اعتمد في ذلك على الطبعات الثلاث السابقة ، كما أشار إلى ذلك في مقدمته [(٢)] ، كما أنه لم يقم بتخريج أي من الأحاديث أو الآثار ، بل قد جنى على الكتاب ، بأن ضمن طبعته هذه كل كتاب (فتوح الغيب) كمتن للكتاب، ووضع شرح شيخ الإسلام كحاشية للكتاب في المواضع التي شرحها الشيخ .

وهو وإن كان مقصودة من ذلك حسناً ؛ وهو تقريب الصوفية إلى السلف ، وإلـــى شـــيخ الإســـلام خصوصاً[(٣)] ، إلا أن فعله هذا ينافي الأمانة العلمية ، التي تقتضي إيراد الكتاب كما هو من غير تغيير في شكله أو محتواه .

وبذلـــك يتضـــح أن الكتاب لا يزال بحاجة إلى عناية ، وأن الحاجة ماسة إلى إخراجه مستقلاً في طبعة محققة تحقيقا علمياً ، وهذا ما سعيت إليه ، أسأل الله أن يتمم هذا المقصد ، وأن يجعل فيه النفع والفائدة.

---

(١) انظر ص ٣٧ من هذه الطبعة .

(٢) انظر ص (د)من هذه الطبعة .

(٣) انظر ما ذكره في ذلك في مقدمة الكتاب ص(ب ، ج).

نماذج من نسخ الكتاب الخطية

الورقة الأولى من مخطوطة الظاهرية (ظ).

الورقة (٣٤ظ) من مجموع الظاهرية ؛ التي نُصَّ فيها على أن المجموع بخط شيخ الإسلام.

الورقة الأخيرة من مخطوطة الظاهرية (ظ).



ورقة العنوان من مخطوطة ليبزج (الأصل).

الورقة الأخيرة من مخطوطة ليبزج (الأصل).

الورقة الأولى من مخطوطة دار الكتب المصرية (ك).

الورقة الأخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية (ك).

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه. الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. قال الشيخ أبو محمد عبد القادر في كتاب فتوح الغيب لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشيا أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضا به فأقل حالة لا يخلوا المؤمن فيها من أحد هذه الأشيا الثلاثة فينبغي له أن يلزم همها قلبه وليحدث بها نفسه ويأخذ بها الجوارح في سائر أحواله. قلت: هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل أحد وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد وهي مطابقة لقوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ولقوله تعالى وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا ولقوله وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور فإن التقوى تتضمن فعل المأمور

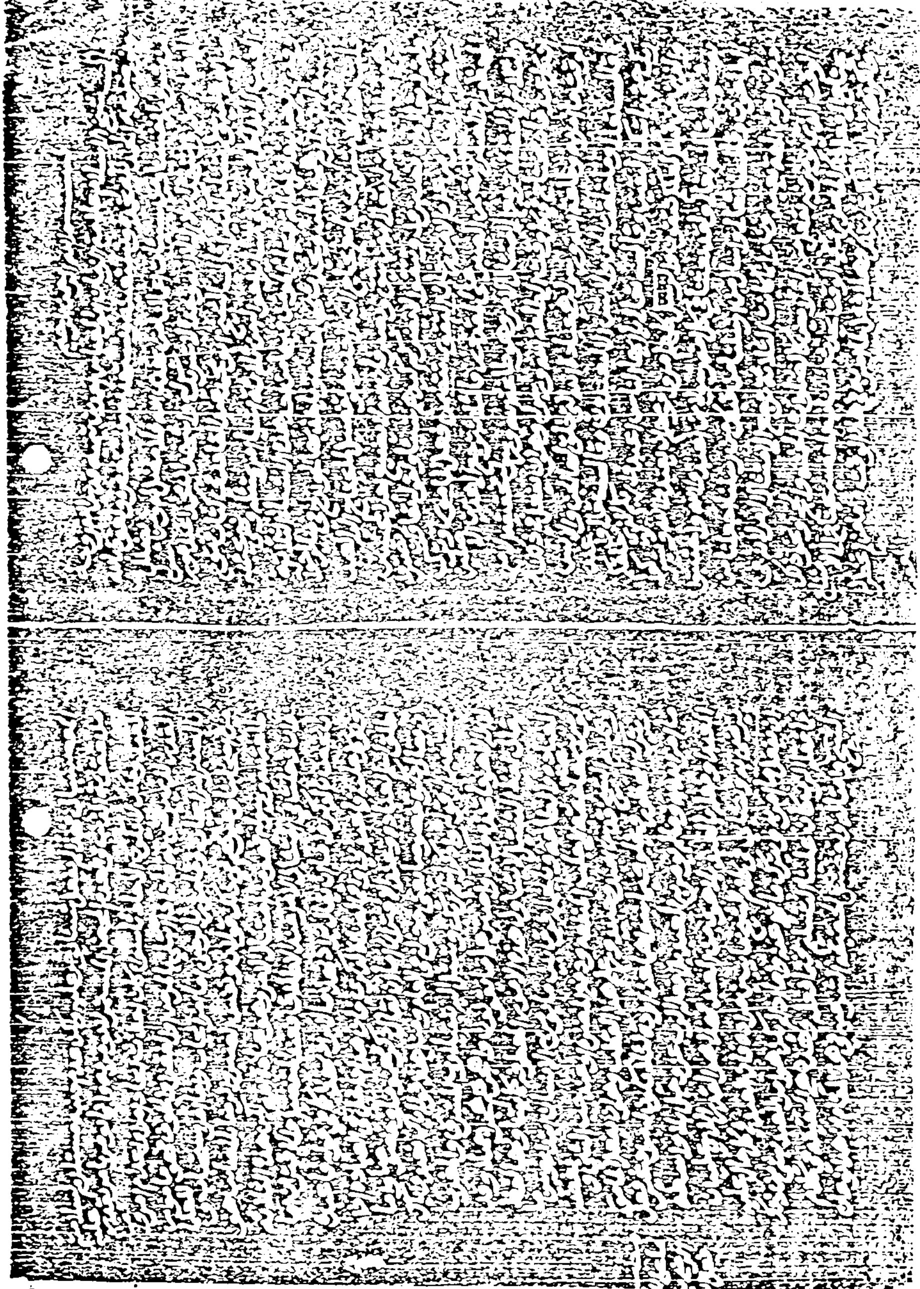
الصفحة الأولى من مخطوطة مكتبة المعارف في شقراء (ش).

بالشياطين على ما يطلبونه من الإخبار بالأمور الغائبة وعلى
ما يفعلونه بتصرفهم في العالم وأما الحق المبين فهو أن
كمال الإنسان أن يعبد الله علماً وعملاً كما أمره ربه وهؤلاء
هم عباد الله وهم المؤمنون والمسلمون وهم أولياء الله المتقون
وحزب الله المفلحون وجند الله الغالبون وهم أهل العلم
النافع والعمل الصالح وهم الذين زكوا أنفسهم وكملوها كملوا
القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية كما قال
تعالى واذكر عبادنا إبرهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي
والأبصار وقال تعالى والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما
غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال تعالى
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين آمين وقال تعالى فإما يأتينكم مني هدى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقال تعالى أولئك
على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقال تعالى إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
انتهى والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم

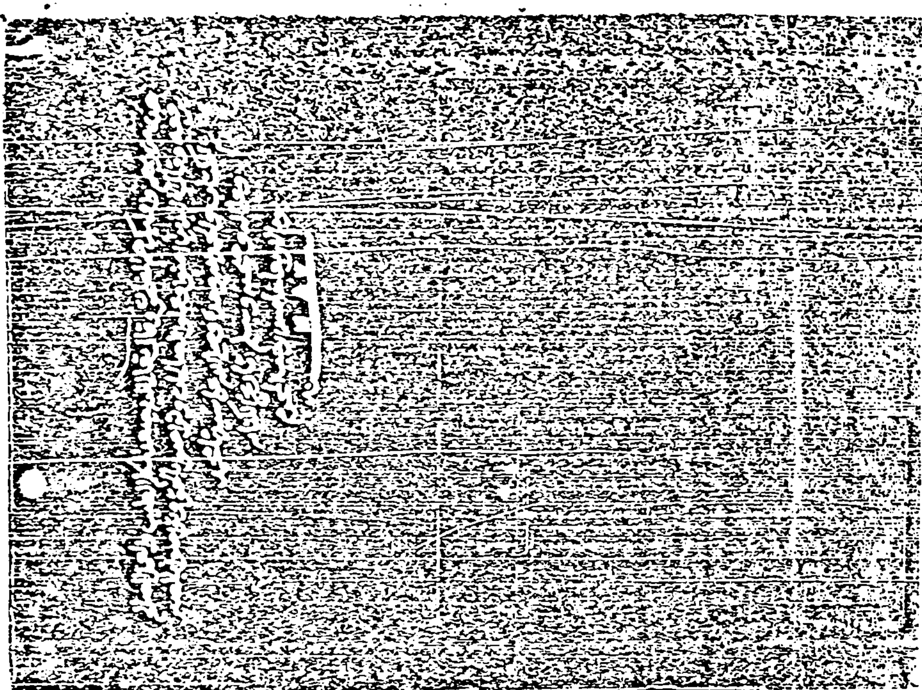


٩٧

الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة المعارف في شقراء (ش).



الورقة الأولى من مخطوطة جامعة برنستون (ب).



الورقة الأخيرة من مخطوطة جامعة برنستون (ب).

الورقة الأولى من مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (أ).

الورقة الأخيرة من مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (أ).

الورقة الأولى من مخطوطة الشيخ محمد بن سليم (ع).

الورقة الأخيرة من مخطوطة الشيخ محمد بن سليم (ع).

الفصل الثالث : دراسة تحليلية لبعض موضوعات الكتاب

الفصل الثالث : دراسة تحليلية لبعض موضوعات الكتاب :

أولاً : التمهيد:

وفيه التعريف ـ بشكل موجز ـ بالتصوف ، ونشأته ، وظهوره ، والفرق الصوفية ، وأهم ما اشتهر به المتصوفة من البدع .

١) تعريف التصوف :

أ) تعريف التصوف لغة :

الصُّــوف : للضأن ، كالشعر للغنم ، والوبر للإبل ، وجمعه أصواف ، ويقال: كبش أصوف وصوفاني أي كثير الصوف .

والصُّوفانة بقلة زَغْباء[١] قصيرة ، والصُّوفانة : المرأة الرَّعناء[٢] القصيرة أيضاً ، وأخــذت بصوفة رقبته ؛ أي الشعر المتدلي في نُقرة قفاه أو بجلدة رقبته ، وأعطاه بصوف رقبته ، أو أعطاه مجاناً بلا ثمن .

وصُــوفه : لقــب للغوث بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، سمي بذلك لأن أمه جعلت في رأسه صوفة ، وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها ، وكان أبناؤه مــن بعــده يفعلون ذلك ويفيضون بالحجاج . أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا فتشبَّكوا كتشبك الصوفة ، والصُّوفان : كل من ولى شيئاً من عمل البيت.

وصــاف الســهم عن الهدف ؛ أي عدل عنه ، ومنه قولهم: صاف عني شرُّ فلان، وأصاف الله عني شره .

والصُّــوفان : شــيء يخرج من قلب الشجر رخو يابس ، تُقدح به النار، وصوَّف الكرمُ : أي بدت نواميه [٣] بعد الصَّرام [٤] .

---

[١] الزغباء: هي التي عليها مثل الزغب ؛ وهو الشعر القصير.
انظر: لسان العرب ٢٨/٣.

[٢] المرأة الرعناء: هي الحمقاء.
نظر: لسان العرب ١١٨٧/٢.

[٣] النامية من الكرم : القضيب عليه العناقيد ، وجمعه نوامٍ ، انظر المعجم الوسيط ٩٥٦/٢ .

[٤] انظر في ذلك : جمهرة اللغة ٨٣/٣ ، وتهذيب اللغة ٢٤٧/١٢ ، ومجمل اللغة ٥٤٥/٢، والقاموس المحيط ١٦٤/٣، والصحاح ١٣٨٨/٤ ، والمخصص ٥/٢ (السفر الثامن) ، والتكملة ٥١٥/٤ ، ولسان العرب ٣/ ٤٩٤ ، وتهذيب الصحاح ٥٤٤/٢ ، وتاج العروس ١٦٩/٦ .

وبهـذا تتضـح العلاقـة بيـن المعنى اللغوي والاصطلاحي للتصوف ؛ فإن التصـوف إما أن يكون مأخوذاً من الصوف ؛ لأن الصوفية كانوا يحرصون على لبسـه ، وإما أن يكون من (صوفة) ؛ وهو الغوث بن مر ؛ بجامع لزوم المسجد ، وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل في المبحث التالي.

ب- اشتقاق الكلمة :

اختلفت أراء المؤلفين من صوفية وغيرهم ، في المصدر الذي اشتُقت منه كلمـة التصوف ، إلى عدة أقوال ، سأذكرها هنا باختصار – لاشتهار هذا المبحث وكثرة الكتابة فيه – ثم أبيِّن الرأي الراجح :

١- أنها مشتقة من الصَّفاء ؛ لصفاء قلوب أهل الطريق ، ونقاء سرائرهم [١] .
والحـق أن هذه النسبة لا تصح ؛ لأن النسبة إلى الصفاء (صفائي) وليس (صوفي) .

٢- أنهـا مشتقة من الصَّف الأول ؛ لأنهم في الصف الأول بين يدي الله [٢]، وهذا الاشتقاق غير صحيح أيضاً ؛ لأن النسبة إلى الصف (صَفّي)[٣] .

٣- أنهـا مـأخوذة من الصُّفة التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لشبه حال هؤلاء ، بما كان عليه أهل الصفة من الزهد والتقشف [٤]
وهذا الاشتقاق غير صحيح كسابقيه ، لأن النسبة إلى (الصُّفة) (صُفّي) [٥].

٤- نسـبة إلى رجل يسمى (صوفة) وهو الغوث بن مُرّ[٦] ، سمي بذلك لأن أمه جعلت في رأسه صوفة و جعلته ربيط الكعبة يخدمها [٧] .

---

[١] انظر : الرسالة القشيرية ص ٢٧٩ ، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦ ، وإيقاظ الهمم ص ٢٠ .

[٢] انظر: المرجع السابق ص ٢٧٩ ، والتعرف ص ٢٦ ، وعوارف المعارف ١٤٦/١ .

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٦/١١.

[٤] انظر: الرسالة القشيرية ص ٢٧٩، والتعرف ص ٢٧، وعوارف المعارف١٤٦/١، وإيقاظ الهمم ص٢٠.

[٥] انظر: مجموع الفتاوى ٦/١١ .

[٦] اسمه الغوث بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانت أمه لا تلد، فحلفت إن ولدت أن تجعل ولدها خادماً للكعبة، فلما آتاها الله ولداً برت بيمينها، وبقي أولاده من بعده على ذلك، حتى غلب على أمر الكعبة قصي بن كلاب. انظر في ذلك: سيرة ابن هشام ١٣٨/١.

[٧] رجح هذا القول ابن الجوزي ، انظر: تلبيس إبليس ص ١٩٩، ٢٠٠ .

وهــذه النسبة ، وإن صحت لغة ، إلا أن كتب الصوفية لم تذكرها ، وإنما ذكرها ابن الجوزي ، اعتماداً على ما ذكرته معاجم اللغة في ذلك [١] .

٥- وقــيل نســبة إلـــى (صـُــوفانة) وهي بقلة زَغْباء قصيرة ؛ سموا بذلك لاكتفائهم بأكل البقل ونحوه من نبات الصحراء .[٢]

وهو اشتقاق لا يصح أيضاً ، لأن النسبة إلى صوفانة (صوفاني) .

٦- أنها كاللقب على القوم ، وليس مُشتقة [٣]، واحتج القشيري على ذلك بقوله: (وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق) .

وهذا القول غير صحيح إذ للكلمة اشتقاق في اللغة كما سيأتي .

٧- ويرى بعض الباحثين أن الكلمة مأخوذة من أصل يوناني هو (سوفي) أو (صوفيا) والتي تعني الحكمة [٤] .

ولا أرى مشــابهة بيــن الحكمة وبين ما عليه الصوفية ، ومن المعلوم أن هذه الكلمة وردت أيضاً في تعليل تسمية الفلسفة أيضاً .

٨- أنهــم سمو بذلك نسبة إلى (الصوف) ، وهذا هو أرجح الأقوال وأقربها إلى الصواب ، وسبب هذا الترجيح ما يأتي :

١- ســلامة الاشتقاق اللغوي من هذه الكلمة ، وصحة ا لنسبة إليها ؛ إذ النسبة إلى الصوف (صُوفي) .

٢- أن لــبس الصوف أمر يكاد أن يكون من خصائص هؤلاء القوم ؛ إظهاراً للزهد والتقشف .

وقد رجح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية يقول:(واسم الصوفية هو نسبة إلى لبس الصوف ، هذا هو الصحيح)[٥]ثم ذكر الأقوال الأخرى وبين عدم صحتها.

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى ٦/١١ .

[٢] انظر : تلبيس إبليس ص ٢٠١ .

[٣] رجح هذا القول القشيري ، انظر: الرسالة القشيرية ص ٢٧٩ ، وكذا الهجويري في كشف المحجوب ١/ ٢٣٠ .

[٤] انظر: العقائد الدينية لأحمد منصور ، ص ١٩ ، وتاريخ التصوف لعبد الرحمن بدوي ص ٩-١٤ .

[٥] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٢٩ ، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٦٩/١٠، ٦/١١، ٢٩، كما رجحه ابن خلدون ، انظر: المقدمة ص ٣٨١ .

ج- تعريف التصوف اصطلاحاً :

تكاثـــرت تعـــريفات التصوف ، بحيث يتعذر إحصاؤها هنا ، بل إن للشيخ الواحـــد من مشايخ الصوفية أكثر من تعريف للتصوف ، لا يربط بينها رابط في الغالب .

وقـــد ذكـــر أبو حفص السهروردي(ت٦٣٢هـــ) أن أقوال مشايخ الصوفية في ماهية التصوف تزيد على ألف قول [١] هذا في زمن السهروردي ، فكيف بالأزمنة التالية له ، لا شك أن هذه التعاريف زادت عن ذلك كثيراً [٢] .

وســـأذكر هنا – بإيجاز– بعض تعريفات مشاهير الصوفية وغيرهم ، فمن تعريفات أئمة التصوف :

- عرفه معروف الكرخي بأنه: (الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق) [٣]
- وقـــال ذو الـــنون المصري في تعريف الصوفي: (هو من لا يتعبه طلب ، ولا يزعجه سلب) [٤].
- وعرف الشبلي التصوف بأنه:(الجلوس مع الله بلا هم)[٥].
- وعرَّف سهل التستري الصوفي بأنه: (من يرى دمه هدراً ، وملكه مباحاً) [٦].
- وعرف الجنيد بن محمد التصوف بأنه(أن تكون مع الله بلا علاقة)[٧].
- وعرفه الشيخ عبد القادر الكيلاني بأنه: (الصدق مع الحق ، وحسن

---

[١] انظر: عوارف المعارف ١٤٢/١.

[٢] نقل ابن عجيبة أن تعريفات التصوف تزيد على ألفي تعريف ، انظر: إيقاظ الهمم ص ١٧ .

[٣] الرسالة القشيرة ص ٢٨٠ ، وعوارف المعارف ١٣٨/١ وإيقاظ الهمم ص ١٦.

[٤] عوارف المعارف ١٤٠/١ .

[٥] الرسالة القشيرية ص٢٨١ ، وإيقاظ الهمم ص١٧.

[٦] الرسالة القشيرية ص ٢٨١ .

[٧] عوارف المعارف ١٣٨/١ ، وإيقاظ الهمم ص١٦.

الخُلُق مع الخَلْق) [١].

- ويعــرِّف الشيخ عبد القادر الصوفي بأنه: (من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) [٢].

ـ ومن تعريفات التصوف عند غير الصوفية :

- عــرفه ابن قيم الجوزية بأنه: (زاوية من زوايا السلوك الحقيقي ، وتزكـــية النفس وتهذيبها ؛ لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعيَّة من تحبه ، فإن المرء مع من أحب) [٣].
- وعــرفه ابن خلدون بأنه: (العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة) [٤]
- وعــرفه الجرجانـــي بأنه: (مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل)[٥].

وبعد استعراض ما سبق من التعاريف ، يظهر أن أفضلها تعريف ابن القيم رحمه الله ؛ لأنه عرف التصوف كما هو عند الصوفية بكلام واضح بيِّن ، بخلاف تعريفات المتصوفة ؛ فإنها إما أن تكون غير واضحة ، أو أنها تعبر عن ناحية من نواحي التصوف ، لا عن التصوف ككل.

كما أنه لا يخلط بين التصوف والزهد ، بخلاف ابن خلدون الذي خلط في تعريفه بينهما ، والله أعلم بالصواب.

---

[١] الغنية ١٣٩/٢.

[٢] الفتح الرباني ص٢٢٢ (المجلس التاسع والخمسون).

[٣] مدارج السالكين ٣١٧/٢.

[٤] مقدمة ابن خلدون ص٣٨١.

[٥] التعريفات ص٦٣.

٢) نشأة التصوف :

يحـــاول أكثر الصوفية الربط بين حالهم وبين حال أهل الصُّفة الذين كانوا فـــي عهـــد النبـــي صلى الله عليه وسلم ، ويقررون أن التصوف إنما هو امتداد لهؤلاء.

والحق أن لا صلة بين أهل الصفة وبين التصوف ، إذا الصفة [١]هي عبارة عـــن غـــرفة فـــي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يأوي إليها الفقراء من المهاجرين ممن لم يجد له مأوى غيرها .

وذلـــك أنـــه لما تكاثر عدد المهاجرين ، لم يعد يجد أكثرهم من يؤويه من الأنصـــار بموجـــب عقد المؤاخاة الذي أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، أول مقدمه المدينة ، فاتخذ لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصُّفة ، ريثما يجد لهما مكاناً آخر يؤويهم .

فالصفة هي إذن ما يمكن أن يسمى بالاصطلاح المعاصر (دار الضيافة) التي تُستقبل فيها أفواج المهاجرين ، حتى يتيسر لهم مكان آخر يقيمون فيه ، ولهذا لم يجتمع أهل الصفة جميعاً في وقت واحد ، بل يذهب أناس ويأتي آخرون [٢].

ومما يدل على ذلك حديث طلحة النضري[٣] أنه قال : (كان الرجل منا إذا قـــدم المدينة فكان له بها عريفٌ [٤] نزل على عريفه ، وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة ..) [٥] .

وهـــم لم يختاروا الفقر كما تزعم الصوفية ، بل إن منهم من كان فقيراً قبل إسلامه ، ومنهم من منعه قومه من أخذ ماله لما هاجر ؛ ولهذا قال الله تعالى فيهم : (**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله**

---

[١] تقع هذه الصفة في مؤخرة المسجد من الجهة الشمالية . انظر: مجموع الفتاوى ٣٨/١١.

[٢] انظر مجموع الفتاوى ٣٨/١١ ، ٤١ (بتصرف) . وانظر : تلبيس إبليس ص ٢٠١ .

[٣] طلحة بن عمرو النضري ، قال البخاري: له صحبة ، وقال ابن السكن: يقال كان من أهل الصفة. انظر: الإصابة ٤٣٣/٣.

[٤] قال ابن الأثير (العريف هو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس ، يلي أمورهم ، ويتعرف الأمير منه أحوالهم) النهاية ٢١٨/٣ .

[٥] رواه الحاكم في المستدرك ١٦/٣ (٤٢٩٠) ، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

ورضواناً ..)[١] ، فقد بيَّن الله في هذه الآية أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم ولم يتركوها اختياراً .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المتصوفة يجعلون أنفسهم امتداداً للزهاد الأوائل أمثال: أويس القرني ، وزين العابدين بن الحسين ، والحسن البصري ومالك بن دينار ، وإبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض .. وغيرهم من زهاد التابعين وتابعيهم .[٢]

وهذا الكلام مبناه على أن الزهد أدى إلى ظهور التصوف ، أو أنه مرحلة سابقة له ، وهذا غير صحيح ، إذ الزهد أمر حث عليه الشارع ورغَّب فيه ، وأما التصوف فهو بدعة محدثة في الدين ، يقول ابن الجوزي: (فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمَّه أحد ، وقد ذموا التصوف) [٣].

ومما يدل على استقلالية الزهد عن التصوف ، أن الزهد استمر قائماً حتى بعد ظهور التصوف وانتشاره ، ولو كان مرحلة أدَّت إلى التصوف لاضمحل بظهوره وقد ضرب أئمة السلف – وعلى رأسهم ابن تيمية – أروع الأمثلة في الزهد وهم من أكثر الناس محاربة للتصوف .

ولهذا نجد الغزالي ينتقد زهَّاد عصره ؛ لمبالغتهم في الالتزام بالفرائض ، ويعيب على الصوفية تفريطهم فيها [٤]، مما يدل على أن الزهد منفصل تمام الانفصال عن التصوف [٥] .

لكن السؤال هو متى إذاً ظهر التصوف ؟.

---

[١] الحشر آية (٨).

[٢] بل إن بعض مترجمي الصوفية جعلوا كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين ، وأعلام السلف كالإمام أحمد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ، من رجال الصوفية ، انظر: حلية الأولياء ٢٨/١-٨٧ ، وكشف المحجوب ٢٦٧/١-٢٧٤ ، وطبقات الشعراني ١٧/١ وما بعدها.

[٣] تلبيس إبليس ص ٢٠٤ .

[٤] انظر: الإحياء ٣٥٣/٣-٣٥٩.

[٥] انظر تفاصيل ذلك في: الفكر الصوفي ص ٦٧-٦٩ .

والجواب عليه : أن التصوف بدأ ظهوره بظهور بعض البدع في القرن الثاني ابتداء من بدعة الحب أو العشق الإلهي التي قالت بها رابعة العدوية ت(١٣٥هـ) ، ثم بدعة التَّغْبِير التي قال عنها الشافعي : (خلَّفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التَّغْبير [١] يشغلون به الناس عن القرآن) [٢] والشافعي ترك بغداد إلى مصر سنة ١٩٩هـ .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن سيرين ت (١١٠هـ) سُئل عن قوم يلبسون الصوف [٣] ، وأنه نُقل التكلم في التصوف عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) وعن سفيان الثوري (ت١٦١هـ) [٤].

وقال ابن الجوزي: (هذا الاسم (أي التصوف) ظهر للقوم قبل سنة مائتين)[٥] وهذا ما أكده ابن خلدون من أن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني [٦] .

وقال شيخ الإسلام: (وظهر أحمد بن على الهجيمي ت (٢٠٠هـ) الذي صحب عبد الواحد بن زيد [٧] ، وعبد الواحد صحب الحسن ومن اتَّبعه من المتصوفة، وبني دُوَيرة للصوفية هي أول ما بُني في الإسلام (أي للصوفية) [٨].

وهذه كلها إرهاصات لظهور التصوف ، أما التصوف على حقيقته ، فهو إنما ظهر في القرن الثالث الهجري ، وهو القرن الذي ظهر فيه أكثر أعلام التصوف أمثال : بشر الحافي (ت ٢٢٧هـ) وأبوبكر الشبلي (ت ٢٣٤هـ) ، والحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) وذي النون المصري (ت ٢٤٥هـ) والسري

---

[١] قال في اللسان : (وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيراً ، كأنهم إذا تناشدوا بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجو فسمو مغبرة ، لهذا المعنى) انظر: اللسان ٥/ ٥ ، والتغبير هو ما سمته الصوفية بعد ذلك السماع .

[٢] تلبيس إبليس ص ٢٨٣ .

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٧/١١ .

[٤] المرجع السابق ٥/١١ .

[٥] تلبيس إبليس ص ٢٠١ .

[٦] انظر: المقدمة ص ٣٨١ .

[٧] عبدالواحد بن زيد البصري، من كبار العباد في البصرة، غلبت عليه العبادة حتى غفل عن إتقان الحديث، قال عنه البخاري: تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، توفي سنة١٥٠هـ. انظر: السير١٧٨/٧.

[٨] مجموع الفتاوى ٣٥٩/١٠ .

السقطي (ت ٢٥٣هـ) ، والبسطامي (ت ٢٦١هـ) ، وسهل التستري (ت٢٨٣ هـ) ، والجنيد (ت٢٩٧ هـ) ، والحلاج(ت ٣٠٩هـ) وغيرهم كثير .

كما أنه ظهر في هذا القرن التصوف كطريق مستقل ، وأصبح الصوفية يسمون أنفسهم بذلك ، يقول الجنيد : (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات) [١] وأصبحوا يشيرون إليه كعلم مستقل يقول الجنيد: (علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طُوي بساطه منذ عشرين سنة ، وإنما نتكلم في حواشيه) [٢].

كما بدأ التأليف في التصوف في هذا القرن ، وخاصة لدى الحارث المحاسبي ، الذي يُعد كتابه (الرعاية لحقوق الله) أقدم كتب التصوف .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك) [٣]، ومقصود الشيخ القرون الثلاثة المفضلة ، وليس القرون الزمنية ؛ إذ أكثر أعلام التصوف إنما ظهروا في القرن الثالث الهجري .

٣) أهم الطرق الصوفية :

الطرق جمع طريقة وهي عند الصوفية – كما يقول القاشاني[٤] – (السَّيْر بالسِّيَر المختصة بالسالكين إلى الله ؛ من قطع المنازل والترقي إلى الله)[٥] وهي بعبارة أبسط: انتساب المريد إلى شيخ ، يسير به في مقامات الصوفية ، حتى يبلغ به درجة الولاية [٦] .

---

[١] السير ٦٩/١٤ ، والرسالة القشيرية ص ٤٣٠ .

[٢] الفتوحات الإلهية ص ١٢ ، وانظر كلاماً قريباً من هذا في الرسالة القشرية ص ٤٣١ ، ومدارج السالكين ١٤٢/٣ .

[٣] مجموع الفتاوى ٥/١١ .

[٤] عبد الرزاق بن أحمد القاشاني أو الكاشاني صوفي مفسر ، كانت له عناية بالتصنيف والتبويب ، من مؤلفاته: شرح فصوص الحكم ، واصطلاحات الصوفية، وشرح منازل السائرين ، توفي سنة ٧٣٠هـ. انظر: الأعلام ٣٥٠/٣.

[٥] اصطلاحات الصوفية ص ٦٥ .

[٦] انظر: الفكر الصوفي ص ٥٤٠ .

وقد تكاثرت هذه الطرق حتى بلغ تعدادها في مصر وحدها ٤٦ طريقة [١] ثم تفرعت هذه الطرق واستقلت بعض الفروع عن أصولها ، وظهرت طرق جديدة حتى وصل تعدادها إلى المئات بل الآلاف [٢] .

ولكل طريقة من هذه الطرق لباسها الخاص بألوانه الخاصة ، وأذكارها وأورادها وأحزابها وتسابيحها الخاصة، ومن هذه الطرق ما هو قريب إلى السنة كالسنوسية، ومنها ماهو بعيد عنها كالتيجانية ، ومنها الطرق السهلة كالشاذلية ، ومنها الطرق الصعبة كالتيجانية والرفاعية.[٣]

وسأقتصـــر هنا – خشية الإطالة – على ذكر أهم الطرق التي لازالت موجودة في الوقت الحاضر ، وذلك بإيجاز :

١- **القادريـــة** : وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني[٤] (٤٧١هـ -٥٧٨هـ) ، ونشأت في القرن السادس ومركز هذه الطريقة في بغداد ، ولها انتشار واسع في مصر وأفريقيا والهند [٥] .

٢- **الرفاعـــية** : وتنســب إلى الشيخ أحمد الرفاعي[٦] (٥١٢هـ - ٥٧٨هـ) ونشأت في القرن السادس أيضاً ، وأكثر انتشارها في العراق والشام ومصر [٧]

٣- **البدوية** : وتنسب إلى سيد أحمد البدوي[٨] (٥٩٦-٦٣٤هـ) ونشأتـــها في

---

[١] انظر: الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة ص ١٤٤ .

[٢] الفكر الصوفي ص ٥٤٠ .

[٣] انظر: الفكر الصوفي ص ٥٤١ ، والطرق الصوفية بين الساسة والسياسة ص ١٤٣، ١٤٨ .

[٤] سبقت ترجمته مفصلة في ص٤٢.

[٥] انظر : دراسات في التصوف ٢٤٩ ، والطرق الصوفية في مصر ص ٧٤ .

[٦] أحمد بن علي الرفاعي ، كان شافعيا يعرف الفقه ، قدم أبوه من المغرب ، وسكن البطائح ، وفيها ولد أحمد ، وهو من معاصري الشيخ عبد القادر ، قيل: كان كثير الاستغفار متقللاً في الملبس والمأكل ، توفي سنة ٥٧٨هـ. انظر: السير ٧٧/٢١.

[٧] المرجع السابق ص ٢١٥ ، والفكر الصوفي ص ٥٦٢ ، والطرق الصوفية في مصر ص ٦٣ ، ولهذه الطريقة مخاريق عجيبة من اللعب بالسيوف والدخول في النار وأكل الحيات وقد رد عليهم شيخ الإسلام بما كشف سترهم ، وذلك في مناظرته المشهورة لهم ، انظرها في مجموع الفتاوى ٤٤٥/١١-٤٦٧ .

[٨] أحمد بن علي بن إبراهيم البدوي ، أصله من المغرب ، قدم مصر أيام الظاهر بيبرس ، فانشرت طريقته فيها ، وأقام بها إلى أن توفي ، وأقام أتباعه ضريحا له في طنطا ، ويعتبر مولده أكبر الموالد في مصر وأكثرها انحلالاً ، توفي سنة٦٣٤هـ. انظر: الأعلام١/١٧٥.

القرن السابع الهجري ، ومركز هذه الطريقة وأكثر انتشارها في مصر ، حيث يقع ضريح البدوي هناك في طنطا [١].

٤- **الشاذلية** : وتنسب إلى أبي الحسن على بن عبد الله الشاذلي[٢] (٥٩٣-٦٥٦ هـ) وقد نشأت في القرن السابع أيضاً وأكثر انتشارها في مصر والمغرب العربي وسوريا ومن أعلام هذه الطريقة المرسي أبو العباس[٣] ، وهو من أكثر الأولياء تعظيماً بمصر في الوقت الحاضر [٤] .

٥- **الدسوقية** : وتنسب إلى إبراهيم الدسوقي[٥] (٦٣٣-٦٧٦هـ) ونشأتها في القرن السابع أيضاً وأكثر انتشارها في مصر [٦] .

٦- **البكتاشية** : وتنسب إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخرساني[٧] (٦٤٦-٧٣٨هـ) وقد نشأت في القرن السابع ، وكانت بدايتها في تركيا وفي ألبانية – حيث كان لها تأثير على السلاطين العثمانيين – ثم انتقل مركزها إلى مصر

---

[١] انظر : الطرق الصوفية في مصر ص ١٠٢ .

[٢] أبو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي ، سكن شاذلة وهي قرية بتونس، ثم رحل إلى الإسكندرية واستقر بها، فحصل بينه وبين العز بن عبدالسلام وابن دقيق العيد خلاف بسبب دعوته ، توفي بمصر سنة٦٥٦هـ ، وأوصى بالطريقة من بعده إلى مرسي أبو العباس.
انظر: الأعلام٤/٣٠٥.

[٣] أحمد بن عمر المرسي أبو العباس ، أصله من مرسية بالأندلس، صاحب الشاذلي وشيخ الطريقة من بعده، توفي بالإسكندرية سنة٦٨٦هـ، ولأهلها اعتقاد فيه إلى اليوم ، من زيارة ضريحه وإقامة مولده.
انظر: الأعلام ١/١٨٦.

[٤] انظر : دراسات في التصوف ص ٢٣٥ ، والطرق الصوفية في مصر ص ١٢٤، والمدرسة الشاذلية الحديثة ص١٧.

[٥] إبراهيم بن عبدالعزيز الدسوقي ، تفقه على مذهب الشافعي ، وسلك طريق التصوف ، وأسس له طريقة خاصة ، يروي عنه أتباعه كرامات لا تصح ، توفي سنة٦٧٦هـ، وقد عاش ٤٣سنة فقط ، ولا يزال مولده يقام إلى اليوم في مصر.
انظر: طبقات الشعراني١/١٦٥.

[٦] انظر: الطرق الصوفية في مصر ص١٥٥.

[٧] خنكار الحاج محمد بكتاش الخرساني النيسابوري ، ولد في نيسابور ، ثم سافر إلى النجف ، ومنها إلى تركيا ، حيث انتشرت طريقته هناك ، وكان لها تأثير على بعض سلاطين الدولة العثمانية ، توفي سنة٧٣٨ هـ. انظر: الفكر الصوفي ص٦٥٧هـ.

سنة ١٩٤٩م، وهي طريقة تظهر التصوف وتبطن التشييع والرفض [١] .

٧- **النقشبندية** : وتنسب إلى محمد بهاء الدين شاه الملقب بـ(نقشبند)[٢] (٧١٧ -٧٩١هـ) ، ونشأت في القرن الثامن ، وأكثر أتباعها في الهند وفي بخارى وطاشاكند وما حولها [٣] .

٨- **التيجانية** : وتنسب إلى أحمد بن محمد بن المختار التيجاني[٤] (١١٥٠- ١٢٣٠هـ) ، وقد نشأت في القرن الثاني عشر ، وأكثر انتشارها في المغرب العربي وغرب أفريقيا ومصر والسودان ، وهي من أكثر طرق الصوفية غلواً إذا أتباعها يصرِّحون بالقول بوحدة الوجود [٥] .

٩- **السنوسية** : وتنسب إلى محمد بن على السنوسي[٦] (١٢٠٢-١٢٧٦هـ) ونشأتها في القرن الثالث عشر ، وأكثر انتشارها في ليبيا وسائر بلاد المغرب العربي ، وقد تأثرت هذه الطريقة بالدعوة السلفية في الاعتقاد ، وهي من أقرب الطرق إلى السنة ، إذ تدعو إلى الجهاد وتأمر بالعمل وتنهى عن التواكل [٧] .

١٠- **الختمية** : وتنسب إلى عثمان بن محمد الميرغني الملقب بالختم[٨] (١٢٠٨ -١٢٦٨هـ) وقد نشأت في القرن الثالث عشر وأكثر انتشارها في السودان [٩] .

---

[١] انظر: الفكر الصوفي ص ٦٥٧ ، والصوفية في نظر الإسلام ص ٥٥١ .

[٢] محمد بهاء الدين شاه ، ولد في بخارى ، وأخذ التصوف عن شيخه أمير كلال ، يلقب بـ(نقشبند) ؛ لأن اسم الله ــ كما يزعمون ــ انطبع على قلبه من كثرة الذكر ، توفي سنة٧٩١هـ.

انظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية ص٧.

[٣] انظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية ص ٧ ، وما بعدها.

[٤] أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ، من غلا ة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ، كان فقيها مالكياً ، ثم تصوف وأقام بفاس ، ثم رحل منها يبشر بطريقته في سائر المغرب ، ثم عاد إليها وبقي فيها إلى أن توفي سنة١٢٣٠هـ. انظر: الاعلام١/٢٤٥.

[٥] دراسات في التصوف ص ٢٦٣، والفكر الصوفي ص ٥٤١، والتيجانية للشيخ على الدخيل الله ص ٦٤ .

[٦] سبقت ترجمته ص ٥٨.

[٧] انظر: السنوسية دين ودولة محمد شكري ص١١.

[٨] محمد عثمان الميرغني الملقب بالختم ، ولد بمكة ، وتنقل بين طرق النقشبندية والقادرية والشاذلية ، وانتهى به الأمر إلى تأسيس طريقته الخاصة ، رحل إلى السودان ؛ حيث وجدت طريقته قبولا هناك ، ثم عاد إلى مكة ، ثم طرد منها إلى الطائف حيث توفي هناك. انظر: طائفة الختمية لأحمد جيلي ص١٣-٢٠.

[٩] انظر: طائفة الختمية لأحمد محمد جيلي ص١٣ وما بعدها.

١١- **المهدية**:وتنسب إلى محمد أحمد المهدي[١](١٢٦٠-١٣٠٢هـ)وقد نشأت في القرن الثالث عشر وأكثر انتشارها في السودان أيضاً ويمثلها الآن حزب الأمة.[٢]

١٢- **البريلوية** : مؤسسها هو أحمد رضا خان بن تقي على خان[٣] (١٢٧٢-١٣٤٠هـ) الذي عاش في (بريلي) في الهند ، وقد نشأت في أوائل القرن الرابع عشر ، وأكثر انتشارها في الهند وباكستان وما جاورها .

وقد غالت هذه الطريقة في النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أوصلته إلى مرتبة قريبة من الألوهية ، كما أنها من أكثر الطرق عداء للدعوة السلفية [٤] .

هذه أشهر طرق التصوف وهناك عشرات الطرق غيرها ، وقد تفرَّعت كل طريقة إلى عشرات الطرق الأخرى ، مما عمم البلاء في هذه الأمة ، وزاد في شُقَّة الخلاف بين المسلمين .

ـ هذا ويلاحظ على الطرق الصوفية عدة أمور منها :

١- حرص الصوفية على نسبة جميع مشايخ الطرق ومؤسسيها إلى آل البيت حتى ولو لم تؤثر تلك النسبة عن هؤلاء المشايخ ، وذلك إمعاناً منهم في ترويج الطريقة عند العامة ، وإضفاء طابع الروحانية والقداسة عليها .

٢- أكثر البدع والأذكار والأوراد المخالفة للسنة والأقوال الكفرية منحولة على أصحاب الطرق ، وضعها أتباع تلك الطرق من بعدهم ، بل إن منها ما يخالف نصوصاً صريحة أثرت عن أصحاب تلك الطرق .

---

[١] محمد بن أحمد بن عبدالله المهدي ، ثائر سوداني ، ادعى أنه المهدي المنتظر ، وجمع حوله الأتباع ، وحثهم على الجهاد للاستقلال عن الدولة العثمانية ، فافتتن أهل السودان به ، وساعدوه في الوصول إلى الحكم، توفي بالجدري سنة١٣٠٢هـ. انظر: الأعلام٦/٢٠.

[٢] انظر: الحركة الفكرية في المهدية ص١١.

[٣] أحمد رضا خان بن تقي علي خان ، عاش في (بريلي) في الهند ، وكان يسمي نفسه عبدالمصطفى ، وهو رافضي خبيث أظهر الانتساب إلى السنة ، وكان فاحشاً بذيئاً ، يكثر السباب في عائشة ، والطعن في السلفية، وخاصة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، هلك سنة١٣٤٠هـ.

انظر: البريلوية: عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ص١٣ وما بعدها.

[٤] البريلوية لظهير ص ١٣ .

٣- يلاحـــظ أن أكثر مؤسسي طرق الصوفية أتوا من العراق والمغرب بينما تعتـــبر مصـــر والمغرب وأفريقيا وبلاد الهند أكثر البلاد استقطاباً للطرق الصوفية .

٤- أكـــثر الطرق المعروفة اليوم نشأت في القرن السادس الهجري فما بعده ، بينما لا نجد أثراً كبيراً للطرق [١] التي نشأت قبل ذلك [٢].

٤) أهم الانحرافات والبدع التي وقع فيها أكثر الصوفية ، وموقف شيخ الإسلام منها بإيجاز :

تعـــد الصــــوفية مـــن أكثر الفرق اشتمالاً على البدع ، وانحرافاً عن سواء السبيل،والعجيب أن هذا الانحراف حدث في وقت مبكِّر من نشأة التصوف، وذلك في القرن الثالث الهجري ، بدءاً من شطحات أبي يزيد البسطامي ت ٢٦١هـــ ، إلى دعوى الحلول التي قال بها الحلاج ت ٣٠٩هـــ .

ويمكن تقسيم هذه الانحرافات إلى قسمين :-

الأول : الانحرافات والبدع التي وقع فيها عامة الصوفية :

وهذه بدورها تنقسم إلى قسمين :-

أ- الانحرافات الاعتقادية :

ونعني بها تلك الانحرافات التي لها مساس بالعقيدة ، وهي كثيرة ، وسأذكر هنا أهمها :

١- نظرية العشق الإلهي :

تعـــود جذور هذه العقيدة إلى نظرية العشق التي قال بها الفيلسوف اليوناني أرســـطو طالـــيس ، حيـــث قـــال بـــأن سر الحركة في هذا الكون هو عشق

---

(١) من الطرق القديمة التي اندثرت (المحاسبية – والطيفورية – والجنيدية – والنورية – والسهلية – والحكيمية – والخرازية – والخفيفية – والسيارية) انظر: كشف المحجوب ٤٠٣/٢ وما بعدها .

(٢) من الطرق القديمة التي لا تزال موجودة إلى اليوم (الملامتية) والتي تنسب إلى حمدون القصار ت ٢٧١هـــ ، ولا زال لها أتباع في تركيا ، ويغلب عليهم الإباحية والاستهتار بأوامر الشرع .
انظر في هذه الطريقة: أصول الملامتية للسلمي ص١٤١، وما بعدها.

الموجـودات لجمـال الواحد (الله) فهي تتحرك إليه بالشوق حتى تنتهي على الفناء فيه[1] .

كما أن لها ارتباطاً بعقيدة الفناء عند الصوفية ؛ فالعشق الإلهي أو الحب هو وسيلة تؤدي إلى الغاية العظمى وهي الفناء في الحق .

وأول مـن تكلـم بذلك في الإسلام ــ كما هو المشهور ــ رابعة العدوية ت (١٨٥هــ) التـي قالـت : (ما عبدت الله خوفاً من الله ، فأكون كأمة السوء إن خافت عملت ، ولاحباً للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت ، ولكني عبدته حـباً له وشوقاً إليه) [2] ، لكن ذكر صاحب قوت القلوب أنه روي نحو من ذلك عن أبي حازم المدني ت (١٤٠هـ)[3] ، ثم أصبح الصوفية يرددون هذا الكلام بعد ذلـك ، وأن غاية آمال العارف ومجاهدته ليست الرغبة في جنة ، ولا الخوف من نار ، بل هي محبة الله لذاته ، ولهذا يقول البسطامي : (إن لله عباداً لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار) [4].

وهـذا الكـلام مخالف لصريح القرآن ، الذي وصف المؤمنين بأنهم يرجون رحمة الله ، ويخافون عذابه ، قال تعالى: (**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسـيلة أيهـم أقـرب، ويـرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**)[5] ، وقال سبحانه: (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) [6] .

فـالخوف من عذاب الله والرجاء لثوابه من مستلزمات المحبة له سبحانه ، يقـول شيخ الإسلام : (إذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني ، فالخوف والرجاء

---

[1] انظر في قول أرسطو في ذلك: تاريخ الفكر العربي ص١١٤-١١٥.

[2] قوت القلوب ٩٤/٢ .

[3] انظر: المرجع السابق ٩٣/٢ .

[4] قوت القلوب ٩٣/٢ .

[5] سورة الإسراء: آية (٥٧) .

[6] سورة البقرة : آية (٢١٨) .

وغيرهما تستلزم المحبة وترجع إليها ؛ فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه ، والخائف يفرُّ من الخوف لينال المحبوب) .[1]

٢ــ الحقيقة والشريعة :

يعــتقد الصوفية أن هناك حقيقة فوق الشريعة ، فالشريعة هي الالتزام بأمر الله ونهــيه وهذه تكون لعامة الناس ، والحقيقة مشاهدة الباري سبحانه والتلقي منه مباشــرة ، وهــذه إنمــا تكون للخواص ، يقول القشيري: (الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية) [2].

وهــذه الحقيقة هي علم الباطن الذي قالته الباطنية ، يقول ابن عجيبة: (فالعلم الظاهر هو علم الشريعة ، والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة) [3].

وهــي العلــم اللَّدنِّي الذي لم يُكتب – بزعمهم – في السطور، ولم تتناقله الرجال،وإنما أخذوه من الله بلا واسطة!، ولهذا يقول البسطامي في أهل الحديث : (مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[4].

وقــد أنكر عليهم هذا القول جمع من العلماء ، يقول ابن الجوزي : (وقد فرَّق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة ، وهذا جهلٌ من قائله ؛ لأن الشريعة كلُّهــا حقــائق ، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة ، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن الشرع) [5].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فمن ادَّعى علماً باطنا ، أو علماً بباطن ، وذلك يخالف العلم الظاهر ، كان مخطئاً ؛ إما ملحداً زنديقاً وإما جاهلاً ضالاً)[6].

وقال ابن القيم في العلم اللَّدنِّي: (وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ، ولــم يتقــيد بهما ، فهو من لدن النفس والهوى ، فهو لدنِّي ، لكن من لدن من ؟! وإنمــا يعرف كون العلم لدنياً رحمانياً بموافقته لما جاء به الرسول صلى الله عليه

---

[1] التحفة العراقية ص ٣٩٩ .

[2] الرسالة القشيرية ص ٨٢ .

[3] إيقاظ الهمم ١/١٩٥ .

[4] تلبيس إبليس ص ٣٩٢ .

[5] المرجع السابق ص ٣٩٤ .

[6] مجموع الفتاوي ١٣/٢٣٦ .

وسلم عن ربه عز وجل ، فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني ، ولدني شيطاني بطناوي[1] ، والمحك هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم).[2]

٣ـ الحقيقة المحمدية :

مصطلح صوفي يمثل قمة الغلوِّ في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول القاشاني في تعريف هذا المصطلح : (هي الذات مع التعيين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها وهو الاسم الأعظم) [3]، وهو تعريف لا يزيد المصطلح إلا غموضاً ، لكنه يُبيِّن مقدار غلوِّهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى خلعوا عليه صفات الألوهية ، ولهذا يقول عبد الكريم الجيلي[4] : (اعلم أن الإنسان الكامل (أي محمد صلى الله عليه وسلم) هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي) [5] .

وهذه الحقيقة تعني عند الصوفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول مخلوق ، وأنه مخلوق من نور ، يقول ابن عربي في بدء العالم : (... فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ، المسماة بالعقل ، فكان سيِّد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود ، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكليَّة) [6] .

ويستدل الصوفية على قولهم هذا بأحاديث ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أشهرها حديث : (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)[7].

---

[1] لعل مقصوده – رحمه الله – (باطني).

[2] مدارج السالكين ٤٧٦/٢ .

[3] اصطلاحات الصوفية ص ٦٠ .

[4] عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ، من أحفاد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، لكن خالفه في عقيدته ومنهجه ؛ إذ هو من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ، من مؤلفاته: الإنسان الكامل ، والكهف والرقيم، توفي سنة ٨٣٢هـ . انظر: الأعلام ٥٠/٤.

[5] الإنسان الكامل ٤٨/٢.

[6] الفتوحات المكية ٢٢٧/٢ .

[7] هذا الحديث موضوع ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما قوله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين فلا أصل له ، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث ، وهو باطل) وذكره الألباني في الضعيفة وقال عنه : =

ولا يتوقف غلو الصوفية عند هذا الحد ، بل يتعداه حتى يصبح محمد صلى الله علـــيه وســـلم هو الأصل الذي خلق منه العالم ، يقول الجيلي : (ثم إن العقل المنســوب إلى محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله جبريل منه في الأزل ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم أباً لجبريل وأصلاً لجميع العالم) [١] .

وهذا القول معتقد فاسد ، فمحمد صلى الله عليه وسلم بشر مثل سائر البشر قال تعالى : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ..**)[٢] الآية ، ولمـــا سأل الكفار النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون له جنة أو يسقط من السماء كسفاً أو يكون له بيت من زخرف أو يرقى في السماء ، كان جوابه صلى الله عليه وسلم (...**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً**) [٣].

ووصـــفه الله ســبحانه وتعالى في أكثر من موضع بأنه عبد ، قال تعالى : (**وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**) [٤] وبيَّن أن محمداً رسول مثل بقية الرسل يجري عليه الموت أو القتل قال تعالى: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم..**) [٥] .

٤) الفناء :

هو غاية الطريق الصوفي ومنتهى آمال الصوفية ، وهي عقيدة لها ارتباط وثـيق بالعشـــق الإلهي – كما سبق – إذ الصوفي يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات ، حتى ينتهي به الأمر إلى الفناء في الحق ، وإنما بعثه إلى ذلك عشقه أو حبه للحق.

=موضوع .

انظر: مجموع الفتاوى٢/٢٣٨ ، والسلسلة الضعيفة١/٤٧٣ رقم(٣٠٣).

[١] الإنسان الكامل ٢/١٨.

[٢] الكهف : آية (١١٠) .

[٣] الإسراء آية (٩٣) .

[٤] الجن : آية (١٩) .

[٥] آل عمران آية (١٤٤) .

وقـــد عرف الكلاباذي الفناء بـــ(أن يفنى عن الحظوظ ، فلا يكون له في شـــيء من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناءً عن الأشياء كلها ، شغلاً بما فني به)[1].

وقد أفاض شيخ الإسلام الكلام على الفناء ، وقسَّمه إلى ثلاثة أقسام :

الأول : فـــناء القلـــب عن إرادة ما سوى الرب ، بأن لا يريد بعبادته وتوكله واستعانته وتألُّهه إلا الله ، وهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص .

والثانـــي : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب ، وهذا هو الذي وقع فيه أكثر الصوفية ، وهو الذي عليه الكلام هنا ، وهو إنما يكون من شدة تعلق القلب بالحق فيغلـــب ذلـــك علىعقله ، فيسقط عنه التمييز ، ويقع في حالة من السكر ، وربما يتكلم بكلام كفريٍّ ؛ كسبحاني ، وما أعظم شأني ، ونحوها من شطحات الصوفية، وهذا النوع فيه نقص إذا سببه ضعف العبد عن تحمل وارد الرب .

الثالـــث : هـــو الفناء عن وجود السوى ، وهو وحدة الوجود التي قال بها ابن عربي والتلمساني[2] ونحوهم من الاتحادية ، وهو كفر بلا شك [3] .

وقد يستدل الصوفية على النوع الثاني من الفناء (فناء الشهود) بما حصل لموسى من الصعق عند تجلي الله تعالى للجبل ، أو بما كان حصل لبعض التابعين من الغشيان والصراخ والموت .

والحـــق أن حال الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل من حال موسى عليه الســـلام ، وحال الصحابة أكمل من حال التابعين ، والرسول صلى الله عليه وسلم وصـــحابته لم يحصل لهم هذا الفناء ، يقول شيخ الإسلام : (ولهذا كان الصحابة أكمل شهوداً من أن ينقصهم شهود للحق مجملاً عن شهوده مفصلاً ، ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة)[4].

---

[1] التعرف : ص ١٤٥ ، وانظر: عوارف المعارف ٣١٢/٢ .

[2] عفيف الدين سليمان بن علي الكوفي ثم التلمساني ، من غلاة الصوف القائلين بالحلول والوحدة والزندقة والكفر المحض ، كان له علم بالنحو والأدب والفقه والأصول ، من مؤلفاته: شرح أسماء الله الحسنى، توفي سنة ٦٩٠هـــ. انظر: البداية والنهاية٣٢٦/١٣.

[3] انظر : مجموع الفتاوى ٣٣٧/١٠-٣٤٣ .

[4] مجموع الفتاوى ٣٣٨/١٠ .

وقال ابن القيم : (كما كان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أرفـــع من مقام موسى عليه السلام يوم التجلي ، ولم يحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الفناء ما حصل لموسى صلى الله عليه وسلم) [١].

٥ـ الغلو في الأولياء :

لم يقتصر غلو الصوفية على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل شمل الأولياء أيضـــاً ، حـــتى وصـــل بهم الأمر إلى تفضيل الولي على النبي ، وإعطاء الولي خصائص الألوهية .

فقد قسَّم الصوفية أولياءهم إلى أقطاب وأوتـــاد وأبدال ونقبـــاء ، يقـــول الهجويـــري[٢]فـــي الأولـــياء : (هـــم أهل الحلّ والعقد ، وقادة حضرة الحق ، فثلاثمائـــة يُدعون الأخيار ، وأربعون آخرون يُسمَّون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهـــم الأبرار، وأربعون يُسمَّون الأوتاد ، وثلاثة آخرون يقال لهم النقباء ، وواحد يسمى القطب والغوث)[٣] ولكل من هؤلاء تصرف في الكون على حسب مرتبته؛ إذ أعلاهم القطب ثم الوتد ثم البدل ثم النقيب وهكذا .

والشـــيخ عبد القادر الكيلاني هو أحد الأقطاب المتصرفين في الكون ، بل هو ــ بزعمهم ــ الغوث أو الغياث الأكبر .

وقـــد زعم الصوفية أن الكون مقسَّم بين هؤلاء الأولياء ، كل يتصرف في جـــزء مـــنه ، يقـــول الغزالي: (جميع أقطار ملكوت السماوات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء ... وكل عارف له مثلها من غير أن يُضيِّق بعضهم على بعض أصلاً ، إلا أنهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم ، بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم) [٤].

---

[١] مدارج السالكين ١٨٥/٣ .

[٢] علي بن عثمان الهجويري الغزنوي ، من صوفية القرن الخامس ، ولد في غزنة بأفغانستان ، ورحل كثيراً ثم استقر في لاهور ، وتوفي بها سنة ٤٦٥هـ ، وله بها ضريح يسمى(داتا كنج بخش).
انظر: مقدمة كشف المحجوب ص٧.

[٣] كشف المحجوب ص ٤٤٧ .

[٤] إحياء علوم الدين ٢٧٠/٤.

ومن خصائص الأولياء عند الصوفية أنهم يعلمون الغيب ، بل إنهم يطلعون علـــى اللوح المحفوظ ، يقول الشعراني في أحد شيوخه: (كان محل كشفه اللوح المحفـــوظ عـــن المحو والإثبات ، فكان إذا قال قولاً لابد أن يقع على الصفة التي قال) [١].

وقـــد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية في غلو الصوفية هذا ، وبين بطلان هذه المراتب التي يدَّعونها للأولياء ، يقول : (أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النُّســـاك والعامـــة مثل الغوث الذي بمكة ، والأوتاد الأربعة ، والأقطاب السبعة ، والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة ، فهذه أسماء ليست موجودة في كتـــاب الله ، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ، ولا ضعيف يحمـــل عليه ألفاظ الأبدال) [٢] ، ويقول عن الغوث : (فأما لفظ الغوث والغيات فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين) [٣] .

وأما زعمهم تصرف الأولياء في الكون فظاهر البطلان ، يدل على بطلانه الكتاب والسنة : قال تعالى : (**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يـــردك بخـــير فـــلا راد لفضله...**) [٤] ، وقال سبحانه : (**قل من رب السموات والأرض قـــل الله ، قـــل أفـــاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا**)[٥].

أما علم الغيب فهو لله قال تعالى : (**قل لا يعلم من في السموات و الأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون**) [٦] وقال سبحانه : (**فقل إنما الغيب لله، فانتظروا إني معكم من المنتظرين**) [٧]، بل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو

---

[١] الطبقات الكبرى للشعراني ١٣٠/٢.

[٢] مجموع الفتاوى ٤٣٣/١١ .

[٣] المرجع السابق ٤٣٧/١١ .

[٤] يونس آية (١٠٧) .

[٥] الرعد : آية (١٦)

[٦] النمل: آية (٦٥) .

[٧] يونس: آية (٢٠) .

أفضـــل البشـــر لا يعلم الغيب قال تعالى: (**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ..**) [١] .

وقـــد بلـــغ الغلـــو بهؤلاء أن فضّلوا الولي على النبي فقد نقل الجيلي عن البســطامي قوله :(تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد صلى الله عليه وسلم)[٢]، وقال ابن عربي :(ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتمُّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشــريع وشــرع) [٣] كما ابتدعوا لفظ (خاتم الأولياء) ليضاهوا به خاتم الأنبياء .

وقد بيَّن شيخ الإسلام زيف قولهم هذا ، يقول رحمه الله : (وكذا لفظ خاتم الأولــياء ، لفــظ بــاطل لا أصـــل له ، وأوّل من ذكره محمد بن علي ؛ الحكيم الترمذي)[٤] .

وقـــال فـــي تفضـــيل الولي على النبي : (فأما الغلو في ولي غير النبي حتى يفضل على النبي فبطلانه ظاهر بما عُلم من نصوص الكتاب والسنة ، وما عليه إجمـــاع الأمـــة ، فـــإن الله جعل الذين أنعم الله عليهم أربعة : النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فغاية من بعد النبي أن يكون صدِّيقاً) [٥].

٦) التوسل بالأنبياء والصالحين :

من مظاهر غلو الصوفية في الأنبياء والأولياء توسلهم بهم ، واعتقادهم أن ذلـــك قُربة ، وتشنيعهم على من أنكر ذلك ، يقول تقي الدين السبكي : (اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه).[٦] ويقول الشعراني:(ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي: جعل رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم ، واســـطة بيني وبين الله تبارك وتعالى في كل حاجة طلبتها ، لأنه

---

[١] الأنعام: آية : (٥٠) .

[٢] النور من كلمات أبي طيفور(ضمن كتاب شطحات الصوفية) ص١١١.

[٣] فصوص الحكم ص١٣٥.

[٤] مجموع الفتاوى ١١/٤٤٤.

[٥] مجموع الفتاوى ١١/٣٦٤ .

[٦] شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص ١٧١ .

صـــلى الله عليه وسلم كبير الحضرة الإلهية ، فسؤالنا ربنا جل وعلا بلا واسطته سوء أدب معه صلى الله عليه وسلم)[١].

ولهذا قال البوصيري في بردته :

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتهـــا — ومن علومك علم اللوح والقلم [٢].

وقـــد كانت هذه المسألة من المسائل التي جادل فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الصـــوفية ، وأنكـــر علـــيهم ذلك ، بل إنه سُجن في المرَّة التي توفي فيها بسبب متعلقات هذه المسألة وهي (شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين) .

يقـــول شيخ الإسلام في بيان هذه المسألة : (فكل من غلا في نبي أو رجل صـــالح ... وجعل فيه نوعاً من الإلهية ؛ مثل أن يُدْعون من دون الله ... مثل أن يقـــول: يـــا ســـيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني وأجرني ... فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل) [٣].

وقد كتب شيخ الإسلام في هذه المسألة عدة كتب منها : كتاب (قاعدة جليلة فـــي التوســـل والوسيلة) ، وكتاب (الرد على البكري في الاستغاثة) ، و(الرد علـــى الإخنائي في مسألة الزيارة) وقد كتب هذه الأخيرة في سجنه بقلعة دمشق إضافة إلى العديد من الفتاوى والأجوبة .

ومـــن متعلقات هذه المسألة بناء الأضرحة على قبور الأولياء وتجصيصها وتشـــييد القباب عليها ؛ فهذا ضريح السيد البدوي ، وتلك قبة الرفاعي ، وهذا قبر الجيلاني ، وهذا مشهد الشاذلي وهكذا ، فانتشر بسبب ذلك البلاء في الأمة وتغلغل الشرك في أبناءها إلا من سلَّمه الله ، وأصبح العامة يدعون عند القبور ، ويذبحون ويـــنذرون ، ويقدمـــون القرابيـــن ، وتوقف لها الأوقاف ويُعتني بها ما لا يُعتني بالمساجد .

---

[١] لطائف المنن ص١٦٦.

[٢] الذخر والعدة في شرح البردة ص ١٥٠ .

[٣] مجموع الفتاوى ٣٩٥/٣، وانظر : التوسل للألباني ص ٤٦ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثير من هؤلاء (أي الصوفية) يُخرِّبون المســاجد ويعمــرون المشاهد ، فنجد المسجد الذي بُني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من الناس ، وكأنه خان من الخانات ، والمشهد الذي بني علي الميت عليه السُّتور ، وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدوا وتروح إليه ، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله تعالى وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك)[١].

هــذه بعــض انحرافاتهم ، ومنها أيضاً : الذوق والكشف ، والقول بسقوط التكاليف عن الواصل ، وجريانهم مع القدر ، وسيأتي الكلام عليها في المسائل .

ب- الانحرافات العملية :

وهي التي تتعلق بالعبادات والسلوك،مع ارتباطها بالمعتقد أيضاً، وهي كثيرة منها :

١) السماع :

بدعـــة أخرى من بدع الصوفية ، ومهزلة من مهازلهم ، وقد كانت بدايتها إنشاد القصائد الزهدية الملحنة ، بصوت عذب جميل ، وهو ما يسمى (التَّغْبِير) ، ثــم صارت تُنشد فيه قصائد الغزل ، وذكر الفراق والوصال والحب والشوق ، ثم أدخلــت فــيه بعد ذلك المعازف من دُفٍّ ومزمار ونحوها ، ثم أدخل فيه متأخروا الصوفية من المعازف ما لا يحصى .

وقــد أبــاح أكــثر الصوفية السماع ، يقول القشيري : (وأعلم أن سماع الأشــعار بالألحان الطيبة، إذا لم يعتقد المستمع محظوراً فهو مباح في الجملة)[٢] هــذا في السماع من غير معازف ، وأما السماع المصحوب بالمعازف فإنما أباحه متأخروا الصوفية دون متقدميهم .

على أن أوائل الصوفية قد كرهوا السماع حتى وإن لم تصحبه المعازف ، وفــيهم مــن سمعه ثم تركه كالجنيد ، يقول السهروردي: (وقيل إن الجنيد ترك

---

[١] الرد علي البكري ٢/٦٧٣ ، وانظر : كلام العلامة الألباني في (تحذير الساجد) فقد أشفى وأكفى .

[٢] الرسالة القشيرية ص ٣٣٦ ، وانظر : كشف المحجوب ٢/٦٤٧-٦٥٣ ، والفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ١٨٤ .

السماع) [1]، ثم اشتد بعد ذلك النكير من الجنيد على السماع يقول : (إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية للبطالة). [2]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في السماع : (وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه ؛ فلم يحضره إبراهيم بن أدهم ، ولا الفضيل بن عياض ، ولا معروف الكرخي ، ولا أبو سليمان الداراني ، ولا أحمد بن أبي الحواري[3] ، والسري السقطي وأمثالهم، والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم، وأعيان المشايخ عابوا أهله ، كما فعل ذلك عبد القادر والشيخ أبي البيان ، وغيرهما من المشائخ) [4].

ومما يصحب السماع من المنكرات التواجد والتصفيق والرقص والصياح ، وتمزيق الثياب وغيرها من المنكرات ، وقد أنكر جمع من أوائل الصوفية ذلك ، يقول القشيري: (كان شاب يصحب الجنيد ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مرة أخرى لا تصحبني) [5] .

وقال شيخ الإسلام في ذلك: (واتِّخاذ الضرب بالدف والغناء والرقص عبادة هو من البدع التي لم يفعلها سلف الأمة) [6] ، وقال رحمه الله: (ويُعلم أن هذا السماع المحدث هو من جنس سماع المشركين ، وهو إليه أقرب منه إلى سماع المسلمين).[7]

---

[1] عوارف المعارف ١٩/٢ .

[2] المرجع السابق ١٩/٢، والرسالة القشيرية ص ٣٤٤ .

[3] أحمد بن عبد الله بن ميمون الثعلبي الغطفاني الدمشقي ، أصله من الكوفة ، سكن الشام ، فكان شيخاً لأهله، روى عنه أصحاب السنن ، صحب أبا سليمان الداراني مدة ، وتأله وتنسك ، وكان كثير البكاء والخوف من الله تعالى ، توفي سنة ٢٤٦هـ.
انظر: السير ٨٥/١٢.

[4] مجموع الفتاوى ٥٦٩/١١-٥٧٠ .

[5] الرسالة القشيرية ص ٣٤٥ ، وكشف المحجوب ص ٦٥٦ .

[6] مجموع الفتاوى ٦٠٤/١١ .

[7] المرجع السابق ٥٩٧/١١ ، وانظر كلام الموفق بن قدامة في (ذم ما عليه مدعوا التصوف) ، ص ٦ وما بعدها .

٢) الأذكار والصلوات البدعية :

لم يرض الصوفية بما شرعه الله ورسوله من أذكار ، حتى ابتدعوا لأنفسهم أذكـــاراً وأدعـــية وصلوات ما أنزل الله بها من سلطان ، بل إن كثيراً منها يخالف الكتاب والسنة ومنها ما هو كفر صراح .

ويـــبدأ المريد بقول (لا إله إلا الله) وهي ذكر العوام ، وأما ذكر الخاصة فهو (الله الله) ، وأما خاصة الخاصة فذكرهم (هوهو) .

وقد تكلم شيخ الإسلام عن هذه المسألة يقول : (فأما الاسم المفرد مظهراً مثل (الله الله) ، أو مضمراً مثل (هوهو) : فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ، ولا هـــو مـــأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم ، وإنمـــا لهج به قوم من ضلال المتأخرين...) [١]، ثم يقول : (وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة) [٢].

ومـــن عجيب ما يجب أن يصحب الذكر عند الصوفية ، إغماض العينين ، والإقبال بالوجه جهة قبر شيخ الطريقة ، وإمساك إبهام الرجل باليد ، ونحوها من الهيـــئات التـــي تخـــتلف باختلاف الطريقة ، لكن مما وقع الإجماع عليه وجوب الاهـــتزاز عند الذكر ، يقول أحد المتصوفة : (أجمعوا على أنه ينبغي للمريد إذا ذكـــر الله تعـــالى أن يهتز من فوق رأسه إلى أسفل قدميه ، وهذه حالة يستدل بها على أنه صاحب هِمَّة ويرجى له الفتح عن قريب) [٣].

ومـــن أدعيتهم الكفرية دعاء يظهر وحدة الوجود صراحة ، وهو (...اللهم انشـــلني من أوحال التوحيد ، وأغرقني في بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس إلا بها) [٤] .

---

[١] مجموع الفتاوى ٥٥٦/١٠ .

[٢] المرجع السابق ٥٥٧/١٠ .

[٣] ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص ٤٣ .

[٤] نقلا عن: إلى التصوف يا عباد الله للجزائري ص٣٩.

ومــن دلائــل ضلال القوم في هذا الباب تفضيلهم لأذكارهم المبتدعة على سائر الطاعات ، فقد زعم التيجاني أن صلاة (الفاتح لما أغلق) تعدل ستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة من هذه الستمائة ألف ، بأربعمائة غزوة [١] .

بل قد وصل الضلال بهم أن أدخلوا الطلاسم والشعوذة في دعائهم ، فيقول أحدهم : (إذا أردت جلب الهارب والسارق فقص شخصين من ورق واكتب على الشخص المطلوب هكذا : أبارخ ٣يورخ أنوش ٣صورخ بارخ ٣باروخ ٣..) [٢] إلى آخر ما ذكره من الطلاسم نسأل الله السلامة .

٣)السياحة :

وهي في عرف الصوفية الخروج إلى الفلاة ، لا إلى جهة معيَّنة ، مع عدم اتخــاذ رفــيق أو صاحب في السفر ، وعدم استصحاب الزاد والراحلة [٣] ، وهم يعدون ذلك قربة إلى الله ، وكلما عانيت من المشقة ، كلما كان أجرك أعظم .

يقــول الشــعراني:(وممــا من الله تبارك وتعالى به علي: سياحتي في الجبال والبراري ، حتى قطعت براري ما أظن أن أحدا يعرفها من أقراني)[٤].

والحــق أن الســياحة بهذه الكيفية بدعة محدثة في الدين ، بل قد ورد في السنة النهي عن السياحة ، صراحة ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه : (أن رجلاً قــال يــا رسول الله : ائذن لي في السياحة ، قال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) [٥].

وقــد وضع الله الحج عمن لا يجد الزاد والراحلة ، وهي أحد ما فسرت به الاســتطاعة فــي قولــه تعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه**

---

[١] جواهر المعاني لعلي برادة ١/١١٤ .

[٢] دراسات في التصوف ص٢٠٠ ، نقلا عن : الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية ، على الطندتائي ص ٣١ .

[٣] تلبيس إبليس ص ٣٦٣ .

[٤] لطائف المنن ص٢٢٦.

[٥] رواه الحاكم في المستدرك ٢/٨٣ (٢٣٩٨) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، وأبو داود في سننه ٣/٥(٢٤٨٦) كتاب الجهاد ، باب النهي عن السياحة ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/١٦١ .

سبيلاً...) [١]، فكيف يُتصور بعد هذا أن يكون الخروج من غير زاد لغير غرض معلوم ، قربة إلى الله .

يقول شيخ الإسلام: (وكذلك السياحة في البلاد لغير مقصود مشروع ، كما يعانيه بعض النساك أمر منهي عنه ، قال الإمام أحمد : ليست السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين)[٢].

٤) الموالد :

وجـــه آخر من وجوه غلو الصوفية في الأنبياء والأولياء ، وقد كان مبتدؤه على أيدي حكام الدولة العبيدية الإسماعيلية الرافضية ، في القرن الرابع الهجري ، حيــث أحدثــوه ضمن موالدهم الكثيرة ؛ كمولد علي ومولد فاطمة ومولد الحسن ومولد الحسين [٣] .

ثم تلقفت الصوفية هذه البدعة ، وأضافوا إليها موالد أخرى للأولياء ومشايخ الطرق ، كمولد الجيلاني ، ومولد السيد البدوي ، ومولد الشاذلي ، ومولد المرسي أبو العباس وغيرها كثير .

أمـــا ما يحصل في هذا الموالد من المنكرات ، فيصفه الجبرتي بقوله عن المولـــد العفيفي[٤] : (ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم .. فيملـــئون الصـــحراء والبســـتان ، فيطئون القبور ... ويتغوَّطون ، ويزنون ، ويلوطـــون ، ويلعـــبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً ... ويجـــتمع لذلـــك الفقهـــاء والعلماء ... ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء ، والتجار والعامـــة مـــن غـــير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قُربة وعبادة ، ولو لم يكن ذلك لأنكره العلماء ، فضلاً عن كونهم يفعلونه ، فالله يتولى هدانا أجمعين) [٥].

---

[١] آل عمران آية(٩٧).

[٢] مجموع الفتاوى ٦٤٣/١٠.

[٣] انظر : صبح الأعشى ٤٩٨/٣-٤٩٩ ، والخطط للمقريزي ٤٩٠/١.

[٤] نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المالكي ، من شيوخ الصوفية بمصر في عصره ، ولد بعفيف وهي قرية بمصر ، وإليها ينسب ، وقد كان تصوفه على الطريقة الشاذلية توفي سنة ١١٧٢هـــ. انظر: عجائب الآثار للجبرتي ٣٠٣/١.

[٥] عجائب الآثار ٣٠٤/١ .

ويقول أحد الباحثين في وصف المولد البدوي : (لقد أصبح مولد البدوي ، والموالد الأحمدية أكبر بؤرة للفسادة في مصر الملموكية)[1].

وقد تكلم شيخ الإسلام عن بدعة المولد ، وبين فسادها يقول : (وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال أنها ليلة المولد .. فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها والله سبحانه وتعالى أعلم)[2].

٥) تعطيل فريضة الجهاد :

كانت للصوفية وقفات مُخْزية في المواقف الجهادية ، تمثلت في النكوص عن الجهاد في سبيل الله ، وعدم مواجهة العدو؛ لأنه مُسلَّط من الله على المسلمين، فيجب الرضا بقضاء الله وقدره ، جرياً مع فهمهم المنحرف للإيمان بالقدر .

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك موقف الغزالي عند سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين سنة ٤٩٢هـ ، حيث لم يُحرِّك ساكناً ، لا بالجهاد بنفسه ، ولا بلسانه ، ولا بقلمه ، بل عكف على الحديث عن الصحو والمحو والسكر والفناء والشطح! ، مع أنه عاش بعدها مدة ١٣عاماً[3] .

كما كان للصوفية مواقف مشابهة من الغزو المغولي ، ومن الحروب الصليبية ، ومن الاستعمار في العصر الحديث ، ولهذا كان الاستعمار حريصاً على إمدادهم بما يحتاجون من أموال ودعم سياسي وأمني[4].

ولم يكتفِ الصوفية بهذا ، بل راحوا يثبطون عزائم المسلمين ، ويبثُّون الوهن والعجز بينهم ، ويحثُّونهم على ترك الجهاد ، زاعمين أن أكبر الجهاد جهاد النفس ،ويستدلون على ذلك بحديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر).

---

[1] السيد البدوي بين الحقيقية الخرافة ص ٣٣٧، وانظر ما أورده من النقول التي تبين ما يحصل في مولد البدوي والموالد الأخرى من الانحلال الخلقي ص٣٢٣-٣٣٧.

[2] مجموع الفتاوى ٢٩٨/٢٥ .

[3] انظر: هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ص١٧٠ (الهامش)

[4] الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة ص ٤٣-٤٩ ، وهذا الحكم عام لأغلب الصوفية ، وإن كان يوجد لبعض الطرق عناية بالجهاد ؛ كالسنوسية والمهدية الذين كان لهم دور كبير في مقاومة الاستعمار.

وقـد أجـاب شـيخ الإسلام عن الحديث السابق بقوله : (وأما الحديث الذي يـرويه بعضـهم أنه قال في غزوة تبوك : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجاهد الأكـبر ، فـلا أصل ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله)[١] .

٦) **ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :**

مما اشتهر عن الصوفية اعتقادهم حُرمة الاعتراض أو الإنكار من المريد علـى الشيخ حتى ولو رآه يفعل كبيرة من كبائر الذنوب ، ويعدُّون ذلك من حسن الأدب مع الشيخ ، بل ويفاخرون بخفض الجناح للفسقة والعصاة!.

يقـول الشـعراني: (ومما من الله تبارك وتعالى به علي: خفض جناحي لفسقة المسلمين ؛ كالحشاشين والمقامرين والظلمة ، ولا أحتقر في نفسي أحداً منهم)![٢].

ويقول ابن عجيبة:(مراد الله من الخلق ما هم عليه ، فإذا أقام الله عبدا في مقام من المقامات ؛ فالواجب على العارف أن يُقرَّه فيه بقلبه كائناً ما كان ، وإن كان لا تسلِّمه الشريعة)[٣].

فمن أمثلة ذلك ما حكاه النبهاني[٤]عن أحد الأولياء أنه كان لا يستر عورته فمر يومـاً علـى رجل فخطر على قلبه الإنكار عليه ، يقول النبهاني: (فما تم له هذا الخاطـر إلا وقـد وجد نفسه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف شاء ، ويقول : انظر إلى قلوبهم ولا تنظر إلى فروجهم) [٥] .

---

[١] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٣٤-١٣٥ ، وقال في كشف الخفاء، نقلاً عن ابن حجر:" هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عليَّة " كشف الخفاء١/٥١١.

[٢] لطائف المنن ص٢٤٦.

[٣] إيقاظ الهمم ص٨٦.

[٤] يوسف بن إسماعيل النبهاني الشاذلي ، من متأخري الصوفية ، ولد بحيفا ، وتعلم في الأزهر ، ثم سافر إلى الآستانة ثم إلى بيروت ، وعمل بالقضاء هناك ، ثم سافر إلى المدينة وجاور بها ، ثم عاد إلى قريته وتوفي بها سنة ١٣٥٠هـ.

انظر: الأعلام٨/٢١٨.

[٥] جامع كرامات الأولياء ٢/٣٧٨ .

ولا يقتصـــر عـــدم الإنكار على معاصي الشيخ ، بل على معاصي العامة أيضـــاً ، فقد ذكر النبهاني أيضاً أن أحد المريدين رأى رجلاً من الجند يدخل إلى مراحيض المسجد ومعه صبي أمرد فقال المريد: (ضاقت عليه الدنيا وما وجد إلا الجـــامع) فرد عليه الشيخ: (ما فضولك وما دخلك يا كذا كذا ، وسبَّني وشتمني وقال : لا تعترض ومالك وذاك) [1].

يقول شيخ الإسلام في إنكار ذلك منهم : (وكثير ممن يدعي المحبة ، وهو أبعـــد مـــن غيره عن اتباع السنة وعن الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر ، والجهـــاد فـــي ســـبيله ، و يدَّعي مع هذا أن ذلك أكمل طريق المحبة من غيره ؛ لـــزعمه أن طريق المحبة لله ليس فيها غيرة ولا غضب لله ، وهذا خلافٌ لما دلَّ عليه الكتاب والسنة) [2].

٧) الإعراض عن العلم الشرعي :

أورث تقســـيم الصـــوفية الديـــن إلـــى شريعة وحقيقة ، واعتقادهم بالذوق والكشـــف والعلـــم اللدنِّي ، أورثهم ذلك الإعراض عن العلم الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة .

ولعـــل أكـــثر العلوم التي أهملها الصوفية ، هو علم الحديث ، عجزاً منهم وكســـلاً عن حفظ الأحاديث وتتبع أسانيدها ، واستغناء بما يزعمونه من الكشوفات والإلهامـــات التي يعارضون بها الوحي ، ولهذا صار جهل كثير منهم في معرفة صـــحيح الحديـــث وضـــعيفه مُطْبَقاً ، فَحَشَوا كتبهم من الأحاديث الضعيفة ، بل والموضوعة مما يعلم لدى طالب العلم الناشئ ناهيك عن العالم .

والحـــق أن الصـــوفية متفاوتون في ذلك؛فمنهم من كان من علماء عصره؛ كالشيخ عبدالقادر الكيلاني،ومنهم من كان يحث على طلب العلم،يقول الكلاباذي : (فأول ما يلزم العبد، الاجتهاد في طلب هذا العلم وإحكامه على قدر ما أمكنه) [3].

---

[1] المرجع السابق ٤١٤/١ .

[2] التحفة العراقية ص ٤٤٧ .

[3] التعرف ص ١٠٢ .

ويقول ابن عجيبة في شرف طلب الحديث : (وأحسن المذاهب في فضائل الأعمـال مذهب المُحدِّثين ، إذ لا يأخذون إلا بما صحَّ ، أو قارب الصحيح ، فلا يأخذون بموضوع ولا بما قوي ضعفه) [١].

بيـنما نجـد في المقابل أن من أعلامهم من كان أمياً [٢] ومنهم من اشتغل بـالعلم ، ثم لَبَّس عليهم الشيطان فتركوا العلم ، وقالوا: ما المقصود إلا العمل ، ثم عمدوا إلى كتبهم فمنهم من أحرقها ، ومنهم من ألقاها في البحر ، كما صنع أحمد بـن أبـي الحواري ، الذي طلب العلم مدة ثلاثين سنة ، ثم ألقى كتبه في البحر ، وكما فعل موسى بن هارون[٣] حيث كان إذا فرغ من جزء رمى بأصله في دجلة وقال: قد أدَّيته.[٤]

ولهـذا كـانوا ينهون المريدين عن مصاحبة العلماء والأخذ عنهم فهذا أحد المريديـن يذهب إلى عباس الدوري[٥] ليأخذ عنه العلم ومعه أوراق يكتب فيها ، فلمـا رآها أحد الصوفية سأله: (ايش هذا معك ، قال فأريته إياه ، فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ، ثم حرق الأوراق)[٦].

ولا شـك أن هذا الفعل من الصوفية هو من تزيين الشيطان لهم ، وإلا فإن فضـيلة طلـب العلـم في الإسلام معروفة مشهورة ، والأدلة متوافرة من الكتاب والسنة على ذلك مما لا يسع المجال هنا لذكره [٧] .

---

[١] الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ٨٤-٨٥ .

[٢] من هؤلاء : حامد الدباس شيخ الجيلاني ، وعبد العزيز الدباغ صاحب كتاب الإبريز ، والخواص شيخ عبد الواهب الشعراني وغيرهم كثير .

[٣] موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان البغدادي البزار ، من كبار محدثي بغداد في عصره ، قال عنه الخطيب البغدادي: " ثقة حافظ " ، وكان كثير الحج ؛ يقيم ببغداد سنة ويجاور بمكة سنة، توفي سنة ٢٩٤هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٦٦٩/٢.

[٤] انظر : تلبيس إبليس ص ٣٩٥-٣٩٦ .

[٥] عباس بن محمد بن حاتم الدوري الهاشمي مولاهم ، ثقة ، وأحاديثه رواها أصحاب السنن الأربع ، وقد كان من أصحاب يحيى بن معين ، توفي سنة ٢٧١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٢٩/٥.

[٦] تلبيس إبليس ص ٣٩٩.

[٧] انظر : كلام شيخ الإسلام في ذلك في مجموع الفتاوى ٣٩٥/١١-٤٠٠ .

القسم الثاني : الانحرافات والبدع التي وقع فيها بعض الصوفية :

ليس من العدل تعميم البدع التي وقع فيها بعض الصوفية لتشمل جميع الصوفية ، لذا كان من الإنصاف إفراد هذه البدع بمبحث خاص ، تمييزاً لها عن غيرها ، وأهم هذه الانحرافات والبدع ما يأتي :

١) وحدة الوجود :

وحدة الوجود ــ عند الصوفية ــ مصطلح يعني: أن الله وحده هو الوجود الحق ، والعالم مجموع المظاهر التي تُعلن عن ذات الله ، دون أن يكون لها وجود قائم بذاتها[١] .

وهذا يعني أن الله مُنْبثٌ وموجود في كل شيء في هذا الكون ؛ من إنسان أو حيوان أو نبات ، بل حتى الكلاب والخنازير والقاذورات ، بل ما هذه الأشياء إلا الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد كان ابن عربي ت (٦٣٨هـ) هو أول من صرح بوحدة الوجود في الإسلام ، يقول في ذلك : (ومن أسمائه الحسنى (العلي) على من؟ ، وما ثم إلا هو، فهو العلي لذاته ، أو عن ماذا ؟، وما هو إلا هو فعلوُّه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العليّة لذاتها ، وليست إلا هو)[٢].

ثم ردد كلام ابن عربي معاصره ابن الفارض (ت٦٣٢هـ) والذي تسميه الصوفية (سلطان العاشقين) يقول في قصيدته التائية :

وهاأنا أبدي في اتحادي مبدئي ... وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي

جَلَتْ[٣]في تجلِّيها الوجود لناظري ... ففي كل مرئى أراها برؤية

ولا غرو أن صلى الأنام إليّ أن ... ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي [٤]

ثم جاء بعدهما تلميذا ابن عربي : ابن سبعين (ت٦٦٧هـ) والتلمساني (ت

---

[١] انظر: المعجم الفلسفي لمراد وهبة ص٤٦٩.

[٢] فصوص الحكم ص ٧٦ .

[٣] أي الذات الإلهية .

[٤] ديوان ابن الفارض ص ٦٦ (التائية الكبرى) .

٦٩٠هـ) فنافحا عن عقيدة شيخهما وأظهراها ، يقول ابن سبعين عن الله : (هو عين كل ما ظهر فحُق له أن يتسمى بالظاهر ، وهو معنى كل معنى فحُق له أن يتسمى بالباطن)[١].

ولحق بركب الإلحاد الصوفي عبد الكريم الجيلي(ت ٨٣٢هـ) يقول :(وأما استيلاء الرحمن فتمكنه..بحكم الاستواء المنزه عن الحلول والمماسة ، وكيف يجوز الحلول والمماسة وهو عين الموجودات)[٢].

وقد بيَّن شيخ الإسلام كفر هؤلاء الملاحدة وأنهم أعظم كفراً من اليهود والنصارى ، يقول – رحمه الله – فيهم : (وهكذا هؤلاء الاتحادية فرؤوسهم هم أئمة كفر يجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم ، إذا أُخذ قبل التوبة ، فإنهم من أعظم الزنادقة)[٣] ، وقال عن ابن عربي : (هذا وهو أقرب إلى الإسلام من ابن سبعين ومن القونوي[٤] والتلمساني وأمثاله من أتباعه ، فإذا كان الأقرب بهذا الكفر الذي هو أعظم من كفر اليهود والنصارى فكيف الذين هم أبعد عن الإسلام ، ولم أصف عُشر ما يذكرونه من الكفر)[٥].

وقد كتب شيخ الإسلام رسالة في الرد على ابن عربي وهي (الرد الأقوام على ما في فصوص الحكم) ، وكتب (الحج النقلية والعقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية) وكتب جواباً في (حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود) رد بهما على أهل وحدة الوجود ، كما كتب رسالة إلى نصر المنبجي الذي كان يغالي في ابن عربي[٦] ، بيَّن له فيها حاله ، كما كانت بينهما ردود

---

[١] رسائل ابن سبعين ص ١٩٠ .

[٢] الإنسان الكامل ٢٨/١.

[٣] مجموع الفتاوي ١٣١/٢-١٣٢ .

[٤] محمد بن إسحاق الملاطي ثم القونوي ، ربيب ابن عربي(تزوج ابن عربي أمه) وتلميذه ، كان شافعي المذهب ، وكان بينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في مسائل الفلسفة ، وهو من القائلين بوحدة الوجود، من مؤلفاته: اللمعة النورانية ، وإعجاز البيان ، توفي سنة ٦٧٢هـ. انظر: طبقات الشافعية ١٩/٥.

[٥] مجموع الفتاوى ١٣١/٢ .

[٦] انظر هذه الرسائل في المجلد الثاني من مجموع الفتاوى في الصفحات(على التوالي) ٣٦٢-٤٥١ ، ٢٨٦-٣٦٢ ، ١٣٤-٢٨٥ ، ٤٥٢-٤٨٠.

عـــندما كـــان الشيخ في دمشق وبعد سفره إلى القاهرة حيث كان نصر المنبجي ، وكتب في الإسكندرية (بغية المرتاد) رد فيها على ابن سبعين .

هـــذا وقد أدى القول بوحدة الوجود بأهله إلى القول بصحة عبادة أي شيء فـــي الكـــون ســـواء كان حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً ، ولهذا فإن قوم نوح وصـــالح وهـــود ولوط مؤمنون حقاً ، وبنوا إسرائيل لما عبدوا العجل فإنهم إنما عبدوا الله [1] .

بـــل إن فـــرعون عـــند ابن عربي مؤمن كامل الإيمان ، يقول : (ولما كان فـــرعون فـــي منصب التحكم صاحب الوقت ، وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العـــرف الناموسي ؛ لذلك قال : (أنا ربكم الأعلى) ؛ أي وإن كان الكل أرباباً ، بنسبة ما ، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم .. فصحَّ قوله أنـــا ربكـــم الأعلى) [2] ، ويقول عن فرعون: (فنجَّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ، ونجَّى بدنه .... فقد عمَّته النجاة حساً ومعنى) [3]

وقد تكلم شيخ الإسلام على هذه المسألة بقوله : (وقد عُلم بالاضطرار من دين أهل الملل ؛ المسلمين واليهود والنصارى ، أن فرعون من أكفر الخلق بالله) [4] ، ويقـــول رحمه الله في ابن عربي وزمرته : (ويكفيك معرفةً بكفرهم أن من أخفِّ أقوالهم أن فرعون مات مؤمناً بريأً من الذنوب) [5].

ونقـــل البقاعـــي تكفير ابن الفارض ومن على شاكلته عن أكثر من أربعين عالماً ، فيهم العز بن عبد السلام، وابن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، وابن جماعة، وتقي الدين السبكي ، والذهبي ، وابن كثير وغيرهم [6] .

---

[1] انظر : فصوص الحاكم ص ١٩٢ .

[2] فصوص الحكم ص ٢١٠ .

[3] المرجع السابق ص ٢١٢ .

[4] مجموع الفتاوى ١٢٥/٢ .

[5] المرجع السابق ١٢٥/٢ .

[6] انظر : تحذير العباد من أهل العناد (ملحق بكتاب تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي) ص ٢١٤ .

٢) الحلول :

الحلول يعني أن روح الله حلَّت في بعض الأجسام التي اصطفاها واختارها، فانقلبـت هذه الأجسام البشرية إلى آلهة تسير على الأرض [١] ، وهي فكرة قديمة قال بها الهندوس والبوذيون ، ومن أشهر من قال بها النصارى ، الذين زعموا أن الإله (الابن) حل في جسد المسيح عليه السلام ، كما يحل الماء في الكأس[٢] .

ويُعـد البسطامي ت (٢٦١هـ) أول القائلين بالحلول في الإسلام ؛ إذ هو صـاحب الشطحات المشهورة : (سبحاني – وما أعظم شأني – وما في الجبة إلا الله) [٣] ، ويقـول البسطامي مؤكداً حلول الله فيه : (رفعني الله مرة فأقامني بين يديـه وقـال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت: زيِّني بوحدانيتك وألبسـني أنانيـتك وارفعنـي إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك ، قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا هنا) [٤].

لكن أشهر من قال بالحلول هو الحلاج (ت٣٠٩هـ) وإليه ينسب الحلول عـند إطلاقه ، وهو أكثر من نافح عنه حتى قتل بسبب مقولته الكفرية هذه ، يقول الحـلاج فـي ذلك : (يا هو أنا ، وأنا هو ، لا فرق بين إنيَّتي وهويَّتك إلا الحدث والقدم) [٥]وهو القائل :

ألا أبلغ أحبائـي بأنـــي   ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي   ولا البطحا أريد ولا المدينة [٦]

ويقول الحلاج أيضاً:

أنا أنت بلا شـك   سبحانك سبحانـي

---

[١] انظر : التصوف بين الحق والخلق ص٦١، وانظر تعريفات أخرى في: التعريفات ص٩٧.

[٢] الجواب الصحيح ٧٩/٤ ، والتصوف بين الحق والخلق ص٦٣.

[٣] انظر: ميزان الاعتدال ٤٧٤/٣، والنور من كلمات أبي طيفور للسهلجي(ضمن كتاب شطحات الصوفية) ص١١١.

[٤] اللمع للطوسي ص٤٦١.

[٥] جمهرة الأولياء للمنوفي ١٧١/٢ .

[٦] ديوان الحلاج ص ٣٤ .

توحيدك توحيدي وعصيانك عصياني[1]

وقــد بيــن شيخ الإسلام اتفاق الأمة على تكفير من قال بالحلول ، يقول : (وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به ، وإن البشــر يكــون إلهــاً ، وهــذا من الآلهة ، فهو كافر مباح الدم ، وعلى هذا قُتل الحلاج)[2].

ولهــذا فقد تبرَّأ من الحلاج أكثر الصوفية ، ولم يذكره القشيري في رسالته من مشايخ الطريق ، يقول شيخ الإسلام : (وما نعلم أحداً من أئمة المسلمين ذكر الحلاج بخير ، لا من العلماء ولا من المشايخ)[3].

علــى أن ابــن عجيبة يرى أن من كفَّر الحلاج وتبرأ منه وأفتى بقتله من مشايخ الطريق ، لم يكن باعثهم لذلك الإنكار لقوله، بل لأنه أفشى السرَّ لغير أهله، يقــول ابن عجيبة: (وممن أفتى بقتله الجنيد والشبلي ، غيرةً على السر أن يفشى لغير أهله ، فالواجب كتم الأسرار وإظهار شريعة النبي المختار)[4].

والحــق أن هــذا الكلام لا يسلَّم له ، لأنه قد علم ما عند متقدمي الصوفية ومنهم الجنيد والشبلي من الأمانة والصدق والورع ، ما يمنعهم من استحسان مثل هذه العقائد الباطلة ، وقد أثنى عليهم شيخ الإسلام في أكثر من موضع ، وبيَّن أن أكثر ما ينسب إليهم منحول عليهم وهم منه براء ، مع أن ابن عجيبة لم يذكر نصاً عن الجنيد وغيره من المتقدمين في استحسان قول الحلاج ، والله أعلم بالصواب .

٣) الانحلال والإباحية :

مــن العجيب أن الصوفية الذين يظهرون الزهد في الدنيا وترك الملذات ، وقــع كثــير منهم في الإباحية والفجور ، فهم بعد أن أعرضوا عما أباحه الله لهم ترفعاً وورعاً ، وقعوا فيما حرمه الله عليهم .

---

[1] إيقاظ الهمم ص٢٦٠.

[2] مجموع الفتاوى ٤٨١/٢ .

[3] المرجع السابق ٤٨٣/٢ .

[4] الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ٢٥٩ .

ويظهــر هذا جلياً فيما يُفعل في الموالد من الفسق والفجور والزنا وشرب الخمور ، كما يظهر في صحبة الأحداث بدعوى إصلاحهم وهدايتهم إلى الطريق ، وفي الخلوة بالنساء بحجة إلباسهن الخرقة وتلقينهن عهد الطريقة .

فمــن ذلــك ما ذكره الشعراني عن أحد شيوخ الصوفية ، وهو أبو خودة ، يقول : (وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسَّس علــى مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ، ولو كان يحضره والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس)[١]وقد عدَّ الشعراني ذلك من كرامات الرجل.

ولــم تسلم حتى الدواب من فُحش وفجور هؤلاء، يقول الشعراني عن علي وحــيش وهو أحد شيوخهم : (كان رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا (وهو خان تجتمع فيه البغايا) وكان كل من خرج يقول له : قف حتى اشفع فيك قــبل أن تخــرج فيشــفع فيه .. وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يُنْزله من على الحمــارة ويقــول له : أمســك رأســها حتى أفعل فيها، فإن أبى الشيخ تسمَّر في الأرض لا يســتطيع يمشــي خطوة ، وإن سمح له حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه)[٢]

وقد بلغت الجرأة بأحد مشايخ الصوفية ، أن وقف على المنبر يخطب الناس عاريــاً ، يقول الشعراني عن إبراهيم العريان : (ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كــان يطلــع المنبر ويخطبهم عارياً ، فيقول : السلطان ودمياط ، وباب اللوق بين الصورين، وجامع قولون، والحمد لله رب العالمين) [٣]ويعلِّق الشعراني على هذه الخطبة فيقول : (فيحصل للناس بسط عظيم) [٤].

وقد أدى هذا السُّعار الجنسي بهم إلى القول بأن أكمل شهود الإله إنما يكون في جسد المرأة ، يقول ابن عربي : (فشهوده (أي الرجل) للحق في المرأة أتم

---

[١] طبقات الشعراني ٢/١١٩-١٢٠.

[٢] المرجع السابق ٢/١٢٩-١٣٠.

[٣] المرجع السابق ٢/١٢٤.

[٤] المرجع السابق ٢/١٢٤.

وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل مُنفعل)[١]وقد جعل هذا الشهود علَّة لحب النبي صلى الله عليه وسلم للنساء ، يقول: (فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ، لكمال شهود الحق فيهن)[٢] ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

وقــد أنكــر شيخ الإسلام على الصوفية ما اعتادوه من صحبة المُرْدان من الأحداث يقول: (أما صحبة المردان ، على وجه الاختصاص بأحدهم كما يفعلونه (أي الصوفية) مع ما ينظمُّ إلى ذلك من الخلوة بالأمرد الحسن ، ومَبِيْتِه مع الرجل ونحــو ذلــك ، فهــذا من أفحش المنكرات عند المسلمين وعند اليهود والنصارى وغيرهم) [٣].

ويقــول ــ رحمــه الله ــ فـــي خلوتهم بالأجنبية : (وكذلك مؤاخاة المرأة الأجنبــية بحيث يخلو بها ، وينظر منها ما ليس للأجنبي أن ينظره ، حرام باتفاق المسلمين ، واتخاذ ذلك ديناً وطريقاً كفر وضلال) [٤].

هذه بعض دلائل إباحية الصوفية وما خفي كان أعظم ، فلا عجب بعد هذا أن يؤمَّها أصحاب الشهوات ومدمنوا الموبقات ، ومجترحوا الفواحش والسيئات ، ويجدوا عند بعض مشايخها مطلبهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

[١] فصوص الحكم ص ٢١٧ .

[٢] المرجع السابق ص٢١٧.

[٣] مجموع الفتاوى ٥٤٢/١١ .

[٤] المرجع السابق ٥٤٦/١١ .

ثانياً / مباحث الكتاب :

وهـــي عبارة عن تسع مباحث ، منها ما هو مرتبط ببعض ، ومنها ما هو فـــرع عن بعض ، وقد تصرَّفت في ترتيبها بحسب ترابط معانيها ، وسأعتمد هنا علـــى كلام شيخ الإسلام في كتابه الذي أحققه ، ثم كلامه في سائر كتبه ، مع عدم إغفال الاستعانة بكتب الصوفية أو غيرها عند الحاجة إلى ذلك :

المبحث الأول : حال العبد بين الفعل والترك والرضا :

بدأ الشيخ – رحمه الله – بشرح قول الشيخ عبد القادر : (لابد لكل مؤمن فـــي سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله ونهي يجتنبه ، وقدر يرضى به ..) الـــخ ، وهذه هي المقالة الأولى من كتاب (فتوح الغيب) ، وقد أراد الشيخ بذلك التأكـــيد على مسألة (لزوم الشرع للعبد في كل حال) ، وهذه المسألة ومتعلقاتها من المسائل ، شغلت الجزء الأكبر من هذا الكتاب .

وأصـــل ذلك أن الله إنما خلق الخلق لعبادته ، قال تعالى : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [١] وأمر الله الناس بعبادته في أكثر من موضع في القرآن ، قـــال تعـــالى :(**يـــا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**)[٢] وقال سبحانه : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ..**)[٣] الآية ، وقال تعالى : (**...وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**) [٤][٥].

كمـــا بيَّن سبحانه أن العبادة هي مُقتضى دعوة جميع الرسل ، قال تعالى : (**ولقـــد بعثـــنا فـــي كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)[٦] ، وقال ســـبحانه: (**ومـــا أرســـلنا مـــن قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا**

---

[١] الذاريات آية : (٥٦) .
[٢] البقرة آية : (٢١) .
[٣] النساء آية : (٣٦) .
[٤] يس آية : (٦١) .
[٥] مجموع الفتاوى ٥٤٦/١٠.
[٦] النحل آية : (٣٦) .

فاعــبدون) [1] وأخـــبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب أنهم قالوا لأقوامهم : **(...اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ...)**[2][3].

ومـــا أشار إليه الشيخ عبد القادر من وجوب امتثال أمر الله واجتناب نهيه والصـــبر على أقداره هو ما جاء به القرآن الكريم ، قال تعالى : **(وإن تصبروا وتـــتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ..)** [4] وقال سبحانه : **(وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)** [5]، وقال عز من قائل : **(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)** [6][7] .

فالـــتقوى تتضـــمن فعل المأمور به ، وترك المنهي عنه والصبر يتضمن الصـــبر علـــى المقدور ، قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية الأولى : (وأما قولـــه : وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، فإنه يعني بذلك جلّ ثناؤه : وإن تصـــبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه .. لا يضركم كيدهم شيئاً ..) [8].

علـــى أن هذه الأمور الثلاثة هي في الحقيقة راجعة إلى امتثال الأمر ؛ أما فعـــل المأمور فرجوعه إلى الأمر واضح ، وأما ترك المنهي عنه ، فإن العبد إذا توفرت له أسباب المعصية فإنه مأمور بتركها والإعراض عنها ، وأما الصبر فإن العـــبد إذا ابتلـــي بالمرض أو الفقر أو الخوف أو غيرها من أقدار الله فإنه مأمور بالصـــبر عليها ، قال تعالى: **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأمـــوال والأنفس والثمرات وبشِّر الصابرين)** [9] وقال سبحانه : **(واصبر وما**

---

[1] الأنبياء آية : (٢٥) .

[2] هود الآيات ٥٠، ٦١ ، ٨٤ ، والمؤمنون آية ٢٣ ، والأعراف الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ .

[3] انظر: مجموع الفتاوى ٤٥٧/١٠.

[4] آل عمران أية : (١٢٠) .

[5] آل عمران آية : (١٨٦) .

[6] يوسف آية : (٩٠) .

[7] انظر: مجموع الفتاوى ٤٥٦/١٠.

[8] جامع البيان ٦٨/٤ .

[9] البقرة آية : (١٥٥) .

صبرك إلا بالله ..) [1] وقال آمراً المؤمنين : **(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** [2][3].

وفي هذا أبلغ الردِّ على الصوفية في انحرافهم في الإيمان بالقدر ، حيث ظنوا أنه يقتضي أن يسير العبد مع الأقدار حيث سارت ؛ بحيث يكون سلبياً ، أو كما يعبرون عنه: بأن يكون مع الله كالميت مع الغاسل ، حتى ولو كان هذا القدر كفراً أو نفاقاً أو فسقاً ، وهذا خلاف الصواب ، فالمؤمن يتبع الأمر في كل حال ؛ حتى فيما يتعلق بالأقدار ، فلا يسوغ له أن يترك الأمر فيها ويستسلم للقدر ؛ لأن التزام الأمر واجب على العبد في كل حال ؛ فمن اتباع الأمر في الأقدار الصبر عليها، ومنه الحب والإرادة للإيمان والطاعة ، والبغض والترك للكفر والمعصية ، فعلم بذلك أن مطلق التسليم للأقدار لا يجوز.

- أفعال الرب التي لا اختيار للعبد في وقوعها :

من المعلوم أن على العبد الصبر والرضا والتسليم بأقدار الله ، لكن هذا على سبيل الإجمال ، أما على سبيل التفصيل ، فإن هذه الأقدار التي تقع من غير اختيار العبد تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم العبد مأمور بحبه والإعانه عليه ؛ ومثاله: ما لو حصل الجهاد في سبيل الله ، ولم يكن العبد مأموراً به كفرض عين ، فإنه يكون مأموراً حينئذٍ بإعانة المجاهدين بماله ودعائه، وكذا إعانة المحسنين على إحسانهم، وحب عملهم والرضا به ، وإذا وقع ظلم بعبد كان مأموراً بنصرته بحسب الاستطاعة ، وإذا وقعت مصيبة بأخيه كان مأموراً بتعزيته ونحو ذلك .

٢- وقسم العبد مأمور ببغضه ودفعه ؛ مثل الكفر والفسوق والعصيان ، فإنها وإن كانت من قدر الله إلا أن العبد مأمور ببغضها وإنكارها بحسب الإمكان ، ولا يسوغ له الرضا بها ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) النحل آية : (٥) .

(٢) آل عمران آية (٢٠٠) .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٤٥٧-٤٥٨.

(مــن رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [1].

وهذيــن القســمين لا يسوغ فيهما الرضا والتسليم ، وأن يكون العبد فيهما كالميــت مع الغاسل أو كالطفل مع الظئر ، بل لابد أن يكون المسلم فيهما إيجابياً ؛ أما الأول فبحبه والإعانة عليه ، وأما الثاني فببغضه وإنكاره .

٣- وهــو الذي لا يؤمر فيه العبد بالحب ولا بالبغض ؛ ومثاله: ما يفعله غيره مــن المباحات التي لا يستعان بها على الطاعة أو المعصية ؛ مثل إذا أكل غــيره أو شــرب أو نــام ولم يكن في نيته الاستعانة بذلك على طاعة أو معصية ، فإن العبد لا يؤمر هنا بحب ذلك الفعل أو بغضه[2] .

ـ هل الأمر والنهي يتناول المباح ؟

تكلمــنا فيما سبق عن لزوم الأمر والنهي في الشريعة وأنه لا يسوغ للعبد الجــريان مــع القدر في ذلك ، فهل المباح يتناوله الأمر والنهي ، أم أن للعبد أن يسير فيه مع المقدور ، بحيث إذا تيسرت له أسباب مباح فعله ، باعتباره من قدر الله ، وإن لم تتيسر له أسبابه لم يفعله ، حتى لا يعارض القدر .

لكن لابد قبل هذا من التعريف بالمباح :

المــباح في اللغة : من بَاح يبُوح بَوْحاً وإباحَة ، وهو يطلق على الظهور والإعلان ، تقول : باح بسِّره : أي أظهره ، كما يعني الإطلاق والإذن ، تقول : أباح الشيء: إذا أطلقه وأذن فيه ، واستباح الشيء : إذا أذن لنفسه فيه [3] .

والمــباح اصــطلاحاً : ما أذن الله سبحانه في فعله وتركه غير مقترن بذم فاعله وتاركه ولا مدحه [4]

---

[1] رواه مسلم ، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ٦٩/١ رقم(٤٩).

[2] انظر: مجموع الفتاوى ٤٥٩/١٠-٤٦٠.

[3] انظر: لسان العرب ٤١٦/١، والمعجم الوسيط٧٥/١.

[4] روضة الناظر ١٩٤/١ ، وانظر: تعريفات أخرى للمباح في المستصفى ٦٦/١ ، والإحكام للآمدي ١/ ١٢٣ ، والمسودة لآل تيمية ١٠٠٦/٢ .

ونعـود إلى سؤالنا هل المباح مأمور به؟ ؛ فالذي عليه جمهور العلماء من فقهـاء وأصـوليين أن المـباح مـن حيث هو مباح ليس مأموراً به ؛ لأن الأمر استدعاء وطلب ، والمباح مأذون فيه ومطلق غير مستدعى ولا مطلوب .

وذهـب الكعبي من المعتزلة وغيره إلى أن المباح مأمور به ؛ لأنه ما من مـباح إلا ويشـتغل به العبد عن محرم ، وترك المحرم واجب ، ولا يمكنه تركه حتى يشتغل بضده من المباح ، فيكون المباح حينئذٍ واجباً مأموراً به.

وبـناء علـى ذلك أنكر الكعبي المباح في الشريعة ؛ لأن العبد إذا تلبَّس به صار واجباً مأموراً به ، لاشتغاله به عن المحرَّم [١] .

وقـد أجاب شيخ الإسلام عن شبهة الكعبي هذه بأن القول : أن النهي عن شـيء أمر بضده ، والأمر بشيء نهي ضده – وهو ما استدل به الكعبي على أن المباح مأمور به – شبيه بقولنا : الأمر بالشيء أمر بلوازمه ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وهذا صحيح .

لكن الأمر بأضداد المحرم ولوازم الواجب ، ليست مقصودة لذاتها ، وإنما جـاء الأمر بها تبعاً للأمر بترك المحرم وفعل الواجب ؛ ولهذا فإن العبد إذا فعل المحـرم وتـرك الواجب عوقب على ذلك ، ولا يعاقب على ترك أضداد المحرم ولـوازم الواجـب ؛ مثال ذلك : ما لو ترك البعيد عن مكة الحج ، وتركه القريب مـنها ، فمـن المعلوم أن قطع المسافات بينه وبين مكة مأمور به ، باعتباره من لوازم المأمور به ، كما أن ثواب البعيد أعظم من ثواب القريب من الحرم ، ومع هذا فإنهما إذا تركا الحج لم يكن عقاب البعيد أعظم من عقاب القريب ، ولو كانت الأضـداد واللوازم مأموراً بها لذاتها ، لكان عقاب البعيد أعظم ؛ لأنه ترك واجباً أكبر [٢] .

---

[١] انظر : المستصفى للغزالي ٧٤/١ ، والإحكام للآمدي ١٢٤/١ ، وروضة الناظر ٢٠٣/١ ، والمسودة ١/ ٨٨ .

[٢] انظر: مجموع الفتاوى ٥٣١/١٠-٥٣٢ ، وانظر كلام ابن قدامة في ذلك ، في روضة الناظر ١٨٠/١- ١٨٥ .

لكــن لــيس معــنى هذا أن المباح لا يتعلق به أمر ولا نهي ، بل إن النية والقصد لها مدخل عظيم في هذا الباب ، وبيان ذلك كما يأتي :

١- إذا اســتعان العــبد بالمباحات على طاعة الله فإنها تكون حينئذٍ مأموراً بها ومثاباً عليها ؛ ومثال ذلك: ما إذا استعان العبد بالنوم والأكل والشرب على الفــرائض مــن صــلاة وصوم وحج ونحوها ، أو على عمل واجب أو مستحب ، فإنه يثاب على ذلك، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص:(وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك)[1]

٢- إذا اشتغل العبد بالمباحات عن الوقوع في الحرام ، كان ذلك المباح مأموراً بــه ، بــل واجباً ؛ كمن يشتغل بالنظر إلى زوجته ووطئها عن النظر إلى الأجنبــيات ، وعــن الوقوع في الزنا ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (وفــي بُضْــع أحدكــم صدقة ، قالوا: يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون لها فيها أجر ، قال أريتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ، فكذلــك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)[2] ، لكن لا يسمى المباح في هــذه الحالــة واجــباً لذاته ــ كما يقول الكعبي ــ بل وجوبه هنا وجوب الوسائل ؛ ولهذا لا يعاقب العبد على تركه ، مع أنه يثاب على فعله.

٣- أن العبد مأمور بفعل ما يحتاج إليه من المباحات والتي يترتب على تركها ضــرر في الدين أو النفس أو المال أو العرض ، وذلك كمن اضطر إلى الأكــل من الميتة ، فإنه مأمور بالأكل منها ، ويجب عليه ذلك ، ولو ترك الأكــل مــنها حــتى ذهبــت نفسه كان مستوجباً للوعيد ، قال مسروق : (من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار إلا أن يعفوا الله عنه) [3].

---

[1] رواه البخاري ، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خوله ٢١١/٣ رقم(١٢٩٥).

[2] رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢ رقم(١٠٠٦).

[3] تفسير القرطبي ٢٣٢/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٧٩/١ .

وأمـــا ما لا يحتاج إليه العبد من المباحات ، أو احتاج إليه ولكن لم تصحبه نية تجعله حسنة يثاب عليها ، فالأولى للعبد تركه ، وهذه هي حال المقربين والسابقين فإنهم لا يفعلون من المباحات إلا ما صاحبه نية تجعله طاعة[1].

والحـــق أنه لا يُتصوَّر شيء من المباحات لا يمكن الاستعانة به على طاعة أو الاشتغال به عن معصية ، ولهذا حرَّم الله سبحانه اللهو الذي لا يمكن الاستعانة به علـــى الطاعـــة كالمعازف ، وكاللعب بالنرد ، وقال عليه الصلاة والسلام : (كل شـــيء مـــن لهـــو الدنـــيا بـــاطل إلا ثلاثة ؛ انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق) [3].

وخلاصـــة القول أنه ليس هناك من أفعال المكلف ما يستوي وجوده وعدمه ، بحيـــث يســـوغ للعـــبد أن يسير فيه مع القدر ، بل ما كانت مصلحته راجحة كان مأموراً به وجوباً أو ندباً ، وما ليس كذلك كان منهياً عنه تحريماً أو كراهة .

ثـــم لو فرضنا جدلاً أن من أفعال المكلف ما لا يتعلق به أمر أو نهي ، فإنه إن فعلـــه لم يحمد عليه وأن لم يفعله لم يحمد كذلك ، لكن لا يسير العبد فيه مع القدر ويجعـــل ذلك منقبة له – كما تزعم الصوفية – بأن كان مع الله كالميت مع الغاسل والله أعلم.

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى ١٠/٤٦٠-٤٦٣.

[3] رواه الحاكم في المستدرك ٢/١٠٤.

المبحث الثاني : الفناء عن الإرادة وحقيقة التوكل على الله :

يرتــبط هذا المبحث بالإيمان بالقدر والتوكل على الله ، لذا كان لزاماً بيان عقيدة الصوفية فيهما ، قبل ذكر كلام شيخ الإسلام في ذلك :

أ- الإيمان بالقدر :

١) تعريفه لغة واصطلاحاً :

القَدْر لغة : بسكون الدال يطلق على التضييق ومنه قوله تعالى : (**وأما إذا ما ابــتلاه فقدر عليه رزقه**) [١] وعلى القياس ، تقول: قدره به قدْراً إذا مكانه ، وبفتح الدال يطلق على الحكم والقضاء ومنه حديث : (فاقدره لي ويسره لي)، وعلـــى الطاقة والوسع ومنه قوله تعالى : (**على الموسع قدره وعلى المقتر قدره**)[٢][٣].

الإيمـــان بـــالقدر اصـــطلاحاً : هو الإيمان بتقدُّم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقديرٍ منه وخلق لها خيرها وشرها) [٤] .

٢) عقيدة الصوفية في الإيمان بالقدر :

يقوم اعتقاد الصوفية في باب القدر على أساس الرضا والتسلم لكل مقدرات الله ســـواء كانت خيراً أو شراً ، إيماناً أو كفراً ؛ لأن كل ذلك إنما وقع بقدر الله ، ولـــو لم يرضه الله ما قدَّره ، فلما رضيه الله لنا ، وجب علينا الرضا والتسلم بما رضيه الله لنا وعدم إنكار شيء من ذلك أو محاولة تغييره .

ولهـــذا كـــثر في كلام شيوخ الصوفية الحثُّ على التسليم للأقدار ، وترك الاختـــيار ، وعـــدم منازعة النفس لقضاء الله وحكمه ، يقول الحارث المحاسبي :

---

(١) الفجر آية : (١٦) .

(٢) البقرة آية (٢٣٦) .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥ ، ولسان العرب ٣٠/٥ .

(٤) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص ١٤٥ ، وانظر تعريف السفاريني في لوامع الأنوار البهية ٢٤٨/١ .

(الرضـــا سكون القلب تحت جريان الحكم) [1] وقال أبو علي الدّقاق :(الإنسان خزف ، وليس للخزف من الخطر ما يعارض منه حكم الحق تعالى) [2].

وممـــا يؤكـــد أن معتقد الصوفية في القدر هو ترك الاختيار والجريان مع القـــدر ، قول أبي الحسن الشاذلي: (لا تختر من أمرك شيئاً ، واختر ألا تختار، وفر من ذلك المختار) [3].

ولهـــذا فإن الصوفية يرضون بما يحصل منهم من قلة في الطاعات جرياناً مع القدر ، وظناً منهم أن الله رضي منهم ذلك ، يقول الشعراني : (ومما منّ الله تـــبارك وتعالى به علي : رضاي عن ربي إذا قسم لي اليسير من الطاعات ، كما أرضـــى عنه إذ قسم لي اليسير من الرزق) ، ثم يقول : (فعُلم أن كل من اعتمد على فضل الله تبارك وتعالى لا يتكدر من نقص طاعاته) [4]

كمـــا يحب الصوفية وقوع المعصية ويرضون بها لأنها وقعت بقدر الله ، ويســـاوون بينهما وبين الطاعة في الرضا والمحبة ، يقول الشعراني : (ومما من الله تباركِ وتعالى به علي : رضاي عنه تبارك وتعالى إذا قدَّر عليَّ معصية ، كما أرضى عنه تعالى إذا قدر لي الطاعة) [5].

وكثير من الصوفية إذا وقع في محنة لم يحاول تخليص نفسه ، بل ينتظر قدر الله فـــيه ، فقـــد حكى الهجويري: (أن درويشاً وقع في دجلة ولم يكن يعرف السباحة فقـــال له رجل على الشاطئ : أتريد أن أنبه أحداً ليخرجك؟ ، قال لا ، فقال أتريد أن تغرق؟ قال : لا ، فقال له : ماذا تريد إذاً ؟ قال : ما يريده الحق لي ، ما شأني بالإرادة)[6].

---

[1] التعرف ص ١١٨ ، والرسالة القشيرية ص ١٩٦ ، وكشف ا لمحجوب ٤٠٧/٢ .

[2] الرسالة القشيرية ص١٩٦.

[3] إيقاظ الهمم ص ٣٧ .

[4] لطائف المنن للشعراني ص ٣٠٤ .

[5] المرجع السابق ص ٢٥٣ .

[6] كشف المحجوب ٤٠٨/٢ .

ويـــرى الصوفية وجوب الرضا بالقضاء ، حتى ولو كان ذلك القضاء هو دخول النار ، يقول رويم[1] : (الرضا أنه لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره) [2] .

وســـبب اعتقاد الصوفية هذا أنهم ظنوا أن كلما قضاه الله وقدره فإنه يحبه ويرضاه ، وهذا باطل ، لأن ما قضاه الله كوناً ، لا يلزم أن يريده شرعاً ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على أقسام الإرادة .

ب- التوكل على الله :

١) تعريف التوكل لغة واصطلاحاً :

التوكل لغة : يقال وكَلَ إليه الأمر أي سلَّمه ، ووكَّل فلان فلاناً : إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه ، وتوكَّل بالأمر؛ إذا ضمن القيام به. [3]
الـــتوكل اصـــطلاحاً : حـــال للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما لم يشأ لم يكن ، وإن شاءه الناس [4].

٢) عقيدة الصوفية في التوكل :

يـــرى الصوفية أن التوكل على الله يعني ترك الأخذ بالأسباب والانطراح بين يدي الله ، وترك التدبير والانخلاع من الحول والقوة .

ويعـــبِّرون عن حال الإنسان مع الله حينئذٍ ، بأنها كحال الميت مع الغاسل ، والطفل مع الظئر ، أي أنه ليس له إرادة أو تصرف البتَّة، بل يُقلِّبه الله كيف يشاء، من غير اعتراض من العبد .

---

[1] رويم بن أحمد البغدادي ، من مشايخ الصوفية ببغداد ، تفقه على مذهب الظاهرية ، وكان له علم بالقراءات ، توفي سنة ٣٠٣هـ.
انظر: الرسالة القشيرية ص٣٩٠ ، والسير ٢٣٤/١٤.

[2] الرسالة القشيرية ص ١٩٥ .

[3] انظر : لسان العرب ٩٧٧/٦ ، والمعجم الوسيط ١٠٥٤/٢ .

[4] مدارج السالكين ٨٢/١.

وكـــلام الصـــوفية كثير في ذلك ، يقول السري السقطي : (التوكل: الانخلاع مـــن الحول والقوة) [١] ، ويقول سهل التستري : (التوكل: الاسترسال بين يدي الله) [٢]ويقول سهل أيضاً : (أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يُقلِّبه كيف شاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير) [٣].

ويبيِّـــن ابن عجيبة معنى كون الصوفي مع الله كالميت مع الغاسل يقول في درجات التوكل : (الدرجة الثالثة وهي أعلاها : أن يكون بين يدي الله تعالى مثل الميت بين يدي الغاسل، لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية، كما تحرك يد الغاسل الميت) [٤].

والمـــتوكل عـــند الصـــوفية يجب أن لا تكون له إرادة ولا تدبير ولا تعلُّق بالأســـباب أصـــلاً ، يقول ابن عجيبة : (فإن قلت هل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن المقام الثالث (أي من مقامات التوكل) ينفي التدبير رأساً ما دامت الحالة باقية ، بل يكون صاحبها كالمبهوت) [٥].

وقـــد أورث اعـــتقاد الصـــوفية هذا ، أن تركوا التكسب وطلب الرزق ، وأصـــبحوا يعـــتمدون في معاشهم على التسول واستجداء الناس أو ما يسمونه بـــ (الكُدْية) ، حتى قال الشبلي : (التوكل كدية حسنة) [٦].

كمـــا أورثهم ذلك أيضاً الخروج في السفر من غير زاد أو راحلة ، وترك التداوي زعماً منهم أن ذلك هو من تحقيق التوكل على الله .[٧]

---

[١] التعرف ص١١٨ .

[٢] المرجع السابق ص ١١٨ .

[٣] الرسالة القشيرية ص ١٦٣ .

[٤] الفتوحات الإلهية ص ٢٣٦ .

[٥] المرجع السابق ص ٢٣٧ .

[٦] التعرف ص ١١٩ .

[٧] انظر في ذلك : الرسالة القشيرية ، ص ١٦٦-١٧٣ ،وتلبيس إبليس ص ٣٤٠-٣٥١ .

ج – رد شيخ الإسلام على الصوفية في انحرافهم في القدر والتوكل :

يبيِّن شيخ الإسلام أن الصوفية انحرفوا في فهم الإيمان بالقدر ؛ إذ ظنوا أنه يقتضي الرضا والتسليم لكل المقدورات ، وهذا خطأ ظاهر ، إذ الرضا بالقضاء ثلاثة أقسام :

١- الرضا بالطاعات : فهذا طاعة مأمور به ، لأن الله يرضى الطاعات ويحبها ، قال تعالى : (**ورضيت لكم الإسلام ديناً**) [١] وقال سبحانه : (**وإن تشكروا يرضه لكم**) [٢] .

٢- الرضا بالمصائب:فهذا مأمور به أيضاً قال تعالى:(**والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**)[٣].

٣- الرضا بالكفر والفسوق والعصيان: فهذا منهي عنه ، بل المأمور به هو كره ذلك وبغضه ؛ لأن الله لا يحبه ولا يرضاه ، ولهذا أنكر الله على المؤمنين رضاهم عن المنافقين لما أتوا ليعتذروا ، قال تعالى : (...**فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**)[٤][٥].

فالذي على المسلم هو الرضا عن الله والرضا بما رضيه وأحبه ، والكره والبغض لما أبغضه الله وكرهه ، وأما الاسترسال مع القدر ، والخلو عن الإرادة مطلقاً ، فهذا غير مأمور به شرعاً ولا هو ممكن وواقع عقلاً .

فأما الشرع فإن الله امتدح أهل الإرادة لما يحبه الله ويرضاه ، قال تعالى : (**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**)[٦]،

---

[١] المائدة: آية (٣) .
[٢] الزمر: آية (٧) .
[٣] البقرة : آية (١٧٧) .
[٤] التوبة : آية(٩٦).
[٥] انظر: مجموع الفتاوى١٠/ ٤٨٢-٤٨٣.
[٦] الإسراء : آية (١٩) .

وقال سبحانه : (**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**)[١]
وقال: (**وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكوراً**)[٢]
وقال جل وعلا: (**ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون**) [٣].

كما وصف الله الأنبياء والصالحين بهذه الإرادة ، فقد قال الله عن نوح أنه قال لقومه : (**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم**) [٤] وحكى عن شعيب أنـــه قال : (**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ..) [٥] وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم : (**إن أراد النبي أن يستنكحها** ..) [٦]وأخبر عن الخضر عليه السلام أنه قال:(**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها**)[٧][٨].

والله سبحانه لم يأمر العبد بأن يكون مريداً لكل الحوادث ، بل أمره بإرادة أمور وحبها ، وترك أمور وبغضها ، قال تعالى : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**)[٩] وقـــال سبحانه : (**قل أمر ربي بالقسط** ...) [١٠] وقال تعالى : (**...قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون**) [١١].

وأمـــا امتـــناع ذلك عقلاً ، فإن الإنسان مفطور على حب وإرادة ما يلائمه وعلـــى بغض وترك ما ينافره ؛ فهو يحب الصحة والغنى والأمن ويكره المرض والفقـــر والخوف ، قال تعالى : (**زُيِّـــن للناس حب الشهوات من النساء والبنين**

---

[١] الروم : آية (٣٩) .
[٢] الفرقان : آية (٦٢) .
[٣] الروم : آية (٣٨) .
[٤] هود : آية (٣٤) .
[٥] هود : أية (٨٨)
[٦] الأحزاب : آية (٥٠) .
[٧] الكهف : آية (٧٩) .
[٨] انظر: مجموع الفتاوى ٤٩٥/١٠.
[٩] النحل : آية (٩٠) .
[١٠] الأعراف : آية (٢٩) .
[١١] الأعراف : آية (٢٨) .

والقناطـــير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ..). [1]

كما أن الإنسان إذا جاع فإنه يحب الطعام الذي يقتات به ، ولا يحب التراب ولا يمكن أن يكون التراب والطعام عنده سواء ، وكذلك المؤمن فإنه يحب الإيمان والطاعات ويكره الكفر والمعاصي ، كما أنه يحب العافية ويكره البلاء ؛ ولهذا لما طلـــب العباس من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه شيئاً يسأله الله تعالى ، قال له : (يا عباس يا عم رسول الله ، سل العافية في الدنيا والآخرة)[2][3].

وليس مما يؤمر به العبد أو يُحمد عليه أن تكون الطاعة والمعصية والبلاء والعافـــية عـــنده سواء ، بل العبد يفعل الطاعة ، فإن وقعت منه المعصية سارع بالتوبة إلى الله تعالى.

كمـــا يســـأل الله العافية فإذا وقع عليه البلاء صبر ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا)[4].

وأمـــا مـــا يـــروى عن متقدمي مشايخ الصوفية من الوصية بالأمر بترك الإرادة فلا يخلو من حالين :

الأولـــى : إمـــا أن يكون الغلط في فهم كلامهم ، وإلا فليس مرادهم ترك الإرادة بالكلية ، بل ترك الإرادة التي لم يؤمر العبد بها.

ومن ذلك قول الشيخ عبد القادر: (وعلامة فناء إرادتك بفعل الله ، أنك لا تريد مراداً قط)[5] فإن مقصود الشيخ هو ترك الإرادة التي لم يؤمر بها العبد أمراً شـــرعياً ، وإلا فإن الشيخ عبد القادر من أكثر الناس تعظيماً للأمر والنهي ، وقد سبق كلامه أن حال العبد دائرة بين فعل الأمر وترك النهي والرضا بالمقدور ولا يتصور ممن حاله بين الفعل والترك والرضا ألا تكون له إرادة .

---

[1] آل عمران : آية (١٤) .

[2] رواه الترمذي ٥/٥٣٤ ، رقم (٣٥١٤) وقال هذا حديث صحيح .

[3] انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٤٦٤.

[4] رواه البخاري ٦/١٤٨ رقم(٢٩٦٥، ٢٩٦٦) ، وسيأتي تخريجه مفصلاً ص٣٤٠.

[5] فتوح الغيب ص٩ (المقالة السادسة).

ومما يدل على أن الشيخ عبد القادر لا يرى الجريان مع القدر وترك الإرادة قوله المشهور : (كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا ، وأنا انفتحت لي فيه روزنة ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والولي من يكون منازعاً للقدر لا من يكون موافقاً له). [1]

فقد بيَّن الشيخ عبد القادر أن الولي هو الذي ينازع الأقدار وليس الذي يوافقها ويجري معها ، يقول شيخ الإسلام معلقاً على كلام الشيخ عبد القادر:(وهو رضي الله عنه كان يعظِّم الأمر والنهي ويوصي باتباع ذلك ، وينهي عن الاحتجاج بالقدر ، وكذلك شيخه حماد الدباس ، وذلك لما رأوه في كثير من السائلين من الوقوف عند القدر المعارض للأمر والنهي ، والعبد مأمور بأن يجاهد في سبيل الله ويدفع ما قَدِر من المعاصي بما يقدِر من الطاعة ، فهو منازع للمقدور المحظور بالمقدور المأمور لله تعالى ، وهذا هو دين الله الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين) [2].

الثانية : أن يكون منهم من أمر بترك الإرادة، والجريان مع القدر ، فهذا غلط منه، ولا تسوغ متابعته عليه ، وذلك مثل قول أبي يزيد البسطامي لما قيل له ماذا تريد ، قال : أريد أن لا أريد ، وهي لا تعدو أن تكون شطحة من شطحات أبي يزيد المعروفة[3] .

وكذلك بالنسبة للتوكل فإنه إنما يصح من العبد إذا اقترن بالطاعة وأما من توكل على الله ولم يفعل ما أمره الله به ، فإن ما أضاعه من الأمر أولى به مما قام به من التوكل ؛ لأن التوكل إنما يُقبل من المسلم إذا كان الباعث إليه طاعة الله ورسوله ، ومن ترك الأمر والنهي فليس كذلك .

ولهذا قرن الله بين التوكل وبين الطاعة والعبادة ، قال تعالى : (**فاعبده وتوكل عليه**) [4] ، وقال سبحانه : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من**

---

[1] مجموع الفتاوى ٤٥٨/٢ ، وذكره الشعراني في لطائف المنن ص ٢٥٤ .

[2] مجموع الفتاوى ٣٠٦/٨ .

[3] انظر: مجموع الفتاوى ٤٩٤/١٠.

[4] هود : آية (١٢٣) .

حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [١].

وأما قولهم أن يكون العبد مع الله كالميت مع الغاسل ، فلا يصح ولا يسوغ عـند أحـد من المسلمين بل عند العقلاء ، لأن الميت لا إرادة له ، بخلاف الحي الذي لا بد أن تكون له إرادة ، إما إرادة محمودة موافقة للشرع ، أو إرادة مذمومة مخالفـة له ، وأمـا أن يخلو عن الإرادتين فممتنع ، وإنما يوصف بذلك الميت لا الحي[٢].

والحقيقة أن مضمون قول الصوفية هذا ، هو طيٌّ بساط الأمر والنهي عن العـبد في كل الأحوال ، وقول بسقوط العبادة ، وهدم للشرع الحنيف ، وقد قالوا بذلك صراحة كما سيأتي في المبحث التالي.

---

[١] الطلاق : آية (٢-٣) .

[٢] انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٤٨٥.

المبحث الثالث : هل يسع أحداً الخروج عن الشريعة؟ :

يـــرى بعض الصوفية أن من الناس من يسعه الخروج عن الشرع ؛ وذلك أن الشـــرع إنما وضع لابتلاء العبد ؛ هل يطيع الله أم يعصيه ؟ ، فإذا أخذ السالك نفســـه بالمجاهدات وعرَّضها لأنواع الابتلاء ، حتى وصل إلى نهاية الطريق ، لم تعد هذه التكاليف واجبة ؛ لانتفاء الحاجة إليها ، عند من شهد الله وفني فيه .

ويسمِّي الصوفية هذا الشخص بالواصل ؛ أي الذي وصل إلى نهاية الطريق الصـــوفي ، أو درجـــة اليقين ، أو مقام الجمع ، أو الفناء في الله ، أو غيرها من الألفاظ التي يشيرون بها إلى هذه المرحلة .

يقـــول ابـــن عربي: (وهذا الولي مهما خرج عن ميزان الشرع الموضوع من وجـــود عقـــد التكاليف عنده ، سُلِّم له حاله ؛ لاحتمال الذي في نفس الرحمن في حقه...ولا يعصمه ذلك الاحتمال الذي في نفس الأمر من أن يكون من العبيد الذين أبـــيح لهم فعل ما حُرِّم على غيرهم شرعاً ، فأسقط الله عنهم المؤاخذة ، ولكن في الدار الآخرة)[١].

ولهـــذا كثر عند الصوفية ترك الفرائض والتحلل من أوامر الشرع ، فمن ذلـــك مـــا ذكـــره الشعراني عن أحد الصوفية ، يقول : (كان سيدي إبراهيم بن عصـــيفير رضـــي الله عنه يتشوَّش من قول المؤذن الله أكبر ، فيرجمه ويقول : عليك يا كلب ، نحن كفرنا يا مسلمون حتى تكبروا علينا)!. [٢]

ويذكر العطار أن ذا النون المصري أوصى أحد مريديه ألا يصلي العشاء ثـــم يعلِّـــق العطـــار بقوله : (لو سأل سائل ما الحكمة في الأمر بترك الصلاة ؟ فالجواب أن الطريقة أحياناً تخالف ظاهر الشريعة ؛ كقتل الخضر الولد بدون سبب ظاهري ، فإذاً لا إنكار في الطريقة على مثل هذه الأمور). [٣]

---

[١] الفتوحات المكية ٢/٣٧٠.

[٢] طبقات الشعراني ، ٢/١٢٢ .

[٣] دراسات في التصوف نقلاً عن : تذكرة الأولياء ، للعطار ، ص ٧٣ .

ويقــول الشعراني عن سيده الشريف المجذوب:(...وكان رضي الله عنه يأكل في نهــار رمضـــان ، ويقــول أنا معتوق أعتقني ربي ، وكان كل من اعترض عليه يُعْطبه في الحال)[1].

وأمـــا الحج فهذا البسطامي يحكي عن حجه فيقول : (خرجت إلى الحج ، فاستقبلني رجل في بعض المتاهات ، فقال : أبا يزيد إلى أين ؟ فقلت : إلى الحج ، فقــال كــم معك من الدراهم ؟ قلت : معي مائتي درهم ، قال : طُفْ حولي سبع مــرات ، وناولنـــي المائتي درهم ، فإن لي عيالاً ، فطفت حوله ، وناولته المائتي درهم)! [2].

ومـــن ذلك أيضاً ما ذكره الشعراني عن أحد مشايخهم أنه كان لا يلبس إلا الحريــر ، يقول : (الشيخ أحمد المشهور بحب رمانتي ، كان رضي الله عنه لا يلبس إلا الحرير .. وكانت له كرامات كثيرة) [3].

وقـــد سبق أن ذكرت بعضاً من دلائل إباحية بعض الصوفية[4] ، مما يدل على أن هدف القوم النهائي هو التحلل من الشرع ، ونشر الإباحية والرذيلة وترك الأمر والنهي .

ـ ولعل أشهر أدلة الصوفية على فريتهم هذه أمران :

١) قوله تعالى : (**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**)[5] حيث ظنوا أن اليقين هنا هو نهاية الطريق الصوفي ، أو الوصول إلى الحضرة الإلهية .

٢) زعمهــم أن الخضـــر عليه السلام إنما جاز له الخروج عن شريعة موسى علـــيه السلام ، لأنه شهد الحقيقية الكونية ، فكذلك كل ولي لله إذا شهد هذه الحقيقة جاز له الخروج على شرع نبيه .

---

[1] طبقات الشعراني ١٣٠/٢.

[2] النور من كلمات أبي طيفور ، للسهلجي (ضمن شطحات الصوفية ، لعبد الرحمن بدوي ص ١٦٤) .

[3] طبقات الشعراني ١٤٣/٢ .

[4] انظر : مبحث الانحلال والإباحية ص١٦٤.

[5] الحجر : آية (٩٩).

ـ وقد أجاب شيخ الإسلام عن قول الصوفية هذا بما يأتي :

١) أن قولهم هذه خروج بالعبد عن مقام العبودية التي وصف الله بها جميع الخلق ، قال تعالى : (**إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً**) [١] ، كما وصف بها أشرف خلقه محمداً صلى الله عليه وسلم : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ..**) [٢]، وهذا العبودية هي التي خلق الله لها الثقلين قال تعالى:(**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [٣]، ومن قال بأن الأمر والنهي لا يلزمه ، فليس من عباد الله [٤] .

٢) لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أحد من صحابته ، بأنه وسعه الخروج عن الشرع ، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس اجتهاداً في العبادة ، وقد كانت وصيته وهو في مرض الموت بالصلاة ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه : (الصلاة وما ملكت أيمانكم ، فمازال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه) [٥] ؛ وهذا يعني ــ بحسب زعم هؤلاء ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى درجة اليقين التي يزعم بعض شيوخ الصوفية أنه وصلوا إليها !.

٣) أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الناس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته ، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ، قال تعالى : (**وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقرتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**) [٦] ، وفي

---

[١] مريم : آية (٩٣) .

[٢] الإسراء : آية (١) .

[٣] الذاريات : آية (٥٦) .

[٤] انظر : شرح العبودية ، ص ٢٨، ٦٦ ، ومجموع الفتاوى ٤١٣/١١ .

[٥] رواه ابن ماجه،كتاب الجنائز، باب ما جاء في مرض الرسول صلى الله عليه وسلم٥١٩/١ رقم(١٦٢٥).

[٦] آل عمران : آية (٨١) .

الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه : (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئت بها بيضاء نقيَّة ، لا تسألوهم(أي أهل الكتاب) عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) [١][٢].

٤) أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يتبع شريعة غيره من الرسل كموسى وعيسى ، وإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول ، فكيف بالخروج عن شرائع جميع الرسل .[٣]

٥) أن عامة المستقيمين من مشايخ الصوفية لم يكن أحد منهم يسوِّغ للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين[٤] ، فهذا الجنيد لما قيل له : إن قوماً يصلون من طريق البر إلى أن تسقط عنهم الفرائض ، قال : (إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا)[٥]، وقال سري السقطي : (المتصوف اسم لثلاثة معاني .. ولا تحمله الكرامات على هتك استار محارم الله) [٦] وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني : (احفظ أبداً أمره وانته أبداً نهيه ... فإن خطر خاطر أو وجد إلهام ، فاعرضها على الكتاب والسنة ، فإن وجدت فيهما تحريم ذلك ، مثل أن تُلهم بالزنا أو الربا ، أو مخالطة أهل الفسق والفجور ، وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به ، واقطع بأنه من

---

[١] رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٨٧.
[٢] انظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٢٢-٤٢٣.
[٣] المرجع السابق ١١/٤٢٤ .
[٤] المرجع السابق ١٠/٥١٦-٥١٧.
[٥] الرسالة القشيرية ، ص ٤٣٠ .
[٦] المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

الشـيطان اللعين) [١] وقال عبد الرؤوف المناوي : (ولا يبلغ ولي درجة النبـي خلافـاً لما زعمه بعض الكرّامية ، ولا تسقط عنه التكاليف بكمال الولايـة كما أدعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد أن الولي إذا بلغ الغاية في المحـبة وهـناء القلـب وكمال الإخلاص ، سقط عنه الأمر والنهي ، ولم يضره ذنب ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر ، وذلك باطل بإجماع المسلمين) [٢].

٦) وأما احتجاجهم بقصة الخضر ، فغلط منهم ؛ إذ موسى عليه السلام لم يكن مـبعوثاً إلـى الخضر ، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته ، بل الصحيح من أقوال العلماء أن الخضر عليه السلام نبي وليس ولياً ، فسقط احتجاجهم بذلك [٣] .

٧) وأمـا احـتجاجهم بقوله تعالى : **(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)** ، فهذه الآيـة حجة عليهم لا لهم ؛ وذلك أن اليقين المقصود هنا هو: الموت باتفاق المسـلمين ، وقد روى الطبري أن ممن فسره بذلك : سالم بن عبد الله بن عمـر ، ومجاهد ، وقتادة ، والحسن البصري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٤] ونقل ذلك القرطبي [٥] وابن كثير [٦] .

وممـا يدل على أن المقصود باليقين في الآية الموت قوله تعالى : **(ما سلككم فـي سـقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين)** [٧] فالمقصود باليقين هنا الموت ، وهم إنما قالوا ذلك في سقر ، ولا يتصور من هذا مآله أن يكون مـن

---

[١] فتوح الغيب ، ص ١٠، ١٦ .

[٢] الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، ١/١٤ .

[٣] انظر : مجموع الفتاوى ١١/٤٢٥ ، وسيأتي تفصيل ذلك وأدلته في ترجمة الخضر عليه السلام ص٢٥٧.

[٤] انظر: جامع البيان ١٤/٧٤

[٥] انظر: تفسير القرطبي ١٠/٦٤ .

[٦] انظر : تفسير القرآن العظيم ٢/٥٦١ .

[٧] المدثر الآيات (٤٢-٤٧) .

الأولياء الواصلين ، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مضعون بعد موته : (أما هو فقد جاءه اليقين)[1] فعلم بذلك فساد احتجاجهم بهذه الآية والله أعلم[2].

---

[1] رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه ٤١٩/١ رقم (١١٨٦) .

[2] انظر: مجموع الفتاوى ٤١٨/١١ـ ٤١٩.

المبحث الرابع : الفرق بين الإرادة الشرعية والقدرية:

أشار شيخ الإسلام إلى أقسام الإرادة عند أهل السنة والجماعة ، وذلك ليبيِّن خطأ الصوفية وغيرهم في فهمهم للقدر ، حيث ظنوا أن كل ما قضاه الله وقدَّره ، فهـو محب ومريد له لا محالة ، وبنوا على ذلك جواز الخروج عن الأمر والنهي جرياناً مع القدر .

لذلـك كـان لابـد من بيان معاني الإرادة ــ ولو باختصار – لكي تتضح الصورة ، وينجلي محل النزاع فيما سيأتي من مباحث :

أ- تعريف الإرادة :

الإرادة لغـة : يقال : رَادَ يَرُودُ رَوْداً ورِيَاداً ، ورَادَ الكلأ : طلبه واختار أفضله ، ورَادَتْ الدابَّة : رَعَتْ ، ورَادَ يَرُودُ : إذا جاء وذهب ولم يطمئن ، وأراد الشيء: شاءه [١] .

الإرادة اصطلاحاً : صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه.[٢]

ب- أقسام الإرادة :

١) الإرادة القدريـة الكونية الخَلْقية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث ، وهي لا تستلزم المحبة والرضا ، وهي المرادة في قول المسلمين : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، والأمر لا يستلزم هذه الإرادة .

وأدلـة هـذه الإرادة في القرآن كثيرة قال تعالى :(**فمن يرد الله أن يهديه يشـرح صـدره للإسلام ، ومن يرد أن يُضله يجعل صدره ضيِّقا حرجاً ، كأنمـا يصَّعَّد في السماء**) [٣]، وقوله : (**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم**) [٤]، وقوله تعالى:(**فعَّال لما يريد**)[٥]

---

[١] انظر : لسان العرب ١٢٥٢/٢.

[٢] التعريفات للجرجاني ص ٢٠ .

[٣] الأنعام : آية (١٢٥) .

[٤] هود : آية (٣٤) .

[٥] هود : آية (١٠٧) .

وقولـه : (**ولكـن الله يفعل ما يريد**) [١]، وقوله عن الذين يسارعون في الكفر: (**يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة**) [٢].

٢) الإرادة الدينية الأمرية الشرعية : وهي المتضمنة للمحبة والرضى ، وهي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل ما لا يريده الله ، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به ، والأمر يستلزم هذه الإرادة .

وأدلتها من القرآن كثيرة ، قال تعالى : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسـر**) [٣] وقال سبحانه : (**يريد الله ليُبيِّن لكم ويهديكم سُنَن الذين من قـبلكم ويـتوب عليكم والله عليم حكيم**) [٤]وقوله : (**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً**) [٥]، وقوله : (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حـرج ولكـن يريد ليطهركم**) [٦] ، وقوله : (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**) [٧][٨].

هذه أقسام الإرادة كما جاءت في الكتاب والسنة ، وهي توضِّح اللَّبس الذي وقع فيه الصوفية في فهمهم للقدر ، وأنه ليس كل ما يقع من أقدار الله الكونية يحبه الله ويرضـاه شـرعاً ، بل من الأقدار ما يحبه الله ويأمر به كالإيمان والطاعة ، ومنها ما لا يحبه ولا يأمر به كالكفر والمعصية والله أعلم . .

---

[١] البقرة : آية (٢٥٣) .

[٢] آل عمران: آية(١٧٦).

[٣] البقرة : آية (١٨٥) .

[٤] النساء : آية (٢٦) .

[٥]النساء : آية (٢٨) .

[٦] المائدة : آية (٦) .

[٧] الأحزاب آية(٣٣).

[٨] انظر في ذلك: عقيدة السلف للصابوني ص ٢٨٥-٢٨٦ ، ومجموع الفتاوى ١٩٧/٨ -٢٠٠ ، والتحفة العراقية ص ٣٢٦-٣٢٩ ، وشفاء العليل ٧٦٧/٢- ٧٦٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩-٨١ ، ومعارج القبول لحافظ حكمي ٢٧٦/١- ٢٧٩ .

المبحث الخامس : أنواع الناس في الإرادة لما يحبه الله ويرضاه :

قسَّم الشيخ – رحمه الله – الناس من حيث إرادتهم لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال ، إلى أربعة أقسام :

الأول) وهم الذين لا يريدون إلا ما أمرهم الله بإرادته ، فهم يحبون ما يحبه الله ورسوله ، ويبغضون ما يبغضه الله ورسوله ،وليس لديهم إرادة أو حب أو بغض لغير ذلك .

وهؤلاء أكمل الناس وأفضل المسلمين ، وهم الذين سماهم الله السابقين والمقربين ، وهم أتباع العَبْد الرسول ، والذي لا يُعطي أحداً ولا يمنعه ، ولا يتصرف من عنده ، بل بما أمره الله ورسوله به .

وقد كانت هذه هي حال خليلي الرحمن محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (ما أعطيكم ولا أمنعكم ، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت) [1]، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ينتقم لهوى نفسه ولا يغضب لها ، بل كان يغضب إذا انتُهكت محارم الله ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل) [2] .

وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أن تكون أفعاله لله رب العالمين ، ليس شيء منها لحظ النفس ، قال تعالى : (**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**) [3] كما نهاه عن طاعة أَتْباع الهوى قال تعالى: (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطاً**) [4]، وبيَّن سبحانه أن أقواله عليه الصلاة

---

[1] رواه البخاري ، كتاب فرض الخمس باب قوله تعالى « **فأن لله خمسه وللرسول** » يعني للرسول قَسْمُ ذلك ، ٢٦٧/٦ رقم (٣١١٧) .

[2] رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام.. ١٨١٤/٤ رقم (٢٣٢٨) .

[3] الأنعام : آية (١٦٣) .

[4] الكهف : آية (٢٨) .

والسلام كلها من وحي الله ، وليس منها شيء عن هوى النفس ، قال تعالى : (**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**) [١] .

وكذلك إبراهيم عليه السلام ، فإن أفعاله كانت عن أمر الله لا عن هوى النفس ، ولهذا تبرأ من أبيه : (.. **فلما تبيَّن له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأوَّاه حليم**) [٢]، كما هم بذبح ابنه امتثالاً لأمر الله ، قال تعالى: (**فلما أسلما وتلَّه للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين**).[٣]

ولهذا أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتَّبع ملة إبراهيم قال تعالى: (**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) [٤].

والشيخ عبد القادر – رحمه الله – كثيراً ما يدعو العبد إلى أن يكون من هذا النوع ، إذ هو يأمره بأن يزهد في إرادة نفسه وهواها ، بحيث تكون أقواله وأفعاله بأمر الله ، لا بإرادة نفسه هو ، وهذا رفع له عن حال الأبرار أهل اليمين، إلى حال السابقين المقربين ، وهذا هو مقصود الشيخ بقوله : (افن عن الخلق بحكم الله ، وعن هواك بأمره) [٥]؛ أي اترك اتِّباع الهوى إلى اتِّباع الأمر ، وليس مقصوده الفناء عن الإرادة ، لأن الذي يتبع الأمر لابد أن تكون له إرادة لفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه[٦] .

الثاني) وهم الذين يريدون ما يوافق أهوائهم ، لا ما يأمرهم الله به ، فهم يفعلون ما يحبونه بأهوائهم ، ويتركون ما يكرهونه بأهوائهم سواء وافق ما يأمر الله به ويحبه أو خالفه في الحالتين .

---

[١] النجم : آية (٣) .

[٢] التوبة : آية (١١٤) .

[٣] الصافات : الآيات (١٠٣-١٠٥) .

[٤] النحل : آية (١٢٣) .

[٥] فتوح الغيب ، ص ٨ ، (المقالة السادسة) .

[٦] انظر: مجموع الفتاوى ٤٦٧/١٠ وما بعدها.

ومن هؤلاء اليهود ؛ فإن الله وصفهم بأنهم إذا جاءهم الرسول بما يخالف أهوائهم كذبوه ، قال تعالى : (**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون**) [١] .

وكذلك هي حال أبي طالب فإنه إنما نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وذبَّ عنه بماله ونفسه، لهوى النفس؛وهو حبه إياه؛ لأجل القرابة التي كانت بينهما ، لا لوجه الله تعالى واتباع أمره ، ولهذا رفض الإيمان به ومات على ملة آبائه .

ولذلك حذر الله من اتباع الهوى ، قال تعالى : (**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) [٢] وقال سبحانه : (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**) [٣].

وبين سبحانه أن من اتبع هواه فقد اتخذه إلهاً من دون الله ، قال تعالى : (**أرءيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلاً**) [٤][٥].

الثالث) وهم الذين تارة يريدون ما يحبه الله ويرضاه ، وتارة يريدون ما يبغضه الله ويكرهه، وهؤلاء هم أكثر المسلمين، فإنهم يطيعون الله تارة ويعصونه أخرى.

وهؤلاء حالهم دائرة بين أصحاب اليمين ، وبين الظالمين لأنفسهم ؛ فإنهم إن فعلوا بغير أمر الله ، بل تبعاً لأهوائهم وكان فعلهم هذا مما أباحه الله ، فهم من أصحاب اليمين والمقتصدين ، ومن هذا النوع النبي الملك كداود وسليمان عليهما السلام ، فإنه تارة يعطي ويمنع بأمر الله وتارة بإرادته هو، ولهذا قال الله لسليمان: (**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**)[٦] ؛ أي أعط من شئت وامنع من شئت لا نحاسبك .

وإن فعلوا ما حرَّم الله، مع أدائهم للفرائض، فهم من الظالمين لأنفسهم

---

[١] البقرة : آية (٨٧) .

[٢] ص : آية (٢٦) .

[٣] القصص : آية (٥٠) .

[٤] الفرقان : آية (٤٣) .

[٥] انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٩/١٠-٤٨٠.

[٦] ص: آية (٣٩).

المقصِّرين في جنب الله [1].

الــرابع) وهــم الذيــن يخلون عن الإرادتين ، فلا يريدون لله ولا لأهوائهم ، بل يسيرون مع القدر، فما وقع منهم من الأفعال أو من غيرهم ، لم ينكروه بل أقرُّوه، وهذا كثير عند الصوفية ؛ إذ كثير منهم يترك الإرادة ويستسلم للقدر ؛ ظناً منه أن هذا هو مقتضى الإيمان بالقدر والتوكل على الله.

وهــذا فــي الحقيقة ممتنع على سبيل الإطلاق ، لأن الإنسان مفطور على إرادة ومحبة ما ينفعه ، وعلى ترك وكراهية ما يضره ؛ فهو ــ مثلاً ــ يحب أكل ما ينفعه كالطعام ، ويكره أكل ما يضره كالتراب ، ويحب الصحة والغنى ، ويكره المرض والفقر ، ولا يمكن أن تكون إرادته لهذه الأمور سواء.

بل هو مأمور من جهة الشرع بفعل ما يحبه الله ويرضاه ، وبترك ما يكرهه الله ؛ فهــو مأمور بحب الإيمان والطاعة ، وبكره الكفر والمعصية ، ولا يجوز له الخلــو من إرادة ذلك ، ولا أن يكون ما يحبه الله وما يكرهه عنده سواء ، ومن لم يحب الله ، ولا أحب شيئاً لله ؛ فلم يحب شيئاً من الطاعات ؛ كالشهادتين والصلاة وغيرهما ، ولم يرد ذلك ، فإنه لايكون مؤمناً.[2] .

---

[1] المرجع السابق ١٠/٤٨٠.

[2] انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٤٨٠-٤٨١، وانظر مزيد بحث في هذه المسالة في المبحث الثاني ص١٧٣.

المبحث السادس: هل يكون الإلهام سبباً شرعياً للترجيح عند خفاء الأمر والنهي؟ :

ولابد قبل الكلام على هذا المبحث ، من تعريف الإلهام ، وبيان خطأ الصوفية في فهم حقيقته :

أ- تعريف الإلهام :

الإلهام لغة : لَهِمَ الشيءَ لَهْمًا ولَهَمًا وتَلَهَّمه والْتَهمه : ابتلعه ، وجيش لُهَام :أي كثير يلتهم كل شيء ، وأم اللُّهيم : الحُمَّى ، ورجل لِيْهَمّ : أي كثير العطاء ، وأَلْهَمه الله خيراً : لقَّنه إياه ، واستلهمه إياه : سأله أن يلهمه إياه ، والإلهام :ما يُلْقى في الرُّوع [1] .

الإلهام اصطلاحاً : إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر ، يخصُّ الله به بعض أصفيائه [2] .

ب- عقيدة الصوفية في الإلهام :

يرى الصوفية أن الإلهام هو أحد طرق الأولياء في اكتساب العلوم ، وهم تارة يسمونه إلهاماً ، وتارة كشفاً ، أو خواطر ، أو هواتف ، أو تجلِّيات ، أو ذوقاً أو غيرها من الألفاظ التي مؤداها واحد ، وهو اتصال الولي بالله وأخذه العلم عنه مباشرة أو بواسطة .

يقول الغزالي مبيناً اهتمام الصوفية بالإلهام : (فإذا عرفت ذلك فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية) [3] ، ويؤكد أيضاً أن علوم الصوفية لا يمكن الوصول إليها إلا بالذوق يقول : (فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدُّل الصفات) [4] .

---

(1) انظر : لسان العرب ٥/٤٠٤-٤٠٥ .

(2) التوقيف للمناوي ص٨٩

(3) إحياء علوم الدين ١٨/٣.

(4) المنقذ من الضلال ص ٦١ .

أمـــا عـــبد الكريم الجيلي فإنه يؤكد أنه تلقى كتاب (الإنسان الكامل) عن طريق الكشف ، يقول : (وكنت قد أسَّست الكتاب على الكشف الصريح).[1]

ويرى الصوفية أن الملك ينزل على الولي بالإلهام المتضمن للأمر والنهي يقـــول الدباغ[2] : (فإن الولي ينزل عليه الملك بالأمر والنهي) [3] ، بل إن الولي يُكلم الله ويأخذ عنه مباشرة كما كلَّمه موسى عليه السلام ، يقول الشعراني :(وما كان وليٌّ متصل بالله إلا وهو يناجي ربه ، كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه) [4] ، ويـــنقل الكلابـــاذي عن سهل التستري قوله : (أنا منذ ثلاثين سنة أُكلِّم الله والناس يتوهمون أني أكلمهم) [5] .

هـــذا هو الإلهام عند الصوفية ، فهو عندهم أشبه بالوحي ، ولهذا يعتمدون علـــيه فـــي تشـــريع الأحكام ، بالأمر والنهي والفعل والترك ، والحب والبغض ، وتكاد أن تكون تصرفاتهم جميعاً صادرة عن ما يدعونه من الإلهامات والكشوف .

ج- موقف شيخ الإسلام من الإلهام :

يُبيِّـــن شـــيخ الإســـلام - رحمه الله - أن القول بأن الإلهام طريق شرعي لإثـــبات الأحكام على الإطلاق خطأ ، إذ لا يمكن إثبات الأحكام الشرعية إلا بأدلة الكتاب والسنة ، والشريعة كملت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

لكـــن لا يعني هذا إنكار الإلهام ، إذا الإلهام ثابت بالأدلة الصحيحة التي لا يمكـــن رَدُّهـــا ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ **«إن في ذلك لآيات للمتوسِّمين»**) [6]، وبيَّن عليه الصلاة

---

[1] الإنسان الكامل ص ٤.

[2] عبد العزيز بن مسعود الدباغ ، ولد وتوفي بفاس ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونقل الخوارق عنه ، وكتاب الإبريز ألفه تلميذه أحمد بن المبارك وجمع فيه كلامه ، توفي سنة ١١٣٢ هـ. انظر: الأعلام ٢٨/٤.

[3] الإبريز للدباغ ص ١٥١ .

[4] طبقات الشعراني ١٨٠/١ .

[5] التعرف للكلاباذي ، ص ١٧٠ ، وذكره الشعراني في طبقاته١/١٧٠ عن الجنيد.

[6] رواه الترمذي ٥٥٤/٨ ، وسيأتي تخريجه ص٢٤٢ .

والسلام أن عمر بن الخطاب من المُلْهمين ، قال عليه الصلاة والسلام :(لقد كان فــيما قــبلكم مـــن الأمـــم ناسٌ مُحدَّثون ، فإن يك في أمتي أحدٌ فإنه عمر) [١].

وهـــذا الإلهـــام يمكن أن يكون دليلاً شرعياً للسالك ،إذا لم يتبين له الأمر الشرعي في الواقعة المعينة ، كما أنه قد يكون مُرجِّحاً عند المجتهد ، إذا تعارضت لديه الأدلة الشرعية في المسألة المعينة ، بما يتعذر معه ترجيح أحدهما على الآخر ففـــي مثل هذه الحالات التي لا يتبيَّن فيها الحكم الشرعي ، يدعو الشيخ عبد القادر وغـــيره مـــن السالكين ، إلى الرجوع إلى الأمر الباطن أو الإلهام إن أمكن ذلك ؛ يقـــول الشـــيخ عبدالقادر عن القسم الثاني من الأمر: (والقسم الثاني: ما كان بأمر باطـــن...وإنمـــا يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع..)[٢] ، وهذا القول من الشيخ عبد القادر وغيره يمكن أن يكون صحيحاً لعدة اعتبارات :

١) أن الشـــرع بيَّـــن الأحكـــام الكلية ، وأما أحكام المُعيَّنات ؛ مثل كون الشخص المعيَّـــن عدلاً أو فاسقاً ، وكون الحق مع فلان أو فلان ، وكون هذا المعيَّن عدواً يســـتحق القتل ، كل ذلك لا يجب أن يُعلم بالشريعة ، وإنما يعلم بأدلة خاصة تدل عليه[٣] ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ، ولعـــل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع ، فمن قضـــيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) [٤]، فقد بيَّن النبـــي صـــلى الله علـــيه وسلم أن معرفة أي المتخاصمين هو صاحب الحق ، لا يعرف بالأدلة الشرعية ، بل يعرف بأمارات ودلائل وبيِّنات .

وممـــا يمكـــن أن يُعـــرف به ذلك: الإلهام ؛ فقد يلهم الإنسان أن هذا المال يُخاف عليه من ظلم ظالم ، أو أن هذا المعين عدو يستحق القتل ، وقصة الخضر من هذا الباب ، فإنه أُلهم حال مثل هذه الأمور المعينة .

---

[١] رواه البخاري ٥٢/٧ رقم : (٣٦٨٩) ، وسيأتي تخريجه مفصلاً ص٢٥٢.

[٢] فتوح الغيب ص١٧ (المقالة العاشرة).

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٨/١٠.

[٤] رواه البخاري، كتاب الأحكام ، باب موعظة الإمام للخصوم ١٩٦/١٣ رقم(٧١٦٩).

٢) أن القلب المعمور بالتقوى إذا رجَّح بإرادته ، كان هذا ترجيحاً شرعياً ؛ وذلك أن الله فطـــر عـــباده على الحنيفية ، وهي حب المعروف وبغض المنكر ، فإذا لم تَستَحل فطرة العبد ، وكانت هذه الفطرة مهديَّة بالإيمان ومنوَّرة بالقرآن ، ثم وجد العبد من قلبه الميل إلى أحد الأمرين ، كان هذا ترجيحاً عنده[١] ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (إن الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة). [٢]

٣) أن الإلهـــام في مثل هذه الأحوال قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والأحاديـــث الضعيفة ، والظواهر الضعيفة ، والاستصحابات الضعيفة التي يحتّج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه[٣] .

٤) أن الترجيح بالإلهام خير مما درج عليه بعض الفقهاء من التسوية بين الأمرين المتناقضـــين ، والاعـــتقاد أنه ليس في نفس الأمر حق معين يُصيبه المجتهد تارة ويخطئه أخرى ، وأن كل مجتهد قد أصاب الحق في نفسه ؛ إذ من المعلوم بطلان ذلـــك ، وأن المجتهدين وإن أثيبوا كلهم على اجتهادهم إلا أن بعضهم أصاب الحق وبعضهم أخطأه[٤] .

٥) أنـــه إذا كانـــت الأمـــور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن ، من باب الكرامة ؛ كقصـــة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سارية وغيرها ، فإن الأمور الدينية مـــن بـــاب أولى ؛ لأن العبد إلى كشفها أحوج ؛ ليقوم بما يجب عليه ويمتنع عما يحـــرم ، ويُقـــيم شـــرع الله كمـــا أراده الله سبحانه ، ويسلم من أخطاء كثير من المجتهدين ، ويصيب الحق في نفس الأمر ، وهذا هو غاية مطالب العباد[٥].

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٢/١٠ ، ٤٧٤.

[٢] رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ٤٠٥/١١ رقم (٦٤٩٧) .

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٣/١٠.

[٤] المرجع السابق ٤٧٧/١٠.

[٥] المرجع السابق ٤٧٦/١٠-٤٧٧.

ولــيس مقصــود الشيخ أن الإلهام هو طريق إثبات الأحكام الشرعية ، بل مقصــوده أن الإلهام قد يكون مُرجِّحاً لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة .

وهــذا هــو أحد المعاني التي فُسِّر بها الاستحسان ؛ حيث قيل فيه: بأنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه ، وهذا هو الإلهام[1].

وقد رد شيخ الإسلام على الصوفية زعمهم أن الوليَّ يُكلم الله أو يوحى إليه بواســطة الملــك ، بأن كلام الله لعباده ثلاثة أنوع : من وراء حجاب أو بواسطة الرســول أو بالإيحاء ، وهذا الأخير هو الذي يكون فيه نصيب للولي عن طريق الإلهــام ، وأمـــا النوعين الأولين فهما خاصان بالأنبياء ، ومع هذا فإن المُلْهم إليه يجــب أن يَعْرِض ما يُلقى إليه على الكتاب والسنة حتى يتيقَّن أنه من الله ، وليس من وسوسة الشيطان [2] .

كمـــا أن المُلهــم والمُحدَّث لا يلزم أن يكون أفضل من غير المُلهم ، ولهذا كـــان أبـــو بكر رضي الله عنه أفضل من عمر رضي الله عنه ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن عمر مُحدَّث .

والإلهـــام لشـــخص لا يعني عصمته ، ولهذا كان عمر بن الخطاب يشاور الصــحابة كثيراً ، وكان يصيب ويخطئ ، ويرجع عن قوله إذا بُيِّن له الصواب ، وقد تبدو له الأشياء خلاف ما هي عليه في الواقع فيخطئ الحق فيها ، كما حصل في صلح الحديبية ، ويوم عَلِم بموت النبي صلى الله عليه وسلم [3] .

---

[1] انظر: روضة الناظر ٥٣٥/٢ ، ومجموع الفتاوى ٤٧٦/١٠.

[2] انظر: مجموع الفتاوى ٢٢٨/٢ .

[3] انظر : المرجع السابق ٢٢٦/٢ .

المبحث السابع : هل حصول خوارق العادات يعني كمالاً في الولاية؟ :

يـرى الصوفية أن الولي لا يكون صادقاً حتى تظهر على يديه الكرامات ؛ ولهذا جعلوا من ظهور خوارق العادات على يدي الولي ، دليلاً على كمال ولايته وسـبباً في تفضيله علىغيره ، يقول القشيري : (وظهور الكرامات علامة صدق مـن ظهرت عليه في أحواله ، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز ، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا ؛ حتى نُفرِّق بين من كان صادقاً في أحواله ، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ، ولا يكون ذلك إلا باختصـاص الولي بما لا يوجد مع المُفْتري في دعواه ، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها) [١].

وقـد بيـن شـيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل السنة والجماعة يثبتون الكرامات للأولـياء ؛ لأنهـا ثابـتة بالكتاب والسنة والاستقراء من حال السلف رضوان الله علـيهم[٢] لكـن الصوفية غالوا فيها بحيث نسبوا إلى أوليائهم من الكرامات ما لا يصح إلا أن يكون من خصائص الألوهية كعلم الغيب ، والتأثير في الأكوان ، وردِّ أرواح الموتى ، ونحوها مما يعجز عنه حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

كما غالوا فيها أيضاً حينما زعموا أن الولي قادر على الإتيان بالكرامة في أي وقـت شاء ، وهذا خلاف الصواب ؛ إذ أن كرامات الأولياء إنما تكون لإقامة الحُجَّـة فـي الديـن ؛ كما حصل من خالد بن الوليد لما أكل السُمَّ حتى يُسلِّم أهل الحصـن الـذي امتنع على المسلمين ، أو لحاجة المسلمين ؛ كما حصل لعمر بن الخطـاب لمـا نـادى يا سارية الجبل ، فأسمع الله سارية هذا النداء وبينهما من المسافة مسيرة شهور [٣].

وممـا يعاب على الصوفية في هذا الباب ، زعمهم أن ظهور الكرامة على يـد شـخص دليل على كمال ولايته ، وأن من ظهرت على يديه الكرامات أفضل

---

[١] الرسالة القشيرية ص ٣٥٣ .

[٢] انظر في ذلك : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ، ٧٢/٩ وما بعدها ، والاعتقاد للبيهقي ، ص ٤٢٠ وما بعدها ، ومجموع الفتاوي ٢٧٤/١١-٢٨٢ ، وشرح الطحاوية ، ص ٧٤٥ .

[٣] انظر : مجموع الفتاوى ١٧٧/١، ٢٧٤/١١ .

ممن لم يؤت مثل هذه الكرامات ، وإن كان لديه من العلم والدين ما يفوق به الأول ، وقولهـم هـذا بـاطل ، بل من آتاه الله الدين والعلم وإن لم تحصل له خوارق العادات ، قد يكون أفضل ممن تحصل له مثل هذه الخوارق ، وذلك من وجوه :

١) أن علم الدين لا يُنال إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما خوارق العـادات فلهـا أسباب متعددة ؛ منها ما يكون من جهة اتِّباع الرسول ، ومنها ما يكون غير ذلك كما في الأحوال الشيطانية ، وما اختص به الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، خير مما شركهم فيه بقية الناس [١] .

٢) أن الدين لا يعمل به إلا المؤمنون الصالحون ، بخلاف خوارق العادات فقد تقع من كافر أو منافق أو فاجر ،كما هي حال السحرة والمشعوذين [٢] .

٣) أن عـدم وقـوع خـوارق العادة من الولي ، قد يكون سببه عدم حاجته إليها واستغناءه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت خوارق العادات عند الصحابة أقل منها عند التابعين ، مع أن الصحابة أفضل وأكمل ولاية لله [٣] .

٤) أن الديـن يـنفع صـاحبه فـي الآخرة ولا يضره ، بخلاف الكشف والتأثير والخوارق فإنها قد تضر صاحبها في الآخرة ، ولهذا قال الله عن السحرة : **(ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)** [٤][٥] .

٥) أن من الخوارق والكشف والتأثير ــ التي يقول الصوفية أنها تحصل لهم ــ ما لا فـائدة فـيه لا فـي الدنيا ولا في الآخرة مثل : الاطلاع على سيئات العباد ، وركـون السـباع للولـي لغير حاجة ، والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر ، فهذا كله من العبث واللهو الذي لا فائدة منه .

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى ٣٢٧/١١ .

[٢] انظر : المرجع السابق ٣٢٧/١١ .

[٣] انظر : المرجع السابق ٢٨٣/١١ .

[٤] البقرة : آية (١٠٣) .

[٥] انظر : مجموع الفتاوى ٣٢٨/١١.

فـإن قـيل إن مـثل هذه الخوارق وإن كانت ليس فيها فائدة لذاتها ، لكنها توجـب للولـيِّ الرياسـة والسلطان ، ومحبة النفوس وطاعتها ، وهذا كله يجلب المنافع الدينية والدنيوية ، قيل الجواب على ذلك من وجهين :

الأول : أن الديـن الصـحيح أوجبُ لطاعة النفوس وحصول الرياسة من حصول الخـوارق ، والواقـع يشـهد بذلك ؛ فإن من أطيع لدينه أكثر ممن أطيع لظهور الخـوارق علـى يديه ، كما أن الطاعة لأجل الخوارق لا تدوم ، وإنما يدخل فيها جُهَّال الناس ، كأتباع مسيلمة الكذاب ونحوهم .

الثاني: ثم إنه لو كان صاحب الخوارق ينال من الرياسة ما لا يناله صاحب الدين، لـم يكـن ذلك دليلاً على فضله ، بل غاية ما يدل عليه أنه اكتسب ملكاً من جنس ملك فرعون وغيره من الكفار [١] .

٦) أن الديـن ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ولا يضره ، من غير أن يحتاج إلى خـوارق أو كشف أو تأثير ، بخلاف صاحب الخوارق فإنها إن لم تقترن بالدين ، صـارت مـن أعظـم الأمور ضرراً على صاحبها في الدنيا، كما هي عليه في الآخـرة؛ وذلـك أن الخـوارق لاتنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال ؛ مثلاً إذا سلك الإنسان طريق الرياضة الروحية والجوع فإنه ربما يحصـل عليه ضرر في عقله ومرض في جسمه وذهاب في دينه ، وكذلك الذي يسـتعين بالجـن باسـتخدام العزائم والطلاسم ، فإنه معرض لعقوبتهم وانتقامهم ومحاربتهم له عند مخالفة أمرهم ، ولا يحصل مثل هذا لصاحب الدين الصحيح[٢].

٧) أن للديـن علماً وعملاً إذا صحَّ فإنه يوجب لصاحبه خرق العادة إذا احتاج إلى ذلـك ، كمـا قـال تعالى : **(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)** [٣] وقال سبحانه : **(إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)** [٤]، وقال تعالى : **(ألا إن أولـياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون**

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى ٣٢٨/١١-٣٣٠ .

[٢] انظر: المرجع السابق ٣٣٠/١١-٣٣١ .

[٣] الطلاق : الآيات (٢-٣) .

[٤] الأنفال : آية (٢٩) .

لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) [1] ، وأما الخوارق فإنها قد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو نقصه [2] .

٨) أن الديـــن هــو إقامة حق العبودية لله وهذا الذي أُمر به العبد ، وأما الخوارق فإنها من حق الربوبية ؛ لأنها وإن كانت بسعي من العبد ، فإن الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب ، والعبد عليه أن يسعى في تحقيق ما أمر به وهي العبودية ويترك طلب ما لم يؤمر به من الخوارق والكشف والتأثير [3] .

فــنعلم مما سبق أن العبادة والتدين توجب من الولاية لله ما لا يوجبه خرق العــادة ، بــل إن خـــرق العادة قد يكون من غير الولي ، بل قد يكون من كافر كالسحرة مثلاً والله أعلم .

[1] يونس : الآيات : (٦٢-٦٤) .

[2] انظر : مجموع الفتاوى ٣٣١/١١ .

[3] انظر: المرجع السابق ٣٣٣/١١ .

المبحث الثامن : الفرق بين الزهد والورع الشرعين والبدعيين :

ولابد قبل هذا من التعريف بالزهد والورع :

أ- التعريف بالزهد :

الــزهد لغــة : تقول : زَهِد وزَهَد يَزْهد زُهْداً أو زَهَداً أو زَهَادة ، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا ، وزَهَّده في الأمر : رغَّبه عنه ، والزَّهيد: الحقير ، وعطــاء زَهِــيد : أي قليل ، وأرض زَهَاد : لا تسيل إلا عن مطر كثير ، ورجل زهيد : أي ضيِّق الخلق [(١)] .

الــزهد اصطلاحاً : قال الإمام أحمد : (الزهد عدم فرح الرجل بإقبال الدنيا ، ولا حزنه على إدبارها) [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الزهد ترك الرغبة فيما لا ينفع في الآخرة) [(٣)] .

ب- التعريف بالورع :

الــورع لغة : وَرِعَ يَرَعُ رِعَةً ووَرَعاً ووَرْعاً : أي تحرج ، وورَّعه عن الشيء : إذا كفه عنه ،والرِّعة : الهدي وحسن الهيئة ، والوَرَعُ : الصغير الضعيف الذي لا غناء عنده ، ووارعه : ناطقه وكالمه [(٤)] .

الــورع اصطلاحاً : قال شيخ الإسلام : (هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة ؛ وهــو تــرك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات) [(٥)] .

ج- الفرق بين الزهد والورع الشرعيين والبدعيين :

من المعلوم أن الإسلام رغَّب في الزهد في الدنيا ، وبيَّن حقارتها ، ورغَّب فــي الآخــرة ، وعظَّم شأنها ، ورفع قدرها ؛ فقد وصف القرآن الدنيا بأنها لعب ولهــو ، قال تعالى : (**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ،**

---

(١) انظر : لسان العرب ٣/٥٤-٥٥ ، والقاموس المحيط ١/٣٠٩ .

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢/١١ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوي ١٠/٥١١ ، والتحفة العرقية ص ٣٢٠ ، ومدارج السالكين ٢/١٠ .

(٤) انظر : لسان العرب ٦/٩١١ .

(٥) التحفة العراقية ص ٣٢٠ ، ومجموع الفتاوى ١٠/٥١١ ، ٦١٥ ، ومدارج السالكين ٢/١٠ .

وتكاثـــر فـــي الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان)[1] ووصفها بأنها متاع الغرور قال تعالى: (**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**) [2]، ووصف متاعها بأنه قليل ، قال تعالى : (**قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى**)[3]وحذَّر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من التطلع إلى الدنيا والركون إليها قـــال تعالى : (**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى**) [4].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (موضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) [5] وقال عليه الصلاة والسلام لابن عمر : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [6] وبين أن الدنـــيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) [7] .

لكـــن الـــزهد المشروع بالكتاب والسنة هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة ، والـــذي يـــنفع في الآخرة هو عبادة الله وطاعته ، ومايستعان به على ذلك كالأكل والشـــرب والـــنوم والنكاح وغيرها من المباحات التي يستعان بها على الطاعة ، فمـــثل هـــذه الأمور النافعة لا يجوز الزهد فيها ، بل الزهد فيها حُمْق وضلال ؛ ولهـــذا نهى الله تعالى أن يحرم العبد على نفسه ما أحل الله له ، قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**)[8] .

---

[1] الحديد : آية (٢٠) .

[2] الحديد : آية (٢٠) .

[3] النساء : آية (٧٧) .

[4] طه : آية (١٣١) .

[5] رواه البخاري ، كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة ، ٢٧٨/١١ رقم (٦٤١٥) .

[6] رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : كن في الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل ، ٢٨٠/١١ رقم (٦٤١٦) .

[7] رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ٥٦٠/٤ رقم (٢٣٢٠) وقال (هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه) .

[8] المائدة : آية (٨٧) .

وقال سبحانه : (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) [1] وقال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**)[2] ، وعاتب الله نبيه عليه الصلاة والسلام لأنه حرَّم على نفسه الإماء قال تعالى: (**يا أيها النبي لم تُحرِّم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك**) [3] .

فالزهد يكون في فضول المباحات التي لا يستعان بها على الطاعة ، أو التي لا يكون الاشتغال بها سبباً في ترك محرم أو مكروه،قال الإمام أحمد:(الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام ؛ وهو زهد العوام ، والثاني: ترك الفضول من الحلال؛وهو زهد الخواص،والثالث: ترك ما يشغل عن الله؛وهو زهد العارفين)[4].

فليس من الزهد ما يؤدي بالعبد إلى ترك واجب أو فعل محرم كما يحصل من جهلة الصوفية ، حيث يترك أحدهم الأكل والشرب حتى يذهب عقله أو تضعف قوته عن أداء الفرائض ، أو يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، لما يحصل فيه من الأذى للناس ، حتى يستولى الكفار والفجار على المسلمين الصالحين .

كما أنه ليس من الزهد أيضاً ما درج عليه بعض الصوفية من ترك ذبح الحيوان ، أو ترك الزواج ، أو الزهد في النوم ، أو صيام الدهر ، بل سيد الزاهدين يقول : إنني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني) [5] .

ـ هل الثواب على قدر المشقَّة ؟

إن مما أدى بالصوفية إلى الانحراف في الزهد ، ظنهم أن الثواب يكون على قدر المشقة ، ولهذا تجد الكثير منهم يُقحم نفسه في أنواع من المشقات ،

---

(1) الأعراف: آية (٣٢).

(2) البقرة: آية (١٧٢).

(3) التحريم: آية (١).

(4) مجموع الفتاوى ٥١١/١٠ ، ٦١٥ ، ومدارج السالكين ١٢/٢ .

(5) رواه مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، ١٠٢٠/٢ رقم (١٤٠١) .

كمواصلة الصيام ، ومتابعة السهر ، وترك لذيذ الطعام والشراب ، والاقتيات على المنبوذات ، والسفر من غير زاد أو راحلة ، والجلوس في الشمس لمدة طويلة ؛ كل ذلك طلباً للثواب ، ورغبة في صفاء النفس .

وهذا الكلام باطل ، بل هو من التنطُّع الممقوت ، والتكلُّف البغيض ، إذ الثواب لا يُنال بتعذيب النفس ، ومخالفة السنة ، وليس مقصود الدين إيقاع الناس في الحرج والمشقة ، بل الله يريد بعباده اليسر قال تعالى : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) [1] ، ورسوله صلى الله عليه وسلم رحيم بالمؤمنين قال تعالى : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) [2]، كما شرع الله الرخص وأحب من عبده فعلها ، قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته)[3][4].

وليس الثواب أيضاً على مقدار الطاعة ، بل قد تكون الطاعة عملاً يسيراً ويكون ثوابها عظيماً ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) [5][6] .

والصحيح أن الثواب يكون على قدر الإخلاص والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم والاستنان بسنته ، فعملٌ قليل في سنة خير من كثير في بدعة ، قال تعالى:(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**)[7]، فمحبة الله لا تنال بكثرة العمل، بل بالإخلاص لله والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

---

[1] البقرة : آية (١٨٥) .

[2] التوبة : آية (١٢٨) .

[3] رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٨/٢ ، وسيأتي تخريجه ص٢٢٣.

[4] انظر: مجموع الفتاوى ٦٢٠/١٠.

[5] رواه البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته ، ٦٩٤/١١ رقم(٦٦٨٢).

[6] انظر: مجموع الفتاوى ٦٢١/١٠.

[7] آل عمران : آية (٣١) .

على أن المكلف إذا حصلت له المشقة في العمل المشروع ، من غير قصد منه لها ، فإن ثوابه يزيد إذا صبر عليها ، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)[١].

لكـن هذه المشقة ليست مقصودة لذاتها ، بل جاءت عرضاً من غير تدبير مسبق ، وكذا الحال إذا كان العمل يستلزم المشقة غالباً ؛ كالحج والجهاد ونحوها ، فهـذه يكـون الثواب فيها على قدر المشقة ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لما سألته العمرة في حجة الوداع : (انتظري فإذا طَهُرْتِ فاخرجي إلى التنعيم فأهلِّي ، ثم ائتينا بمكان كذا ، ولكنها (أي أجر العمرة) على قدر نفقتك أو نصبك)[٢][٣] .

أمـا أن يقصد العبد المشقة ويبحث عنها ، فليس هذا من سنة النبي صلى الله علـيه وسلم ، ولا يثاب على ذلك ، بل قد يعاقب لمخالفته السنة ، وتعريضه نفسه للهلاك والتلف .

وكذلـك الورع المشروع فإنه ما يُخاف ضرره في الآخرة ، وهو المحرَّم المعلـوم تحـريمه وكذا المُشتبه ، كما قال عليه والصلاة والسلام : (الحلال بيِّن والحـرام بيِّـن ، وبينهما مشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه)[٤][٥] .

وأما الورع عما لا ضرر فيه في الآخرة ، أو فيه مضرَّة مرجوحة ، لما فيه من منفعة راجحة ، أو دفع مضرة أخرى راجحة ، فإن الورع عن مثل هذا جهل، ويدخل في ذلك الواجب والمستحب والمباح المحض الذي لا يخاف ضرره ؛ فإن

---

[١] رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ، ٥٤٩/١ رقم (٧٩٨) .

[٢] رواه البخاري، كتاب العمرة ، باب أجر العمرة على قدر النصب ٧٧٨/٣ رقم(١٧٨٧).

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٦٢٢/١٠.

[٤] رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، ١٦٨/١ رقم (٥٢) .

[٥] انظر: مجموع الفتاوى ٥١١/١٠ ، ٦١٥.

الـورع عـن مـثل هـذه الأمـور سـفه ، بـل هـو محـرَّم شـرعاً[1] .

وتمـام الـورع أن يعلـم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين ، ويعلم أن الشـريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وأما مـن لـم يفعل ذلك فقد يدع واجباً ، أو يفعل محرَّماً ، ويرى أن ذلك من الورع ؛ مـثل مـن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ، أو يدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذيـن فيهم بدعة أو فجور ، أو يترك الأخذ من بيت المال لما فيه من شبهة ، ثم يذهب يسأل الناس ويستجديهم[2] .

وبهـذا يتبيَّن أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع ، وأما المحـرَّمات والمكـروهات فيصـلح فيها الزهد والورع ، وأما المباحات التي لا يسـتعان بها على الطاعة ، فيصلح فيها الزهد دون الورع ؛ وذلك أن الزهد عدم رغـبة وإرادة ، والورع وجود نُفرة وكراهة ، وعدم الإرادة يصلح فيما ليس فيه منفعة خالصة أو راجحة ، كالمباح المحض ، وأما وجود الكراهة فإنه إنما يصلح فـيما فيه مضرة خالصة أو راجحة ، والمباح المحض ليس فيه هذه المضرة والله أعلم [3] .

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٦١٥-٦١٦ .

(2) المرجع السابق ١٠/٥١٢.

(3) المرجع السابق ١٠/٦١٨، -٦١٩ .

المبحث التاسع : العبادة لا تكون إلا بعلم وحسن قصد :

ولابد قبل هذا من تعريف العبادة :

أ- تعريف العبادة :

العبادة لغة : عَبَدَ يَعْبد عبادة فهو عابدٌ وهم عَبِيْد وعُبُد ، والعبادة : التذلل والخضوع ، والمُعبَّد : المكرَّم المعظَّم ، وطريق مُعَبَّد : مسلوك مُذلَّل ، والعَبَدُ: الجرب الذي لا ينفع فيه دواء ، وعَبَدَ عليه : غَضِب ، وعَبَّد الرجلُ : أسرع [١] .

العبادة اصطلاحاً : قال شيخ الإسلام : (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة). [٢]

ب- العبادة لا تكون إلا بعلم وحسن قصد :

إن مما يطعن فيه الصوفية على الفقهاء ، هو انصرافهم إلى طلب العلم وانشغالهم بذلك عن الاجتهاد في العبادة والإكثار منها ، وربما خلط ذلك بعضهم بشوب من الهوى وطلب الدنيا والرياسة.

والحقيقة أن كلاً من الصوفية وأصحاب الهوى من الفقهاء على ضلال ، فالصوفية أعرضوا عن العلم الشرعي ، فعبدوا الله على جهالة ، مع توفُّر حسن القصد عندهم ــ في الغالب ــ وتخلُّصهم من الهوى وأصحاب الهوى من الفقهاء، طلبوا العلم لهوىً في أنفسهم ؛ من طلب الرياسة أو المال أو الجاه ، فانتفى حسن القصد عندهم مع وجود العلم .

فكل من الطائفتين في فعلها حق وباطل ، وكل منهما قد خفي عليه ما لدى الأخرى من الحق ، فأما الصوفية فإنهم عبدوا الله من غير اتِّباع للشرع ، لأنهم ظنوا أن حسن القصد والتخلص من الهوى ، إذا توفر للعبد ، فإن عمله مقبول ، وإن لم تحصل فيه المتابعة للشرع ، فأشبهوا بذلك النصارى الذين وصفهم الله بأنهم ضالون.

---

[١] انظر : لسان العرب ٦٦٤/٤ .

[٢] شرح العبودية ص ٦ ، ومجموع الفتاوى ١٤٩/١٠ .

وأمـــا أصحاب الهوى من الفقهاء فإنهم طلبوا العلم الشرعي وعرفوا الأمر والنهـــي لكـــنهم لـــم يعملـــوا بما علموه ؛ لأنهم إنما طلبوا العلم لينالوا به الدنيا ، فأشبهوا اليهود ، الذين وصفهم الله بالمغضوب عليهم[١] .

وقـــد حذر الله من سلوك سبيل هاتين الطائفتين ، وبيَّن أن الهدى في سلوك الصـــراط المســـتقيم ، قال تعالى : **(اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** [٢] ، كما وصف الله العالِم الفاسق بأنه كالحمار الذي يحمل أسفاراً قال تعالى : **(مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمـــثل الحمار يحمل أسفاراً)** [٣]ووصفه في آية أخرى بالكلب الذي يلهث ، قال تعالى : **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاويـــن ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه فمثله كمثل الكلـــب إن تحمـــل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصـــص القصـــص لعلهـــم يتفكرون)** [٤]وأمر سبحانه بحسن القصد وإخلاص العبادة لله ، قال تعالى: **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)** [٥][٦] .

وحـــذَّر سبحانه من الضلال الناتج عن الإعراض عن العلم والهدى ؛ وهي حـــال الصوفية ، قال تعالى : **(فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغـــير علم)** [٧]، وقال سبحانه : **(ليحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم)**[٨]، وقال سبحانه: **(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)**.[٩]

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٥٠٠-٥٠١ ، ٥١٥-٥١٦.

[٢] الفاتحة : الآيات (٦-٧) .

[٣] الجمعة : آية (٥) .

[٤] الأعراف : الآيات (١٧٥-١٧٦) .

[٥] البينة : آية (٥) .

[٦] انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٥١٥.

[٧] الأنعام : آية (١٤٤) .

[٨] النحل: آية (٢٥) .

[٩] القصص : آية (٥٠) .

وحـــث سبحانه على الفقه في الدين ، قال تعالى : **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين)** [١]

أمـــا المؤمنون الصادقون فإنهم جمعوا العلم وحسن القصد ؛ ولهذا قال الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : **(ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)** [٢] فنفى عنه الغواية والكلام بغير علم ، وأثبت له حسن القصد والعلم الذي مصدره الوحي[٣] .

وهكـــذا كـــان الصـــحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان عندهم العلم الذي يمـــيزون بـــه بيـــن الحســـنات والسيئات ، وعندهم حسن القصد الذي يفعلون به الحســـنات،أما المـــتأخرون فـــإن كثـــيراً منهم يفوته العلم حتى يظنَّ السيئة حسنة والحســـنة ســـيئة ، أو يفوتـــه حسن القصد ، فيتبع هواه فيما وضح له من الأمر والنهي[٣].

ثـــم إن مـــنهم من فاته العلم وحسن القصد جميعاً ؛ فالعالم ليس عنده أمر الشـــارع ونهيه حقيقة ، والعابد ترك حسن القصد ودخل عليه الهوى وهؤلاء شر من سابقيهم وأشد ضلالاً .

والحق أن العلم الشرعي من أعون الأشياء على العبادة وحسن القصد فيها، كما قال تعالى : **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** [٤]، فإذا ضعف العلم حار السالك ولم يدر أين يسلك ، كما أن حسن القصد من أعون الأشياء على نيل العلم وتحصـــيله ، قال تعالى : **(واتقوا الله ويعلمكم الله)** [٥]ومن عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم ، والله أعلم[٦].

---

[١] التوبة آية (١٢٢).

[٢] النجم الآيات (٢-٤).

[٣] انظر: مجموع الفتاوى ٥٤٥/١٠.

[٣] المرجع السابق ٥٤٣/١٠.

[٤] فاطر : آية (٢٨) .

[٥] البقرة : آية (٢٨٢) .

[٦] انظر: مجموع الفتاوى ٥٤٣/١٠-٥٤٤.

القسم الثاني :

الكتاب محققاً

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله[١]

قال شيخنا الإمام العلاَّمة ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام – العالم الرباني والعامل النوراني – بن تيمية الحراني ، رضي الله عنه وأرضاه[٢] :

الحمد لله [نحمده][٣] ونستعينه [ونستهديه][٤] ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، ونشهد[٥] أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له][٦]، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله[٧] وسلم تسليماً كثيراً[٨][٩].

---

[١] " توكلت على الله " ليست في سائر النسخ، وفي(ش) "رب يَسِّر".

[٢] في(أ ، ب) " قال شيخ الإسلام علامة الزمان أبو العباس أحمد بن تيمية قَدَّسَ الله روحه، ونَوَّرَ ضريحه"، وفي(ع ، ش) " قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى".

[٣] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع).

[٤] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[٥] في (أ ، ب ، ع ، ش) "وأشهد ".

[٦] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، أ ، ب ، ع ، ش).

[٧] " وعلى آله " ليست في سائر النسخ.

[٨] " تسليما كثيرا " ليست في (ظ) ، وفي (ع) " تسليما ".

(٩)هذه الخطبة جزء من خطبة الحاجة، وقد روى هذا القدر منها عن النبي صلى الله عليه وسلم مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٣ رقم(٨٦٨)، عن عبدالله بن عباس.

ورواها بتمامها: أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٨ رقم(٢١١٨)، عن عبدالله بن مسعود. ولها طرق أخرى ، عن أبي موسى الأشعري، وجابر بن عبدالله، وعائشة، ونُبَيْط بن شُرَيْط رضي الله عنهم أجمعين، وقد تتبع العلامة الألباني هذه الطرق وحكم عليها، في كتابه(خطبة الحاجة).

وأصل هذه الخطبة أنها تُقال عند عقد النكاح، ولهذا أوردها أكثر من رواها من أئمة الحديث(كأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي) في كتاب النكاح .

لكن لا يقتصر ذكرها على ذلك، بل إنه من السُنة أن تُفتتح بها الخطب، وتُبتدأ بها الكتب، يقول الألباني:" قد تبيَّن لنا من مجموع الأحاديث المتقدمة، أن هذه الخطبة تُفتتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح أو جمعة أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما قد يُظن) ، انظر خطبة الحاجة للألباني ص٣١.

كلام الشيخ عبدالقادر في الأحوال التي يكون عليها المؤمن

قـــال الشيخ أبو محمد عبد القادر[1] في كتاب: فتوح الغيب[2] : « لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمرٍ يمتثله ، ونهيٍ يجتنبه ، وقدرٍ يرضى بـــه ، فأقلُّ حالةٍ لا يخلو المؤمن فيها[3] من أحد هذه الأشياء الثلاثة[4] ، فينبغي له أن يُلْـــزِمَ هَمَّهَـــا[5] قَلْـــبَه ، وليُحَدِّثْ[6] بها نفسه ، ويأخذ بها الجوارح[7] في سائر أحواله » .

شرح شيخ الإسلام لذلك

قلـــت[8] : هـــذا كلامٌ شريفٌ جامعٌ يحتاج إليه كل أحد ، وهو تفصيلٌ لما يحـــتاج إليه العبد ، وهي مطابقةٌ لقوله تعالى : « **إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضـــيع أجـــر المحسنين** »[يوسف: ٩٠] ولقوله تعالى[9] : « **وإن تصبروا وتتقوا لا يضـــركم كيدهم شيئاً** »[آل عمران: ١٢٠]، ولقوله تعالى: « **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** »[آل عمران: ١٨٦] [10] .

فإنَّ التقوى تتضمَّن فعل المأمور وترك المحظور ، والصبرُ يتضمَّن الصبر على المقدور ، فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين ، والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر ؛ وهو طاعة الله ورسوله .

---

[1] في(ك) زيادة " الكيلاني ".

[2] انظر: فتوح الغيب ص٥ (المقالة الأولى).

[3] في فتوح الغيب " المؤمن لا يخلو فيها ".

[4] في(ع) " الثلاثة الأشياء "، وفي(ك) " الثلاثة ".

[5] في(أ) " يلزمها ".

[6] في(ظ ، أ ، ب ، ع ، ش) " ويحدّث ".

[7] في فتوح الغيب " ويؤاخذ الجوارح بها ".

[8] في (ك) " قال شيخ الإسلام مفتي الأنام بحر العلوم أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية قلت...".

[9] " تعالى " سقطت من (ك ، ش).

[10] في (ع) تقديم وتأخير في الآيتين الأخيرتين.

فحقـيقة الأمـر أنَّ كل عبدٍ فإنَّه مُحتاج في كل وقت إلى طاعة الله ورسوله ؛ وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أُمر به في ذلك الوقت[1] .

وطاعـة الله ورسوله هي عبادة الله التي خلق لها الجن والأنس ، كما قال تعـالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى:« **واعبد ربـك حتى يأتيك اليقين** »[2][الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** »[البقرة: ٢١] .

والرسـل كلهم أمروا قومهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وقال تعالى : « **ولقـد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** »[النحل: ٣٦]، وقـال تعالى : « **واسْئَل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون** »[الزخرف: ٤٥] .

سبب رجوع الأمر والنهي والرضا إلى امتثال الأمر

وإنمـا كانت الثلاثة ترجع إلى امتثال الأمر ؛ لأنه في الوقت الذي يُؤْمَرُ[3] فـيه[بأمور] [4] من الفرائض ؛ كالصلوات الخمس والحج ونحو ذلك ،[5] يحتاج إلى فعل ذلك المأمور .

وفـي الوقـت الـذي[6] تحدث[7] أسباب المعصية[8]، يحتاج إلى الامتناع والكراهة والإمساك عن ذلك ، وهذا فعل لما أُمر به في هذا الوقت .

وأما من لم تَخْطُرْ له المعصية ببال ، فهذا لم يفعل شيئاً يؤجر عليه ، ولكنْ عَدَمُ ذنبه مستلزمٌ لسلامته من عقوبة الذنب .

والعدم المحض[9] المستمر لا يُؤمر به ، وإنما يُؤْمر بأمرٍ[10] يَقْدِرُ عليـه

---

[1] " في ذلك الوقت " سقطت من(أ ، ب ، ع ، ش).

[2] هذه الآية سقطت من (ع).

[3] أي العبد.

[4] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ).

[5] من هنا إلى قوله " ...أسباب المعصية " سقط من (ك).

[6] " الذي " سقطت من (أ ، ب).

[7] في الأصل " يحدث " والمثبت من سائر النسخ.

[8] في (ع) زيادة " فيه ".

[9] المحض من كل شي: الخالص والصريح. انظر: لسان العرب ٤٤٥/٥.

[10] في(ع) " بما ".

العبد ، وذاك[1] لا يكون إلا حادثاً ؛ سواء كان إحداث إيجاد أمر ، أو إعدام أمر .

وأمـــا القدر الذي يرضى به ؛ فإنه إذا ابتُلي بالمرض أو الفقر أو الخوف ، فهـــو مـــأمورٌ بالصبر أمر إيجاب ، ومأمورٌ بالرضا ؛ إما أمر إيجاب ، وإما أمر استحباب ، وللعلماء من أصحابنا وغيرهم في ذلك قولان[2] .

ونفـــس الصـــبر والرضا بالمصائب هو طاعةٌ لله[3] ورسوله ؛ فهو من امتثال الأمر ، وهو عبادةٌ لله[4] .

الأمر والنهي والرضا عند اقترانها في الكلام

لكن هذه الثلاثة وإن دخلت في امتثال الأمر[5] عند الإطلاق ، فعند التفصيل والاقـــتران[6] ؛ إما أن تُخَصَّ بالذِّكْرِ ، وإما أن يُقال : يُراد بهذا ما لا يُراد بهذا ، كمـــا فـــي قولـــه [تعالى][7] : « **فاعبده وتوكَّل عليه** »[هود: ١٢٣] ،وقوله[8] : « **فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** »[طه: ١٤] ، فإنَّ هذا داخل في العبادة ، إذا أطلق اسم العبادة .

---

[1] في(أ ، ب ، ع ، ش) " وذلك ".

[2] يقول شيخ الإسلام في التحفة العراقية: " وأما الرضا فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغـيرهم فـي الرضـا بالقضـاء ؛ هـل هو واجب أو مستحب على قولين: فعلى الأول/ يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني/ يكون من أعمال المقربين ".

وقـد رجـح الشـيخ أن الرضا مستحب؛ وذلك أن الله إنما ذكر الرضا في القرآن في معرض المدح، كقوله تعـالى:" **والذيـن اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك هو الفوز العظيم** "[التوبة: ١٠٠] ولم يذكره على سبيل الأمر والإيجاب، بخلاف الصبر الذي قال الله فيه:" **واصبر وما صبرك إلا بالله** "؛ ولهذا ورد عن الحسن البصري أنه قال:" الرضا عزيز، لكن الصبر مُعوّل المؤمن " رواه أبو نعيم في الحلية١/٣٤٢.

وأما الأثر الذي يرويه الصوفية(من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ رباً سوائي) فقد بيَّن شيخ الإسلام أنه إسرائيلي لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عنه الهيثمي:" رواه الطبراني ، وفيه سعيد بن زياد وهو متروك " .

انظر: التحفة العراقية ص٣٥٦، ومدارج السالكين ٢/١٧١، وشفاء العليل ٢/٧٦١، ومجمع الزوائد٧/٢٠٧.

[3] في (ك) " الله ".

[4] في (أ ، ب) " الله ".

[5] من قوله:" وهو عبادة لله...." إلى هنا سقط من (ك).

[6] " الاقتران " مطموسة في (ظ).

[7] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك).

[8] " وقوله " سقطت من(أ ، ب ، ع ، ش).

وعـــند الاقتران إما أن يُقال: ذُكِر[1] عموماً وخصوصاً ، وإما أن يقال: ذِكْره خصوصاً يُغني عن دخوله[2] في العام[3] .

ومثل هذا قوله تعالى[4]:« **إياك نعبد وإياك نستعين** »[الفاتحـــة: ٥]، وقوله : « **واذكـــر اسم ربك وتَبَتَّل إليه تبتيلا ، ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً**»[المزمل: ٨ــ١٠]، وقد يقال : لفظ التَّبتُّل[5][6] لا يتناول هذه الأمور المعطوفة، كما يتناولها لفظ العبادة والطاعة.

وبالجملـــة فَـــرْقٌ بيـــن ما يُؤمر به الإنسان ابتداءً ، وبين ما يؤمر به عند حاجته[7] إلى جلب المنفعة ، ودفع المضرة ، أو عند حُبِّ الشيء وبُغضه .

---

[1] في(أ ، ب ، ع) " ذكره ".

[2] في(أ ، ب ، ع ، ش) " يعني دخوله ".

[3] أي أن الأمـــر والنهي والرضا إذا أفرد كل واحد منها، فإنها جميعاً تدخل في امتثال الأمر، أما إذا اقترنت في الكلام ففيها ثلاثة أوجه:

الأول/ أن يكون عطف بعضها على بعض من باب عطف العام على الخاص.

الثاني/ أن تكون المعطوفات لازمة للمعطوف عليه وليست داخلة فيه.

الثالث/ أن لا تكون لازمة له ولا داخلة فيه، بل يُراد بها ما يراد بالمعطوف.

وقـــد ذكر الشيخ القولين الأول والثالث هنا، وذكر الثاني في كتاب(الإيمان)، وتوسع ــ رحمه الله ــ في ذلك، وذكـــر عـــدة أمـــثلة على الأسماء التي تدخل تحت هذا الباب مثل:(الإسلام والإيمان)، (والفقير والمسكين)، (والمنكر والفحشاء).

فهـــذه الأسماء إذا أطلقت دخل الإيمان في الإسلام، والمسكين في الفقير، والفحشاء في المنكر، أما إذا اقترنت كما في قوله:" **إنما الصدقات للفقراء والمساكين**..."[التوبة: ٦٠]، وقوله:".. **وينهى عن الفحشاء والمنكر**..." [النحل: ٩٠]، فإنها تنطبق عليها أحد الأقوال الثلاثة السابقة.

انظر: الإيمان لابن تيمية ص١٥٣ــ١٦٣.

[4] " تعالى " سقطت من(أ ، ب ، ش).

[5] في(أ ، ب) " التبتيل ".

[6] أصل التبتل من البتل ؛ وهو القطع ، والمراد به هنا الانقطاع عن النساء وترك النكاح ، ومنه سمِّيت مريم البتول لأنها لم تتزوج.

انظر: لسان العرب ١/١٥٧.

[7] في(ك) " الحاجة ".

وكلام الشيخ[1] – قَدَّسَ الله روحه – يدور[2] على هذا القُطْبِ[3] ؛ وهو أن يفعـل المأمور ، ويترك المحظور[4] ويخلو فيما سواهما عن إرادة ؛ لئلا يكون له مُـرَادٌ غـير فعل ما أمره به ربه[5] ، وما لم يُؤمر به العبد ، بل فعله الرب عز وجـل[6] بـلا واسطة العبد ، أو فعله بالعبد[7] بلا هوى من العبد ، فهذا هو القَدَر الذي عليه أن يرضى به .

وسـيأتي من[8] كلام الشيخ ما يُبيِّن مراده ، وأن[9] العبد في كل حال عليه أن يفعل ما أُمر به ، ويترك ما نهي عنه[10] .

وأمـا إذا لـم يكن هو[11] آمراً للعبد بشيء من ذلك ، فما فعله الرب[12] كان علينا التسليم فيما فعله ، وهذه هي الحقيقة[13] في كلام الشيخ وأمثاله .

موقف العبد مما فعله الرب بغير اختيار العبد

وتفصيل الحقيقة الشرعية[14] في هذا المقام ؛ أن هذا[15] نوعان[16] :

---

(1) أي الشيخ عبد القادر الكيلاني.

(2) قوله: " قدس الله روحه يدور " مطموس في (ظ).

(3) قُطْبُ الرَّحى: هي الحديدة التي توجد في الجزء الأسفل من الرحى، ويدور عليها الجزء الأعلى منها، وكل شئ يدور عليه شئ فهو قطبه.

انظر: لسان العرب ١١٣/٥.

(4) المحظور هو المحرَّم، وحَدُّه عند الأصوليين/ ما تُوُعِّد بالعقاب على فعله.

انظر: روضة الناظر ٢٠٨/١، والمسودة لآل تيمية ١٠٠٥/٢.

(5) في(ك ، أ ، ب ، ع ، ش) " ما أمر الله به ".

(6) " عز وجل " مطموسة في (ظ)، وفي(ك) "تعالى".

(7) في(ك) " أو فعله العبد".

(8) في (أ ، ب) " في " بدل " من ".

(9) في (أ ، ب) " فإن ".

(10) كقول الشيخ عبدالقادر:" احفظ أبداً أمره وانته أبداً نهيه..." فتوح الغيب ص١٠ (المقالة السابعة).

(11) الضمير هنا عائد إلى الله عز وجل.

(12) من هنا إلى قوله " ...وأمثاله " غير ظاهر في (ظ).

(13) سبق التعريف بالحقيقة عند الصوفية في ص١٤٢،وقد بين الشيخ معناها عند الشيخ عبد القادر في المتن.

(14) الحقيقة الشرعية/ هي ما لم يُستَفَدْ اسمه إلا من الشرع.

انظر: التوقيف للمناوي ص٢٩٠.

(15) أي ما فعله الرب بغير اختيار العبد؛ كالمرض والموت ، وإيمان المؤمن وكفر الكافر، ونحو ذلك مما يحصل في هذا الكون من الأفعال والأحداث التي لا اختيار للعبد في وقوعها. =

أحدهما : أن يكون العبد مأموراً فيما فعله الرب ؛ إما بِحُبٍّ له، وإعانةٍ عليه[1]، وإما ببغضٍ له ودفعٍ[2] له .

والثاني : أن لا يكون العبد مأموراً بواحدٍ منهما .

فالأول مثل : البِرِّ والتقوى الذي يفعله غيره؛ فهو مأمورٌ بحبّه،وإعانته عليه[3]؛ كإعانة المجاهدين في سبيل الله على الجهاد ، وإعانة سائر الفاعلين للحسنات على حسناتهم بحسب الإمكان ، ومحبَّةِ[4] ذلك والرضا به ، وكذلك هو مأمورٌ عند مصيبة الغير ؛ إما بنصرةِ[5] مظلومٍ ، وإما بتعزية مُصَابٍ ، وإما بإغناء فقيرٍ ونحو ذلك .

وأما ما هو مأمور ببغضه ودفعه ؛ فمثل: ما إذا ظهر الكفر والفسوق والعصيان، فهو مأمور ببغض ذلك ودفعه وإنكاره بحسب الإمكان[6] ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح[7]: « من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[8] .

= [16] في (ع ، ش) " نوعين ".

[1] في الأصل " له " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في (ش) " ورفع ".

[3] الأصل في ذلك كله قوله تعالى: " **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان...**" [المائدة: ٢].

[4] في(أ ، ب ، ع ، ش ، ك) "وبمحبة ".

[5] في سائر النسخ " بنصر ".

[6] ولهذا حَذَّرَ الله تعالى من الرضا بالكفر، أو مجالسة من يستهزأ بآيات الله قال تعالى:" **وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم** "[النساء: ١٤٠]، وتوعَّد الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين بالعذاب الأليم، قال تعالى:" **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة...**"[النور: ١٩].

[7] الحديث الصحيح/ هو ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله ، وسلم عن شذوذ وعلة. انظر: المنهل الروي ص٣٣، والباعث الحثيث ص٢٢.

[8] الحديث رواه مسلم، في كتاب الإيمان، باب كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ رقم (٤٩) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بلفظ:
" أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" .

وأمَّـــا مـــالا[1] يؤمـــر العبد فيه بواحد منهما ؛ فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يُستعان بها على طاعة ولا[2] معصية ، فهذه لا يؤمـــر بِحُـــبِّها ولا بِبُغْضِها ، وكذلك[3] مباحات نفسه المَحْضَةُ[4] التي لم يَقْصِدِ الاستعانة بها على طاعةٍ ولا معصية .

المباح حكمه بحسب نيّة فاعله

مـــع أن هذا نَقْصٌ منه[5] ؛ فإن الذي ينبغي أنَّه لا يفعل من المباحات إلا ما يســتعين بـــه على الطاعة ، ويقصد[6] الاستعانة بها[7] على الطاعة ، فهذا سبيل المُقَرَّبيـــن السابقين ، الذين تقرَّبوا[8] إلى الله [تعالى][9] بالنوافل بعد الفرائض ، ولـــم يَزَلْ أحدهم يتقرب إليه بذلك حتى أَحَبَّهُ، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها [10].

[وأمـــا مـــن فعل المباحات][11] مع الغَفْلَةِ[12] ، أو فعل فُضُولَ[13] المباح[14] التـــي لا يُســـتعان بهـــا على طاعة ، مع أداء الفرائض ، واجتناب المحارم باطناً وظاهراً ، فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين .

---

[1] في (ع) " ما لم ".

[2] في (ع) زيادة " على ".

[3] في الأصل وسائر النسخ " وذلك " ، والمثبت من (ظ) والمجموع؛ لأنه أليق لفهم المعنى.

[4] المـــباحات المحضة/ هي الخالصة من استصحاب نيَّة الاستعانة بها على طاعة أو معصية؛ مثل من يأكل ويشرب وينام من غير استصحاب نية معينة.
انظر: النهاية لابن الأثير ٣٠٢/٤.

[5] أي من العبد.

[6] في(أ ، ب ، ش) " وتقصد ".

[7] في الأصل " بهما " والمثبت من سائر النسخ.

[8] في (ك) " يتقربون ".

[9] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[10] أشار الشيخ هنا إلى حديث الولاية، وسيأتي تخريجه ص٢٤٣.

[11] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[12] الغفلة: هي السهو وعدم الفطنة، والمعنى هو: سهو العبد عن استصحاب النية الصالحة حال فعله للمباح.
انظر: لسان العرب ١٠٠٢/٤.

[13] الفضول جمع فضلة/ وهي البقيَّة من الشيء وكل ما زاد عن الحاجة فهو فضلة.
انظر: لسان العرب ١١٠٦/٤.

[14] في (ك) " المباحات ".

وبالجملـــة الأفعال التي يُمكن دخولها تحت الأمر والنهي، لا تكون مُستَوِيَةً من كُلِّ وجه ؛ بل إن فُعِلَتْ على الوجه المحبوب ، كان وجودها خيراً للعبد ، وإلا كـــان تركها خيراً له[1] ، وإن لم يُعاقب عليها ؛ فَفُضُولُ المباح التي لا تعين على الطاعـــة عدمهـــا خير من وجودها ، إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله ، فإنها تكون شاغلة له عن ذلك.

وأما إذا قُدِّرَ أنها تُشْغله عن ما هو[2] دونها[3]، فهي[4] خيرٌ له مما دونها ، وإن شَـــغَلَتْهُ عـــن معصية الله كانت رحمةً في حَقِّهِ ، وإن كان اشتغاله[5] بطاعة الله[6] خيراً له من هذا وهذا .

وكذلك أفعال الغَفْلَةِ والشَّهوة التي يُمكن الاستعانة بها على الطاعة ؛ كالنوم الـــذي يُقصد به الاستعانة على العبادة ، والأكل والشرب واللباس والنكاح[7] الذي يُمكـــن الاستعانة به على العبادة ، إذا لم يقصد به ذلك ، كان [ذلك][8] نَقْصاً من العبد ، وفواتَ حسنةٍ وخيرٍ يحبه الله .

ففـــي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد : « إنَّك لن تُنْفِقَ نَفَقَةً تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة،حتى اللُّقمة[تَضَعُهَا][9] في في امرأتك »[10] .

---

[1] " له " سقطت من (ك).

[2] " هو " سقطت من (أ ، ب).

[3] كالذي يشتغل بفعل المباحات عن فعل المكروهات.

[4] في (ع) " فهو ".

[5] في (ش) " أشغاله ".

[6] في (ك) زيادة " كان ".

[7] في (ع) " والنكاح واللبس ".

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ).

[9] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك)، وفي (أ ، ب ، ع ، ش) " ترفعها ".

[10] الحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة ٢١١/٣ رقم(١٢٩٥) عن سعد بن أبي وقاص ولفظه:

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنةٌ، أفأتصدق بثلثي مالي قال: لا، قلت بالشطر فقال:لا، ثم قال: الثلث والثلث كبير أو كثير، إنك عن تَذَرْ ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يَتَكَفَّفون الناس، وإنك لن تُنْفق نفقة=

وقال في الحديث الصحيح[1] : « نفقة المسلم على أهله يَحْتَسِبُها صدقة »[2] .

فما لا يُحْتاج[3] إليه من المباحات، أو يُحْتاج إليه ولم يصحبه إيمانٌ يجعله حسـنة ، فعَدَمُه خير من وجوده ، إذا[4] كان مع عدمه يشتغل بما هو خير منه ، وقـد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « في[5] بُضْعِ[6] أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسـول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له بها[7] أجرٌ ، قال : أرأيتم لو وضعها في الحـرام ، أما كان عليه وزرٌ ، قالوا : بلى[8] ، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له بها أجر[9] ، فلم تَعْتَدُّون بالحرام ولا تَعْتَدُّون بالحلال »[10] .

= تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها حتى ماتجعل في في امراتك..." الحديث.

ـ ورواه مسلم، في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ٣/١٢٥٠ رقم(١٦٢٨). عن سعدٍ أيضاً.

[1] في(أ) " وقال في الصحيح "، وفي(ب، ش) " وقال وفي الصحيح " ، وفي(ع) " وفي الصحيح ".

[2] الحديث رواه البخاري، في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل ٦٢١/٩ رقم(٥٣٥١) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، بلفظ:

" إذا انفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة ".

وأبو مسعود: هو عقبة بن عامر الخزرجي الأنصاري البدري، شهد أحداً وما بعدها، واختُلف في شهوده بدراً، كان مع عليٍ يوم صفِّين، فولاه على الكوفة توفي بعد سنة أربعين.

انظر: الإصابة٤/٤٣٢.

[3] في (ك) " فما يحتاج ".

[4] في (ع) " أو " .

[5] في (ع) " وفي " .

[6] البُضْع/ بالضم يطلق على الفَرْج، وعلى الجماع، وعلى النكاح، يقول عمر بن معد يكرب :

وفي كعبٍ وإخوتها كلابٍ سَوَامي الطَّرف غاليةِ البُضُوع

أي أن نساءهم غاليات المهور فلا يقدر على ملك بضوعهن إلا أهل اليسار.

انظر: النهاية لابن الأثير ١٣٢/١، ولسان العرب٢٢٣/١.

[7] " بها " ليست في سائر النسخ، وفي(ك) " فيها ".

[8] في الأصل زيادة " يا رسول الله " ، والمثبت من سائر النسخ.

[9] من قوله " قال فكذلك " إلى هنا ليس في (ظ ، ك).

[10] الحديث رواه مسلم، في كتاب الزكاة، باب أنَّ اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢ رقم(١٠٠٦)،عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، بلفظ:

" أن أناساً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدُّثور بالأجور؛ يُصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي=

وذلـــك أن المؤمن عند شهوة النكاح يقصد أن يَعْدِلُ عما حرمه الله إلى ما أباحـــه الله[1] ، ويقصـــد فعـــل المباح معتقداً أن الله أباحه: « والله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تُؤْتى معصيته »[2] كما روى ذلك[3] الإمام أحمد في المسند ورواه غيره ؛ ولهذا أحبَّ القَصْرَ والفِطْرَ .

= عن المنكر صدقة، وفي بُضْع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ".

وأما زيادة(فلم تعتدُّون بالحرام ولا تعتدُّون بالحلال) فقد وردت في رواية للإمام أحمد في المسند ١٦٧/٥ عن أبي ذر أيضاً، بلفظ " قال: أفتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير " ، وهذه الرواية عند الإمام أحمد قال عنها شعيب الأرنؤوط بأنها ضعيفة؛ لانقطاع إسنادها؛ فأبو البختري لم يدرك أبا ذر.

انظر: تخريج الأرنؤوط للمسند ٢٩١/٣٥، ٣٧٣.

[1] لفظ الجلالة ليس في(ظ ، ك).

[2] الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٨/٢ عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ".

ـ ورواه ابن خزيمة في صحيحه، باب استحباب قصر الصلاة في السفر ٧٣/٢ رقم(٩٥٠).

ـ وابن حبان في صحيحه(الإحسان) ٤٥١/٦ رقم(٢٧٤٢).

ـ وابن منده في التوحيد ٢٢٣/٣ رقم(٧١٦).

ـ والطبراني في الأوسط ١٤٥/٦ رقم(٥٢٩٨).

ـ والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب كراهية ترك التقصير والمسح على الخفين ١٤٠/٣.

ـ والحديث قال عنه المنذري:" رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والبزار والطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن"، ووافقه في هذا القول الهيثمي.

ـ وقال الألباني:" قلت: وهذا سندٌ صحيح على شرط مسلم ".

ـ وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج أحاديث صحيح ابن حبان:" إسناده قويٌّ ".

وفي إحدى طرق الحديث زيادة(حرب بن قيس)، وقد ذكر الألباني أن الذي زاده علي بن المديني، وأن حرباً ذكره ابن حبان في (الثقات) ، وذكر البخاري أنه رَضِيٌّ.

لكن الطبراني قال:" لم يُدخل بين موسى ونافعٍ حرباً إلا الدراوردي "، وعقَّب الألباني بقوله:" قلت وهو(أي الدراوردي) صدوق احتج به مسلم إلا أنه كان يُحَدِّث من كتب غيره فيخطئ".

ـ وللحديث شواهد من حيث ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وعائشة بلفظ:" ...كما يحب أن تؤتى عزائمه " بطرق بعضها صحيح وبعضها ضعيف، قال الألباني:" وجملة القول أن الحديث صحيح بلفظيه المتقدمين ".

انظر: صحيح ابن حبان(بتحقيق الأرنؤوط)٤٥١/٦، والمعجم الأوسط١٤٦/٦، والترغيب والترهيب١٣٥/٢، ومجمع الزوائد١٥٦/٣، وإرواء الغليل٩/٣ـ١٣، والسلسلة الصحيحة١٧٠/١.

[3] في (أ ، ب، ع ، ش) " كما رواه ".

فعدول المؤمن عن الرَّهبانية[1] والتَّشْديد ، وتعذيب النفس الذي لا يُحبه الله، إلى ما يحبه الله [من الرُّخصة][2] هو من الحسنات التي يُثِيْبُه الله عليها ، وإن فعل مـباحاً لِمَـا[3] اقترن به من الاعتقاد والقصد الذين كلاهما طاعة لله[4] ورسوله ، فإنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى .

متى يجب على العبد فعل المباح ؟

وأيضـاً فالعـبد هـو[5] مأمورٌ بفعل ما يحتاج إليه من المباحات ، وهو[6] مأمورٌ بالأكل عند الجوع ، والشرب عند العطش ؛ ولهذا يجب على المضطر إلى المَيْتَة أن يأكل[7] منها، ولو لم يأكل حتى مات كان مُستوجباً للوعيد ، كما هو قول جماهير[8] العلماء ؛ من الأئمة الأربعة وغيرهم.[9]

وكذلك هو مأمورٌ بالوطء عند حاجته إليه ، بل وهو[10] مأمورٌ بِنَفْسِ عَقْدِ

---

(1) أصل الرهبانية: من الرهبة وهي الخوف والفزع، كما قال تعالى :" **ترهبون به عدو الله وعدوكم**..."[الأنفال: ٦٠]، أي تخوّفونهم، ثم صارت علماً على نساك النصارى، الذين انقطعوا عن الدنيا، واعتزلوا للعبادة في الصوامع؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك خوفاً من الله.

وأول من ابتدع الرهبانية هم النصارى، كما قال تعالى:" **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها** "[الحديد: ٢٧]؛ أي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها، ما كتبناها عليهم البتّة، وإنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، ورضوان الله يُنال باتباع أنبياءه، لا بالابتداع والرهبنة كما فعل النصارى.

انظر: جامع البيان٢٧/٢٣٨، وتفسير القرطبي١٧/٢٦٣، والجواب الصحيح٢/١٨٨، واقتضاء الصراط المستقيم ٢٠٣/١، ومدارج السالكين ٢/٦٠، ٤٥٨، ولسان العرب٢/١٢٣٧.

(2) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(3) " لما " سقطت من (أ ، ب ، ع ، ش).

(4) في (أ ، ب ، ش) " الله ".

(5) " هو " ليست في (أ ، ب ، ع ، ش).

(6) في سائر النسخ " هو " ، وفي (ظ) غير واضحة.

(7) في (ع) " الأكل ".

(8) جمهور الناس: جلُهم ،وجمهور كل شيء: معظمه ، وجماهير القوم أشرافهم.

انظر: لسان العرب ٥٠٦/١.

(9) قال ابن قدامة في الأكل من الميتة: " وهل يجب على المضطر فيه وجهان: أحدهما/أنه يجب، وهو قول مسروق وأحد لوجهين لأصحاب الشافعي...وهذا اختيار ابن حامد، وذلك لقوله: " **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** "...والثاني لا يلزمه ".

المغني لابن قدامة٩/٣٣١، وانظر: نيل الأوطار٩/٣٢.

(10) في(ع) " هو ".

النكاح إذا احتاج إليه وقَدِرَ عليه[1] ، فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « في بُضْعِ أحدكم صدقة » فإن المُبَاضَعَةَ مأمورٌ بها لحاجته ولحاجة[2] المرأة إلى ذلك ، فإنَّ قضاء[3] حاجتها التي لا تنقضي إلا به بالوجه المباح صدقة .

والسُّلوك سلوكان :

أقسام سلوك المؤمنين:

سلوك الأبرار أهلِ اليمين ، وهو أداء الواجبات ، وترك المحرمات باطناً وظاهراً .

والثاني : سلوك المقرَّبين السابقين[4]؛ وهو فعل الواجب والمستحب بحسب الإمكان ، وترك المكروه والمحرَّم ، كما قال النبي[5] صلى الله عليه وسلم : « إذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم »[6] .

وكلام الشيوخ الكبار ؛ كالشيخ عبد القادر وغيره يشير إلى هذا السلوك ؛ ولهذا يأمرون بما هو مستحب غير واجب، وينهون عن ما[7] هو مكروه غير محرم ، فإنهم يسلكون بالخاصة مَسْلَكَ الخاصة ، وبالعامة مَسْلَك العامة .

لا يسوغ للعبد الوقوف مع الإرادة الكونية

وطريق الخاصَّة ــ طريق المقربين ــ :ألاَّ[8] يفعل العبد إلا ما أمر به، ولا

---

[1] كما قال عليه الصلاة والسلام: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " رواه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ١٣٢/٩ رقم(٥٠٦٥).

[2] في الأصل وسائر النسخ " وحاجة " ، والمثبت من(ظ ، ك).

[3] في الأصل " قضى "، وما أثبت من سائر النسخ.

[4] " السابقين " سقطت من (ك).

[5] " النبي " ليست في (ظ ، ك).

[6] الحديث رواه البخاري، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١٢/١٣ رقم(٧٢٨٨)، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
" دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبياءهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ".
– ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم ١٨٣٠/٤ رقم(١٣٣٧).

[7] في سائر النسخ " عما ".

[8] في سائر النسخ " أن لا ".

يريد إلا ما أمره[1] الله[2] ورسوله بإرادته ؛ وهو ما يحبه الله[3] ويرضاه ، ويريده إرادة دينية شرعية ، وإلا فالحوادث كلُّها مرادةٌ له خلقاً وتكويناً ، والوقوف مع الإدارة الخلقية القَدَرِيَّة[4] مطلقاً غيرُ مقدورٍ[5] عقلاً ، ولا مأمور شرعاً .

وذلك لأن من الحوادث ما يجب دفعه ، ولا تجوز إرادته ؛ كمن أراد تَكْفِيْرَ الرجل ، أو تَكْفِير أهله ، أو الفُجُوْرَ به أو بأهله ، أو أراد قتل النبي وهو قادر على دفعه ، أو أراد إضلال الخَلْق، وإفساد دينهم ودنياهم ، فهذه الأمور يجب دفعها وكراهتها[6] ، لا تجوز إرادتها .

وأما الامتناع عقلاً ؛ فلأن الإنسان مجبول[7] على حب ما يُلائمه ، وبُغض ما يُنافره ؛ فهو عند الجوع يحب ما يُقِيْتُهُ[8] كالطعام ، ولا يحب ما لا يقيته[9] كالتراب ، فلا يمكن أن تكون إرادتُه لهذين سواء .

وكذلك يُحب الإيمان والعمل الصالح الذي ينفعه ، ويبغض الكفر والفسوق الذي يضره ، بل يُحب[10] الله وعبادته وحده ، ويبغض عبادة ما دونه[11] .

---

[1] في (أ ، ب) " ما أمر " ، وفي (ع) " ما أراده ".

[2] في (ك) زيادة " به ".

[3] في (ك) زيادة " ورسوله ".

[4] سبق التعريف بالإرادة الشرعية والقدرية في المبحث الرابع من الدراسة فليرجع إليه ص١٨٨.

[5] في (أ) " مقيد ".

[6] في الأصل " وكراهيتها ". والمثبت من سائر النسخ.

[7] من الجِبِلَّة/ وهي الخلْقة والفطرة، وكونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً.

انظر: النهاية لابن الأثير ١٣٢/١، ولسان العرب ٣٩٧/١.

[8] القُوت/ ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً " رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة ٧٣٠/٢ رقم(١٠٥٤)؛ أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم.

انظر: النهاية لابن الأثير ١١٩/٤.

[9] في (أ ، ب ، ش) " يغنيه "، وفي (ع) " ينفيه " في الموضعين.

[10] في(أ ، ب ، ع ، ش) " ويحب ".

[11] ولهذا حبَّبَ الله الإيمان لعباده المؤمنين وكرَّه إليهم الكفر والعصيان قال تعالى:" **ولكن الله حبب إليكم الأيمان وزيَّنه في قلوبكم ، وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان**..."[الحجرات: ٧]، وبيَّن سبحنه أنه يأمر بالعدل وينهى عن الفحشاء، قال تعالى:" **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** "[النحل: ٩٠].

كمـــا قال الخليل عليه السلام[1] : « **أفرأيتم ما كنتم تعبدون ؛ أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين** »[الشعراء: ٧٥ـ٧٧] .

وقـــال تعالى[2] : « **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ؛ إذ قـــالوا لقومهم إنا بُرَءَاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ...** »[الممتحنة: ٤] .

فقد أمرنا الله أن نتأسَّى بإبراهيم والذين معه ؛ إذ تَبَرَّؤا من المشركين ومما يعبدونه[3] من دون الله .

وقال الخليل عليه السلام[4] : « **إنني بَرَاءٌ مما تعبدون، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** »[الزخرف: ٢٦ـ٢٧].

معنى الولاء والبراء:

والبراءة[5] ضدُّ الولاية، وأصل[البراءة البغض وأصل][6] الولاية الحب[7]؛ وهذا لأن حقيقة التوحيد أن لا يحب إلا الله ، ويحب ما يحبه الله لله ، فلا يحب إلا لله ، ولا يبغض إلا لله .

قـــال[8] تعالى : « **ومن الناس من يَتَّخذ من دون الله أنداداً يُحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشدُّ حباً لله ..** »[البقرة: ١٦٥] .

---

(1) " عليه السلام " ليست في (ظ ، ك، أ ، ب).

(2) " تعالى " سقطت من (ك).

(3) في الأصل " يعبدون " ، والمثبت من سائر النسخ.

(4) " عليه السلام " ليست في سائر النسخ.

(5) في(أ ، ب) " فالبراءة ".

(6) مابين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(7) الولاء والبراء: قاعدتان عظيمتان من قواعد الإسلام ؛ ومعناهما: النصرة والمحبة والإعانة لأولياء الله من المؤمنين الصالحين ، والكره والعداوة والخذلان لأعداء الله من الكفار والفجار.

والولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة ثلاثة أصناف:

١- الولاء والمحبة الكاملة للمؤمنين الصالحين.

٢- البراء الكامل من الكفار والمشركين.

٣- الولاء من وجه والبراء من وجه آخر ؛ وهذا يكون لعصاة المسلمين ، فهؤلاء يُوالون لأجل إيمانهم ، ويُتَبَرأ من معصيتهم.

انظر: مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٨ ، والولاء والبراء للقحطاني ص٨٩-١٣٤.

(8) في الأصل " وقال "، والمثبت من سائر النسخ.

والفـــرق ثابـــتٌ بيـــن الحب لله والحب مع الله ؛ فأهل التوحيد والإخلاص يحـــبون غير الله لله[1] ، والمشركون يحبون غير الله مع الله[2] ؛ كحبِّ المشركين لآلهتهم ، وحب النصارى للمسيح ، وحب أهل الأهواء رُؤُوسَهم [3].

فإذا عُرِف أن العبدَ مفطورٌ[4] على حب ما ينفعه ، وبغض ما يضره ، لم[5] يمكـــن أن تســـتوي إرادته لجميع[6] الحوادث فطرة وخَلْقاً ، ولا هو مأمورٌ[7] من جِهَـــة الشـــرع أن يكـــون مُرِيداً لجميع الحوادث ، بل قد أمره[8] الله بإرادة أمورٍ وكراهةِ[9] أخرى[10] .

والرســـل صلوات الله عليهم وسلامه ، بُعِثُوا بتكميل الفِطْرَة وتقريرها ، لا بتحويل الفطرة وتغييرها .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانـــه ويُنصــرانه ويُمَجِّسانه[11] ، قال[12] تعالى : (**فأقم وجهك للدين حنيفاً ؛ فطـــرة الله التـــي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ؛ ذلك الدين القيِّم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)[الروم: ٣٠] »[13] .

---

(1) كما قال عليه الصلاة والسلام:" ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...(وذكر منها) وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله..." رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ٨٢/١ رقم (١٦).

(2) قال تعالى عنهم:" **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله**...."[البقرة: ١٦٥].

(3) قال ناسخ(ع)في الحاشية:" مطلبٌ نفيسٌ "، وهو كذلك.

(4) من الفطرة/ وهي الخِلْقَة التي جُبِلَ عليها الإنسان.

انظر: التعريفات للجرجاني ص١٦٩، والتوقيف للمناوي ص٥٦٠، ولسان العرب ٥٣٦/١.

(5) " لم " سقطت من (ك).

(6) في (أ ، ب) " بجميع ".

(7) في الأصل " مأموراً "، والمثبت من سائر النسخ.

(8) في (ع) " أمر ".

(9) في الأصل " وكراهية " ، والمثبت من سائر النسخ.

(10) في(ك) " بإرادة أمور وحبها وكراهة أخرى وبغضها ".

(11) في(ع) " أو ينصرانه أو يمجسانه ".

(12) في (ك) " وقال ".

(13) الحديث رواه البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه، وهل يُعرَض على الصبي الإسلام٢٨١/٣ رقم (١٣٥٩)، عن أبي هريرة، ولفظه: =

وفـي الحديث الصَّحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « إني خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ ، فَاجْتَالَتْهُم[1] الشياطين[2] ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحلَلْتُ لهم ، وأَمَرَتْهُمْ أن يُشْرِكوا بي ما لم أُنَزِّل به سُلطاناً[3] »[4].

معنى الحنيفية :

والحَنِيْفِيَّةُ[5] هي: الاستقامة بإخلاص الدين لله؛ وذلك يتضمن حبه تعالى[6] ،

= " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تُنْتِجُ البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تُحسُّون فيها من جَدْعَاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه **(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** ".

وبلفظ:" كل مولود يولد على الفطرة..." في باب ما قيل في أولاد المشركين، من كتاب الجنائز٣/٣١٤، رقم(١٣٨٥).

ـ ورواه مسلم، في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/٢٠٤٧ رقم(٢٦٥٨).

[1] اجتالتهم/ أي استخفتهم الشياطين فجالوا معهم في الضلال.

انظر: النهاية لابن الأثير ١/٤١٧، ولسان العرب١/٥٣٦.

[2] في (ك) زيادة عن " دينهم ".

[3] السلطان/ هو الحجة البيِّنة، ومنه سُمِّي الملِك سُلطاناً ؛ لأنه الذي تُقام به الحجة ، وتُحفظ به الحقوق.

انظر: لسان العرب٣/١٨٢.

[4] الحديث رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/٢١٩٧ رقم(٢٨٦٥) عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ المُجَاشِعِيّ، في حديث طويل أوله:

" ألا إن ربي أمرني أن أُعلِّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ؛ كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلال ، وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنَزِّل به سلطانا..." الحديث.

[5] أصل الحنيفية/ مأخوذةٌ من الحَنَفِ وهو الميل، وهي دين إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:" **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا**" [النحل: ١٢٠] ؛ سُمِّي بذلك لأنه مال إلى دين الله.

وقيل بل الحنيفية هي الاستقامة؛ وإنما قيل لمائل الرجل أحنف تفاؤلاً باستقامته، وعلى هذا تكون الحنيفية هي الاستقامة على دين الله ، كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في المتن.

وقد كانت العرب تُسَمِّي من حج إلى بيت الله واختتن حنيفاً؛ لأن هذين هما الذين بقيا لديهم من دين إبراهيم عليه السلام.

والحنيفية هي الدين الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد أمره الله أن يتَّبع مِلَّةَ إبرهيم قال تعالى:" **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا...**" [النحل: ١٢٣]، ولما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى الله، قال:" الحنيفية السمحة " رواه الإمام أحمد في المسند١/٢٣٦.

انظر: جامع البيان١/٥٦٤ـ٥٦٦، ولسان العرب١/٧٣٩.

[6] في الأصل" حب الله تعالى "، والمثبت من سائر النسخ.

والذُلَّ له ، لا يُشْرِكُ به شيءٌ[1] ؛ لا في الحب ، ولا في الذُّلِّ ، فإن العبادة تتضمن غايــة الحب بغاية الذل[2] ، وذلك لا يستحقه إلا الله وحده، وكذلك الخشية والتقوى لله وحده ، والتوكل على الله وحده .

والرسول يُطاع ويُحب ، فالحلال ما حَلَّله ، والحرام ما حَرَّمه ، والدين ما شَرَعَهُ ، قال تعالى[3] : « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائــزون** »[النور: ٥٢] ، وقال تعالى : « **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله،سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**»[التوبة: ٥٩] .

وهذا حقيقة دين الإسلام ، والرسل بُعِثُوا بذلك كما قال تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً ،والذي أوحينا إليك، وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيســى ؛ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ... »[الشورى: ١٣] ، وقال تعالى :« **يا أيهــا الرســل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم ، وأنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** »[المؤمنون: ٥١ـ٥٢] .

فهــذا هو الأصل الذي يجب على كلِّ أحدٍ أن يَعْتَصِمَ به ، فلابد أن يكون مُريدا مُحباً[4] لما أمره الله بإرادته ومحبته ، كارهاً مُبغضاً لما أمره الله بكراهته[5] وبُغضه .

أقسام الناس في إرادة ما يحبه الله ويرضاه :

والناس في هذا الباب[6] أربعة أنواع :

أكْمَلُهُــمْ الذيــن يُحــبون ما أحبَّه الله ورسوله ، ويُبغضون ما أبغضه الله ورســوله ، فــيُريدون[7] ما أمرهم الله ورسوله بإرادته ، ويكرهون ما أمرهم الله

---

(1) في (أ ، ب ، ش) " شيئا ".

(2) هذا التعريف هو أحد ما عرفت بها العبادة، انظره في : مجموع الفتاوى١٨/١٦٤، ومدارج السالكين٣/ ٤٤١.

وقد عرفها شيخ الإسلام بأنها/ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

انظر: شرح العبوديةص٦، ومجموع الفتاوى١٠/١٤٩.

(3) في الأصل " قال الله تعالى " ، والمثبت من سائر النسخ.

(4) في الأصل " محبا مريدا " ، والمثبت من سائر النسخ.

(5) في الأصل "بكراهيته " ، والمثبت من سائر النسخ.

(6) أي في باب إرادة ما يحبه الله ويرضاه.

(7) في (أ) " فيردون " وهو تصحيف.

ورسوله بكراهته ، وليس عندهم حبٌّ ولا بغضٌ لغير ذلك ، فيأمرون بما أمر الله ورســوله [بــه][1] لا يأمــرون بغير ذلك ، وينهون عن ما نهى الله [عنه][2] ورسوله ، ولا ينهون عن غير ذلك .

وهذه حال الخليلين[3]، أفضل البريَّة، محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم[4].

وقــد ثَبَتَ في الصَّحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله اتَّخَذَنيْ خَلِيْلاً كما اتَّخذ[5] إبراهيم خليلاً »[6] .

وقــال [صلى الله عليه وسلم][7] في الحديث الصحيح : « إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسمٌ أَضَعُ حيث أُمرت »[8] .

وذكــر أنَّ ربه خَيَّرَهُ بين أن يكون نبياً مَلِكاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً[9] .

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك).

[2] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[3] الخُلَّة/ هي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله؛ أي في باطنه، وهي مرتبة اختص الله بها نبييه محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

انظر: النهاية لابن الأثير ٧٢/٢، ولسان العرب ٨٩٤/٢.

[4] في (ك) زيادة " تسليما ".

[5] في (أ ، ب) " كما اتخذ الله ".

[6] الحديث رواه مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٧٧/١ رقم(٥٣٢)، عن جُنْدُب رضي الله عنه ولفظه:

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:" إني أَبْرَأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتَّخذني خليلاً، كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت مُتَّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك ".

[7] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ).

[8] الحديث رواه البخاري، في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى:" **فأن لله خمسه وللرسول** " ؛ يعني للرسول قسم ذلك، ٢٦٧/٦ رقم(٣١١٧) عن أبي هريرة ولفظه:

" ما أعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أَضَعُ حيث أُمرت ".

[9] يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢١/٢، عن أبي هريرة قال:

" جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى السماء فإذا مَلَك مُنْزِلٌ، فقال جبريل: إن هذا المَلَك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يامحمد! أَرْسَلَني إليك ربك، قال: أفمَلِكاً نبياً يجعلك، أو عبداً =

الفرق بين النبي المَلِك والعبد الرسول

فـــإن النبي المَلِك مثل داود وسليمان[1] ، قال تعالى : « **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** »[ص: ٣٩] ، قالوا معناه : أعط من شِئْتَ وامنع من شِئْتَ لا نُحاسبك[2] .

فالنبـــي المَلِــك يُعطي بإرادته لا[3] يُعاقَب على ذلك؛كالذي يفعل المباحات بإرادتـــه، وأما العبد الرسول فلا يُعطي ولا يمنع إلا بأمر ربه؛وهو محبته ورضاه وإرادتـــه الدينية،والسابقون المقربون أتباع العبد الرسول،والمقتصدين أهل اليمين أتباع النبي المَلِك .

=رسولاً، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبداً رسولاً ".

ــ ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب ذكر صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره(الإحسان) ١٤/ ٢٨٠ رقم(٦٣٦٥)، عن أبي هريرة مثله.

ــ والطبراني في الأوسط٧/٤٧٤ رقم(٦٩٣٣)، وقال :" لم يرو هذه الأحاديث(أراد هذا الحديث وأحاديث أخرى قبله)عن عطاء إلا سعدان بن الوليد، تَفَرَّد بها الحسن بن بشر ".

ــ وأبو يعلى في مسنده ١٠/٤٩١ رقم(٦١٠٥).

ــ والبيهقي في الزهد الكبير ص١٨٦ رقم(٤٤٧).

والحديث قال عنه المنذري :" رواه الطبراني بإسناد حسن والبيهقي في الزهد وغيره ".

ــ وذكره ابن حجر في الفتح ونسبه إلى ابن بطال ثم قال عنه:" وهذا مُرسل مُعضل "، وذكر أن النسائي وَصَلَهُ من طريق الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبدالله بن عباس عن أبيه.

ــ وعزاه الهيثمي إلى أحمد والبزار وأبي يعلى وقال:" ورجال الأولين(أي أحمد والبزار) رجال الصحيح "، وقال عن رواية أبي يعلى:" رواه أبو يعلى وإسناده حسن "، وقال عن روايات الطبراني: إن بعضها حسن وبعضها ضعيف.

ــ وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه للحديث في صحيح ابن حبان :" إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

انظر: الترغيب والترهيب٤/١٩٦، وفتح الباري٩/٥٤١، ومجمع الزوائد٩/١٨، والإحسان لابن بلبان(بتحقيق الأرنؤوط)١٤/٢٨٠.

[1] قال تعالى عن داود:" **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء** "[البقرة: ٢٥١]، وأخبر عن سليمان أنه دعا ربه بقوله:" **قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** "[ص: ٣٥].

[2] روى الطبري بسنده عن الحسن البصري في قوله:(**هذا عطاؤنا**...)الآية، قال:" المُلْك الذي أعطيناك ؛ فأعط من شئت وامنع من شئت ".

انظر: جامع البيان٢٣/١٦٢.

[3] في الأصل " ولا "، والمثبت من سائر النسخ.

خلوُّ الإنسان عن الإرادة

وقد تكون[1] للإنسان حالٌ هو فيها خالٍ عن الإرادتين ؛ وهو أنه لا تكون[2] له إرادةٌ في عطاءٍ[3] ولا منْعٍ ؛ لا إرادة[4] دينية هو مأمور بها ، ولا إرادة نفسانية سواء كان منهياً عنها أو غير منهيٍ عنها ، بل ما وقع كان مراداً له ، ومهما فُعل به كان مراداً له ، من غير أن يعرف[5] المأمور به شرعاً في ذلك .

فهــذا بِمَــنْزِلَةِ مَن له أموالٌ يُعطيها ، وليس له إرادةٌ في إعطاء معين ؛ لا إرادة شرعية ، ولا إرادة مذمومة ، بل يُعطي كل أحدٍ .

فهذا إذا قُدِّر أنه قام بما يجب عليه بحسب إمكانه ، ولكنَّه[6] خفي عليه الإرادة الشرعية في تفصيل أفعاله ، فإنه لا يُذَمُّ على ما فعل ، ولا يُمدح مطلقاً ، بل يمدح لعدم هواه .

ولو علم تفصيل المأمور به ، وأراده إرادة[7] شرعية ، لكان أكمل ؛ بل هذا مع القدرة إما[8] واجبٌ[9] ، وإما مستحبٌ[10] .

وحــال هذا[11] خيرٌ من حال مَنْ يُريد بِحُكْمِ هواه ونفسه، وإن كان ذلك مباحاً له، وهو دون[12] من يريد بأمر ربه لا بهواه ولا بالقدر المحض .

أقسام الناس في التصرف في المباحات :

فمضمون هذا المقام ؛ أن الناس في المباحات – من الملك والمال وغير ذلك – على ثلاثة أقسام :

---

(1) في (ك، أ ، ب ، ع، ش) " يكون ".

(2) في (ع) " يكون ".

(3) في الأصل " إعطاء "، والمثبت من سائر النسخ.

(4) في الأصل " لإرادة " وهو تصحيف، والمثبت من سائر النسخ.

(5) في (ع) " يفعل ".

(6) في (ع) " ولكن ".

(7) " إرادة " سقطت من (أ).

(8) في (أ ، ب، ش) " لها " بدل " إما " ، وفي (ع) بياض في هذا الموضع.

(9) إذا كان المأمور به المراد تعلُّمه واجبا ؛ كالصلاة والزكاة والحج.

(10) إذا كان المأمور به مستحبا ؛ كمطلق التطوع.

(11) أي الخالي عن الإرادتين.

(12) " دون " سقطت من (أ).

قــومٌ لا يتصرَّفُون فيها إلا بحكم الأمر الشرعي ؛ وهي[1] حال نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهي حال العبد الرسول ومن اتَّبَعَه في ذلك .

وقوم يتصرَّفُون فيها بحكم إرادتهم والشهوة التي ليست محرمة ، وهذا حال النبي المَلِك، وهو حال الأبرار أهل اليمين .

وقوم لا يتصرفون بهذا ولا بهذا ؛ أما الأول فلعدم علمهم به ، وأما الثاني ؛ فلزهدهم فيه ، بل يتصرفون فيها بحكم[2] القدر المَحْضِ ؛ اتِّباعاً لإرادة الله الخَلْقِية القدرية ، حين تَعَذَّرَ[3] معرفة الإرادة الشرعية الأَمْرِيَّة .

وهــذا كالترجــيح بالقُــرْعَةِ[4] إذا تعذر الترجيح بسببٍ شرعيٍ معلوم ، وقد يتصرَّف هؤلاء في هذا المقام بإلهام[5] يقع في قلوبهم وخطاب .

وكلام الشيخ عبد القادر – قدَّس الله روحه – كثيراً ما يقع في هذا المقام[6]؛ فإنه يأمر بالزُّهد في إرادة النفس وهواها ، حتى لا يتصرَّف بحكم الإرادة والنفس، وهــذا رَفْــعٌ له عــن حال الأبرار أهل اليمين، وعن طريق الملوك مطلقاً ، ومن حَصَّلَ هذا ، و تصرف بالأمر الشرعي المُحَمَّدي القرآني ، فهو أكمل الخلق .

قد يخفى على العبد حكم الله في الأمور المُعَيَّنة

لكــن هــذا قــد يخفى عليه ؛ فإن معرفة هذا على التفصيل ، قد تَتَعَذَّر أو تَتَعسَّــر فــي كثير من المواضع ؛ ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حَكَّمَ سعد بن معاذ في بني قريضة[7] فحكم بقتل مُقَاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، وغنيمــــة

---

[1] في الأصل وسائر النسخ " وهو " والمثبت من (ظ ، ك).

[2] قوله:" بل يتصرفون فيها بحكم " ، مكانه بياض في الأصل.

[3] في (ك) " تعذرت ".

[4] القرعة/ بالضم هي السُّهْمَة، والمقارعة: المساهمة، وأقرعت بين الشركاء في شيء يقتسمونه.

انظر: لسان العرب٥/٦٥.

وسيأتي الكلام على مشروعية القرعة لاحقاً ص٢٣٧.

[5] سبق التعريف بالإلهام في المبحث السادس من الدراسة، فليراجع ص١٩٤.

[6] كقوله: " وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مرادا قط، ولا يكون لك غرض، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام، فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها " .

فتوح الغيب ص٩، (المقالة السادسة).

[7] بنو قريضة: إحدى ثلاث قبائل يهودية سكنت المدينة، ونِسْبَتُهُم إلى جد لهم اسمه قريضة من أولاد هارون ،وهم وبنو النضير إخوان. وقد كان سُكْنى اليهود للمدينة سابقا لقدوم الأوس والخزرج إليها؛ حيث كان مبدأ =

أموالهم ، قال : « لقد حكَمْتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة[1] »[2] .

وذلك أن تخيير وليِّ الأمر بين القتل والاسترقاق ،

=سكناهم إياها، أن موسى عليه السلام لما ظهر على الشام بعث بَعْثاً من بني إسرائيل إلى العماليق في الحجاز ، فقتلوا من فيها، فغضب منهم موسى لما قدموا عليه، فما كان منهم إلا أن عادوا إلى يثرب وسكنوها، (كذا قال الحموي)، وهو لا يستقيم؛ لأن موسى لم يظهر على الشام، بل مات وبنو إسرائيل لا يزالون في التيه.

أما بنو قريضة فقد قدموا المدينة هم وبنو النضير، بعد استيلاء الروم على الشام، وقيل: بل بعد خراب بيت المقدس على يد (نبوخذنصَّر) ، وقيل: بل علماؤهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم والأرض التي يسكنها، فقدموا المدينة ؛ حرصا منهم على أن يكون ذلك النبي منهم، ثم قدمت عليهم الأوس والخزرج بعد خراب سد مأرب.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالفهم فيمن حالف من اليهود أول مقدمه المدينة، لكنهم نقضوا العهد، وناصروا الأحزاب على المسلمين، فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن هزم الله الأحزاب وحاصرهم، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم.

انظر: الأنساب للسمعاني٤/٤٥٤، ومعجم البلدان٥/٨٤، والبداية والنهاية٣/٢٢٤، ٤/١١٦.

[1] الأرقعة: هي السموات السبع؛ سُمِّيت بذلك لأن كل سماء منها رقعت التي تليها فكانت طَبَقاً لها، كما ترقع الثوب بالرقعة. وقيل بل الأرقعة جمع(رقِيْع وأرْقع) ؛ وهما اسمان للسماء الدنيا؛ لأنها مرقوعة بالنجوم، وقيل لأنها رقعت بالأنوار التي فيها.

انظر: النهاية لابن الأثير٢/٢٥١، ولسان العرب٢/١٢٠٧.

[2] الحديث رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه٧/١٥٥، رقم(٣٨٠٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بلفظ:

" أن أناسا نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمار، فلما بلغ قريبا من المسجد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى خيركم أو سيِّدكم ، فقال: يا سعد! إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، قال: حَكَمْتَ بحكم الله أو بحكم الملك ".

ـ ورواه مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد ٣/١٣٨٩، رقم(١٧٦٩)، عن عائشة.

واما قوله:"... من فوق سبعة أرقعة "، فقد ذكرها الخطابي في إصلاح غلط المحدثين ص١٣٥، رقم(٩٥).

ـ وابن إسحاق في السيرة، انظر: سيرة ابن هشام٣/٢٤٠.

ـ وابن كثير في البداية والنهاية ٤/١٠٨، وعزاها إلى ابن إسحاق.

وللحديث رواية أخرى بلفظ"...من فوق سبع سموات " ذكرها الذهبي في مختصر العلو ص٧٨ رقم(١٥).

ـ وقد علق العلامة الألباني على الزيادة بقوله:" أخرجها أيضا البيهقي في الأسماء والصفات، وإسناده حسن، فيه محمد بن صالح التَّمار، قال الحافظ(صدوقٌ يخطئ)، كما ذكره الذهبي في الميزان ؛ وحكى خلاف الأئمة فيه، لكن للحديث شاهد من رواية علقمة بن وقاص ".

انظر مختصر العلو بتحقيق الألباني ص٨٧.

والمَــنّ[1] والفِــدَاءِ ، ليس تخيير [شهوة][2] بل تخيير رأيٍ ومصلحةٍ ، فعليه أن يختار الأصلح ، فإن اختار ذلك فقد وافق حكم الله ، وإلا فلا .

ولمــا كــان هذا يخفي كثيراً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصَّــحيح لبُرَيْدَةَ[3] : « [و][4] إذا حاصرت أهل حِصْنٍ ، فسألوك أن تُنْزِلَهُم على حُكــم الله ، فلا تُنْزِلهم على حكم الله[5] ؛ فإنك[6] لا تدري ما حكم الله فيهم ، ولكن أنزلهم على حُكْمك وحُكْم أصحابك »[7] .

والحاكم الذي [يُنْزِلُ أهل الحصن على حكمه، عليه أن][8]يحكم باجتهاده ، فلمَّا[9] أمر سعدٌ بما هو الأَرْضَى لله والأحبَّ إليه ، حكم بحكمه، ولو حكم بغير[10] ذلك لنَفَّذَ[11] حكمه ؛ فإنه حكم باجتهاده، وإن لم يكن ذلك هو حُكم اللهِ في الباطن .

---

(1) المَنُّ: هو العطاء والإحسان إلى من لا يَستَثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، وهو هنا إطلاق الأسير من غير فدية.

انظر: لسان العرب٥/٥٣٦.

(2) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(3) هو بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلمي رضي الله عنه، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة وأسلم معه زُهاء ثمانين بيتا من قومه، هاجر إلى المدينة بعد أحد، وشهد ما بعدها من المشاهد، عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء يوم الفتح، وهو الذي حمل لواء أسامة حين غزا أرض البلقاء.

توفي في خلافة يزيد غازيا بمرو في خراسان سنة٦٢هـــ.

انظر: معجم الصحابة لابن قانع١/٧٥، وأسد الغابة١/٢٠٩، والاستيعاب١/١٨٥، وتجريد أسماء الصحابة١/ ٤٧، والإصابة١/٤١٨.

(4) ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

(5) " على حكم الله " سقطت من (ك).

(6) في (أ ، ب ، ع، ش) " لأنك ".

(7) هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ٣ /١٣٥٦ رقم(١٧٣١)، عن بُريدة، وفيه:

" ...وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا".

(8) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(9) في (أ ، ب) " ولما ".

(10) في (أ ، ب، ع) " بعد ".

(11) في الأصل " أنفذ " وفي(ع، ش) " نفذ "، والمثبت من (ظ، ك، أ ، ب).

ففي مثل هذه الحال التي لا يتبيَّن الأمر الشرعي في الواقعة المُعيَّنة ، يأمر الشيخ عبد القادر وأمثاله من الشيوخ ؛ تارة بالرجوع إلى الأمر الباطن والإلهام إن أمكـــن ذلك[١] ، وتارة بالرجوع إلى القَدَرِ المَحْض ؛ لتعذُّر الأسباب المُرَجِّحة من جِهة[٢] الشرع ، كما يُرجِّح الشَّارِعُ بالقُرْعة[٣] .

فهـــم يأمرون أن لا يُرجِّح بمجرَّد[٤] إرادته وهواه ؛ فإن هذا إما محرَّم[٥] ، وإما مكروه ، وإما مُنْقَص[٦] . فهم في هذا النهي كنهيهم عن فُضُول المباحات .

---

[١] " ذلك " سقطت من (أ ، ب ، ع، ش)

[٢] في(أ ، ب، ع، ش) " بمجرد "، بدل " من جهة " .

[٣] اختلف الفقهاء في اعتبار القُرْعَة في الأحكام الشرعية: فذهب أهل المدينة والشافعي وأحمد وغيرهما إلى أنها معتبرة، وذهب الكوفيون إلى عدم اعتبارها، بل قد عدُّوها من القمار.

وقد احتج المثبتون للقرعة بما يأتي:

١ــ أن الله ذكرها في كتابه عن نَبِيَّين من أنبيائه هما زكريا ويونس، فقد قال عن يونس:" **فساهم فكان من المُدْحضين** "[الصافات: ١٤١]، وقال عن زكريا:" **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم...** " [آل عمران: ٤٤].

٢ــ أنها وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ستة مواضع، منها: أنه إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، رواه البخاري، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها ٢١٢/٥ رقم(٢٥٩٣)، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام:" لو تعلمون ما في الصَّفِّ المُقَدَّم لكانت قرعة " رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصف ١/ ٣٢٦ رقم(٤٣٩).

٣ــ كما فعلها الصحابة ؛ فقد أقرع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم القادسية في قوم اختلفوا في الأذان كلهم يريده، رواه البخاري تعليقا، في كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان(في ترجمة الباب) ١٢٢/٢ رقم(٦٥١).

وأما قول المنكرين إنها قمار، فقد قال فيه الإمام أحمد:" إن كان ممن سمع الحديث فهذا كلام رجل له خبرٌ، يَزْعُم أن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قمار".

وقد بسط ابن القيم الكلام على القُرْعة وكيفياتها، ومواضع استعمالها، وأوجه الخلاف فيها في كتابه(الطرق الحكمية) فليرجع إليه.

انظر: المغني لابن قدامة ٢٩٩/١٠، ومجموع الفتاوى٣٨٧/٢٠، والطرق الحكمية ص٤١٦، ونيل الأوطار ٣٧٨/٥.

[٤] في(أ ، ب) " من جهة " بدل " بمجرد ".

[٥] يكون الترجيح بمجرد الإرادة محرَّما، إذا ترتب عليه ترك الأمر والنهي الشرعيين.

[٦] ويكون مكروها أو مُنْقِصًا إذا رجَّح بإرادته المحضة في المباحات، مع قيامه بالأمر والنهي الشرعيين؛ لأن الأولى به أن لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة.

ثم إن تبيَّن لهم الأمر الشرعي ، وجب الترجيح به ، وإلا رجحوا إما بسبب باطنٍ من الإلهام والذَّوْقِ[1] ، وإما بالقضاء والقَدَرِ الذي لا يضاف إليهم .

ومن يُرجِّح في مثل هذه الحال باستِخَارَةِ[2] الله ؛ كما كان النبي صلى الله علـيه وسـلم يُعَلِّـم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يُعلِّمهم السورة من القرآن[3]، فقد [أصاب][4] .

وهذا كما أنه إذا تعارضت أدلة المسألة الشرعية، عند النَّاظر[5] المُجْتَهد[6]، وعند المُقَلِّد[7] المُسْتَفتي[8] ، فإنه لا يُرجِّح شيئاً ، بل ما جرى بهم القدرُ أَقَرُّوه ولم

---

[1] الذَّوق عند الصوفية/ هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية، وهو أول ما يجده الصوفي من ثمرات التجلي ونتائج الكشوف، وما يأتي بعد ذلك يسمى شربا ثم رياً.

وأما الذوق الصحيح: فهو ذوق طعم الإيمان؛ وهو إدراك حقيقة الإيمان وحصوله للقلب ومباشرته له.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٦٢، والرسالة القشيرية ص٧٢، ومدراج السالكين٣/٨٧.

[2] الاستخارة/ هي طلب الخِيَرة في الشيء، وخار لك أي أعطاك ما هو خير لك.

انظر: النهاية لابن الأثير٢/٩١، ولسان العرب ٢/٩٢٧.

[3] الحديث رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:" **قل هو القادر** " ١٣/٤٦٤ رقم(٧٣٩٠) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، ولفظه:

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلِّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها؛ كما يُعلِّم السورة من القرآن، يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقلْ: اللهم إنِّي أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك، فإنك تَقْدِر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ــ ثم يُسَمِّيه بعينه ــ خيراً لي في عاجل الأمر وآجله ــ أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ــ فَاقْدِره لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ــ أو قال في عاجل أمري وآجله ــ فاصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضِّني به ".

[4] ما بين المعكوفين بياض في الأصل، وما أثبته من سائر النسخ.

[5] الناظر: من النظر/ وهو عبارة عن التصرُّف بالعقل في الأمور السابقة ، بالعلم والظن ؛ لمناسبة المطلوب، بتأليف خاص؛ قصداً لتحصيل ما ليس حاصلاً في العقل.

انظر: الإحكام للآمدي١/٢٩، وانظر تعريفات أخرى في : الإرشاد للجويني ص٧، والمواقف للإيجي ص٢١.

[6] من الاجتهاد/ وهو بذل المجهود في العلم بأحكام الشرع.

انظر: المستصفى ٢/٣٥٠، وروضة الناظر ٣/٩٥٩.

[7] من التقليد/ هو قبول القول بغير دليل.

انظر: روضة الناظر ٢/١٠١٧، والمسودة ٢/٨٥٠

[8] المستفتي هو طالب الفتيا/ وهي تَبْيين المُشْكل من الأحكام.

انظر: لسان العرب: ٤/١٠٥١.

يُنْكروه .

وتـــارة يُــرَجِّح أحدهــم إمـــا بمنام ، وإما برأي مُشِيْرٍ ناصح ، وإما برؤية المصلحة في أحد الفعلين .

وأمـــا التَّرجـــيح بمجرد الاختيار بحيث إذا تكافأت عنده الأدلة ، يُرَجِّح[1] بمجـــرد إرادتـــه واختياره ، فهذا ليس قولَ أحدٍ من أئمة الإسلام ، وإنما هو قول طائفةٍ من أهل الكلام[2][3].

ولكـــن قاله طائفةٌ من الفقهاء ، في العاميِّ المُسْتفتي ؛ أنه يُخَيَّر بين المُفْتِين[4] المختلفين[5] .

وهـــذا كما أن طائفة من السَّالكين ، إذا استوى عنده الأمران في الشريعة ، رجَّح بمجرَّد ذَوْقِهِ وإرادته .

فالترجـــيح بمجـــرَّد الإرادة التي لا تَسْتَنِدُ إلى أمر علميٍّ باطن ولا ظاهر ، لا يقول به أحد من أئمة العلم والزهد ؛ فأئمة الفقهاء والصوفية لا يقولون هذا .

لكن من[6] جَوَّزَ لمُجتهدٍ أو مُقَلِّد الترجيح بمجرَّد اختياره وإرادته ، فهو نظير

---

(1) " يرجح " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

(2) علم الكلام/ هو الجدال في أصول الدين بالعقل.

انظر: مجموع الفتاوى١١/٣٣٦، وانظر تعريفات المتكلمين له في الإرشاد للجويني ص٧، والمواقف للإيجي ص٢١.

(3) إذا تعارض دليلان عند المجتهد ولم يترجح أحدهما ففيه قولان:

١ــ أنه يجب عليه التوقُّف، وليس له الحكم بأحدهما، ولا التخيير فيهما، وهو قول الحنابلة وأكثر الشافعية والحنفية.

٢ــ أنه يُخَيَّر في الأخذ بأيهما شاء، وهو قول بعض المتكلمين من الشافعية والحنفية.

قال ابن قدامة بعد أن ناقش أدلة المتكلمين في ذلك وفَنَّدَها: " فعند ذلك إذا تعارض دليلان وتعذر الترجيح، أسقطهما وعَدَلَ إلى غيرهما كالحاكم إذا تعارضت عنده البيِّنة ".

انظر: روضة الناظر ٣/٩٩٨ــ١٠٠٣.

(4) في الاصل و(أ ، ب، ش) " المفتيَيْن " والمثبت من(ظ ، ك، ع).

(5) هذا هو الصحيح من أقوال العلماء في هذه المسألة، خلافاً لمن قال: يلزمه الاجتهاد في أعيان المجتهدين، فيُقَلِّد أعلمهما وأكثرهما تديُّناً.

انظر: روضة الناظر ٣/١٠٠٢، والمسودة ٢/٨٥١.

(6) هم بعض أهل الكلام من الشافعية والحنفية، كما سبق أعلاه.

من سَوَّغَ للسَّالك الترجيح بمجرَّد[1] إرادته وذَوْقِه .

لكــن قد يُقال : القلب المَعْمُوْرُ بالتقوى، إذا رجَّح بإرادته فهو ترجيح شرعي، وعلى هذا التَّقْدير[ليس من هذا][2] [3].

الترجيح بالإلهام عند خفاء الأمر الشرعي

فمن غَلَبَ على قلبه إرادة ما يُحبه الله[4] ، وبُغض ما يكرهه[5] ، إذا لم يَدْرِ[6] في الأمر المُعَيَّن هل هو[7] محبوب لله ، أو مكروه[8]، ورأى قَلْبَهُ يُحبه أو يكرهه ، كــان هــذا ترجيحاً عنده ؛ كما لو أخبر من صدِقُه أَغْلَبُ من كذبه ، فإن الترجيح بخبر هذا[9] عند انْسِدَادِ وجوه[10] الترجيح، ترجيحٌ بدليل شرعي .

ففي الجملة متى حصل ما يُظَنُّ معه أن أحد الأمرين أحب إلى الله ورسوله، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي .

والذين أنكروا[11] كون الإلهام طريقاً شرعياً على الإطلاق أخطئوا ، كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق .

ولكن إذا اجتهد السَّالك في الأدلة الشرعية الظاهرة[12]فلم يَرَ فيها ترجيحاً ، وأُلْهِمَ حينئذٍ رُجْحان أحد الفعلين ، مع حُسْنِ قصده[13] ، وعَمَارته بالتقوى ، فإلهام مثل هذا دليل في حقه ، قد [يكون][14] أقوى من كثير من الأَقْيِسَة[15] الضعيفة ،

---

[1] قوله "... باختياره وإرادته فهو نظير من سوغ للسالك الترجيح بمجرد..." سقط من (أ ، ب، ع، ش).

[2] مابين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك).

[3] أي ليس من الترجيح بمجرد الإرادة.

[4] لفظ الجلالة سقط من (ك).

[5] في(ك، ع) زيادة " الله ".

[6] في (ع) " يرد ".

[7] " هو " سقطت من (ع).

[8] في الأصل " أو مكروهه "، والمثبت من سائر النسخ.

[9] في (أ ، ب، ش) " ضدا "، وفي (ع) " ضد ".

[10] في الأصل " ونحوه " وهو تصحيف.

[11] في (أ ، ب، ع، ش) " جعلوا ".

[12] في الأصل " الظاهرة الشرعية "، والمثبت من سائر النسخ.

[13] في (أ ، ب) " قصد ".

[14] ما بين المعكوفين سقط من الأصل وهو في سائر لنسخ. =

الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة على اعتبار الإلهام

والأحاديث الضعيفة[1] ، والظَّواهر[2] الضعيفة ، والاستصحابات[3] الضعيفة، التي يَحتَجُّ بها كثير من الخائضين في المذهب[4] والخلاف[5] وأصول الفقه[6] .

وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« اتَّقُوا فِرَاسَةَ[7] المؤمن ، فإنَّه يَنْظُرُ[8] بنور الله[9]، ثم قرأ قوله تعالى :

= [15] الأقيسة: جمع قياس/ وهو حَمْلُ فرعٍ على أصل في حكم ؛ بجامع بينهما.

انظر : روضة الناظر ٧٩٧/٣.

[1] الحديث الضعيف/ هو ما لم يجمع صفة الصحيح أو الحسن.

انظر: المنهل الروي ص٣٨، وتدريب الراوي١٧٩/١، والباعث الحثيث ص٤٣.

[2] الظاهر/ هو ما يَسْبِقُ إلى الفهم عند الإطلاق معنىً، مع تجويز غيره.

انظر: روضة الناظر ٥٦٣/٢، والمسودة ١٠٠٢/٢.

[3] الاستصحاب/ هو عبارة عن التمسك بدليل عقلي أو شرعي، وليس راجعاً إلى عدم الدليل، بل على الدليل مع ظن انتفاء المُغيِّر ، أو العلم به.

انظر: روضة الناظر ٥٠٨/٢.

[4] المذهب/ هو المعتقد الذي يُذهب إليه.

انظر: لسان العرب ١٠٨١/٢.

[5] الخلاف/ منازعة تجري بين متعارضين ؛ لتحقيق حق ، أو لإبطال باطل.

انظر: التعريفات للجرجاني ص١٠٥، والتوقيف للمناوي ص٣٢٢.

[6] أصول الفقه/ هي أدلة الفقه وَجِهَاتُ دلالتها على الأحكام الشرعية، وكيفية الاستدلال بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل. انظر: الإحكام للآمدي ٢٣/١.

[7] الفِرَاسَةُ ثلاثة أقسام :

١ــ فراسة إيمانية: وهي نور يقذفه الله في قلب المؤمن يُفَرِّق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب.

٢ــ فراسة الرياضة والجوع؛ وذلك أن النفس إذا تَجَرَّدت من العوائق بالمجاهدة ، صار لها من الفراسة بحسب تَجَرُّدِها، وهي لا تدل على إيمان أو ولاية، بل هي مشتركة بين المؤمن والكافر.

٣ــ الفراسة الخَلْقِيَّة: وهي التي يُستَدَلُّ فيها بالخَلْق على الخُلق؛ كالاستدلال بسعة الصدر على سعة الخُلق، وهي التي أَلَّف فيها الأطباء والفلاسفة، وأصلها أن اعتدال الخِلْقة هو من اعتدال المزاج وعكسه بعكسه.

ومقصود شيخ الإسلام هنا النوع الأول، وحقيقته/ أنه خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، كما يهجم الأسد على الفريسة، فلهذا سُمِّيت فراسة.

وقد كان شيخ الإسلام من أفرس الناس؛ فقد أخبر بهزيمة التتار في معركة(شَقْحَب) سنة٧٠٢هـ ، وأخبر بزوال ملك الجانكشير، وغير ذلك كثير.

انظر: الرسالة القشيرية ص ٢٣١ وما بعدها، ومدارج السالكين ٤٨٢/٢ــ٤٩٥، والروح ص٢٣٨ وما بعدها.

[8] في (أ ، ب، ع، ش) " ينطق ".

[9] في(ع) زيادة " تعالى ".

« إن في ذلك لآيات للمُتَوَسِّمين(1) »(2)[الحجر: ٧٥].

وقال عمر بن الخطاب[رضي الله عنه](3): « اقتربوا من أَفْوَاهِ المُطِيْعِين واسمعوا منهم ما يقولون ؛ فإنه تتجلَّى(4) لهم أمور صادقة »(5).

---

(1) المُتوسِّمون: هم المُتفرِّسون المُعْتَبِرون.

انظر: جامع البيان ٤٥/١٤.

(2) الحديث رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب تفسير سورة الحجر ٥٥٤/٨، عن أبي سعيد الخدري، ونصه:

" اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ **(إن في ذلك لآيات للمتوسمين)** ".

وقال:" هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ".

– ورواه البخاري في التاريخ الكبير ٣٥٤/٧ رقم(١٥٢٩) عن أبي سعيد أيضا.

– والعقيلي في الضعفاء ١٢٩/٤ رقم(١٦٨٨)، عن أبي سعيد.

– وأبو نعيم في الحلية ٢٨٢/١٠، عن أبي سعيد.

والحديث في سنده (عطية العوفي) وهو ضعيف مدلس، قال عنه الذهبي:" تابعي شهير ضعيف " الميزان ٥/ ١٠٠، وقال ابن حجر:" صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلِّسا" التقريب٢٤/٢.

– وللحديث شواهد من رواية أبي أمامة ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وثوبان، بألفاظ متقاربة، وبأسانيد لا تخلوا من العلل.

– وبالجملة فالحديث ضعيف بجميع طرقه ، كما نَصَّ على ذلك الألباني.

انظر: الفوائد المجموعة(بتحقيق عبدالرحمن المعلمي) ص٢٤٤، والسلسلة الضعيفة للألباني ٢٩٩/٤، وضعيف الجامع الصغير ٨٧/١ رقم(١٢٧).

(3) ما بين المعكوفين زيادة من (ش).

(4) تتجلى: أي تتكشف وتظهر. انظر: لسان العرب ٤٩٢/١.

(5) لم أجده مُسنداً ، لكن ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب٢١٦/١ بغير إسناد ، ونصه عنده:" وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: احفظوا ما تسمعون من المُتَّعِظين ؛ فإنهم ينجلي لهم أمور صادقة ".

– وكذا ذكره الغزالي في الإحياء٢٥/٣ ، بلفظ مقارب ، وقال الزبيدي في تعليقه على الأثر:" نقله صاحب القوت " إتحاف السادة المتقين٤٨٦/٨.

– لكن روى ابن أبي شيبة في مصنفه٢٧٢/١٣ ، وأبو نعيم في الحلية٨٧/١ رقم(١٢٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:" جالسوا التوابين فإنهم أرقُّ الناس أفئدة ".

– وذكر ابن الجوزي – بغير إسناد – عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عُمَّاله:" اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا ما يقولون ؛ فإن الله عز وجل وكل بهم ملائكة ، واضعة أيديهم على أفواههم ، ولا يتكلمون إلا بما هيَّأه الله لهم " مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٣٤.

وقـــد ثبت في الصحيح قول الله تعالى : « ولا يزال عبدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يُبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي» [1].

[2]وفي مثـــــل هـــــذا يُقـــال حديـــــث وَابِصَـــــةَ[3]

---

[1] الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع ٤١٤/١١ رقم(٦٥٠٢)، عن أبي هريرة، ولفظه: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذَنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ؛ يكره الموت وأنا أكره مَسَاءَتَهُ".

ـ وقد ظَنَّ الاتحادية أن الحديث حجة لهم؛ لأن الله أثبت فيه أنه هو عين العبد وأن جوارحه هي جوارحه، وقولهم هذا باطل. وقد أجاب العلماء عن معنى الحديث من وجوه:

١ـ أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري.

٢ـ أن معناه: أن كُلِّيَتَهُ مشغولة بي فلا يبصر ولا يسمع إلا ما يرضيني.

٣ـ كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده في المعاونة على عدوه.

٤ـ وقيل هو على حذف مضاف والتقدير: كنت حافظ سمعه وبصره ويده .

٥ـ وقيل بل معنى سمعه: مَسْمُوعه، فيكون مصدرا جاء بمعنى المفعول.

٦ـ وقيل عَبَّرَ به عن سرعة إجابة الدعوة والنجح في الطلب.

٧ـ وقيل معناه: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه وبصره ويده.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الحديث حُجَّة على الاتحادية لا لهم: فقد قال الله:(وما تقرَّب إلي عبدي...) فأثبت عبدا ومعبودا ، وقال:(فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...) فالله إنما جعل لعبده ذلك بعد المحبة، والاتحادية عندهم أن العبد في ذلك قبل المحبة وبعدها سواء؛ إذ الوجود عندهم واحد في كل وقت.

انظر: مجموع الفتوى٣٧١/٢ـ٣٨٠، ٣٩٠ـ٣٩٣، والجواب الصحيح٣٣٢/٣ـ٣٤٩، وفتح الباري٤١٨/١١ ـ ٤١٩.

[2] من هنا إلى قوله"....حواز القلوب" تأخر ذكره في (أ ، ب، ع، ش)، إلى ما بعد قوله:" ...والمحدث هو الملهم المخاطب".

[3] هو وَابِصَةُ بن مَعْبَدٍ الأسدي رضي الله عنه ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، في عشرة رهط من قومه بني أسد بن خُزَيْمَة، فأسلموا ثم رجع إلى قومه.

كان كثير التلاوة للقرآن ، كثير البكاء لا يملك دمعته، سكن الكوفة، ثم تحول إلى الرَّقَّة، ومات بها في خلافة هارون الرشيد. روى له أبو داود والترمذي وابن ماجة.

انظر: معجم الصحابة ١٨٤/٣، والاستيعاب ١٥٦٣/٤، وأسد الغابة ٤٧٢/٥، والإصابة ٤٦٢/٦.

عـن النبـي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال[1]: « البِرُّ ما اطمأنت [2] إليه النفس، وسَكَنَ إليه القلب[3] ، والإثم ما حَاكَ[4] في نفسك ، وإن أَفْتَوْكَ وأفتـوك [5]»[6] ،

---

[1] في (أ ، ب، ع، ش) " ومما شهد لهذا الأصل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث وابصة ".

[2] في (ك) " واطمأن ".

[3] في (أ ، ب، ع، ش) " البر ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس ".

[4] حاك: أي أثَّر في النفس ورسخ.

انظر: النهاية لابن الأثير ٤٧٠/١، ولسان العرب ٧٥٨/١.

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " وإن أفتاك المفتون "، وفي (ك) " وإن أفتاك الناس وأفتوك ".

[6] الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢٢٧/١، ٢٢٨.

ــ ورواه الدارمي في سننه، كتاب البيوع، باب دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك ١٦٤٩/٣ رقم(٢٥٧٥)،عن وابصة بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوابصة: " جئت تسأل عن البر والإثم، ثم قال قلت: نعم، قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدره، وقال: استفت نفسك استفت قلبك يا وابصة ثلاثا، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتَرَدَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك ".

ــ ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١٤٤/١ رقم(٤٣٢) وقال:" ولم يذكر(أي حماد بن سلمه) رواية بعضهم(أي رواة الحديث) من بعض " .

ــ وأبو يعلى في مسنده ١٦٠/٣ رقم(١٥٨٦).

ــ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣٨٦/٥ رقم(٢١٣٩).

ــ والطبراني في الكبير ١٤٨/٢٢ رقم(٢٠٢، ٢٠٣).

ــ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٩٢/٦.

ــ وأبو نعيم في الحلية ٢٤/٢.

ــ وقوام السنة في دلائل النبوة ٩٨٠/٣ رقم(١٥٧).

والحديث قال عنه الهيثمي:" وفيه أبو عبدالله السلمي "، وقال ابن رجب:" حديث حسن رُوِيْنَاهُ في مسندي الإمام أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن ".

وأبو عبدالله السُّلمي قال عنه ابن المديني(مجهول)، وهو عند البزار والبخاري والطبراني والبيهقي(أبو عبدالله الأسدي)، والأسدي قال عنه العجلي في الثقات " شامي تابعي ثقة " ٢٥٨/٢(١٦٦٥)، وقال عنه ابن حبان في الثقات:" لا أدري من هو " ٣٧٠/٥ ، ولم يتضح لي تعيين اسم الراوي.

ــ فالحديث بهذا اللفظ ضعيف لجهالة أحد رواته وهو أبو عبدالله السلمي.

ــ وللحديث رواية أخرى مطولة ذكرها الإمام أحمد في المسند ٢٢٨/١، وقد ضَعَّفها ابن رجب؛ للانقطاع بين اثنين من رواتها، ولضعف راوٍ ثالث انظر: جامع العلوم والحكم ص٣٧٦.

ــ والضعف هنا هو في قصة وابصة، وأما الحديث(البر ما اطمأنت إليه النفس...)، فله شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني، رواه الإمام أحمد في المسند١٩٤/٤.

ــ والطبراني في الكبير ٢١٩/٢٢ رقم(٥٨٥)، بلفظ: " قلت يا رسول الله! أخبرني بما يحل لي وما يحرم علي، فَصَعَّد البصر وَصَوَّبه، وقال: البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه =

[وهو في السنن][1] .

وفـــي صحيح مسلم : حديث النَّوَّاس بن سِمْعَان[2] عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنـــه[3] قال : « البِرُّ حُسن الخُلُق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يَطَّلِعَ عليه الناس »[4] .

= النفس ، ولم يطمئن إليه القلب ".

ــ ورواه أبو نعيم في الحلية٢/٣٠.

وإسناده صحيح، قال عنه ابن رجب:" وهذا إسناده جيد "، وقال الهيثمي:" رواه أحمد والطبراني، وفي الصحيح طرف منه ورجاله ثقات ".

ــ وله شاهد آخر من حديث أبي أمامة ، رواه الإمام أحمد في المسند٥/٢٥٦، بلفظ: " أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما الإيمان، فقال: إذا ساءتك سيئتك وَسَرَّتْكَ حسنتك فأنت مؤمن، قال: فما الإثم، قال: إذا حاك في صدرك شيء فَدَعْهُ ".

ــ ورواه ابن حبان في صحيحه١/٤٠٢ رقم(١٧٧) ، (الإحسان).

ــ والطبراني في الكبير ٨/١٣٧ رقم(٧٥٣٩).

ــ والحاكم في المستدرك١/١٤، وقال:" هذه الأحاديث كلها صحيحة متصلة على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي.

ــ والخلال في السنة ٣/٥٧٠ رقم(٩٧٩).

ــ وابن منده في الإيمان ٢/٩٦٣ رقم(١٠٨٨).

ــ والقضاعي في مسند الشهاب ١/٢٤٨ رقم(٤٠١).

والحديث قال عنه ابن رجب:" وإسناده صحيح على شرط مسلم "، وقال الهيثمي: " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح "، وقال الألباني:" إنما هو على شرط مسلم وحده ".

انظر: مسند أبي يعلى(بتحقيق حسين سليم أسد)٣/١٦١، وشرح مشكل الآثار للطحاوي(بتحقيق شعيب الأرنؤوط)٥/٣٨٧-٣٨٨ ، ودلائل النبوة(بتحقيق مساعد الحميد)٣/٩٨٠-٩٨٩، وشرح السنة للالكائي(بتحقيق أحمد بن حمدان)١/١١٩،٥/٩٩٣، والمعجم الكبير للطبراني(بتحقيق حمدي السلفي) ٢٢/١٤٧-١٤٩، وجامع العلوم والحكم ص ٣٧٦-٣٨٦، ومجمع الزوائد ١/١٥٧-١٧٦، والسلسلة الصحيحة ٢/٨٣ رقم(٥٥٠).

[1] مابين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ع، ش).

[2] " سمعان " ليست في(أ ، ب، ع، ش).

[3] " أنه " ليست في (أ ، ب، ع، ش).

[4] الحديث رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم ٤/١٩٨٠ رقم(٢٥٥٣)، عن النواس بن سمعان ولفظه :

" أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، قال: فسألته عن البر والإثم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر حسن الخُلُق، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يَطَّلع عليه الناس ".

وقال[1] ابن مسعود : « الإثم حَوَازُّ[2] القلوب »[3] .

وأيضـــاً فـــالله تعالى[4] فَطَرَ عباده على الحَنِيْفِيَّةِ ؛ وهي[5] حب المعروف وبُغـــض المنكر ، فإذا لم تَستَحِل[6][7] الفطرة ، فالقلوب مفطورة على الحق ، فإذا كانـــت الفطـــرة مُقَوَّمَةً بحقيقية الإيمان ، مُنَوَّرَةً بنور القرآن ، وخفي عليها دلالة الأدلـــة الســـمعية الظاهرة[8] ، ورأى قلبه يُرَجِّح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الأمارات[9] عند مثله .

---

(1) في (أ ، ب، ع، ش) " وعن ".

(2) في الأصل " جوار " ، والمثبت من سائر النسخ.

(3) الأثر رواه عن عبد الله بن مسعود: الإمام أحمد في الورع ص٣٨ رقم(١٤٦).

ـ والطبراني في الكبير ١٦٣/٩، ونصه: عن عبدالله قال :" الإثم حوازُّ القلوب، فما حزَّ في قلب أحدكم شيء فليدعه ".

ـ ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٤٥٨/٥ رقم(٧٢٧٧).

ـ وهناد في الزهد ٣٤٩/٢ رقم(٩٤٨).

ـ وقال عنه الهيثمي : " رواه الطبراني كله ، بأسانيد رجالها ثقات " ، وقال محقق الزهد لهناد : " إسناده صحيح ".

والأثر له ثلاث روايات: الأولى/(حَوَّاز) وهي رواية الطبراني؛ ومعناها: أي أن الإثم يحوز القلوب ويغلب عليها حتى ترتكب ما لا يَحْسُنَ، وقيل بل هي(حَوَازُّ)؛ أي تحزُّ في القلوب وتُؤثِّر فيها.

الثانية/(حَزَّاز) وهي رواية الإمام أحمد، ومعناها : من الحَزِّ وهو التأثير.

والثالثة/(جَوَّاز) وهي رواية البيهقي؛ قال في اللسان:" جَوَّز لهم إبلهم، إذا قادها بعيرا بعيرا " ، أي أن الإثم يقود القلوب حيث شاء. والمشهور ـ كما ذكر ابن الأثير والمنذري ـ (حَوَازُّ) بتخفيف الواو وتشديد الزاي.

انظر: النهاية لابن الأثير ٣٧٧/١، والزهد لهناد(بتحقيق محمد الخيرآبادي)٣٥٠/٢، والترغيب والترهيب(بتحقيق محيي الدين عبدالحميد) ١٠٩/٤، ومجمع الزوائد ١٨١/١، ولسان العرب١٩١/٧.

(4) " تعالى " ليست في (ظ).

(5) في (أ ، ب) " وهو ".

(6) في الأصل و (أ ، ب، ش) " يستحيل " ، والمثبت من (ظ، ك، ع).

(7) تستحل : أي تتغير وتزول.

انظر: لسان العرب ٧٩٥/١.

(8) في (أ ، ب) " الظاهرية ".

(9) الأمارات/ جمع أمارة وهي العلامة، قال الشاعر:

إذا طلعت شمس النهار فإنها   أمارة تسليمي عليك فسلِّمي

انظر: لسان العرب ٩٨/١.

وذلك أن الله علَّمَ القرآن والإيمان ، قال [الله][1] تعالى : « **وما كان لبشر أن يُكلِّمــه الله إلا وحــياً[2] أو مــن وراء حجــاب [أو يرســل رسولاً][3]...»** الآيـــة[الشورى: ٥١]، ثم قال : «**وكذلك أوحينا إليك رُوْحاً[4] من أمرنا ما كنت تدري مــا الكتاب ولا الإيمان[5] ،و لكن جعلناه نوراً نَهْدي به من نشاء من عبادنا ...** »[الشورى: ٥٢] .

وقال جُنْدُبُ بن عبد الله[6] ، وعبد الله بن عمر : « تَعَلَّمْنَا الإيمان ثم تَعَلَّمنا القرآن ، فازددنا إيماناً »[7] .

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[2] قال مجاهد في قوله(وحيا):" نَفَثٌ يُنْفَثُ في قلبه فيكون إلهاماً، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:" إن روح القدس نفث في رُوْعِي..." الحديث.

انظر: تفسير القرطبي ٥٣/١٦.

[3] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب)، وفي(ظ) إلى قوله"...إلا وحيا " ، وفي (ك) إلى تمام الآية.

[4] الروح هنا هي الوحي وهو القرآن؛ سمّي بذلك لأن فيه حياة من موت الجهل، كما أن بالروح حياة البدن. انظر تفسير القرطبي٥٥/١٦.

[5] من أول الآية إلى هذا الموضع ليس في (ع).

[6] هو جندب بن عبدالله العَلَقي البَجَلي، و(علَقَة) بطن من بَجِيلة، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، ويلقب(جندب الخير).

سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة، حيث قدمها مع مصعب بن الزبير، فحديثه عند أهل المِصْرَين ، توفي سنة ٧٠هـــ .

انظر: معجم الصحابة١٤٤/١، وأسد الغابة ٣٦٠/١، والاستيعاب ٢٥٦/١، والتجريد ٩١/١.

[7] الحديث رواه عن جندب بن عبدالله: ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب في الإيمان ٢٣/١رقم(٦١)، ونصه:

عن جندب بن عبدالله قال: " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن فتيان حَزَاوِرَة ، فتعلَّمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا ".

– ورواه البخاري في التاريخ الكبير ٢٢١/٢ رقم(٢٢٦٦).

– وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٣٩٦/١ رقم(٧٩٩)، عن أبيه، وقال:" إسناده حسن ".

– والطبراني في الكبير ١٦٥/٢ رقم(١٦٧٨).

– والخلال في السنة ٥٣/٥ رقم(١٥٩٣).

– وابن عدي في الكامل ٢٥٠/٢ ، وقال:" هذا الحديث لا يرويه عن أبي عمران غير حماد بن نجيح، وليس هو بكثير الرواية " .

– وابن منده في الإيمان ٣٧٠/١.

=

وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[1] قال : «إن الأمانـــة نزلـــت[2] في جَذْرِ[3] قلوب[4] الرجال ، فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة » [5] .

وفي الترمذي وغيره [بإسناد جيد][6][7] ، حديث النَّوَّاسِ بن سِمْعَان[8] عن النبـــي صـــلى الله عليـــه وســلـــم أنـــــــــــــه[9]

= ـ والبيهقي في شعب الإيمان ٧٦/١.

ـ واللالكائي في شرح السنة ١٠١٧/٥ رقم(١٧١٥).

والحديث قال عنه البوصيري:" إسناد هذا الحديث صحيح، رجاله ثقات "، وصحّحه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط:"رجاله ثقات ".

انظر: مصباح الزجاجة للبوصيري ٥٠/١، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ١٦/١ رقم(٥٢)، والسير(بتحقيق الأرنؤوط)١٧٥/٣.

ـ والحَزَاوِرَة: جمع حَزَوَّر ؛ وهو الغلام إذا اشتدَّ وحزم بمقاربته للبلوغ، قال الشاعر:

لن يعدم المَطيُّ منا مِسْفرا   شيخا بَجَالا وغلاما حَزَوَّرا

انظر: لسان العرب ٦٢٣/١.

[1] " أنه " ليست في (ظ، ك).

[2] في الأصل وسائر النسخ " إن الله أنزل الأمانة..."، والمثبت من (ظ، ك).

[3] في (أ ، ب) " جدر "، وفي (ش) " جلد ".

[4] جذر القلوب: بفتح أوله وكسره ؛ أصلها، والمراد: أن الأمانة أمر فطري جُبِل عليه الناس.

انظر: النهاية لابن الأثير ٢٥٠/١.

[5] الحديث رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ٤٠٥/١١ رقم(٦٤٩٧)،عن حذيفة .

ـ ورواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة ١٢٦/١ رقم(١٤٣)، عن حذيفة في حديث طويل، أوله: "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر؛ حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة...." الحديث.

[6] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ).

[7] أكثر المُحَدِّثين على أن الإسناد الجيد والإسناد الصحيح سواء ، لكن بعض المُحَقِّقين لا يعدل عن (صحيح) إلى (جيد) إلا لنكتة ؛ كأن يرتقي الحديث عنده إلى الحسن لذاته ، ويتردَّد في بلوغه الصحيح فيصفه بالجيد.

انظر: تدريب الراوي ١٧٨/١.

[8] هو النواس بن سمعان(بفتح السين وكسرها) الكلابي، يقال: إن أباه(سمعان بن خالد) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه نعليه، فقبلهما عليه الصلاة والسلام، ودعا له، وزوَّج أخته للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما دخل عليها تعوذت منه فتركها، وهي الكلابية، قال ابن الأثير : (وقد اختلفوا في المُتَعَوِّذة كثيرا).

انظر: معجم الصحابة ١٦٣/٣، وأسد الغابة ٣٦٧/٥، والاستيعاب ١٥٣٤/٤، والإصابة٣٧٧/٦.

[9] " أنه " ليست في (ظ).

قـال[١] : « ضَـرَبَ الله مَثَلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنْبَتَي الصِّراط سُوْران ، وفـي السورين أبواب مُفتَّحة ، وعلى الأبواب سُتُورٌ مُرْخاة[٢] ، ودَاعٍ يدعو على رأس الصـراط ، ودَاعٍ يدعـو [من][٣] فوق الصراط ؛ فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والسُّتور حدود الله ، والأبواب المُفَتَّحة محارم الله[٣] ، فإذا أراد العبد[٤] أن يفتح باباً من تلك الأبواب ناداه المنادي ـ أو كما قال ـ يا عبد الله ! لا تفتحه؛ فـإنك إن تفتحه تَلِجْه[٥] ، والدَّاعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن »[٦] .

---

[١] في (ك) سقط من قوله:" حديث النواس..." إلى هنا.

[٢] أرخى الشيء: أرسله وأسدله.

انظر: لسان العرب ١١٤٧/٢.

[٣] " من " ليست في الأصل وهي في سائر النسخ.

[٣] لفظ الجلالة سقط من(أ).

[٤] " العبد " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[٥] ولج البيت: أي دخله.

انظر لسان العرب ٩٧٩/٦.

[٦] الحديث رواه الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده ١٤٤/٥ رقم(٢٨٥٩)، وقال:" هذا حديث حسن غريب ".

ـ ورواه الإمام أحمد في المسند ١٨٢/٤، عن النواس بن سمعان، ونصه:

" ضرب الله مثلاً صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مُفَتَّحة، وعلى الأبواب سُتور مُرْخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: ياأيها الناس! ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك! لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ، والصراط الإسلام ، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المُفَتَّحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم ".

ـ ورواه الحاكم في المستدرك ٧٣/١، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي.

ـ وابن أبي عاصم في السنة ص٣١ رقم(٨).

ـ والطبري في تفسيره ١٧٦/١ رقم(١٨٦) مختصرا.

ـ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣٩٠/٥ رقم(٢١٤١).

ـ والآجري في الشريعة ٢٩٤/١ رقم(١٤).

ـ والبيهقي في شعب الإيمان ٤٤٤/٥ رقم(٧٢١٦).

والحديث قال عنه ابن كثير:" وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم "، وصحَّحه الألباني في تخريج السنة لابن=

فقـــد بيَّـــن أن في قلب كل مؤمن واعظاً ؛ والواعظ الأمر والنهي بترغيب وترهيـــب ، فهـــذا الأمر والنهي الذي يَقَعُ في قلب المؤمن[1] مطابقٌ لأمر القرآن ونهيه ؛ ولهذا يَقْوَى أحدهما بالآخر [2].

وقـــد يؤتـــى العـــبد أحدهما ولا يؤتى الآخر ، كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القـــرآن[3]،كمثل الأُتْرُجَّة [4] ريحها طيِّبٌ وطعمها طيِّب[5] ،ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقـــرأن القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيِّب[6] ،ومثل المنافق الذي يقرأ القـــرآن مثل[7] الرَّيْحَانَةِ[8] ريحها طيِّب وطعمها مُرٌّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل[9] الحَنْظَلَة[10] ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ »[11] .

= أبي عاصم، وتابع الحاكم والذهبي في عده على شرط مسلم في تخريجه لمشكاة المصابيح، وقال عنه شعيب الأرنؤوط:" حديث صحيح ".

انظر: تفسير ابن كثير ٢٩/١، والسنة لابن أبي عاصم (بتحقيق الألباني) ص٣١، ومشكاة المصابيح (بتحقيق الألباني) ٦٧/١، وتفسير الطبري(بتحقيق أحمد شاكر)١٧٦/١، وشرح مشكل الآثار(بتحقيق الأرنؤوط) ٥/ ٣٩٠.

[1] في(أ ، ب، ع، ش) " الذي نفع قلب المؤمن ".

[2] في (أ ، ب، ع، ش) زيادة " كما قال تعالى" نور على نور..." إلى قوله:"...ليقوم الناس بالقسط "، وستأتي لاحقا في موضعها، في الصفحة التالية.

[3] من هنا إلى نهاية الحديث بياض في (ظ).

[4] الأُتْرُجَة: بضم الهمزة والراء وتشديد الجيم وقد تخفف، ثَمَرٌ معروف يقال له(ترنج)، جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون، ومنافعه كثيرة، وهو أفضل ثمار العرب.

انظر: عون المعبود١٢٢/١٣، وزاد المعاد ٢٦٠/٤.

[5] في (أ ، ب، ع) " طعمها طيب وريحها طيب ".

[6] في (أ ، ب، ش) " طعمها طيب ولا ريح لها ".

[7] في (ع) " كمثل ".

[8] الريحان : كل نبت طيب الريح، فكل أهل بلد يَخُصُّونه بشيء من ذلك؛ فأهل المغرب يخصُّونه بالآس، وهو الذي يعرفه العرب من الريحان، وأهل الشام والعراق يخصونه بالحَبَق.

انظر: زاد المعاد ٢٨٨/٤.

[9] في (ك ،أ ، ب، ع، ش) "مثل ".

[10] الحَنْظَلَة: واحدة الحَنْظَلِ، وهو الشجر المُرُّ، والحنظل هو الشَّرْي.

انظر: لسان العرب ٧٣٨/١. =

وقد قال بعض السلف[1] في قوله : «..نورٌ على نورٍ..»[النور: ٣٥] ، قال : «هو[2] المؤمن يَنْطِقُ بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نوراً[3] علـــى نور ؛ نور الإيمان الذي في قلبه يُطابق نور القرآن، كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المُنَزّل،فإن الله[4] أنزل الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط[5]»[6] .

والإلهام في القلب تارة يكون من جِنْسِ القول والعلم والظن والاعتقاد ، وتارة يكـــــــون[7] من جنـــس العمـــــل والحـــــب والإرادة والطلـــــــــب ؛

= [11] الحديث رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٨١/٩ رقم(٥٠٢٠).

– ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ رقم(٧٩٧)، عن أبي موسى الأشعري بلفظ:

" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة، ريحها طيِّب وطعمها طيِّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ".

[1] القول الصحيح في تحديد مفهوم السلف: هو أنهم القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومن سار على منهجهم وطريقتهم في التزام نصوص الكتاب والسنة وفهمها.

وقد بحث الشيخ عبد الرحمن المحمود هذه المسألة باستفاضة في كتابه موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣٦/١ وما بعدها ، فليرجع إليه.

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " هذا "، بدل "هو ".

[3] في الأصل و(ك، أ ، ب، ش) " نور "، والمثبت من (ظ، ع).

[4] في (ك) زيادة " سبحانه ".

[5] قال تعالى :" **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات،وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**"[الحديد: ٢٥].

[6] روى الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباس، في قوله تعالى:" **مثل نوره كمشكاة...**" ١٣٨/١٨،قال: " مثل هُدَاه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت يُضيء قبل أن تمسَّه النار، فإذا مسَّته النار ازداد ضوءاً على ضوء، كذلك يكون قلب المؤمن، يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم كان هدى على هدى، ونوراً على نور، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تَجيْئَهُ المعرفة " قال هذا ربي " حين رأى الكوكب من غير أن يُخْبِرَه أحدٌ أن له رباً، فلما أخبره الله أنه ربه ، ازداد هدى على هدى ".

– وذكره القرطبي في تفسيره ٢٦٤/١٢، عن ابن عباس.

– والبغوي في معالم التنزيل ٤٩/٦، عن ابن عباس.

– وذكر نحواً منه البيضاوي في أنوار التنزيل ١٢٥/٢، ولم ينسبه إلى أحد.

– وابن كثير في تفسيره ٢٧٣/٣.

– وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

[7] " يكون " ليست في(ظ ، ك).

فقد[١] يقع في قلبه أن هذا القول أَرْجَحُ وأَظْهَرُ وأَصْوَبُ[٢] ، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر[٣] .

وفـــي الصَّحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم[٤] أنه قال : « قد كان في الأمـــم قـــبلكم مُحَدَّثُوْنَ ، فإن يكن في أمتي أحد فَعُمَرُ منهم »[٥] ، والمُحَدَّث : هو المُلْهم المُخَاطب[٦] .

وأيضاً فإذا كانت الأمور الكونية قد تَتَكَشَفُ[٧] للعبد المؤمن يقيناً أو ظناً[٨] ، فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى ؛ فإنه إلى كَشْفِهَا أَحْوَجُ ، لكن هذا في الغالب لابد أن يكون كَشْفاً بدليل . وقد يكون[٩] بدليل يَنْقَدِحُ[١٠] في قلب المؤمن ، لا يمكنه التَّعْبِيْرُ عنه ، وهذا أحد ما فُسِّرَ به معنى الاستحسان[١١] .

---

[١] في الأصل " قد " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٢] فيكون هذا الإلهام من قبيل العلم.

[٣] فيكون هذا الإلهام من قبيل الحب والإرادة.

[٤] " عن النبي صلى الله عليه وسلم "، سقطت من(أ ، ب، ع، ش).

[٥] الحديث رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب ٧ /٥٢ رقم(٣٦٨٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ـ ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه ١٨٦٤/٤ رقم(٢٣٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه:

" قد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم ".

[٦] قال ابن الأثير في قوله(مُحَدَّثون): " جاء في تفسيره أنهم المُلْهمون، والمُلْهم هو الذي يُلْقَى في نفسه الشيء فيخبر به حَدْساً وفِرَاسَة ".

انظر: النهاية لابن الأثير ٣٥٠/١.

[٧] الكَشْفُ عند الصوفية/ هو الاطِّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهودا. أما مقصود الشيخ هنا: فهو علم يحدثه الرب في قلب العبد ، ويطلعه به على أمور قد تخفى عليه.

انظر: التعريفات للجرجاني ص١٨٤، ومدارج السالكين٢٢٢/٣.

[٨] عن طريق الإلهام أو الرؤيا الصادقة أو الفراسة.

[٩] " يكون " سقطت من(ب، ع، ش).

[١٠] أصل القَدْح: هو الضرب بالحجرين لإشعال النار، وقد شَبَّهَ ما يحصل في قلب المؤمن من العلم بذلك.

انظر: لسان العرب ٢٧/٥.

[١١] فَسَّرَ الأصوليون الاستحسان بثلاثة معان:

الأول/ العدول بحكم المسألة عن نظائرها ؛ لدليل خاص من كتاب أو سنة.

والثاني/ هو ما يستحسنه المجتهد بعقله. =

وقد قال من طَعَنَ في ذلك – كأبي حامد[1] وأبي محمد[2] – : « ما لا يُعَبَّر

= والثالث(وهو الذي ذكره الشيخ)/ دليلٌ يَنْقَدِحُ في نفس المجتهد، لا يقدر على التعبير عنه.
وقد اختلف في حُجِّيَّته فأثبته الحنفية والحنابلة، ونفاه الشافعية والمالكية، حتى أنه أُثِرَ عن الشافعي قوله:" من استحسن فقد شرع ".
والحقُّ أن الخلاف هنا خلاف لفظي في تحديد معنى الاستحسان؛ فالمنكرون له يعترضون على المعنيين الثاني والثالث، وأما المعنى الأول فالجميع يقر به وإن لم يسمه المنكرون استحسانا.
انظر: الإحكام للآمدي ١٦٢/٤، وروضة الناظر ٥٣١/٢-٥٣٦.

[1] هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطُّوسي الغزالي(بتشديد الزاي وتخفيفها) الشافعي، ولد في طُوس، ودرس علم الكلام على أبي المعالي الجويني بنيسابور، ثم تَحَوَّل إلى بغداد ودَرَّس في نظَامِيَّتِهَا.
ثم بدا له سلوك طريق الصوفية، فحج إلى بيت الله ، ثم زار بيت المقدس، ثم استقرَّ في دمشق، وألَّف هناك كتابه(إحياء علوم الدين) ، ثم ترك دمشق إلى نيسابور للتدريس في نظاميتها.
ثم عاد إلى طوس واتَّخذ له مدرسة وخَانْقَاه للصوفية، وقد قيل إنه في آخر حياته أقبل على طلب الحديث، ودَرَسَ الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، وعاد على منهج السلف، وألف في تلك الفترة كتاب(إلجام العوام عن علم الكلام)، حتى توفي وصحيح البخاري على صدره، سنة٥٠٥هـ ، وعمره إذ ذاك خمسة وخمسون عاما.
والغزالي كان ولا يزال مثار جدل بين العلماء، إذ أدخله اشتغاله بالكلام والتصوف، ومطالعته لكتب الفلاسفة والباطنية، في مَزَالِّ الأقدام ؛ فمن قوله بقانون التأويل(في قانون التأويل)، وتأثره بالفلاسفة والباطنية(في معارج القدس، والمضنون به على غير أهله)، إلى الشك والحيرة(في المنقذ من الضلال).
لكن الذي يهمنا هنا أكثر من غيره هو ربطه بين التصوف وبين المذهب الأشعري، حتى صارا وثيقي الارتباط ببعضهما بعد الغزالي.
وتَصَوُّفُ الغزالي ليس تصوفا معتدلا، بل هو تصوف إشراقي قريب من تصوف ابن عربي والحلاج وغيرهما من غلاة الصوفية، يدل على ذلك قوله بنظرية الفَيْضِ الإلهي، يقول:" أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذي هو ينبوع الوجود، وهو فَيَّاض بذاته على كل ما له قبول، الوجود حقيقة وجوده.."معارج القدس ص١١.
وقد انتقد شيخ الإسلام الغزالي ؛ وبيَّن أن في كتبه كثيرا من كلام الفلاسفة والباطنية وغلاة الصوفية، وأن مرضه هو(الشفاء)؛ أي كتاب الشفاء لابن سينا.
انظر: السير٣٤٦/١٩، ووفيات الأعيان٢١٦/٤، والوافي بالوفيات٢٧٤/١، وشذرات الذهب١٠/٤، ومجموع الفتاوى١٨٤/٩.

[2] أغلب الظن أن الشيخ يقصد أبا محمد موفق الدين بن قدامة ، وليس عبد الغني المقدسي كما ذكر د/محمد رشاد سالم ؛ يدل على ذلك وجود كلمة (هوسٌ) بنصها فِي كلام ابن قدامة كما سيأتي في الصفحة التالية.
وهو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نَصْر المقدسي الجَمَّاعِيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي.
رحل في طلب العلم مع ابن خاله عبد الغني المقدسي إلى بغداد ، فنزلا على الشيخ عبد القادر الكيلاني حتى توفي ، ثم على ابن الجوزي ، ثم عاد إلى دمشق وأقام بالصالحية ، وكانت مدة لُبْثِهِمَا في بغداد أربع سنين.=

عنه فهو هَوَسٌ[1] »[2] .

ولـــيس كذلك ، فإنه ليس كُلُّ أحدٍ يُمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه ، وكثير من الناس يُبَيِّنها[3] بياناً ناقصاً ، وكثيرٌ من أهل الكُشُوف يُلْقَى في قلبه أن هذا الطعام حرام، أو أن[4] هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر.

وبـــالعكس قد يُلْقَى في قلبه محبة شخص ، وأنه وليٌّ لله[5] ، أو أن هذا المال حلال .

وليس المقصود هنا بيان أن هذا[6]وحده دليلٌ على الأحكام [الشرعية] [7]، لكن أنَّ مثل هذا يكون ترجيحاً[8] لطالب الحقِّ ، إذا[9] تكافأت عنده الأدلة السمعية

= من مؤلفاته:(المغني ــ والكافي ــ والمقنع ــ وروضة الناظر ــ وذم التأويل...) وغيرها.

انظر: السير:٢٢/١٦٥ ، وذيل ابن رجب ١٣٣٣/٢ ، والمقصد الأرشد ١٥/٢ ، والدر المنضد ٣٤٦/١ ، والمنهج الأحمد ١٤٨/٤.

[1] هَوَس الناس هَوَساً: وقعوا في اختلاط وفساد.

انظر: لسان العرب ٨٤٤/٥.

[2] أبو حامد الغزالي ينكر أكثر أنواع الاجتهاد؛ كالاستحسان، والاستصلاح، وبعض وجوه الاستصحاب(استصحاب الإجماع)، وأنكر حجية شرع من قبلنا، وقول الصحابي ، يقول في المستصفى:" التأويل الثاني للاستحسان قولهم: المراد به دليل يَنْقَدِحُ في نفس المجتهد لا تُساعده العبَارة عنه، ولا يقدر على إبرازه وإظهاره، وهذا هَوَسٌ؛ لأن ما لا يَقْدِر على التعبير عنه لا يدري أنه وهم وخيال أو تحقيق ".

ويقول أبو محمد ابن قدامة المقدسي بعد أن ذكر المعنيين الأول والثاني للاستحسان: " الثالث: قولهم: المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على التعبير عنه.

وهذا هَوَسٌ ؛ فإن ما لا يُعَبَّر عنه لا يُدْرَى أهو وهم أم تحقيق ، فلا بد من إظهاره ؛ ليُعْتَبَرَ بأدلة الشريعة ، فلتُصححه أو لتُزيفه ".

انظر: المستصفى ٢٨٠/١-٢٨١، وروضة الناظر ٥٣٥/٢-٥٣٦.

[3] في (أ ، ب،ع، ش) " بيَّنها ".

[4] في (ك) " وأن ".

[5] في (ك ،أ ، ب، ش) "ولي الله ".

[6] أي الإلهام.

[7] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[8] في (ع، ش) " أن مثل هذا يكون مثل هذا ترجيحا ".

[9] في (أ ، ب) " إن ".

الظاهــرة ، فالترجيح بها[1] خيرٌ من التَّسوية بين الأمرين المُتَناقضين قطعاً ؛ فإنَّ التَّسوية بينهما باطلة قطعاً؛ كما قلنا أن العمــل بالظــن الناشــئ عن ظاهر[2] أو قياس ، خيرٌ من العمل بنقيضه[3] ؛ إذا احتيج إلى العمل بأحدهما[4] .

الصحيح أنه لابد في كل حادثة من حكم شرعي مُعَيَّن

والصــواب الــذي عليه السلف والجمهور أنه لابد في كل حادثة من دليل شرعي ، فلا يجوز تكافؤ[5] الأدلة في نفس الأمر[6] .

ولكن قد تتكافأ[7] عند النَّاظر ؛ لعدم ظُهُورِ التَّرجيح له .

وأمــا مــن قال[8] : إنه ليس في نفس الأمر حقٌّ معيَّن ، بل كُلُّ مجتهدٍ عالمٌ بــالحقِّ الباطــن في المسألة ، وليس لأحدهما على الآخر مَزِيَّة في علم ولا عمل؛ فهؤلاء قد يُجَوِّزون ــ أو بعضهم ــ تكافؤ الأدلة ، ويجعلون الواجب التخيير بين القولين[9] .

---

(1) " بها " سقطت من (ك).

(2) في الأصل " الظاهر " ، والمثبت من سائر النسخ.

(3) في (أ ، ب) " في نقيضه ".

(4) لأن المجتهد إذا رَجَّحَ بناء على ظاهر أو قياس، فإن ترجيحه مبني على غَلَبَةِ الظَّن، لا على اليقين بأن ذلك هو الحق، ومع هذا فإن ترجيحه لحكم مُعَيَّن بغلبة الظن، خير من العمل بالحكم الآخر الذي غلب على الظن أنه خلاف الحق.

(5) في (أ ، ب، ع، ش) " تكافي ".

(6) قال بهذا القول: مالك، والشافعي، والإمام أحمد، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والأوزاعي، وأهل الظاهر، ومن المتكلمين: بشر المريسي، وابن عليَّة، والأصم، وأكثر الأشاعرة، وابن كلاب ، والحارث المحاسبي.

انظر: المسودة ٢/٨٩٨-٩٠٦.

(7) في (أ ، ب، ع) " يتكافأ ".

(8) هم الحنفية، وأكثر المعتزلة.

انظر: المسودة ٢/٨٩٨-٩٠٦.

(9) بل قد قال بعضهم: إن كل من أفتى في حادثة بحكم يريد به التقرب إلى الله فهو مصيب، سواء كان مجتهدا أم لا.

انظر: المسودة ٢/٩٠٦.

وهؤلاء يقولون : ليس على الظن دليل في نفس الأمر ، وإنما رُجْحَانُ أحد القولين هو من باب الرُّجحان بالميل والإرادة؛ كترجيح[1] النفس الغَضَبِيَّة[2] للانتقام، والنفس الحَلِيْمَةِ[3] للعفو .

وهذا القول خطأ ؛ فإنه لابد في نفس الأمر من حَقٍّ مُعَيَّن، يُصِيبه المُسْتَدِلُّ تارة ، ويُخطئه أخرى ؛ كالكعبة في حَقِّ[4] من اشتبهت عليه القبلة .

والمجـتهد إذا أدَّاه اجتهاده إلى جهة ، وسقط عنه الفرض بالصلاة إليـها[5] ؛ كالمجـتهد إذا أدّاه اجـتهاده إلـى قول ، فعمل بموجبه ، كلاهما مُطيعٌ لله ، وهو مصـيب بمعنى : أنه مُطيعٌ لله وله أجر على ذلك ، وليس مُصِيباً بمعنى : أنه عَلِمَ الحَقَّ المُعَيَّنَ ، فإنَّ ذلك لا يكون إلا واحداً ، ومُصِيْبُهُ له أجران[6] .

أحكام المعيَّنات لا يجب أن تُعلم بالشرع

وهذا في كَشْفِ الأنواع التي يكون عليها دليل شرعي ، لكن قد يخفى على العـبد ؛ فإن الشارع بيَّن الأحكام الكُلِّيَّة، وأما [أحكام][7] المُعَيَّنات التي[8] تُسَمَّى تَنْقِـيْحَ[9] المَـنَاطِ[10] ؛ مـثل : كـون الشـخص المُعَيَّن عدلاً أو فاسقاً، ومؤمناً

---

[1] في(أ ، ب، ع، ش) " لترجيح ".

[2] في(أ ، ع) " العصبية ".

[3] في (أ ، ع، ش) " الحكمية "، وفي (ب) " الحلمية ".

[4] " حق " سقطت من (ع).

[5] قال ابن قدامة:" وإذا صلى بالاجتهاد إلى جهة، ثم علم أنه قد أخطأ القبلة لم يكن عليه الإعادة " ، وهو قول مالك وأحمد وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه .
انظر: المغني ٢٦٨/١.

[6] كما قال صلى الله عليه وسلم:" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٣٩٣/١٣ رقم(٧٣٥٢). فمصيب الحق واحد ــ كما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم ــ وليس كلاهما مصيب؛ لأن الحق واحد لا يتعدد، لكن لا يعدم المخطئ الأجر لأجل اجتهاده.

[7] ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو في(أ ،ب، ع، ش) " الأحكام " ، والمثبت من (ظ، ك).

[8] في الأصل " الذي "، والمثبت من سائر النسخ.

[9] في (أ ، ب، ع) " بفتح ".

[10] تنقيح المناط/ هو أن يضيف الشارع الحكم إلى سببه، فيقترن به أوصاف لا مدخل لها في الإضافة، فيجب حذفها عن الاعتبار لِيَتَّسِعَ الحكم.
مثاله: قصة الأعرابي الذي واقع أهله في نهار رمضان، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالكفارة، فالكفارة لم تجب عليه لأنه أعرابي، أو لأن التي واقعها هي زوجته، بل لأنه مُكَلَّفٌ واقع في نهار رمضان، فهذا هو=

أو منافقاً[1]، ووليّاً[2] لله أو عدواً له، وكون هذا [العقار][3] لِيَتِيمٍ أو فقير يستحق الإحسان إليه[4] ، وكون هذا المُعَيَّن عدوّاً للمسلمين يستحق القتل ، وكون هذا المال يُخاف عليه من ظلم ظالم ، فإذا زهد فيه الظالم انتفع به أهله .

فهذه الأمور لا يجب أن تُعلم بالأدلة الشرعية العامة الكلية ؛ بل تعلم بأدلة خاصة تدل عليها[5] .

ومن طرق [ذلك][6] الإلهام ؛ فقد يُلهِم الله [تعالى][7] بعض عباده حال هذا[8] المال المُعَيَّن ، وحال هذا الشَخْص [المُعيَّن][9] ، وإن لم يكن هناك دليل ظاهر يَشْرُكه فيه غيره .

الخضر عليه السلام لم يخرج عن الشرع

وقصة الخَضِر[10] مع موسى هي من هذا الباب ، ليس فيها مخالفة شرع الله

=مناط الحكم، وما فعلناه من إزالة الأوصاف الأخرى التي لا مَدْخل لها في الحكم، يُسَمَّى تنقيح المناط.
انظر: روضة الناظر٨٠٣/٣، والمسودة ٧٣٧/٢.

[1] أصل النَّفَق: الخروج، ومنه سمِّي المنافق منافقا؛ لأنه خرج من الإسلام من غير الباب الذي دخل منه، شُبِّه باليربوع الذي يدخل في جحره من باب، فإذا طُلِبَ نفق أي هرب من باب آخر سري لا يعلم عنه أحد.
والمنافقون هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وكان رأسهم زمن النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن سلول، وقد كان أمرهم مستورا أول الأمر، حتى نزلت سورة(براءة) فبيَّنت أوصافهم للمؤمنين؛ ولهذا سُمِّيت الفاضحة لأنها فضحتهم.
ثم لما انتشر الإسلام، ودخل فيه كثير من العجم، صاروا يسمون (الزنادقة)، وأصل الكلمة فارسية معناها: القائلون ببقاء الدهر، ثم صارت علماً على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
والمنافقون أشد من الكفار، وحكمهم أنهم في الدَّرك الأسفل من النار، قال تعالى:" **إن المنافقين في الدَّرْك الأسفل من النار** "[النساء: ١٤٥].
انظر: لسان العرب ٦٩٤/٦ ، ومجموع الفتاوى ٤٦١/٧-٤٢٧.

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " أو مؤمنا ...أو وليا ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من(ظ، ك).

[4] قوله: " وكون هذا العقار ليتيم أو فقير يستحق الإحسان إليه " سقط من (أ ، ب، ع، ش).

[5] ولهذا شُرِعَ الاجتهاد في الإسلام؛ لأنه لا يمكن أن يكون في كل حادثة معينة دليل ظاهر يخصها.

[6] مابين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[7] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[8] في (أ ، ب، ش) " ذاك ".

[9] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[10] الخَضِرُ: هو صاحب موسى عليه السلام، وقد اختلف في اسمه على عشرة أقوال، أوجهها قول وهب بن منبه، الذي ذكره ابن قتيبة في المعارف، ونصره ابن كثير وابن حجر والنووي، وهو أنه (بَلْيَا بن ملكان بن=

= فالغ بن عابر بن شالخ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام) وأن كنيته أبو العباس.
والحق أن هذا مما لم يرد به نَصٌّ من كتاب أو سنة ، بل هو من إسرائيليات وهب بن منبه، ولا فائدة تذكر من معرفة ذلك.
والثابت أنه الخضر(بفتح الخاء أو كسرها)، وأنه سُمِّي بذلك؛ لأنه جلس على أرض فاهتزَّت خَضِرَة؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" إنما سمِّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء " رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى ٥٣٥/٦ رقم(٣٤٠٢)، والفروة: الحشيش اليابس.
ـ واختُلِفَ في نبوته والمختار أنه نبي؛ لأدلة ساقها ابن حجر في الإصابة ٢٤٧/٢، وفي الفتح ٢٩٢/١، وفي الزهر النظر ١٩٧/٢، منها:
١- قوله تعالى:" **وما فعلته عن أمري** "[الكهف: ٨٢] ، وهذا يدل على أنه فعل ما فعل بأمر الله ، والأصل عدم الواسطة ، فيكون نبياً يوحى إليه.
٢- قول الخضر:" إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت.." رواه البخاري١/٢٩٠ رقم(١٢٢)؛ ولو لم يكن نبياً للزم أن يكون غير النبي أعلم من النبي، وهذا باطل.
ـ والفائدة من إثبات نبوته الرَّدُّ على من زعم من الصوفية، أن الولي أفضل وأعلم من النبي، زاعمين أن في قصة الخضر حُجَّة لهم، يقول ابن حجر:" وينبغي اعتقاد كونه نبيا؛ لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي، حاشا وكلا " الفتح ٢٩٣/١.
ـ والصوفية يقولون بتعميره، وأنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده، وأنه باقٍ إلى يوم القيامة، بل ويقولون بأنه ابن آدم لصلبه، ويسوقون في ذلك أحاديث وآثار واهية بل موضوعة.
ـ وممن قال بعدم موته من غير الصوفية: القرطبي في تفسيره١١/٤١، والنووي في شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٤٤، وابن الصلاح في فتاويه (ضمن الرسائل المنيرية) ٢٤/٢، والثعلبي في قصص الأنبياء ص١٩٨، والملا علي قاري في الحذر في أمر الخضر ص١٤٩.
ـ وهذه الأحاديث التي اعتمد عليها الصوفية بيَّن بطلانها العلماء: يقول ابن القيم: " الاحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد " المنار المنيف ص٦٧، ويقول ابن كثير: " وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك " تفسير ابن كثير٣/٩٤، وقال ابن حجر: " وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الإسناد " الفتح٦/٥٣٧.
ـ أما الأدلة على وفاته فكثيرة متوافرة، منها:
١ـ قوله تعالى:" **كل نفس ذائقة الموت** "[آل عمران: ١٨٥]، وقوله:" **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون** "[الأنبياء: ٣٠]، قال الشنقيطي :" فيلزم من ذلك نفي الخلود عن كل البشر من قبله والخضر بشر من قبله "،أضواء البيان٤/١٧٩.
٢ـ قوله عليه الصلاة والسلام:" أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد "رواه البخاري٢/٩٣ رقم(٦٠١).
قال الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعليقه على الحديث:" الذي عليه أهل التحقيق أن الخضر قد مات قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لأدلة كثيرة معروفة في محلِّها، ولو كان حياً في حياة نبينا صلى الله عليه وسلم لدخل في هذا الحديث، وكان ممن أتى عليه الموت قبل رأس المائة، كما أشار إليه الشارح هنا والله =

= أعلم " فتح الباري٢/٩٥(الهامش).

٣ـ قوله تعالى:" **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مُصدِّقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**"[آل عمران: ٨١]، وقوله عليه الصلاة والسلام: " والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني" رواه أحمد٣/٣٣٨.

قال شيخ الإسلام: " لو كان الخضر حَيًّا لوجب عليه أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، ويجاهد بين يديه، ويتعلَّم منه " مجموع الفتاوى٢٧/١٠٠.

٤ـ قوله صلى الله عليه وسلم:"..اللهم إن تَهلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَد في الأرض...".

قال شيخ الإسلام بعد ذكره للحديث: " وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آباءهم ، فأين كان الخضر حينئذ " مجموع الفتاوى٢٧/١٠٠.

٥ـ قوله عليه الصلاة والسلام:"... وَدِدنا أن موسى كان صبر فقصَّ الله علينا من خبرهما... " رواه البخاري ٦/٥٣٣ رقم(٣٤٠١).

قال ابن حجر : " فلو كان الخضر موجوداً لما حَسُنَ هذا التمني ولأحضره بين يديه، وأراه من العجائب ، وكان أدعى لإيمان الكفرة لاسيما أهل الكتاب " الفتح ٦/٥٣٧.

ـ أما الأدلة العقلية على موت الخضر فقد ساق ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه المنار المنيف ص٧٣ـ٧٦ عشرة منها.

ـ ومما تزعمه الصوفية في هذا الباب، أن الواصل من السالكين يَسُوغُ له الخروج عن الشريعة، كما ساغ للخضر الخروج عن شريعة موسى.

وقد أجاب شيخ الإسلام عن هذه الفرية من وجهين:

الأول/ أن الخضر لم يخرج عن الشريعة، بل الذي فعله كان جائزا في شريعة موسى ، ولهذا لما بيَّن له الأسباب أقرَّه على ذلك، ولو لم يكن جائزا لما أقره(وقد بين الشيخ موافقة كل فعل من أفعال الخضر للشرع في موضع آخر، الفتاوى١١/٤٢٦) وانظر كلام ابن حجر في ذلك في الفتح١/٢٩٥.

الثاني/أن الخضر لم يكن من أُمَّة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته...وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة، فإن النبي كان يُبْعَثُ إلى قومه خاصة، ومحمد صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس كافة، بل بُعث إلى الإنس والجن باطنا وظاهرا، فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته، لا في الباطن ولا في الظاهر، لا من الخواص ولا من العوام. انظر: مجموع الفتاوى ١٣/٢٦٦.

ـ وأما زعمهم أن الخضر إنما سقط عنه الملام في مخالفته للشرع، لأنه شهد الحقيقة الكونية، فقد أبطله شيخ الإسلام من وجوه:

الأول/ أن مضمون هذا الكلام: أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء لم يكن عليه أمر ونهي، وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله، وما جاءوا به من الأمر والنهي، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا :" **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**"[الأنعام: ١٤٨].

الثاني/أن موسى عليه السلام كان مؤمنا بالقدر وعالما به، بل أتباعه من بني إسرائيل كانوا أيضا مؤمنين بالقدر، فهل يَظُنُّ من له أدنى عقل، أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الإيمان بالقدر، وأن ذلك يدفع الملام.

الثالث/ ثم لو كان هذا هو السِّرَّ في قصة الخضر لبيَّن ذلك لموسى، وقال إني كنت شاهدا للإرادة والقدرة، =

[تعالى][1]؛ فإنه لا يجوز قَطُّ لأحدٍ [لا][2] نبيٌ ولا وليٌ [أن][3] يخالف شرع الله . لكن فيها عِلْمُ حال ذلك[4] المُعَيَّن بسببٍ باطنٍ يوجب فيه الشرع ما فعله الخَضِر ؛ كمن دخل إلى دار وأخذ ما فيها من المال؛ لعلمه بأن[5] صاحبها أَذِنَ له، وغيره لم يعلم ، ومثل : من رأى ضَالَّة[6] أخذها ، ولم يُعَرِّفها لعلمه بأنه أُتِيَ بها هديَّة له ونحو ذلك، ومثل هذا كثير عن أهل الإلهام الصحيح[7] .

القسم الثاني من أقسام الناس في إرادة ما يحبه الله ويرضاه :

والنوع الثاني[8] : عَكْسُ هذا وهو [أنهم][9] يَتَّبِعون هواهم لا أمر الله[10] .

فهؤلاء لا يفعلون ولا يأمرون إلا بما يُحبونه بهواهم ، ولا يتركون وينهون إلا عن ما يكرهونه بهواهم[11] .

وهؤلاء شَرُّ الخلق ؛ قال[12] تعالى : « **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً**[13] »[الفرقان: ٤٣] ،

= وليس الأمر كذلك، بل بيَّن له أسباباً شرعية تُبِيحُ له ما فعل.

انظر: مجموع الفتاوى ٤٢٠/١١-٤٣٢، ٢٦٥/١٣-٢٦٩، ١٠٠/٢٧، والمنار المنيف ص٦٧-٧٦، وتفسير ابن كثير ٩٤/٣، والإصابة ٢٤٦/٢، وفتح الباري ٢٩٢/١-٢٩٥، ٥٣٥/٦-٥٣٨، والزهر النضر(ضمن= =الرسائل المنيرية)١٩٥/٢-٢٣٤، وأضواء البيان ١٦٣/٤-١٧٨، والفكر الصوفي ص١٢٥-١٤١، والخضر وآثاره لأحمد الحصيّن ص١٨.

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[2] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[3] ما بين المعكوفين زيادة من سائر لنسخ.

[4] في (أ ، ب، ش) " ذاك ".

[5] في (ع) " أن ".

[6] الضالة: هي الضائعة من كل ما يُقتَنى من حيوان وغيره.

انظر: لسان العرب ٥٤٤/٣

[7] في الأصل " ومثل هذا الباب عن أهل الإلهام الصحيح "، والمثبت من سائر النسخ.

[8] أي من أنواع الناس في إرادة ما يحبه الله ويرضاه.

[9] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[10] في (أ ، ب، ش) " لأمر الله ".

[11] في (ك) " ولا يتركون وينهون عما يكرهون إلا بهواهم ".

[12] في (ك) زيادة " الله ".

[13] أي أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله.

انظر: جامع البيان ١٨/١٩.

قــال الحسن[1]: « هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا رَكِبه »[2] ، وقال تعالى: « **ومن أضلُّ ممن اتَّبع هواه بغير هدى من الله...**»[القصص: ٥٠] .

وقــال عمــر بن عبد العزيز : « لا تكن ممن يَتَّبِعُ[3] الحقَّ إذا وافق هواه، ويُخالفــه إذا خالف هواه ، فإذاً أنت لا تُثَاب[4] على ما اتَّبعته من الحَقِّ ، وتعاقب علــى ما خالفته »[5] وهو كما قال رضي الله عنه؛ لأنه في الموضعين إنما قصد اتِّبَاعَ هواه ولم يعمل لله.

---

[1] هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن(يسار) البصري ، كان أبوه مولىً لزيد بن ثابت رضي الله عنه، وأمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، ولقي عثمان وعلي وطلحة وغيرهم من كبار الصحابة، فهو معدود في كبار التابعين، بل قيل هو أفضلهم.

وقد رُمي رحمه الله بالقدر ، والمشهور من أقواله خلاف ذلك، قال الذهبي:" فلعلها هفوة ورجع منها ولله الحمد".

توفي رحمه الله سنة ١١٠هـــ.

انظر: طبقات ابن سعد ١٥٦/٧، ووفيات الأعيان ٦٩/٢، وتهذيب الكمال ٩٥/٦، وتذكرة الحفاظ ٧١/١، والسير ٥٦٣/٤، وتهذيب التهذيب ٢٦٣/٢.

[2] الأثر رواه الفريابي في صفة المنافقين ص٥٢، ونصه:

حدثنا الحسن في هذه الآية " أرأيت من اتخذ إلهه هواه "، قال: " هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه ".

ـ ورواه الطبري في تفسيره ١٥٠/١٣، عن قتادة.

ـ وابن الجوزي في ذم الهوى ص١٧، عن الحسن، وفي زاد المسير ٩٢/٦، عن قتادة.

ـ وذكره القرطبي في تفسيره ٣٦/١٣، عن الحسن.

ـ ورواه بسنده الذهبي في السير ٥٧١/٤، عن الحسن(من طريق الفريابي).

ـ وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص٢٥١، عن الحسن.

ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/٥، إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وعبد بن حميد.

والأثر قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: "رجاله ثقات "، وقال الشيخ مقبل الوادعي: " إسناده حسن وهو موقوف على الحسن البصري ".

انظر: السير(بتحقيق الأرنؤوط) ٥٧١/٤، وصفة المنافقين للفريابي(بتحقيق الوادعي) ص٥٢.

[3] في الأصل وسائر النسخ " اتبع "، والمثبت من (ظ، ك).

[4] في الأصل " لا ثبات لك "، والمثبت من سائر النسخ.

[5] لم أجده .

ألا ترى أن أبا طالب نَصَرَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وذَبَّ عنه أكثر من غيره ، لكنْ فعل ذلك لأجل القرابة ، لا لأجل الله تعالى[1] ، فلم يَتَقَبَّل الله ذلك منه، ولم يُثِبْهُ[2] على ذلك[3] .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه[4] أعانه بنفسه وماله لله، فقال الله فيه[5] : « **وسـيجنبها الأتقى ؛ الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى** »[6][الليل: ١٧-٢١] .

القسم الثالث من أقسام الناس في إرادة ما يحبه الله ويرضاه

والقسم[7] الثالث[8]: الذي يريد تارة إرادة يُحبها الله، وتارة إرادة يبغضها[الله][9] وهؤلاء عامة[10] المسلمين ؛ فإنهم يطيعون الله تارة ويريدون ما أحبه ، ويعصونه تارة ويريدون ما يهوونه، وإن كان يكرهه .

القسم الرابع:

والقسم الرابع : أن يَخلُوَ عن الإرادتين ، فلا يريد لله ولا لهواه ، وهذا يقع لكثـيرٍ من الناس في بعض الأشياء ، ويقع لكثير من الزُّهَّاد والنُّسَّاك في كثير من الأمور .

وأما خلو الإنسان[11] من[12] الإرادة مطلقاً فممتنع ؛ فإنه مفطورٌ على إرادة ما

---

[1] في الأصل " لا لأجل القرابة لله تعالى "، وفي (ع) " لا لأجل الله عز وجل "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في الأصل " يثيبه "، والمثبت من سائر النسخ.

[3] بل قد أخبر صلى الله أنه في النار، فقد ذكر عنده عمه فقال:" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضَحْضَاحٍ من النار، يبلغ كعبيه يَغْلِي منه دماغه "، رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٢٤٦/٧ رقم(٣٨٨٥).

[4] " رضي الله عنه " ليست في (ظ ، ك).

[5] في الأصل " فقال الله تعالى " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] رى الطبري بسنده عن قتادة، في هذه الآية قال:" نزلت في أبي بكر أعتق أُناساً لم يَلْتَمِسْ منهم جزاءً ولا شكوراً، ستةً أو سبعةً؛ منهم بلال وعامر بن فهيرة ".

انظر: جامع البيان ٢٢٨/٣٠.

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " القسم ".

[8] أي من أقسام الناس في إرادة ما يحبه الله ويرضاه.

[9] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[10] في الأصل و(ك) " أئمة " ، والمثبت من سائر النسخ.

[11] في (ك) " خلق في الإنسان ".

[12] في (أ ، ب، ع، ش) " عن ".

لابد له منه ، وعلى كراهة ما يضرُّه ويؤذيه[1] .

والــزَّاهد النَّاســك إذا كان مسلماً فلابد أن يريد أشياء يُحبها الله؛ مثل أداء الفرائض وترك المحارم ، بل وكذلك عموم المؤمنين ، لابد أن يريد أحدهم أشياء يحــبها الله ، وإلا فمــن لم يحب الله[2] ، ولا أحب[3] شيئاً لله ، فلم يُحب شيئاً من الطاعات لا الشهادتين ولا غيرهما ، ولا يريد ذلك ، فإنه لا يكون مؤمناً .

فلابــد لكلِّ مؤمن من أن تكون[4]له إرادة لبعض ما يحبه الله ، وأما إرادة العــبد لما يهواه ولا يحبه الله، فهذا لازمٌ لكل من عصى الله ، فإنه أراد المعصية، والله لا يحبها ولا يرضاها[5] .

متى يخلو الإنسان عن الإرادة؟

وأما الخلو عن الإرادتين المحمودة والمذمومة ، فيقع على وجهين :

أحدهما : مع إعراض العبد عن عبادة الله [تعالى][6] وطاعته ، وإن علِمَ بها؛ فإنـــه قد يعلم كثيراً من الأمور[4] أنه مأمور بها ، وهو[5] لا يريدها ولا يكره من غيره فِعْلَهَا ، وإذا اقتتل المسلمون والكفار لم يكن مُرِيْداً لانتصار هؤلاء الذي يحبه الله ، ولا لانتصار هؤلاء الذي يُبغضه الله[6] .

والوجــه الثاني : يقع من كثير من الزُّهَّاد العُبَّاد[7] المُمْتَثِلين لما يعلمون أن الله أمر به ، المُجْتَنبين لما يعلمون أن الله نهى عنه . وأمورٌ أخرى لا يعلمون أنها

---

[1] لأن حياة الإنسان لا تقوم إلا بأمور؛ من أكل وشرب ونوم، وهذه لا يمكن حصولها إلا بإرادة.

[2] في الأصل " لله "، والمثبت من سائر النسخ.

[3] في (أ ، ب) " ولا يحب ".

[4] في (ك ، ع) " يكون ".

[5] كما قال تعالى :" **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** " [النحل:٩٠]، وقال سبحانه :"...**إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** "[الأعراف: ٢٨].

[6] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب).

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " الإرادة ".

[5] " وهو " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[6] هذا بحسب النظر الذهني، أما في الواقع العملي، فإنه لا بد أن يكون له نوع من الميل إلى أحد الفريقين ، بحسب ما يحققه انتصار أحدهما من مصلحة له، أو ما يدفعه عنه من مضرة.

[7] في الأصل تكررت كلمة " العبَّاد ".

مأمورٌ بها ولا منهيٌ عنها ، فلا يُريدونها ولا يكرهونها ؛ لعدم العلم[1] ، ويرضون بهــا[2] مــن جهــة كونها مخلوقة مُقدَّرة[3] ، وقد يُعَاوِنُون عليها ، ويرون[4] هذا موافقة لله ، وأنهم[5] لما خَلَوْا عن هوى النفس، كانوا مأمورين بالرضا بكل حادثٍ، بل والمعاونة عليه .

وهــذا موضــع يقع فيه الغَلَطُ ؛ فإنَّ ما أحبَّه الله ورسوله علينا أن نحب ما أحبه الله ورسوله ، [وما أبغضه الله ورسوله ، فعلينا أن][6] نبغض ما يبغضه[7] الله ورسوله[8] .

وأما ما لا يُحبه الله ورسوله، ولا يبغضه الله ورسوله؛ كالأفعال التي لا تَكْلِيفَ فيها؛ مثل : أفعال النائم والمجنون[9]، فهذه[10] إذا كان الله لا يحبها ويرضها[11] ، ولا يكرهها ويذمُّها[12] ، فالمؤمن أيضاً لا ينبغي أن يحبها ويرضاها ولا يكرهها .

---

[1] أي بكونها مأموراً بها أو منهياً عنها.

[2] في (أ ، ب ،ع، ش) " وقد يرضونها ".

[3] في (ك) " مقدورة ".

[4] في (ع) " ويريدون ".

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " أنهم ".

[6] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " ما أبغضه ".

[8] قوله: " الله ورسوله " سقطت من (ك).

[9] كما قال عليه الصلاة والسلام:" رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم، وعن الصبي حتى يحتلم " رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً ٤/ ١٤٠ رقم(٤٤٠١).

لكن اختلف الفقهاء في النائم والناسي ونحوهما؛ فذهب أكثر المتكلمين وابن عقيل وابن قدامة من الحنابلة، إلى أنهما غير مُكلَّفين.

والذي عليه أكثر الفقهاء أنهم مكلفون، وهو ظاهر كلام أحمد، وفائدة تكليفهما وجوب ذلك عليهما في الذمة، وإن لم يؤمر به في الحال؛ لاستحالة ذلك؛ ولهذا وجب عليهما القضاء عند زوال ذلك العارض عنهما، بخلاف المجنون، فإنه لا يجب عليه القضاء.

انظر: روضة الناظر ٢٢٤/١، والمسودة ١٤٧/١-١٤٨.

[10] في(أ ، ب ،ع، ش) " فهذا ".

[11] في (أ ، ب، ع، ش) " ولا يرضاها ".

[12] في (أ ، ب) " ولا يذمها ".

وأمـــا كَوْنُها مَقْدُوْرَةً ومخلوقة لله فذاك لا يَخْتَصُّ بها ، بل هو شامل لجميع المخلوقات[1] .

والله تعالى خلق ما[2] خلقه لما شاء من حكمته ، وقد أحسن كُلَّ شيء خَلَقَهُ[3].

أقسام الرضا بالقضاء:

والرضا بالقضاء ثلاثة أقسام[4] :

أحدها : الرضا بالطاعات ، فهذا طاعة مأمورٌ بها .

والثاني : الرضا بالمصائب ، فهذا مأمورٌ به ؛ إما مستحب وإما واجب[5] .

والثالـــث : الكفـــر والفســـوق والعصيان ، فهذا لا يؤمر[6] بالرضا به ، بل يؤمر ببغضه وسُخْطه؛ فإن الله لا يحبه ولا يرضاه ؛ كما قال تعالى : « **إذ يُبيِّتون[7] ما لا يرضـــى مـــن القـــول** »[النساء: ١٠٨] ، وقال[تعالى][8] : « **والله لا يحب الفساد** »[البقرة: ٢٠٥] ، وقال : « **ولا يرضى لعباده الكفر** »[الزمر: ٧] ، وقال :« **فإن الله لا يحـــب الكافريـــن** »[آل عمران: ٣٢] ، وقال :« **إنه لا يحب المعتدين**»[الأعراف: ٥٥] . وقال : « **والله لا يحب المفسدين** »[المائدة: ٦٤] .

قد يخلق الله الشيء وهو لا يحبه ولا يرضاه

وهو وإن خلقه لما له[9] في ذلك من الحكمة ، فلا يمتنع أن يخلق[10] ما لا

---

[1] فلا معنى لتخصيصها بالسير فيها مع القدر؛ بحجة موافقة أقدار الله.

[2] " ما " سقطت من (أ ، ب).

[3] كما قال سبحانه :" **الذي أحسن كل شيء خَلَقَهُ وبدأ خَلْقَ الإنسان من طين** "[السجدة: ٧].

[4] في(أ ، ب) " أنواع ".

[5] سبق ذكر الخلاف في هذه المسألة، والقول الراجح فيها ص٢١٦.

[6] في الأصل زيادة " به ".

[7] بيَّت الامر: عمله أو دبَّره ليلاً.

انظر: لسان العرب ٢٩٣/١.

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[9] " له " سقطت من (ع).

[10] في (أ ، ب) " يخلع ".

يحبه؛ لإفْضَائِهِ[1] إلى الحكمة التي يحبها ؛ كما خَلَقَ الشياطين[2] .

فنحن راضون عن الله في أن[3] يخلق ما يشاء ، وهو محمودٌ على ذلك ، وأما نفس هذا الفعل المذموم وفاعله ، فلا نرضى به ولا نحمده .

وفَــرْقٌ[4] بيــن ما يُحَبُّ لنَفْسِهِ ، وما يُراد لإفضائه إلى المحبوب مع كونه مُبْغَضَــاً[5] مــن جهة أخرى ؛ فإن الأمر الواحد يُرَادُ من وجه ويُكره من وجه[6] آخر؛ كالمريض الذي يتناول الدواء الكَرِيْهَ ، فإنه يُبْغِض الدواء ويكرهه، وهو مع هذا يريد استعماله ؛ لإفضائه إلى المحبوب ، لا لأنه في نفسه محبوب[7] .

وفي الحديث الصحيح يقول الله [تعالى][8]: « وما[9] تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله ، كتَرَدُّدِي[10]عن قَبْضِ نَفْسِ عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مَسَاءَتَهُ[11] ،

---

[1] أَفْضَى إلى الشيء: وصل إليه، وأصله أنه صار في فضائه وحيزه.

انظر: لسان العرب: ٤/١١٠٧.

[2] ذكر ابن القيم ــ رحمه الله ــ خمس عشرة حكمة لخلق إبليس، منها :

١ــ أنه سبحانه جعل إبليس عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصرَّ على ذلك.

٢ــ أنه مَحَكٌ امتحن الله به خلقه؛ ليتميز به خبيثهم من طيبهم.

٣ــ أن تكمل لأنبياء الله وأوليائه مراتب العبودية، بمجاهدة إبليس وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله.

انظر: شفاء العليل ٢/٦٤٩-٦٥٩، ومدارج السالكين ٢/١٩٤-١٩٨.

[3] في الأصل وسائر النسخ " بأن "، والمثبت من (ظ، ك، ع).

[4] في (ع) " ففرق ".

[5] في (ك) " مبغوضاً ".

[6] في الأصل " جهة "، والمثبت من سائر النسخ.

[7] ومثل القتال في سبيل الله فإنه مكروه؛ لما فيه من المشقَّة والمُخَاطرة بالنفس والمال، لكنَّ الله يحبه ويريده؛ لما يفضي إليه من عز الإسلام وعلو كلمة الله، كما قال الله تعالى: " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً، وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وانتم لا تعلمون** " [البقرة: ٢١٦].

وقد تكلَّم ابن القيم ــ رحمه الله ــ عن هذه المسألة بالتفصيل في: مدارج السالكين ٢/١٩٢، وفي شفاء العليل ٢/٧٦٣، فليرجع إليه.

[8] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[9] في سائر النسخ " ما ".

[10] في (أ ، ب) " ترددي ".

[11] مَسَاءَتَهُ(بفتح الميم) : هي أن يفعل به ما يكرهه.

انظر: لسان العرب ٣/٢٣١.

ولا بد له منه »[1][2].

فهـــو ســـبحانه لمَّـــا كره مَسَاءَةَ عبده المؤمن الذي يكره الموت، كان هذا مُقتضـــياً أن يكره إماتته مع أنه يريد إماتته ؛ لما له في ذلك من الحكمة[3] سبحانه وتعالى .

فـــالأمور التي يُبغضها الله وينهي عنها[4] ، [لا تُحَبُّ ولا تُرْضى][5] لكن نرضى بما يرضى الله به ، حيث خلقها لما له في ذلك من الحكمة.

---

[1] سبق تخريج هذا الحديث ص٢٤٣.

[2] أشكل الترددُ الوارد في الحديث على البعض، وقالوا: كيف يوصف الله بالتَّردُّد ، والتَّردُّد إنما يكون ممن لا يعلم العواقب؟. وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدَّة أجوبة، منها:

١ــ أن العبد قد يُشْرِفُ على الموت ؛ لمرض يصيبه أو نحوه، ثم يدعو فيشفيه الله منه، فيكون ذلك منه كتردُّد من يريد فعلاً، ثم يبدو له غيره فيتركه.

٢ــ وقيل: بل المراد ماتردَّدَتْ رُسُلي.

٣ــ وقيل: التردد هنا للملائكة.

٤ــ وقيل: هو خطاب لنا مما نعقل، والرب منزه عن حقيقته.

٥ــ وقيل: المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأنِّي والتدريج، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمُجرَّد قول(كن).

وأمثل الأقوال في معنى ذلك ما ذكره شيخ الإسلام؛ من أن منشأ التردد لا يلزم أن يكون هو الجهل بعواقب الأمور، بل قد يكون لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، يقول الشيخ: " ثم هذا باطل، فإن الواحد منًا يتردَّد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيُريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يُحَبُّ من وجه ويُكْرَهُ من وجه ، كما قيل:

الشيب كُرْهٌ وكره أن أُفارقه   فاعْجَبْ لشيءٍ على البغضاء محبوب...".

ثم قال: " وهذا حقيقة التردد وهو: أن يكون الشيء الواحد مُراداً من وجه مكروها من وجه، وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين، كما تُرَجَّح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مَسَاءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه، ويكره مساءته، كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته".

انظر: فتح الباري ١١/٤٢٠-٤٢١، ومجموع الفتاوى ١٨/١٢٩-١٣٥، والتحفة العراقية ص٣٥٩-٣٦٠، ٣٩٤.

[3] في (أ ، ب، ش) زيادة " فكذلك ".

[4] في الأصل " عنه "، والمثبت من سائر النسخ.

[5] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ، ع) ، وفي(أ ، ب) " لا نحب ولا نرضى " ، وفي(ش) " لا يحب ولا يرضى ".

فكذلك الأفعال التي لا يُحبها ولا يُبغضها[١]، لا ينبغي أن تُحب ولا تُرضى[٢] ، كما لا ينبغي أن تُبغض .

الرضا بالله تعالى

[والرضا الثابت بالنَّصِّ[٣]؛ هو أن يرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:« من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، كان حقّاً على الله أن يُرْضِيه »[٤]][٥] .

الرضا عن الله تعالى

وأما بالنِّسْبَة إلى القدر فيرضى[٦] عن الله ؛ إذ له الحمد على كُلِّ حال ، ويرضى بما يرضاه[٧] من الحكمة التي خَلَقَ لأجلها ما خَلَق ،

---

[١] كفضول المباحات التي لا يستعان بها على طاعة.

[٢] في (ش) " لا يحب ولا يرضى "، وفي (ظ، ك) " لا تحب " فقط.

[٣] في (أ ، ب) " الثابت لله ".

[٤] الحديث رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب ما أعدّه الله تعالى للمجاهد ١٥٠١/٣ رقم(١٨٨٤)، عن أبي سعيد الخدري، بلفظ:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وجبت له الجنة، فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل ، ثم قال: وأخرى يُرْفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله، قال: الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله".

وأما لفظ: "...كان حقاً على الله أن يرضيه" ، فقد وردت في رواية:

ـ أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٦/٤ رقم(٥٠٧٢)، عن أبي سلام خادم النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ ورواها أيضا، النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أمسى ١٤٥/٦.

ـ وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ١٢٧٣/٢ رقم(٣٨٧٠).

ـ والإمام أحمد في المسند ٣٦٧/٥.

ـ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢٤/٥.

ـ والحاكم في المستدرك ٦٩٩/١، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

ـ والطبراني في الكبير ٣٦٧/٢٢.

وهذه الرواية قال عنها الهيثمي :" رجال أحمد والطبراني ثقات "، وقال البوصيري :"رجال إسناده ثقات "، ووافقه محمد فؤاد عبدالباقي في تخريجه لسنن ابن ماجه.

انظر: مجمع الزوائد ١١٦/١٠ ، ومصباح الزجاجة ١٤٩/٤، وسنن ابن ماجه(بتحقيق عبدالباقي)١٢٧٣/٢.

[٥] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[٦] في (ع) " فنرضى ".

[٧] في (ك) " يرضى به ".

وإن كُنَّا نُبغض ما يُبغضه من المخلوقات[1] .

فحيث انْتَفَى الأمر الشرعي، أو خفي الأمر الشرعي ، لا يكون الامتثال والرضا والمحبة كما يكون في الأمر الشرعي ، وإن كان ذلك مَقْدُوراً .

غلط الصوفية في الرضا بالقدر

وهذا موضعٌ يَغْلَطُ[2] فيه كثير من خاصَّة[3] السَّالكين[4] وشيوخهم فضلاً عن عامتهم[5] ، ويتفاوتون في ذلك بحسب معرفتهم بالأمر الشرعي وطاعتهم له .

فمنهم[6] من هو أَعْرَفُ من غيره بالأمر الشرعي ، وأَطْوَعُ له ، فهذا يكون حاله أحسن ممن نَقَصَ[7] عنه في المعرفة بالأمر الشرعي والطاعة له[8] .

---

[1] ذكر ابن القيم أن الرضا ثلاث درجات:

١ــ الرضا بالله ربا، وتَسَخُّطُ عبادة ما دونه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :" من رضي بالله ربا..." الحديث.

٢ــ الرضا عن الله، وهو رضى العبد بما يفعله الله به ويعطيه إياه، كما قال سبحانه:" **رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**"[البينة: ٨].

٣ــ الرضا برضا الله ، فلا يرى العبد لنفسه سُخطاً ولا رضا.

وقد غلط الصوفية في هذا الأخير حين ظنوا أنه لا يمكن الوصول إليه إلا بعد عبور الفناء عن الوجود، والتحقيق انه لا يمكن الوصول إليه إلا بعد عبور الفناء عن مراده بمراد الله، وأما الفناء عن وجوده فليس شرطا لهذا النوع ولا من لوازمه.

انظر: مدارج السالكين ٢/١٨١-١٨٣، ٢٤٠.

[2] في الأصل " غلط " ، والمثبت من سائر النسخ.

[3] " خاصة " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[4] السالك عند الصوفية/ هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتَصَوُّرِه، فكان العلم الحاصل له عَيَنًا يَأْبَى من ورود الشُّبهة المُضِلَّة له.

(ولابن القيم ــ رحمه الله ــ كتاب أسماه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بين فيه الطريق الصحيح التي ينبغي للسالك أن يسير فيها).

انظر: التعريفات ص١١٩، والتوقيف للمناوي ص٣٩٤.

[5] سبق أن ذكرت نصوصا من أقوال الصوفية تدل على ذلك، انظرها في المبحث الثاني من الدراسة ص ١٧٤.

[6] في (ك) " فمن ".

[7] في (ك) " يقصر ".

[8] من قوله :" فمنهم من هو أعرف..." إلى هنا، سقط من (أ ، ب، ع، ش).

ومــنهم[1] مــن يَــبْعُد[2] عن الأمر الشرعي ، ويَسْتَرْسِلُ[3] حتى يَنْسَلِخَ[4] من[5] الإسلام بالكلية ، ويبقى واقفاً مع هواه والقدر .

ومــن هــؤلاء من يموت كافراً[6] ، ومنهم من يَتُوبُ الله عليه ، ومنهم من يموت فاسقاً[7] ، ومنهم من يَتُوب الله عليه .

وهؤلاء ينظرون إلى الحقيقة القدرية مُعْرِضِين عن الأمر الشرعي ،ولا بد مع ذلك من اتِّباع أمر ونهي غير الأمر الشرعي ؛ إما من أنفسهم ، وإما من غير الله ورســوله ؛ إذ الاسْتِرْسَالُ مع القدر مطلقاً ممتنع لذاته ؛ كما تَقَدَّمَ من أن العبد مفطورٌ على محبة أشياء وبغض أشياء .

وقول من قال : « إن العبد يكون مع الله كالميت مع الغاسل »[8] ، لا يصحُّ ولا يَسُوْغُ على الإطلاق عند[9] أحد من المسلميــن ، وإنما يُقَــالُ ذلك في بعض

---

(1) في (أ ، ب، ع، ش) " فمنهم ".

(2) في (ع، ش) " يتعدى ".

(3) استرسل إلى الشيء: استأنس به، واطمأن إليه ؛ والمراد اطمئنانهم إلى القدر ورضاهم به.
انظر: لسان العرب ٢/١١٦٦.

(4) انسلخ من الشيء: خرج منه خروجا لا يبقى معه منه شيء.
انظر: لسان العرب ٣/١٨١.

(5) في (ب) " يبعد عن ".

(6) هم الذين يسترسلون مع القدر حتى يتركوا الأمر والنهي بالكلية.

(7) هم الذين يتركون بعض الشرع بحجة موافقة الأقدار.

(8) هذا القول مُشْتَهِرٌ عند الصوفية، وتمامه (أن يكون العبد مع الله كالميت بين يدي الغاسل، وكالطفل مع الظئر).
ومعناه: أن العبد لا تكون له إرادة، بل يسترسل مع القدر، حتى يُقَلِّبُهُ الله كيف يشاء، كما يُقلِّب الغاسل الميت، وكما تقلب المرضع الطفل الرضيع.
وهذا المقام عندهم هو أعلى مقامات التوكل كما ذكر ابن عجيبة، في حين نقل القشيري عن سهل التستري، أنه أول مقامات التوكل.
انظر: الرسالة القشيرية ص١٦٣ وفتوح الغيب ص١٧، والفتوحات الإلهية ص٢٣٦.

(9) في (أ ، ب) " عن ".

المواضع ، ومع [هذا فإنما][1] ذلك لخفاء أمر الله عليه[2] ، وإلا فإذا عَلِمَ[3] ما أمر الله به وأحبه ، فلابد أن يُحب ما أحبه الله ، ويُبغض ما أبغضه الله[4] .

* * *

---

[1] ما بين المعكوفين سقط من الأصل ، وهو في سائر النسخ.

[2] مثل: ما إذا تعارض دليلان ، فيتوقَّف المجتهد حينئذ، وربما أمضى ما جرى به القدر، أو حين لا يعرف السالك عن الواقعة المعيَّنة هل هي مأمور بها أو منهي عنها، فيبقى مع قدر الله حيث لم يعرف أمره.
وهذا هو الذي ذكره الشيخ عبدالقادر، يقول:" وأن لا يكون لك إرادة...كالطفل مع الظئر، والميت الغسيل مع الغاسل، والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب، فيما سوى الأمر والنهي " فتوح الغيب ص١٧.

[3] أي العبد.

[4] لفظ الجلالة سقط من (أ ، ب، ش).

فصــــل

وكما أن الطريقة[1] العِلْمِيَّةَ بِصِحَّةِ النَّظَرِ، من الأدلة والأسباب الموجبة للعلـم ؛ كـتدبُّر القـرآن والحديث ، فالطريقة العَمَلِيَّة[2] بصحَّة الإرادة والأسباب (هـي)[3] الموجبة للعمل[4] ، ولهذا يُسَمُّون السالك في ذلك المُرِيْد[5] ، كما يسمِّيه أولئك الطَّالب .

الإرادة الصحيحة هي الموصلة للعمل المشروع

والنَّظر جنسٌ[6] تحته حقٌّ وباطلٌ ، ومحمودٌ ومذمومٌ[7]، وكذلك الإرادة[8] ؛ فكمـا أن طـريق العلـم لابد فيه من العلم النبويِّ الشرعي[9] ، بحيث يكون[10] مَعْلُوْمُـك المعلومـات الدينـية النَّـبَوِيَّة ، ويكون عِلْمُكَ بها مطابقاً لما أخبرت به

---

[1] في (ع) " الطريق ".

[2] في (أ ، ب، ش) " العلمية ".

[3] ما بين القوسين زدته من عندي حتى يستقيم المعنى.

[4] في (ك) زيادة " كعمارة الباطن بالمراقبة والخوف من الله على كل حال ".

[5] المُريد عند الصوفية/ من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار، وتجرد عن إرادته ؛ إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله ، لا ما يريده غيره، فتمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق.
انظر: التوقيف للمناوي ص٦٥١.

[6] الجنس/ هو الذاتي المشترك بين شيئين فصاعدا، مُخْتَلِفَين بالحقيقة، وتحته أنواع.
مثاله: الحيوان فهو جنسٌ تحته أنواع، وهي : الحيوان الناطق(الإنسان)، والحيوان غير الناطق(غير الإنسان).
انظر: روضة الناظر ٧٦/١، والتعريفات ص٨٣، والتوقيف للمناوي ص٢٥٦.

[7] فمن النَّظر المحمود: النظر في الأدلة الشرعية ؛ لاستنباط الأحكام الشرعية منها، ومنه النظر في الكون للاستدلال به على عظمة الخالق وقدرته، كما قال تعالى: " **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**..."[يونس: ١٠١].
ومن النَّظر المذموم: النَّظر الذي يقول به المتكلمون، ويجعلونه أول واجب على المكلف، ومنه النظر في آيات الله ابتغاء تأويلها، كما قال تعالى عن الوليد بن المغيرة :" **ثم نظر، ثم عبس وبسر** "[المدثر: ٢١-٢٢]، أي أعمل فكره بماذا يصف القرآن بعد أن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم.

[8] أي أن منها ما هو محمود وهو إرادة ما يحبه الله ويرضاه ، ومنها ما هو مذموم كإرادة ما يبغضه الله وينهى عنه.

[9] " الشرعي " سقطت من (ك).

[10] في الأصل " تكون "، والمثبت من سائر النسخ.

الرُّسل، وإلا فلا ينفعك أي مَعْلُومٍ علِمته ، ولا أي شيءٍ اعتقدته فيما[1] أخبرت به الرُّسل ، بل لابد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[2] ـ فكذلك الإرادة لابــد فــيها من تَعْيِيْنِ المراد[3] وهو الله ، والطريق إليه وهو ما أَمَرَتْ به الرسل[4] .

فلابــد[5] أن تعبد الله ، وتكون عبادتك إيَّاه بما شرع على أَلْسِنَةِ رسله ؛ إذ لابد من تصديق الرسول فيما أخبر علماً ، ولابد من طاعته فيما أمر عملاً .

ولهــذا كان الإيمان قولاً وعملاً مع موافقة السنة[6] ؛ فالعلم الحقُّ ما وافق علــم الله ؛ والإرادة الصالحة ما وافقت محبة الله ورضاه ، وهو حكمه الشرعي ، والله عليم حكيم .

فالأمور الخَبَرِيَّة لابد أن تُطَابِقَ [عِلْمَ الله وخَبَرَهُ ، والأمور العَمَلِيَّة لابد أن تطابق][7] حب الله وأمره ، فهذا حكمه وذاك عمله .

وأما من جعل حُكْمَــــه مُـــجرَّد القــدر كمــا فعـــل صـــاحب[8]

---

[1] في الأصل " وفيما " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] كما قال تعالى :" **ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب، ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين...**"[البقرة: ١٧٧].

[3] في الأصل " تعين على المراد "، والمثبت من سائر النسخ.

[4] انظر كلام ابن أبي العز الحنفي في ذلك في شرح الطحاوية ص٦ ، ١٤-٢٠.

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " ولا بد ".

[6] هذا هو معنى الإيمان عند السلف، وهو(قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح)، وقد يُعَبِّر عنه بعض السلف بالقول والعمل ـــ كما ذكر الشيخ ـــ ومرادهم: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

ومنهم من يُعَبِّر عنه بالقول والعمل والنية، ومرادهم: قول اللسان والقلب(وهو اعتقاده)، وعمل الجوارح، وأما النية فهي عمل القلب.

انظر في ذلك: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٥٤، والإيمان لابن منده ٣٦٢/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٨٨٦/٥، والإيمان لابن تيمية ص١٦٢-١٦٣.

[7] ما بين المعكوفين سقط من الأصل وهو مثبت في سائر النسخ.

[8] هو أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي، كان على منهج السلف الصالح في الصفات، بل بالغ في ذم المتكلمين ـــ وخاصة الاشاعرة ـــ، وربما لعنهم، وخاصة في كتبه(ذم الكلام، والفاروق ، وتكفير الجهمية).

لكنه في باب القدر والأفعال يوافق جهماً في نفيه للسبب والحكمة في فعل الله.

وله كلامٌ عجيبٌ في كتابه(منازل السائرين) من إشارات إلى المحو والفناء، مما يوافق كلام غُلاة الصوفية=

«منازل السائرين»[1]، وجَعَلَ مُشَاهَدَة العَارِفِ الحكم يمنعه أن يستحسن [حسنة][2]، أو يَسْتَقْبِح سيئة[3] ــ فهذا فيه من الغَلَطِ العظيم ، ما قد نَبَّهْنَا عليه في غير هذا الموضع[4] .

فلا يَنْفَعُ المريد القاصد أن يعبد أي معبود كان ، ولا أن يعبد الله بأيِّ عبادة كانت ، بل هذه طريقة المشركين المُبتدعين[5] ، الذين لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله[6] ؛ كالنصارى[7] ومن أشبههم من أهل البدع الذين يعبدون

=والفلاسفة والاتحادية، وقد علَّق الذهبي على ذلك بقوله:" إنما مراده بذلك الفناء؛ هو الغيبة عن شهود السِّوَى، لم يُرِدْ مَحْوَ السِّوى في الخارج، ويااليته لا صنَّف ذلك ، فما أحلى تصوُّف الصحابة والتابعين ".

توفي سنة ٤٨١هـ.

انظر: طبقات الحنابلة ٢٤٧/٢، ومجموع الفتاوى ٣٣٩/٨، ٣٥٤/١٤-٣٥٩، والسير ٥٠٣/١٨، وتذكرة الحفاظ ١١٨٣/٣، وشذرات الذهب ٣٦٥/٣.

[1] هو كتاب (منازل السائرين إلى الحق المبين) لأبي إسماعيل الهروي، وهو كتاب في التصوف ألَّفه بطلب من بعض أهل هراة، وهو مُقسَّم إلى عشرة أقسام، ذكر في كل قسم عشر منازل، فصار المجموع مائة منزلة، يجب على المريد أن يسلكها.

والكتاب طبع عدة مرات منها: طبعة لدار الكتب العلمية سنة ١٤٠٨هـ ، وتقع في ١٣٩ صفحة من الحجم المتوسط .

وقد شرح عدة شروح؛ أهمها وأنفعها شرح ابن القيم ــ رحمه الله ــ المسمى(مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، حيث أَقَرَّه على ما فيه من الحق، وبيَّن عوار ما فيه من الباطل.

وانظر: شروحاً أخرى له في: كشف الظنون ١٨٢٨/٢.

[2] ما بين المعكوفين سقط من الأصل وهو في سائر النسخ.

[3] يقول الهروي، في كلامه عن منزلة التوبة: " اللطيفة الثالثة: أن مشاهدة العبد الحكم، لم تدع له استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة؛ لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم ".

منازل السائرين ص١٤.

[4] انظر: في ذلك مجموع الفتاوى ٣٣٧/٨-٣٧٠ ، فقد بسط الشيخ ــ رحمه الله ــ فيه الكلام عن هذه القضية بالتفصيل.

[5] البدعة/ هي طريقة في الدين مُخْترعة تضاهي الشريعة، يُقْصَد بالسلوك عليها ما يُقْصَد بالشرع. الاعتصام للشاطبي ٤٨/١، وانظر تعاريف أخرى للبدعة في : مجموع الفتاوى ١٠٧/٤، والتعريفات للجرجاني ص٤٧، وجامع العلوم والحكم ص٣٢٤، وتلبيس إبليس ص٢٥.

[6] يقول الله تعالى عن المشركين :" **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم، وإن الظالمين لهم عذاب أليم** "[الشورى: ٢١].

[7] النصارى/ هم قوم عيسى عليه السلام؛ سُمُّوا بذلك نسبة إلى قرية الناصرة في فلسطين؛ لأن المسيح سكنها، أو نسبة لقول الحواريين:"...**نحن أنصار الله**..."[آل عمران: ٥٢].
=

غير الله[1] بغير أمر الله[2] .

وأمـــا أهل الإسلام والسُّنة فهم يعبدون الله وحده[3] ، ويعبدونه بما شَرَعَ لا يعبدونه بالبدع[4]، إلا ما يقع من أحدهم خطأً .

غلط الصوفية في الإرادة

فالســـالكون طريق الإرادة قد يغلطون تارة في المُرَادِ ، وتارة في الطريق إلـــيه ، تارة يَتَأَلَّهُون[5] غير الله ؛ بالخوف منه ، والرجاء له ، والتعظيم ، والمحبة له ، وسؤاله ، والرَّغبة إليه ، فهذا من الشرك[6] المحرَّم ، فإن حقيقة التوحيد أن لا يُعْبَدَ إلا الله .

والعــبادة[7] تتضـــمن كمال الحب وكمال التعظيم وكمال الرجاء والخشية والإجلال[8] والإكرام .

= وقد قالوا بألوهية عيسى، وأن الله ثالث ثلاثة، ودينهم اليوم يقوم على أساس فكرة الخَلاَصِ؛ أي أن الله أنزل ابنه المسيح ليُقْتَلَ على الصليب، حتى يُخَلِّصَ بني آدم من خطاياهم، ومنها خطيئة آدم.

وقد ألَّف شيخ الإسلام كتابه المشهور (الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح) في الرد على أباطيل وانحرافات النصارى، وبيَّن ما لبولص اليهودي من أثر في انحراف دينهم، كما ألَّف تلميذه ابن القيم(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) في الرد عليهم كذلك.

انظر: الملل والنحل ٢٦٢/١، وتفسير القرطبي ٤٢٤/١، وإغاثة اللهفان ٢٧٠/٢.

[1] "غير الله " سقطت من (ع).

[2] قال الله تعالى عن النصارى :" **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ".[التوبة: ٣١]، فهم يعبدون المسيح من دون الله، ويعبدونه بما شرعه لهم أحبارهم ورهبانهم، لا بما شرع الله؛ ولهذا لما قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية على عدي بن حاتم، قال: يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم، فقال عليه الصلاة والسلام:" أجل ، ولكن يُحِلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلونه، ويُحَرِّمون عليهم ما أحلَّ الله فيحرمونه، فتلك عبادتهم "، رواه البيهقي في السنن الكبرى ١١٦/١٠.

[3] كما قال تعالى لنبيه:" **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين** "[الزمر:١١].

[4] ولهذا قال الله: " **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** "[آل عمران: ٣١].

[5] في الأصل " فتألهون "، وفي (أ ، ب، ع، ش) " يألهون "، والمثبت من (ظ ، ك).

[6] في (ع) " فهذا حقيقة الشرك ".

[7] سبق التعريف بالعبادة في المبحث التاسع من الدراسة ص٢٠٩.

[8] في الأصل " الجلال "، والمثبت من سائر النسخ.

والفـــناء[1] في هذا التوحيد ، هو فناء المُرسَلِين وأتباعهم ؛ وهو أن تفنى[2] بعـــبادته عن عبادة ما سواه ، وبطاعته عن طاعة ما سواه ، وبسؤاله[3] عن سؤال مـــا ســواه ، وبخوفه عن خوف ما سواه ، وبرجائه عن رجاء ما سواه ، وبِحُبِّه والحب فيه عن محبة ما سواه والحب فيه[4] .

وأما الغالطون في الطريق فقد يريدون الله ، لكن لا يَتَّبِعُون الأمر الشرعي فـــي إرادتـــه ، لكن تارة يعبده[5] أحدهم بما يَظُنُّه يُرْضيه ولا يكون كذلك ، وتارة ينظرون إلى[6] القدر لكونه مراده، فيَفْنَون في القدر الذي ليس لهم فيه غرَض .

وأما الفناء المُطْلَق فيه فممتنع .

وهؤلاء يبقى[7] أحدهم مُتَّبِعَاً لذَوْقِهِ ووَجْدِهِ[8] المخـــالف للأمر الشرعي ، أو ناظراً إلى القدر . وهذا يُبْتَلى به كثير من خواصِّهم.

الشيخ عبدالقادر يأمر بتقديم الشرع على الذوق والقدر

والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً[9] بالتزام الشرع : الأمـــر والنهي ، وتقديمه على الذَّوْقِ والقَدَرِ[10] ، ومن أعظم المشايخ أمراً بتَرْكِ

---

[1] سبق التعريف بالفناء في مبحثه في الدراسة١٤٥.

[2] في (ك، ع) " يفنى ".

[3] في (ع، ش) " وسؤاله ".

[4] هذا هو النوع الأول من أنواع الفناء ــ كما ذكرها شيخ الإسلام ــ وهو الفناء عن إرادة السِّوَى؛ وهو الفناء الواجب، بل هو مَحْضُ التوحيد الذي أَمَرَتْ به الرسل عليهم الصلاة والسلام.
والنوعان الآخران هما: الفناء عن شهود السِّوى، وهو فناء الصوفية، والفناء عن وجود السِّوى، وهو فناء الاتحادية؛ كابن عربي وزمرته.
انظر: مجموع الفتاوى ٣٣٧/١٠، وقد سبق أن نقلت كلام شيخ الإسلام في ذلك كاملا في مبحث الفناء من الدراسة ص١٤٥.

[5] في (ع) " يعبد ".

[6] " إلى " ليست في (أ ، ب، ع، ش).

[7] في (ع) " يفنى ".

[8] الوجد عند الصوفية/ هو ما صادف القلب من فزع، أو غم، أو رؤية معنىً من أحوال الآخرة، أو كَشْف حالة بين العبد والله عز وجل. وأما الوجد عند أهل السنة فهو: ثبوت حلاوة الإيمان في القلب واستقرارها؛ كما قال عليه الصلاة والسلام:" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان..." ، رواه البخاري٩٨/١رقم(٢١).
انظر: التعرف ص١٣٢، والرسالة القسيرية ص٦٢، وعوارف المعارف ٣١٨/٢، ومدارج السالكين٩٠/٣.

[9] في الأصل و(ك، ظ) " أمر " ، والمثبت من سائر النسخ.

[10] سيأتي من كلام الشيخ عبد القادر وكلام غيره من المشايخ ما يدل على ذلك ص٣٣١.

الهـوى والإرادة النَّفْسِـيَّة[1] ؛ فإنَّ الخطأ في الإرادة من حيث هي[2] إرادة ، إنما يقع[3] من[4] هذه الجهة[5] .

فهـو[6] يأمـر السَّالك أن لا تكون[7] له إرادةٌ من جهة هواه أصلاً ، بل يُريد ما يُـريده الـرب عز وجل[8] ، إما إرادة شرعية إن تَبَيَّنَ له ذلك ، وإلا جَرَى[9] مع الإرادة القدرية ؛ فهو إما مع أمر الربِّ ، وإما ما مع خَلْقِهِ ، وهو سبحانه له الخَلْق والأمر[10] .

وهذه طريقة شَرِيْفَةٌ[11] صحيحة ؛ إنَّمَا يُخَافُ على صاحبها من تَرْكِ إرادة شرعية لا يعلم أنها شرعية ، أو من تقديم إرادة قدريَّة على[12] الشرعية ، فإنه إذا لم يعلم الشرعية[13] فقد يتركها ، وقد يُريد ضِدَّها، فيكون [قد][14] ترك مأموراً ، أو فعل[15] محظوراً وهو لا يعلم[16] .

---

(1) الإرادة النفسية/ هي الإرادة المبنية على هوى النفس وشهواتها ، وعكسها الإرادة الشرعية ؛ وهي أن يُريد العبد ما أمره به الشرع سواء وافق هواه أم خالفه.

(2) " هي " سقطت من (ع).

(3) في (أ ، ب، ع، ش) " تقع ".

(4) في (ك) زيادة " العبد ".

(5) أي من جهة ترك الإرادة والاسترسال مع القدر، المفضي إلى ترك الأمر والنهي.

(6) أي الشيخ عبد القادر.

(7) في (ع) " يكون ".

(8) " عز وجل " ليست في (ظ، ك).

(9) في الأصل " والاخرى "، وفي (أ ، ب، ش) " والا جرس "،وفي (ع) " وإلا مرسي "، والمثبت من (ظ ، ك).

(10) قال تعالى :" ...ألا له الخَلْقُ والأمر تبارك الله رب العالمين " [الأعراف: ٥٤].

(11) " شريفة " سقطت من " ع ".

(12) " على " سقطت من (ك).

(13) من قوله " أو من تقديم إرادة..." إلى هنا سقط من (أ ، ب).

(14) ما بين المعكوفين زيادة من (ظ، ك).

(15) في (ع) " وفعل ".

(16) وسبب ذلك إعراض الصُّوفية على وجه العموم عن طلب العلم الشرعي ــ كما سبق ــ انظر الدراسة ص١٥٧.

فإنَّ طريقة[1] الإرادة يُخَافُ على صاحبها من ضَعْفِ العلم[2] ، وما يَقْتَرِنُ بالعلم من العمل ، والوقوع في الضلال ، كما أن طريقة العِلْمِ يُخاف على صاحبها من ضَعْفِ العمل[3] ، وضعف العلم الذي يقترن بالعمل .

لكــن لا يُكَلِّفُ الله نفساً إلا وسعها [من هذا وهذا][4][5] قال تعالى : « **فاتقوا الله ما استطعتم** »[6][التغابن: ١٦]، فإذا تَفَقَّهَ السالك وتَعَلَّمَ الأمر والنهي بحسب اجتهاده ، وكان عمله وإرادته[7] بحسب ذاك[8][9] ، فهذا مُسْتَطَاعُهُ ، وإذا أَدَّى الطَّالب[10] ما أُمِرَ به وترك ما نُهِيَ عنه ، وكان علمه مطابقاً لعمله فهذا مُسْتَطاعه .

* * *

---

[1] في الأصل " طريق "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في (ع) " ضعف العمل وضعف العلم ".

[3] من قوله " والوقوع في الضلال " إلى هنا، سقط من (ع).

[4] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ).

[5] الإشارة هنا إلى صاحب الإرادة وصاحب العلم.

[6] في (ك) زيادة " وقال صلى الله عليه وسلم : وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ".

[7] في (ع) " وكان علمه واجتهاده ".

[8] في(ع) " ذلك ".

[9] أي بحسب علمه وتَفَقُّهِهِ.

[10] أي طالب العلم الشرعي.

فصـــل

كلام الشيخ عبدالقادر في الفناء

قـــال الشيخ عبد القادر – قدَّس الله روحه[١] – :[٢] « افْنَ عن الخَلْقِ بحكم الله[٣] وعـــن هَوَاكَ بأمره[٤] ، وعن إرادتك بفعله[٥] ، فحينئذٍ[٦] تَصلُحُ[٧] أن تكون وِعَاءً لعلم الله تعالى[٨] » .

قلت : فحكمه يتناول خَلْقَهُ وأمره ؛ أي افْنَ عن عبادة الخَلْق والتَّوكل عليهم، بعبادة الله والتَّوكل عليه ، فلا تُطِعْهم في معصية الله [تعالى][٩] ولا تَتَعَلَّقْ بهم في جَلْبِ منفعة[١٠] ، ولا دفع مضرَّة .

وأمـــا الفناء عن الهوى بالأمر ، وعن الإرادة بالفعل ، بأن يكون فِعْلُه[١١] موافقـــاً للأمر الشرعي لا لهواه ، وأن تكون إرادته لما يَخْلُقُ[١٢] تابعةً لفعل الله لا لإرادة نفسه.

فـــالإرادة تارة تَتَعَلَّقُ بفعل نفسه[١٣] ، وتارة بالمخلوقات[١٤] ؛ فالأول يكون بالأمر ، والثاني لا تكون[١٥] له إرادة .

---

[١] " قدس الله روحه " ليست في(ظ ،ك).

[٢] فتوح الغيب ص٨ (المقالة السادسة).

[٣] في فتوح الغيب " بإذن الله ".

[٤] في فتوح الغيب " بأمر الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ".

[٥] في فتوح الغيب " بفعل الله تعالى ".

[٦] في فتوح الغيب " وحينئذ ".

[٧] في (أ ، ب) " يصلح ".

[٨] " تعالى " ليست في سائر النسخ.

[٩] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[١٠] في (أ ، ب) " منفعتهم ".

[١١] في (ع) " قوله ".

[١٢] أي أن تكون إرادة العبد لما يخلق الله.

[١٣] أي بفعل العبد نفسه ؛ كإرادة الأكل والشرب والنكاح والعبادة ونحوها.

[١٤] أي بما يقع من المخلوقات الأخرى من أفعال ؛ كإيمان المؤمنين وكفر الكافرين، أو بما يقع عليها من أقدار الله ؛ كالأمراض والمصائب التي تصيب الغير.

[١٥] في الأصل و(ع) " لا يكون ".

ولابد في هذا أن يُقَيَّدَ بأن لا تكون[1] له إرادة لم يؤمر بها ، وإلا فإذا أمر بأن يُريد من المَقْدُورات شيئاً دون شيء ، فليُرد ما أُمر بإرادته ، سواء كان موافقاً للقدر أم لا[2] .

وهذا الموضع قد يَغْلَطُ فيه طائفة من السَّالكين ،والغالب على الصَّادقين منهم أنهم لم يعرفوا الإرادة الشرعية في ذلك المُعيَّن ، وهم ليس لهم إرادة نفسانية، فتركوا إرادتهم لغير المقدور .

كلام الشيخ عبدالقادر في التوكل

قال الشيخ[3] : « فعلامة فَنَائِكَ عن خَلْقِ الله[4]؛ انقطاعك عنهم وعن التَّرَدُّدِ إليهم ، واليَأْسُ مما في أيديهم[5] » .

وهو كما قال ؛ فإذا كان القلب لا يرجوهم ولا يخافهم، لم يتردَّد إليهم لطلب شيء منهم .

وهذا يَشْتَبِهُ بما يكون مأموراً[6] به من المَشْيِ إليهم لأمرهم بما أمر الله به ، ونهيهم عما[7] نهاهم الله عنه ؛ كذهاب[8] الرسل وأتباع الرسل إلى من يُبَلِّغُوْنَهُ رسالات الله[9] .

التوكل لا يصح إلا مع العبادة

فإنَّ التَّوكُّل إنما يَصْلُحُ مع القيام بما أُمِرَ به العبد ؛ ليكون عابداً لله متوكلاً عليه[10] ، وإلا فمن توكَّل عليه ولم يفعل ما أُمر به ، فقد يكون ما أضاعه مِنَ

---

[1] في (ع) " لا يكون ".

[2] مثل إيمان الكفار؛ إذ يجب على العبد أن يحب ذلك ويريده، وإن كان الله قد قَدَّرَ عدم حصول ذلك الإيمان.

[3] فتوح الغيب ص٨ (المقالة السادسة).

[4] في فتوح الغيب " الله تعالى ".

[5] في (ك) " مما لديهم ".

[6] " مأموراً " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[7] في الأصل " عن ما "، والمثبت من سائر النسخ.

[8] في (أ ، ب) " لذهاب ".

[9] قال تعالى آمراً موسى وهارون عليهما السلام: " **اذهبا إلى فرعون إنه طغى** "[طه: ٤٣]، فالذهاب إلى الناس في مثل هذه الحال إما واجب إذا كان بأمر الله كما هي حال الرسل، وإما مستحب ؛ كما هي حال عامة الناس الذين لم يَتَعَيَّن عليهم الذهاب ؛ لوجود من يكفي لدعوة هؤلاء المدعوين.

[10] كما قال تعالى :" **فاعبده وتوكل عليه** "[هود: ١٢٣].

الأمـــر أولى به مما قام به من التوكل[1] ، أو مثله[2] أو دونه[3] ، كما أن من قام بأمر ولم يتوكَّل عليه ، ولم يستعن به ، فلم يَقُمْ بالواجب ، بل قد يكون ما تركه من التوكل والاستعانة أولى به مما فعله من الأمر[4] أو مثله[5] أو دونه[6] .

عَوْدٌ على كلام الشيخ عبدالقادر في التوكل

قال الشيخ[7][8]: « وعلامة فَنَائِكَ عَنْكَ[9] وعن هواك ، تَرْكُ التَّكَسُّب[10][11] والـتَعلُّق بالسبب[12] في جَلْبِ النَّفع ودفع الضُرِّ، فلا تتحرك[13] فيْكَ بِكَ[14] ، ولا تعتمد عليك لك ، ولا تَنْصُرُ نفسك ، ولا تَذُبُّ عنك[15] ، لكن تَكِلُ ذلك[16] كُلَّه إلى من تَوَلاَّه أولاً[17] فَيَتَوَلاَّه آخراً، كما كان ذلك موكولاً إليه في حال كونك[18] مُغَيَّباً في الرَّحِمِ ، وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك » .

---

[1] مثل: من يترك الصلاة ، ويزعم التوكل على الله.

[2] مثل: من يترك الواجب ، ويزعم التوكل على الله.

[3] مثل: من يتوكل على الله التوكل الواجب ، مع تركه للمستحبات.

[4] مثل: من يترك التوكل الواجب ، ويفعل المستحبات.

[5] مثل: من يترك التوكل الواجب ، مع فعله للواجبات.

[6] مثل: من يترك التوكل الواجب ، مع فعله للفرائض كالصلاة.

[7] " الشيخ " ليست في (ظ، ك).

[8] فتوح الغيب ص٨ (المقالة السادسة).

[9] " عنك " ليست في فتوح الغيب.

[10] التَّكَسُّب: هو التَكَلُّف في طلب الرزق.

انظر: لسان العرب ٥/٢٥٤.

[11] ليس مقصود الشيخ عبدالقادر ترك التكسب مطلقاً، بل مقصوده ــ كما يوضح ذلك الكلام الذي بعده ــ فعل الأسباب ومنها التكسُّب، مع عدم التعلُّق بها، بل التوكل على الله، والتعلق به.

ويدل على ذلك أيضا أقواله في وجوب الأخذ بالأسباب ، كقوله:" أعط السبب حقَّه وتوكَّل، واقعد على باب العمل، وألق نفسك في بحر التوكل، فتجمع بين السبب والمُسَبِّب " الفتح الرباني ص١٨٨(المجلس الخمسون).

[12] في الأصل وسائر النسخ " بالتسبب "، والمثبت من (ظ، ك).

[13] في الأصل " تتحول " ، وفي (ش) " يتحرك "، وفي فتوح الغيب " تحرك "، والمثبت من سائر النسخ.

[14] " بك " ليست في فتوح الغيب.

[15] في فتوح الغيب " ولا تذب عنك، ولا تنفر نفسك ".

[16] " ذلك " سقطت من (ك).

[17] في فتوح الغيب "... تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولا...".

[18] في (ع) " وأنت " بدل قوله: " في حال كونك ".

قلــت : وهذا لأنَّ النفس تهوى وجود ما تُحبه وينفعها ، ودفع ما تبغضه[١] ويضــرها[٢] ،فإذا فَنِيَ عن ذاك[٣]بالأمر ، فَعَلَ ما يحبه الله ، وتَرَكَ ما يُبغضه[٤] فاعتَاضَ بفعل محبوب الله عن محبوبه، وبترك ما يبغضه الله عن ما يبغضه[٥][٦]، وحينئذٍ فالنفس لابد لها من جلب المنفعة ودفع المضرة[٧] ، فيكون في ذلك مُتَوَكِّلاً على الله .

والشيخ[٨] – رحمه الله – ذكر هنا التوكل دون الطاعة ؛ لأن النفس لابد لها مــن جَلْــبِ المنفعة ودفع المضرَّة ، فإن [لم تكن[٩] مُتَوَكِّلَة على الله في ذلك[١٠] واثقــة به][١١] لم يُمكِنْ أن تَتَصَرَفَ[١٢] عن ذلك[١٣] فتتمثل[١٤] الأمر مطلقاً ، بل لابد أن تعصي الأمر في جَلْبِ المنفعة ودفع المضرَّة[١٥] .

---

[١] في الأصل " يبغضها "، وفي (ش) " يبغضه " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٢] بل النفس مأمورة من قبل الشرع بفعل ما ينفعها، وترك ما يضرها في الدنيا والآخرة، قال تعالى :" **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**..."[البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه:" ...**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً** " [النساء: ٢٩] ، فيكون فناء العبد عن هوى النفس بالأمر الشرعي، مُتَضَمِّنًا فعل النافع وترك الضار، كما ذكر الشيخ رحمه الله.

[٣] في (أ ، ب، ع، ش) " ذلك ".

[٤] في (ع) زيادة " الله ".

[٥] من قوله :" فاعتاض... " إلى هنا سقط من (أ ، ب).

[٦] في الأصل و(أ ، ب) " بغيض الله عن بغيضه "، وفي (ع، ش) " ما أبغضه الله عما أبغضه "، والمثبت من (ظ، ك).

[٧] بمقتضى الفطرة.

[٨] أي الشيخ عبد القادر الكيلاني.

[٩] في (أ ، ب) " يكن ".

[١٠] أي في جلب المنفعة ودفع المضرة.

[١١] ما بين المعكوفين سقط من الأصل ، وهو مثبت في سائر النسخ.

[١٢] في الأصل و(أ ، ب، ش) ينصرف، والمثبت من(ظ ، ك، ع).

[١٣] أي عن فعل ما تهواه النفس؛ مما تعتقد أنه يجلب لها منفعة ، أو يدفع عنها مضرة.

[١٤] في الأصل وسائر النسخ " فتمثيل "، وفي (ك) " فيمتثل " ، والمثبت من (ظ).

[١٥] فإذا توكل العبد على الله، وعلم أنه لن يضره ولن ينفعه أحد إلا بما كتبه الله عليه، لم يَسْعَ إلى التَّحَايل بفعل المنهي عنه؛ لجلب النافع ودفع الضار، فيكون حينئذٍ قد فعل الأمر والتزم طاعة الله ، وهذا السبب الذي لأجله لم يذكر الشيخ عبد القادر الطاعة هنا مع التوكل ؛ لأن من توكل على الله فقد أطاعه.

فلا تَصِحُّ العبادة [لله][1] وطاعة أمره بدون التوكل عليه ، كما أن التوكل عليه لا يصح بدون عبادته وطاعته ، قال تعالى : « **فاعبده وتوكل عليه** »[هود: ١٢٣] ، وقال تعالى: « **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب[2] ومن يتوكل على الله فهو حسبه** »[الطلاق: ٢-٣] ، وقال تعالى : « **واذكر اسم ربك وتَبَتَّل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً**» [المزمل: ٨-٩].

والمقصود أن امتثال الأمر على الإطلاق ، لا يصح بدون التوكل والاستعانة[3] ، ومن كان واثقاً بالله أن يجلب له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره ، أمكن أن يَدَعَ هواه ويطيع أمره[4][5] ، وإلا فنفسه لا تَدَعُهُ يَتْرُكُ[6] ما يقول أنه مُحْتاج فيه إلى غيره[7][8] .

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[2] قوله تعالى :" ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب " سقط من(ك).

[3] لأن التوكل والاستعانة مأمور بهما شرعاً.

[4] في (ك) " أمر مولاه ".

[5] أي يدع هوى نفسه ويطيع أمر الله.

[6] في (أ ، ب) " تترك ".

[7] في (أ ، ب) " فيه إليه " ، وفي (ش، ع) "فيه إليه إلى غيره ".

[8] بمقتضى الفطرة البشرية، فحينئذٍ سيسعى إلى الاستعانة بغيره إذا احتاج إلى ذلك؛ فمثلاً لو مرض العبد فإنه بمقتضى الفطرة سيسعى إلى الاستعانة بمن لديه الخبرة في علاج هذا المرض من طبيب ونحوه ، ولو سقط في ماء ، وهو لا يجيد السباحة فإن نفسه لا تدعه إلا أن يستعين بغيره لإنقاذه من الغرق.
بل إن هذا هو مقتضى أمر الشرع ؛ إذ فعل الأسباب داخل في التوكل على الله ؛ ولذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم:" يا رسول الله! أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها ، أترد من قدر الله ، قال : إنها من قدر الله " رواه الحاكم في المستدرك٤/٢٢١ ، وقال:" هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

كلام الشيخ عبدالقادر في الفناء عن الإرادة

قال الشيخ- رضي الله عنه[1] - [2]« وعلامة فناء إرادتك[3] بفعل الله أنَّك لا تُريد مراداً قَطُّ ، فلا يَكُنْ[4] لك غرض ، ولا تَقِفُ لك[5] حاجة[6] ولا مَرَامٌ[7] ؛ لأنك[8] لا تُريد مع إرادة الله سواها ، بل يَجْري فعله فيك ، فتكون أنت إرادة[9] الله تعالى[10] وفعله ، ساكن الجوارح[11] مُطْمَئِنَّ الجَنَانِ[12] مشروح[13] الصدر ، مُنَوَّر الوجه ، عامر الباطن ، غنيّاً عن الأشياء بخالقها ؛ تُقَلِّبُكَ يَدُ القُدْرَةِ ، ويدعوك لسان الأَزَلِ[14] ، ويُعَلِّمُكَ رب المِلَلِ[15][16] ، ويَكْسُوك نوراً[17] منه

---

[1] " رضي الله عنه " ليست في (ظ ، ك).

[2] فتوح الغيب ص٩(المقالة السادسة).

[3] في فتوح الغيب " فنائك عن إرادتك ".

[4] في الأصل و(أ ، ب، ش، ك) " يكسر "، والمثبت من(ظ، ع).

[5] في (ك) " له ".

[6] في فتوح الغيب " ولا يكون لك غرض ولا يبقى لك حاجة...".

[7] المرام: هو المطلب.

انظر: لسان العرب ١٢٦٠/٢.

[8] في فتوح الغيب " فإنك ".

[9] في فتوح الغيب " عند إرادة ".

[10] " تعالى " ليست في (ظ، ك) وفتوح الغيب.

[11] من معاني الجرح/ الكسب، ومنه قوله تعالى:" **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** " [الأنعام: ٦٠]؛ أي ما كسبتم، وجوارح الإنسان أعضاؤه وعوامل جسده، كاليدين والرجلين؛ سميت بذلك لأنها تجرح الخير والشر أي تكسبه.

انظر: لسان العرب ٤٣٢/١.

[12] الجنان: بالفتح هو القلب سمي بذلك لاجتنانه ؛ أي استتاره في الصدر، والجنان: هي الروح؛ لأن الجسم يسترها.

انظر: لسان العرب ٥١٥/١.

[13] في فتوح الغيب " منشرح ".

[14] الأزل: هو القدم، ومنه قولهم : هذا شيء أزلي: أي قديم.

انظر: لسان العرب٥٦/١.

[15] في الأصل وسائر النسخ " الملك " ، والمثبت من(ظ) و فتوح الغيب.

[16] الملل: جمع مِلَّة؛ وهي الدين والشريعة.

انظر لسان العرب ٥٣١/٥.

[17] في فتوح العيب " أنواراً ".

والحُلَلَ[1] ، ويُنْزِلُكَ[2] منازل من سَلَفَ[3] من أُولي العلم الأُول ، فتكون مُنْكَسِراً[4] أبداً ، فلا تَثْبُتُ[5] فيك شهوة ولا إرادة ؛ كالإناء المُنْثَلِم[6][7] الذي لا يثبت فيه مائعٌ ولا كُدُرٌ[8]، فَتَنْبُو[9][10]عن أخلاق البشرية[11]، فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة[12] الله تعالى[13] .

فحينئذٍ يُضَـــافُ إليـك التَّكْـــوِيْنُ[14] وخَرْقُ العـــــادات[15][16] ،

---

[1] الحُلَلْ: جمع حُلَّة ؛ وهي كل ثوب جديد تلبسه ، غليظ أو دقيق ، ولا يكون إلا من ثوبين.

انظر: لسان العرب ٧٠٦/١.

[2] في (أ ، ب) " وينزل ".

[3] " منازل من سلف " ليست في فتوح الغيب.

[4] في (أ ، ب، ش) " مستكراً ".

[5] في (أ ، ب) و فتوح الغيب " يثبت ".

[6] في (أ ، ب) " المتثلم ".

[7] الإناء المنثلم : هو الذي انكسر من شفته شيء.

انظر : لسان العرب ٣٧١/١.

[8] المائع: هو الذائب والسائل.

والكَدِر: هو ما مال لونه إلى الغبرة، والكُدُر: بالضم؛ الغليظ.

انظر: لسان العرب ٢٢٩/٥، ٥٥٦.

[9] في فتوح الغيب " فتفنى ".

[10] نبا عن الشيء: تجافى وأعرض عنه.

انظر : لسان العرب ٥٧٣/٦.

[11] " البشرية " سقطت من (أ ، ب).

[12] في (أ ، ب) " إضافة ".

[13] " تعالى " ليست في (ظ، ك، أ ، ب، ش) و فتوح الغيب.

[14] التكوين/ هو إيجاد شيء مسبوق بمادة.

انظر: التعريفات ص٦٩.

[15] في (ع) " العادة ".

[16] خوارق العادات عند المتأخرين ، اسم يشمل المعجزات الخاصة بالأنبياء، والكرامات الخاصة بالأولياء. وهو لفظ مُحْدَثٌ؛ إذ ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام السلف وصف الآيات بأنها خوارق للعادات، يقول شيخ الإسلام: " وكون الآية خارقة للعادة أوغير خارقة، هو وصف لم يصفه القرآن والحديث ولا كلام السلف " النبوات ١٦٣/١.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن تَسْمِيَةَ آيات الأنبياء بخوارق العادات، لا يصح من وجهين:

١ــ أن كون الشيء غير معتاد أمر نسبي، فالآيات بالنسبة للأنبياء هي أمر معتاد، بل هي من لوازم نبوتهم.=

فَيُرَى ذلك منك[1] في ظاهر العَقْل[2] والحُكْمِ ، وهو فِعْلُ الله تبارك وتعالى حقّاً في العلـم[3] ، فـتدخل[4] حينئذٍ[5] في زُمْرَةِ المُنْكسرة قلوبهم ، الذين كُسِرَتْ إرادتهم البشرية ، وأُزِيلَتْ شهواتهم الطبيعية ، واسْتُوْنِقَتْ[6] لهم إرادة[7] ربانية ، وشهوات إضافية[8] ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث[9] : النساء والطيب[10] ، وجُعِلَتْ قُرَّة[11] عيني في الصلاة »[12] .

= ٢ـ أن خَرْقَ العادة أمر مشترك بين الأنبياء وغيرهم، فقد يأتي السحرة والكُهَّان بما يخرق العادة، بل إن طِبَّ أبقراط ونَحْوَ سيبويه أمر غير معتاد بالنسبة لعامة الناس، ولا يستطيع أحد منهم معارضته.

والصحيح تسمية ما يجري على أيدي الأنبياء وغيرهم من الأولياء، بالآيات كما سماها الله ورسوله والسلف الصالح، قال تعالى:" **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية**..."[هود: ٦٤].

انظر : مجموع الفتاوى ٣١١/١١-٣١٢، والنبوات ١٦٣/١-١٧٤، والجواب الصحيح ٤١٢/٥، وما بعدها.

[1] في (ع) " منكرا ".

[2] في فتوح الغيب " الفعل ".

[3] في فتوح الغيب " وهو فعل الله وإرادته حقاً في العالم ".

[4] في (أ ،ب، ش) " فيدخل ".

[5] " حينئذٍ " ليست في فتوح الغيب.

[6] في فتوح الغيب " فاستؤنفت ".

[7] في الأصل و(ك، ش) " إرادات "، والمثبت من سائر النسخ.

[8] " وشهوات إضافية " ليست في فتوح الغيب.

[9] " ثلاث " ليست في (ظ، ع) ، وهي في(أ، ب، ش) " ثلاثة ".

[10] في فتوح الغيب " الطيب والنساء ".

[11] قرة العين: كناية عن الفرح والسرور، تقول قرَّت عينه: إذا برد دمعها؛ لأن دمع الفرح بارد، وقيل بل معناه: أبلغك الله أمنيتك، حتى ترضى نفسك وتَسْكُنُ عينك فلا تستشرف إلى غيره، كما قال تعالى: " **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ؛ جزاء بما كانوا يعملون** "[السجدة: ١٧].

انظر: النهاية لابن الأثير ٣٨/٤، ولسان العرب ٥٤/٥.

[12] الحديث رواه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء ٦١/٧ رقم(٣٩٣٩) ، عن أنس رضي الله عنه، ونصه:

"حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعِلَ قُرَّةُ عيني في الصلاة ".

ـ ورواه الإمام أحمد في المسند ١٢٨/٣.

ـ وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب خضاب النساء ٣٢١/٤ رقم(٧٩٣٩).

ـ والطبراني في الأوسط ٣٦١/٦ رقم(٥٧٦٨)، وقال : " لم يرو هذا الحديث إلا الهقل، تفرد به عن يحيى بن عثمان الحربي ".

ـ والحاكم في المستدرك ١٦٠/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ". =

فأُضيِّفَ ذلك إليه[١] بعد أن خَرَجَ منه وزال عنـــه ، تحقيقاً لما أشرت إليه وتَقدَّم[٢]، قال الله [تعالى][٣] : « أنا عند المُنْكسِرة قلوبهم من أجلي »[٤]» ، وساق كلامه وفيه قوله[٥] : « ولا يزال[٦] عبدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِل... »[٧] الحديث[٨] .

= ــ وابن عدي في الكامل ٣٠٥/٢ رقم(٧٦٨).

ــ والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح ٧٨/٧.

والحديث صحيح بمجموع طرقه، كما نص على ذلك الألباني انظر: صحيح الجامع ٨٧/٣.

أما رواية النسائي فإسنادها حسن، كما ذكر ابن حجر في تلخيص الحبير ١١٦/٣، والألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ١٤٤٨/٣.

ــ وأما زيادة (ثلاث) فلا تَصِحُّ، قال ابن القيم:" ومن رواه (حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث) فقد وَهِمَ، ولم يقل صلى الله عليه وسلم(ثلاث)، والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها "، وقال ابن حجر:" ولم نجد لفظ ثلاث في شيء من طرقه "، وقال الألباني :" وقد اشتهر على الألسنة زيادة أخرى، وهي(ثلاث) ولا أصل لها في شيء من طرق الحديث، بل هي مُفْسِدَةٌ للمعنى كما لا يخفى " .

انظر: زاد المعاد(بتحقيق الأرنؤوط)١٤٥/١، وتلخيص الحبير ١١٦/٣، ومشكاة المصابيح (بتحقيق الألباني) ١٤٤٨/٣.

[١] في (ك) زيادة " صلى الله عليه وسلم ".

[٢] في فتوح الغيب " بما أشرنا إليه وتقدم ".

[٣] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[٤] هذا الأثر رواه الإمام أحمد في الزهد ص٩٥، عن عمران القصير قال:

قال موسى بن عمران:" أي رب أين أبغيك، قال: أَبْغِنِيْ ثَمَّ المُنْكَسِرَةُ قلوبهم، إني أدنو منهم كل يوم باعا، ولولا ذلك لانهدموا ".

ــ ورواه أبو نعيم في الحلية ١٧٧/٦.

ورُوي من كلام داود عليه الصلاة والسلام:

رواه أبو نعيم في الحلية ٣١/٤، عن وهب بن منبه قال: قال داود عليه السلام...وذكر الأثر.

ــ ورواه البيهقي في الزهد الكبير ١٦٢/٢ رقم(٣٦٧)، عن عبدالكريم بن رشيد عن داود عليه السلام.

ــ وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء٢٣٤/١ :" ولا أصل لهما في المرفوع ".

ــ فالأثر لم يرد مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو من كلام وهب بن منبه، وحكمه حكم الإسرائيليات، والله أعلم.

[٥] " قوله " ليست في (أ ، ب، ع، ش).

[٦] في الأصل " لا يزال "، والمثبت من سائر النسخ.

[٧] سبق تخريج هذا الحديث ص٢٤٣.

[٨] من قوله:" وتقدم، قال الله تعالى..." إلى هنا سقط من (ك)، وهو غير واضح في (ظ).

قلـــت : هــذا المقام هو آخر ما يُشِيْرُ إليه الشيخ عبد القادر[1] [رضي الله عنه][2] ، وحقيقته أنه لا يريد كَوْنَ شيءٍ ، إلا أن يكون مأموراً بإرادته[3] .

فقوله : « علامة فناء إرادتك[4] بفعل الله أنك لا تريد مراداً قَطُّ » : أي لا تريد مُــراداً لـــم تؤمــر بإرادته ، فأمَّا ما أمرك الله ورسوله بإرادتك إياه ، فإرادته إما واجب وإما مستحب ،وتَرْكُ إرادة هذا إما معصية وإما نقص .

المستقيمون من مشايخ الصوفية لم يأمروا بترك الإرادة مطلقاً

وهـــذا الموضـــع يَلْتَــبِسُ[5] على كثير من السَّالكين ، فَيَظُنُّوْنَ أن الطريقة الكاملـــة أن لا يكـــون للعبد إرادة أصلاً ، وأن قول أبي يزيد[6][7] : « أريد أن لا أريـــــد [8]» لمَّـــا قيـــــل لـــــه: « مـــــا ذا تــــريـــــد ؟ »[9] ،

---

[1] " عبد القادر " ليست في(ظ ،ك).

[2] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ش)، وفي (ع) " رحمه الله ".

[3] أي من قِبَلِ الشرع.

[4] في (أ ، ب) " فنائك إرادتك ".

[5] التبس عليه الأمر: أي اختلط واشتبه.
انظر: لسان العرب ٣٣٥/٥.

[6] في الأصل " أبو يزيد " ، والمثبت من سائر النسخ.

[7] هو أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن شَرُوْسَان البسطامي، من غُلاة الصوفية، وله شطحات وأقوال كفرية؛ من جنس قوله: (سبحاني) و(ما في الجُبَّة إلا الله) و(وما النار؟ لأستَنِدَنَّ إليها غداً وأقول: اجعلني فداءً لأهلها وإلا بلعتها) و(ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا)، كما زعم أن له معراجاً كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج.
ولهذا شكاه أهل بَسْطَام إلى الحسين بن عيسى البسطامي ــ وكان من علماء الحديث ــ فأخرجه من بسطام، فحج ثم لما مات الحسين عاد إلى بلده.
ومع هذا فله كلام حَسَنٌ ؛ كقوله:(لو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود والشرع).
فلعله كان يقول كلماته الكفرية حال سكره وغيبته ، حتى إذا أفاق وعاد إلى الحق قال من جنس هذا الكلام الطيِّب.
توفي سنة ٢٦١هــ في بسطام.
انظر: حلية الأولياء٣٣/١٠ ، ووفيات الأعيان ٥٣١/٢، والسير٨٦/١٣، والميزان ٤٧٤/٣، والشذرات ٢/ ١٤٣.

[8] " أن لا أريد " سقطت من(أ ، ب، ش).

[9] أورد هذا القول عن أبي يزيد البسطامي: السهلجي في النور من كلمات أبي طيفور، يقول:" عن أبي يزيد قال: رأيت رب العزة في المنام، فقال: ايش تريد؟، فقلت أريد أن لا أريد غير ما تريد ، فقال: أنا لك كما=

نَقْـص[1] وتَنَاقُضٌ ؛ لأنه قد أراد ، ويحملون كلام المشايخ[2] الذين يُمْدَحون بترك الإرادة[3] على ترك الإرادة مُطْلَقاً .

وهـــذا غَلَطٌ منهم على الشيوخ المستقيمين ، وإن كان من الشيوخ من يأمر بترك الإرادة مطلقاً ، فإن هذا غَلَطٌ ممن قاله ، فإن ذلك ليس بمقدور ولا مأمور .

فـــإن الحَـــيَّ لابد له من إرادة ، فلا يكون حيٌّ لا تكون[4] له إرادة ، وأما الأمر فإن الإرادة التي يحبها الله ورسوله ، ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب ، لا يدعهـــا إلا كافـــر أو فاسق أو عاصٍ ، إن كانت واجبة ، وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركاً لما هو خير له .

الأنبياء والصِّدِّيقون لم يتركوا الإرادة أبداً

والله تعـــالى قد وصف الأنبياء والصديقين[5] بهذه الإرادة ؛ فقال تعالى : « **ولا تطـــرد الذيـــن يدعون ربهم بالغداة والعشي[6] يريدون وجهه** »[الأنعام: ٥٢] ، وقال تعالى[7]: « **وما لأحد عِنْدَهُ من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربِّه الأعلى [8]**» [الليل: ١٩-٢٠] ، وقـــال تعالى : « **إنمـــا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا**

=كنت لي " النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي(ضمن كتاب شطحات الصوفية لبدوي) ص٩٦.

وأوردها أيضا في موضعين آخرين من كتابه في قصتين مختلفتين ، انظر: ص١١٣ ، ١١٥.

والقائل له: أين تريد ، في المواضع الثلاثة ــ بحسب زعمه ــ هو الله تعالى.

[1] في (أ ، ب، ش) " نقض ".

[2] في (أ ، ب) " الشيخ ".

[3] انظر جملة من كلام مشايخ الصوفية في ذلك في: التعرف ص١١٨-١١٩، والرسالة القشيرية ص١٩٦، وعوارف المعارف ٢/٢٩١-٢٩٥، والتنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري ص٣٠، ٨٧.

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " فلا يمكن حياً أن لا تكون... "، وفي (ك) " فلا يكون حي من الناس إلا تكون..."، والمثبت من الأصل و(ظ)، لكن في الأصل " حياً ".

[5] الصِّديق: هو دائم التصديق، أو المبالغ في، أو الذي يُصَدِّقُ قوله بالعمل.

وأفضل الصديقين أبو بكر الذي قال الله تعالى في:" **والذي جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون** " [الزمر: ٣٣]، فالذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم، والذي صدَّق به أبو بكر رضي الله عنه.

انظر: جامع البيان ٢٤/٣، ولسان العرب ٤٢١/٣.

[6] الغداة: البُكْرَةَ ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس.

والعشي: إذا زالت الشمس، دُعِيَ ذلك الوقت العشي، وصلاتي العشي هما الظهر والعصر.

انظر: لسان العرب ٧٧٩/٤، ٩٦٢.

[7] " تعالى " ليست في (ك)، في هذه الآية وبقية الآيات التالية.

[8] في (ع) زيادة " ولسوف يرضى ".

شــكوراً »[الإنسان: ٩] وقال تعالى : « **وإن كُنْتُنَّ تُرِدن الله ورسوله والدار الآخرة، فــإن الله أعد للمحسنات منكنَّ أجراً عظيماً** »[الأحزاب: ٢٩] ، وقال تعالى : « **ومن أراد الآخــرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً** »[الإسراء: ١٩] ، وقال تعالى : « **فاعبد الله مخلصاً له الدين**[١] **[ألا لله الدين الخالص]**[٢] » [الزمر: ٢] ، وقال تعالى: « **قل الله أعبد مخلصاً له ديني** »[الزمر: ١٤]، وقال تعالى : « **واعــبدوا الله ولا تشــركوا به شيئاً** »[النســاء: ٣٦] ، وقال تعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** »[الذاريات: ٥٦] .

ولا عــبادة إلا بإرادة الله ، ولما أمر[٣] به ، وقال تعالى : « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن** »[البقرة: ١١٢] ؛ أي : أخلص[٤] قصده لله[٥][٦]، وقال تعالى : « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** »[البينة: ٥] ، وإخلاص الدين له هو إرادته وحده بالعبادة .

وقال تعالى : «... **يحبهم ويحبونه**... »[المائدة: ٥٤] ، وقال [تعالى][٧] : « **والذيــن آمنوا أشد حُبّاً لله** »[البقرة: ١٦٥] ، وقال تعالى : « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحْبِبكم الله**... »[آل عمران: ٣١] ، وكل محب فهو مريد .

وقال الخليل عليه السلام[٨][٩] : « ...**لا أحب الآفلين** »[الأنعام: ٧٦] ، ثم قال: « **إنِّي وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** » [الانعام:٧٩] .

---

[١] قوله تعالى: " فاعبد الله مخلصاً له الدين " سقط من (ع).

[٢] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ش).

[٣] في الأصل " يأمر "، والمثبت من سائر النسخ.

[٤] في (أ ، ب) " مخلص ".

[٥] في (ع) زيادة " تعالى ".

[٦] روى الطبري بسنده عن الربيع بن خيثم، في قوله:" بلى من أسلم وجهه..."، يقول:" أخلص لله ". انظر: جامع البيان ٤٩٣/١.

[٧] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[٨] " عليه السلام " ليست في (ظ، ك).

[٩] وجه الاستدلال بالآيتين التاليتين؛ أن إبراهيم عليه السلام لم يترك الإرادة بل أراد ما يحبه الله ويرضاه؛ وهو عبادة الله وحده، وتَركُ عبادة غيره من المخلوقات الآفلة.

ومـــثل هذا كثير في القرآن ؛ يأمر الله بإرادته وإرادة ما يأمر به ، وينهى عن إرادة غيره وإرادة ما نهى عنه .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ مـــا نـــوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[١] .

فهما إرادتان : إرادة يحبها الله ويرضاها ، وإرادة لا يحبها ولا يرضاها ، بل إما نهى عنها ، وإما لم يأمر بها ولا ينهى عنها .

أقسام الناس في الإرادة :

والناس في الإرادة ثلاثة أقسام :

قوم يريدون ما يهوونه ؛ فهؤلاء عبيدُ أنفسهم والشيطان[٢] .

وقوم يزعمون أنهم فَرَغُوا عن الإرادة مطلقاً ، ولم يبق لهم مراد إلا ما يُقدِّره الربُّ ، وأن[٣] هذا المقام هو أكمل المقامات ، ويزعمون أن من قام بهذا فقد قام[٤] بالحقيقية ، وهي الحقيقة القدريَّة الكونيَّة ، وأنه[٥] شهد القَيُّومِيَّةَ العامة[٦] .

---

[١] الحديث رواه البخاري، في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/١١ رقم(١)، مختصراً ، لكن ساقه بتمامه ، في كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان ١١/ ٧٠٠ رقم(٦٦٨٩)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونصه:

" إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها ، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه".

– ورواه مسلم، في كتاب الإمارة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنما الأعمال بالنية" ٣/١٥١٥ رقم(١٩٠٧).

[٢] ولهذا حذر الله من عبادة الشيطان، قال تعالى:" **ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان ، إنه لكم عدو مبين** " [يس: ٦٠].

[٣] في الأصل " أو أن "، والمثبت من سائر النسخ.

[٤] في الأصل " أقام " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٥] في الأصل " وأن "، والمثبت من سائر النسخ.

[٦] القَيُّومِيَّة العامة / هي الوجود بالذات ، ويطلق هذا المصطلح على الله ، بمعنى أن ماهية الله هي علة الوجود.

انظر: المعجم الفلسفي د/ مراد وهبه ص٣٤٤ ، والمعجم الفلسفي لصليبا ٢/٢١٥.

ويجعلـــون[1]الفـــناء[2] في شهـــود توحيـــد الربوبيـــة هو الغاية، وقد يُسمُّون هـــذا الجَمْعَ[3] ، والفناء[4] ، والاصْطِلاَمَ[5] ونحو ذلك ، وكثير من الشيوخ زَلَقُوا في هذا الموضع .

النزاع بين الجنيد والصوفية في الجمع والفرق

وفـــي هـــذا المقام كان النِّزَاعُ[6] بين الجُنيد بن محمد[7] ، وبين طائفة من أصـــحابه الصـــوفية ؛ فإنهم اتفقوا على شُهُوْدِ توحيد الربوبية ، وأنَّ الله خالق كل شـــيء وربه ومليكه ؛ وهو شُهُود القدر ، وسَمَّوا هذا مقام الجَمْعِ ؛ فإنه خرج به عـــن الفَرْقِ الأول[8] ؛ وهو الفرق الطبيعي[9] بإرادة هذا أو كراهة هذا ، ورؤية فعـــل هـــذا وترك هذا ، فإن الإنسان قبل أن يَشْهَدَ هذا التوحيد ، يرى للخلق فعلاً يَـــتَفَرَّقُ به قلبه في شهود أفعال المخلوقات ، ويكون مُتَّبِعَاً لهواه فيما يريده ، فإذا

---

[1] في (ع) زيادة " هذا ".

[2] إلى هنا ظنّ د/محمد رشاد سالم، أن مخطوطة الظاهرية تنتهي، وهي في الحقيقة تستمر إلى نهاية الكتاب، وذلك بعد فصل في السماع، أدخله من قام بتجليد المخطوط في هذا الموضع.

[3] الجَمْعُ عند الصوفية/ اتصالٌ لا يشاهد صاحبُه إلا الحقَّ، فمتى شاهد غيره فما جمع.

انظر: عوارف المعارف ٣١٦/٢، وانظر تعاريف أخرى في: التعرف ص ١٤٠، والرسالة القشيرية ص ٦٠، واصطلاحات الصوفية ص٤١.

[4] سبق التعريف بالفناء في مبحثه في الدراسة ص١٤٥.

[5] الاصطلاَمُ عند الصوفية/ نَعتُ ولهِ يَرِدُ على القلب تحت سلطان القهر.

انظر: التوقيف للمناوي ص٦٨، واصطلاحات الصوفية ص٣٠.

[6] في(أ ، ب) " كالنزاع ".

[7] أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزّاز، ويقال له القواريري؛ لأن أباه كان يبيع القوارير ، وهو من كبار شيوخ الصوفية، بل هو الملقب(بشيخ الطريقة الصوفية).

أصله من نهاوند، لكنه ولد ونشأ في بغداد، وسمع بها الحديث، وتَفَقَّهَ على مذهب أبي ثور.

أخذ التصوف من الحارث المحاسبي ومن خاله السري السقطي، وكان زاهدا، كثير العبادة، حتى قيل إنه كان يصلي في اليوم ثلاثمائة ركعة.

توفي سنة ٢٩٧هـــ.

انظر: حلية الأولياء ٢٥٥/١٠، وتاريخ بغداد ٢٤١/٧، والرسالة القشيرية ص٤٣٠.

[8] الفَرقُ الأول عند الصوفية/ هو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء الرسوم الخَلْقِيَّة بحالها.

انظر: الرسالة القشيرية ص ٦٤، واصطلاحات الصوفية ص١٣٦، والتعريفات ص١٦٩.

[9] في (ظ، ك) " الطبعي ".

أراد الحــق ، خرج بإرادته عن إرادة الهوى والطبع ، ثم يشهد[1] أنه[2] خالق كل شيء ، فخرج بشهود هذا الجمع عن ذاك الفرق .

فلما اتفقوا على هذا ، ذكر لهم الجُنيد [بن محمد][3] الفرق الثاني[4] ، وهو بعد هذا الجمع وهو الفرق الشرعي[5] ، ألا ترى أنَّك تُريد ما أُمرت به ولا تريد ما نُهيت عنه ، وتشهد أن الله هو يَسْتَحِقُّ[6] العبادة دون ما سواه ، وأنَّ عبادته هي بطاعــة رسله[7] ، فَتُفَرِّقُ بين المأمور والمحظور ، وبين أوليائه وأعدائه ، وتشهد توحيد الألوهية .

فنازعوه في هذا الفرق ؛ منهم من أنكره ، ومنهم من لم يفهمه ، ومنهم من أدَّعـــى أن المتكلم فيه لم يصل إليه ، ثم إنك تجد كثيراً من الشيوخ إنما ينتهي إلى ذلـــك الجمـــع ؛ وهو توحيد الربوبية والفناء فيه ، كما في كلام صاحب[8] منازل السائرين[9]، مع جلالة قَدْرِهِ ، مع أنه قَطْعَاً كان قائماً بالأمر والنهي المعروفين .

---

[1] في(أ ، ب، ع، ش) " شهد ".

[2] الضمير هنا عائد على الله تعالى.

[3] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب).

[4] الفَرْقُ الثاني عند الصوفية/ هو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر.
انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٣٦، والتعريفات ص١٦٩.

[5] الفَرْقُ الشرعي: هذا الفرق فرض على كل مسلم، وصاحبه يشهد أن لا إله إلا الله، ويعلم أن الله هو المعبود دون ما سواه وأنه أرسل الرسل يأمرون الناس بطاعته، وينهون عن معصيته.
وهذا الفرق هو الذي دعا إليه الجنيد، وهو يكون بعد الجمع، وأما الفرق الطَّبَعِيُّ فيكون قبل الجمع، وهو الفرق الأول عند الصوفية.
انظر: الرد على البكري ٧٤٩/٢، والتعريفات ص١٦٨.

[6] في (ع) " مستحق ".

[7] في (أ ، ب ،ع، ش) " رسوله ".

[8] صاحب سقطت من(ع، ش).

[9] يقول الهروي بعد كلامه على الجمع :" والجمع غاية مقام السالكين وهو طَرَفُ بحر التوحيد " ، وهذا يدل على أنه لا يرى بعد الجمع فرقاً.
انظر: منازل السائرين ص١٣٥.

لكــن قــد يَدَّعُون أن هذا لأجل العامة ، ومنهم من يتناقض[1] ، ومنهم من يقــول: الوقــوف[2] مــع الأمر لأجل مصلحة العامة ، وقد يُعَبِّرُ [عنهم][3] بأهل المَارَسْتَانِ[4][5][6] .

ومنهم من يُسَمِّي[7] ذلك مقام التَّلْبِيس[8][9][10] .

ومــنهم من يقول التَّحقيق أن يكون الجمع في قلبك مشهوداً ، والفَرْقُ على لســانك موجوداً[11] ، فيشهد بقلبه استواء المأمور والمحظور ، مع تفريقه بلسانه بينهما[12].

---

[1] قوله: " ومنهم من يتناقض " ، سقط من (ع).

[2] في (ع) " الوقف ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " البيمارستان ".

[5] المَارَسْتَانُ: (بفتح الراء) هي دار المرضى، فارسي معرب.

انظر: لسان العرب ٤٦٩/٥.

[6] نسب الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا القول في موضع آخر، إلى الشيخ المغربي، انظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٥٨، ولعل مقصوده: الشيخ أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ.

انظر ترجمته في: الرسالة القشيرية ص٤٣٤، والسير ٣٢٠/١٦.

[7] في الأصل " يسم "، والمثبت من سائر النسخ.

[8] التَّلبيس: أصله التخليط والتدليس ، وقد أطلقه بعض الصوفية على العامة؛ لأنهم لُبِّس عليهم الحق بالباطل؛ لأنهم ينظرون إلى الفرق في هذا الكون، ويغفلون عن الجمع والحق وهو الله.

انظر: مدارج السالكين ٣٩٥/٣، ولسان العرب ٣٣٥/٥.

[9] في (ك) زيادة " ومنهم من يقول إنما التكليف على الإنسان ما دام عبداً، فإذا ترقى في منزلة العبودية الحرية، سقط عنه التكليف فلا يبقى عليه تكليف، لأن الحر لا تكليف عليه لأحد ".

[10] نسب الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا القول في موضع آخر إلى أبي إسماعيل الهروي، انظر: مجوع الفتاوى ١٤/ ٣٥٨.

وقد عقد الهروي في كتابه منازل السائرين باباً سَمَّاهُ (باب التَّلبيس)، ذكر فيه أنه اسم لثلاثة معان: أولها/ تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة ، وثانيها/ تلبيس أهل الغَيْرَةِ على الأوقات بإخفائها ، وعلى الكرامات بكتمانها ، وثالثها/ تلبيس أهل التمكن على العالم ؛ تَرَحُمًا عليهم بملابسة الأسباب.

انظر: منازل السائرين ص١٣٠-١٣١.

[11] هذا القول من كلام أبي الحسن الشاذلي(صاحب الطريقة الشاذلية)، كما صرَّح بذلك الشيخ في موضع آخر، انظر: مجموع الفتاوى ٣٥٨/١٤، كما نص عليه أيضا ابن عجيبة الحسني في إيقاظ الهمم ص٥٦٦.

[12] من قوله:" فيشهد بقلبه..." إلى هنا سقط من(أ ، ب، ع، ش).

ومـــنهم مـــن يـــرى أن هذه هي الحقيقة التي هي مُنْتَهَى سلوك العارفين[1] وغاية منازل الأولياء الصديقين[2] .

ومـــنهم مـــن يظـــن أن الوقوف مع إرادة الأمر والنهي يكون في السُّلوك والبداية ، وأما في النهاية فلا تبقى إلا إرادة القدر[3][4][5] .

وهو[6] في الحقيقة قَوْلٌ بِسُقُوْطِ العبادة والطاعة، فإنَّ العبادة لله والطاعة له ولرسوله إنما تكون في امتثال الأمر الشرعي،لا في الجَرْيِ مع المقدور ، وإن[7] كان كفراً وفسوقاً وعصياناً[8] .

ومن هنا صار كثير من السالكين من أعوان الكُفَّار والفُجَّار وخُفَرَائِهِمْ[9][10] ؛ حيــث شهدوا القدر معهم ، ولم يشهدوا الأمر والنهي الشرعيين ، ومن هؤلاء من يقول : من شَهِدَ القدر سقط عنه الملام ، ويقول: إن الخَضِرَ إنما سقط عنه الملام

---

[1] العارف عند الصوفية / هو من أشهده الله ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث عند شهود العالم.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٠٦، والتوقيف للمناوي ص٤٩٦.

[2] وهي التي يسميها الصوفية مقام الفناء.

[3] في (أ ، ب) " فلا تنفي الإرادة القدر ".

[4] ولهذا قال بعضهم :" من علامات العبودية تَرْكُ التدبير، وشهود التقدير ".

الرسالة القشيرية ص١٩٨، وانظر كلام ابن القيم في ذلك في مدارج السالكين١/٢٤٤- ٢٤٥.

[5] انظر في نزاع الجنيد مع الصوفية في ذلك: مدارج السالكين ١/٢٤٩، ٢/١٠٩، وطريق الهجرتين ص ٦٠٨، وانظر كلام القشيري عن الفرق الثاني في رسالته ص٦٦.

[6] في (أ ، ب) " وهي ".

[7] في الأصل " إن "، والمثبت من سائر النسخ.

[8] في(أ ، ب، ع، ش) " أو فسوقاً أو عصيانا ".

[9] الخُفَرَاءُ: جمع خفير وهو المُجِيْرُ الذي يمنع صاحبه ويُؤَمِّنُه.

انظر: لسان العرب ٢/٨٦٥.

[10] مما يدل على أن كثيراً من الصوفية صاروا من أعوان الظلمة والفجار، قول الشعراني:" فإن اعترض معترض...وقال: إن هذا الأمير مثلا ظالم لا ينبغي إكرامه، قلنا: ونحن ظالمون لأنفسنا بالمعاصي...فظالمٌ قام لظالمٍ وأكرمه، فلا مَزِيَّةَ لذلك الشيخ عليه لو أنصف " .

لطائف المنن للشعراني ص١٥٢.

لما شهد القدر[1] .

خوارق العادات لا تعني كمالاً في الولاية

وأصحاب شهود القدر قد يُؤتَي أحدهم مُلْكاً من جهة خَرْقِ العادة ؛ بالكشف والتصرُّف ، فَيَظُنُّ أنَّ[2] ذلك كمالاً في الولاية[3] ، وتكون [تلك][4] الخوارق إنما حصلت بأسباب شيطانية وأهواء نفسانية .

وإنَّمَـــا الكمال في الولاية أن يُسْتَعمل خَرْقُ العادات في إقامة الأمر والنهي الشـــرعيين ، مـــع حصولها بفعل المأمور وترك المحظور[5] ، فإذا حصلت بغير الأســـباب الشـــرعية فهـــي مذمومـــة ، وإن حصلت بالأسباب الشرعية[6] ، لكن اســـتعملت ليُتَوصَّـــل بها إلى محرم كانت مذمومة ، وإن تُوصِّلَ بها إلى مباح لا يُستعان[7] بها على طاعة ، كانت للأبرار دون المُقرَّبين ، وأما إن حصلت بالسَّبب الشـــرعي ، واســـتعين بهـــا على فعل[8] الأمر الشرعي ، فهذه خوارق المُقَرَّبين السابقين .

فلابـــد أن يُـــنْظَرَ في الخوارق في أسبابها وغاياتها ؛ من[9] أين حصلت ، وإلى ماذا أوصلت[10] ، كما يُنْظَرَ في الأموال في مُسْتَخرجاتها ومصروفها.

[ومَن[11] استعملها – أعني الخوارق – في إرادته الطبيعية كان مذموماً][12] .

---

(1) سبق الكلام عن هذه القضية بالتفصيل في المبحث الثالث من الدراسة، فليرجع إليه ص١٨٢.

(2) " أن " ليست في سائر النسخ.

(3) مما يدل على أن الصوفية يعتقدون أن خوارق العادات تدل على الولاية، قول الهجويري:" والكرامة علامة صدقِ الولي، ولا يجوز ظهورها على الكاذب إلا كعلامة على كذب دعواه" كشف المحجوب ٤٥٣/٢، وانظر رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى في المبحث السابع من الدراسة ص١٩٩ ومابعدها.

(4) ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

(5) لا بأسباب شيطانية كالسحر، ولا بأهواء نفسانية كأحوال الصوفية مثلا.

(6) قوله :" فهي مذمومة، وإن حصلت بالأسباب الشرعية " سقط من (أ ، ب).

(7) في (أ ، ب، ش) " لاستعان ".

(8) " فعل " سقطت من(ع).

(9) في (أ ، ب، ع، ش) " فمن ".

(10) تكلَّم الشيخ ــ رحمه الله ــ عن الخوارق وأسبابها وغاياتها باستفاضة ، في رسالته(قاعدة في المعجزات والكرامات)، انظرها في : مجموع الفتاوى ٣١١/١١-٣٦٢، وفي كتابه(النبوات) فليرجع إليهما.

(11) في (أ ، ب) زيادة " أين ".

(12) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

حكم من خلا عن الإرادة

ومَـــنْ كان خالياً[1] عن الإرادتين[2] الطبيعية[3] والشرعية ، فهذا حسبه أن يُعفَى عنه ؛ لكونه لم يعرف الإرادة الشرعية[4] ، وأما إن عَرَفَهَا وأعْرَضَ[5] عنها فإنـــه يكـــون مذموماً مُسْتَحقاً للعقاب إن لم يُعْفَ عنه ، وهو يُمدح بكون[6] إرادته ليست بهواه ، لكن يجب مع ذلك أن تكون موافقة لأمر الله [تعالى][7] ورسوله ، لا يكفيه أن تكون[8] لا من هذا ولا من هذا .

مـــع أنه لا يمكن خُلُوُّه[9] عن الإرادة مطلقاً ، بل لابد له من إرادة ، فإن لم يُرِدْ ما يحبه الله ورسوله ، أراد ما لا يحبه الله ورسوله.

لكـــن إذا جـــاهد نفسه على ترك ما تهواه[10] ، بَقِيَ مُرِيْدَاً[11] لما يَظُنُّ أنه مأمورٌ[12] به[13] فيكون ضالاً ، فإنَّ[14] هذا يشبه حال الضالين من النصارى .

شبه الصوفية للنصارى ، وعلماء السوء لليهود في حالهم مع الإرادة

وقـــد قال تعالى : « **اهدنا الصراط المستقيم ،صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين** »[الفاتحة: ٦-٧] .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى

---

[1] في الأصل " خالصا "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] قوله:" الطبيعية كان مذموما، ومن كان خاليا عن الإرادتين " سقط من (ع).

[3] في(ع) " الطبعية ".

[4] بناء على القاعدة الشرعية في العذر بالجهل، هذا إذا كان في الحقيقة جاهلا، أما إن كان معرضا عن العلم الشرعي ــ كما هو حال كثير من الصوفية ــ فهذا لا يُعذر بجهله لتفريطه في معرفة الأمر والنهي الشرعيين، يقول شيخ الإسلام:" من ترك طلب العلم الواجب ، حتى ترك الواجب وفعل المحرم ، غير عالم بوجوبه ولا بتحريمه، أو بلغه الخطاب في ذلك، ولم يلتزم اتِّباعه؛ تعصُبًا لمذهبه، أو اتباعا لهواه فإن هذا ترك الاعتقاد الواجب بغير عذر شرعي ؛ كما ترك الكافر الإسلام " مجموع الفتاوى ١٦/٢٢.

[5] في (ك) " فأعرض ".

[6] في (أ) " وتكون "، وفي(ب) " تكون ".

[7] ما بين المعوفين زيادة من (أ ، ب).

[8] في (ك) " تكون ".

[9] في الأصل " خلو "، والمثبت من سائر النسخ.

[10] من غير أن يعلم إن كان مأمورا به من قبل الشرع أم لا.

[11] في (أ ، ب) " يريد ".

[12] في(أ ، ب) " مأموراً ".

[13] وهو ليس كذلك.

[14] قوله:" ضالا فإن " سقط من (أ ، ب).

ضالون »[1].

---

[1] الحديث رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة٨/٢٨٦ رقم(٤٠٢٩)، عن عدي بن حاتم، في حديث طويل في قصة إسلامه، وفيه:

" ...قال: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضُلاَّلٌ، قال: قلت: فإني جئت مسلما، قال: فرأيت وجهه تَبَسَّط فَرَحاً..." ، وقال الترمذي:" هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سِمَاكِ بن حَرْب ".

ـ ورواه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٧٨.

ـ وسعيد بن منصور في سننه ٢/٥٣٧ رقم(١٧٩).

ـ والطيالسي في مسنده ٢/٣٧١ رقم(١١٣٥).

ـ والطبراني في الكبير ١٧/٩٩ رقم(٢٣٧).

ـ والطبري في تفسيره ١/١٨٥ رقم(١٩٣).

ـ وابن حبان في صحيحه ١٦/١٨٣ رقم(٧٢٠٦) ، (الإحسان).

ـ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٣٣٩.

ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦، إلى أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسّنه، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه.

والحديث صحيح ، قال عنه أحمد شاكر:" هذا إسناد صحيح أيضا، عَبَّاد بن حُبَيْش ذكره ابن حبان في الثقات " ، وصححه الألباني في تخريج شرح الطحاوية، وفي صحيح الجامع الصغير ، وقال عنه شعيب الأرنؤوط:" عبَّاد بن حُبَيْش لم يوثقه غير المؤلف(ابن حبان) ، ولم يرو عنه غير سماك، وباقي رجاله ثقات، رجال الشيخين غير سماك فمن رجال مسلم ".

انظر: تفسير الطبري(بتحقيق أحمد شاكر)١/٨٥، وشرح الطحاوية (بتحقيق الألباني) ص٥٩٤، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٦/٣٦٩ رقم(٨٠٥٨)، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(بتحقيق الأرنؤوط) ١٦ /١٨٤.

ـ وللحديث رواية أخرى عن عبدالله بن شَقِيْقٍ، في غزوة خيبر:

رواها الإمام أحمد في المسند ٥/٣٢ ، ونصها:

عن عبدالله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرَى، وهو على فرسه، فسأله رجل من بَلْقِيْن فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال :هؤلاء المغضوب عليهم، وأشار إلى اليهود، قال :فمن هؤلاء؟ قال:هؤلاء الضالين؛ يعني النصارى، قال: وجاء رجل فقال: استشهد مولاك أو قال غلامك فلان، قال: بل يُجَرُّ إلى النار في عباءة غلَّها ".

ـ ورواها المروزي في السنة ١/٤٩.

ـ و ابن جرير في تفسيره ١/١٨٦، رقم(١٩٦).

ـ والبيهقي في شعب الإيمان ٤/٦١ رقم(٤٣٢٩).

ـ وروى طرفها عبد الرزاق في مصنفه ٥/٢٤٢ رقم(٩٤٩٦).

ـ وعزاها السيوطي في الدر المنثور ١/١٦ إلى عبدالرزاق وأحمد في مسنده، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبغوي في معجم الصحابة وابن المنذر، وأبي الشيخ، وسفيان بن عيينه . وانظر: تفسير سفيان بن =

فاليهود[1][2] لهم إرادات فاسدة مَنْهِيٌّ عنها ، كما أخبر عنهم بأنهم عصوا وكانوا يعتدون[3] ، وهم يعرفون الحق ولا يعملون به[4][5] ، فلهم عِلْمٌ لكن ليس [لهم][6] عمل بالعلم ، وهم في الإرادة[7] المذمومة المُحَرَّمة يَتَّبِعُون أهواءهم ، ليسوا في الإرادة المحمودة المأمور بها ؛ وهي إرادة ما يحبه الله ورسوله .

والنصارى لهم قصدٌ وعبادةٌ وزهدٌ ، لكنَّهم[8] ضُلاَّلٌ يعملون بغير علم[9] ،

= عيينه(جمع أحمد محايري)ص١٠٤.

والحديث بهذه الرواية قال عنه المنذري:" رواه أحمد بإسناد صحيح " الترغيب ٢/٢٠٠ ، وقال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح " المجمع ٦/٣١٠ .

[1] في(ك) " واليهود ".

[2] اليهود هم قوم موسى عليه السلام؛ سُمُّوا بذلك نسبة إلى جدهم يهوذا بن يعقوب، من باب تسمية الكل بالجزء، وإلا فكل أبناء يعقوب يسمون بذلك ، لا أبناء يهوذا فقط، وقيل بل بسبب قولهم:" **إنا هُدْنا إليك...**" [الأعراف: ١٥٦].؛ أي رجعنا وتُبْنَا.

وقد سَمَّاهم الله في القرآن تارة باليهود، وتارة ببني إسرائيل نسبة إلى جدهم إسرائيل(يعقوب)، وتارة بأهل الكتاب؛ لأن أكثر كتب الله إنما نزلت فيهم(كالتوراة والإنجيل والزبور).

وقد أكثر القرآن الكريم من ذكرهم، حتى لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من ذكر عنادهم ورفضهم الحق، وتكذيبهم لأنبياء الله ، بل وإيذائهم وقتلهم، وتَجَرُّئهم على الله ، ووصفهم له بما لا يليق من الفقر والبخل وغيرها من الأوصاف الشنيعة، التي ينزه عنها سبحانه.

انظر: الملل والنحل ١/٢٥٠، والفصل ١/١١٧ وما بعدها، وجامع البيان ١/٣١٨، وتفسير القرطبي ١/٤٣٣.

[3] قال تعالى في وصف اليهود:" **ضُرِبت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وباؤا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** "[آل عمران: ١١٢].

[4] " به " سقطت من (ع).

[5] قال تعالى:" **يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** "[آل عمران: ٧٠-٧١].

[6] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[7] في (ع) " الإرادات ".

[8] في (أ ، ب، ع، ش) " لكن ".

[9] ولهذا بين الله سبحانه أنهم نسوا ما ذُكِّرُوا به، ولم يكتموه عمداً كما فعلت اليهود، قال تعالى:" **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظاً مما ذكروا به....**"[المائدة: ١٤].

فلا يعرفون الإرادة التي يُحبُّها الله ورسوله ، بل غاية أحدهم تَجْرِيد[1] نفسه عن[2] الإرادات ، فــلا يبقى مُريداً لما أمر الله به ورسوله ، كما لا يريد كثيراً مما نهى الله عنه ورسوله .

وهؤلاء ضالون عن مقصودهم ؛ فإنَّ مقصودهم[3] إنما هو في طاعة الله ورســوله ، ولهذا كانوا مَلْعُونِين[4] ؛ أي بَعِيْدِيْنَ عن الرحمة التي تُنَالُ بطاعة الله عز وجل[5].

والعــالم الفاجــر يُشْبِهُ اليهود ، والعابد الجاهل يُشْبِهُ النصارى ،ومِنْ أهل العلم مَنْ فيه شيء من الأولِ ، ومن أهل العبادة مَنْ فيه شيء من الثاني .

وهذا الموضع[6] تَفَرَّق فيه[7] بنو آدم ، وتباينوا تبايناً عظيماً لا يحيط به إلا الله ؛ ففــيهم من لم[8] يخلق الله خَلْقاً أكرم عليه منه ، وهو خير البَرِيَّة ، ومنهم[9] من هو شر البَرِيَّة[10] .

وأفضل الأحوال فيه[11] حال الخليلين محمدٌ وإبراهيم[12] صلى الله عليهمــا

---

(1) التَّجْرِيْدُ: التعرية من الثياب، وجَرَّدَ الشيء: إذا عَرَّاه.
انظر: لسان العرب ٤٣٣/١.

(2) في (ع) " على ".

(3) " مقصودهم " سقطت من(أ ، ب، ع، ش).

(4) الظاهر أن مقصود الشيخ ــ رحمه الله ــ هنا النصارى، وقد لعنهم الله في القرآن في آية المُبَاهَلَة، قال تعالى:"...**ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** " [آل عمران: ٦١].

(5) " عز وجل " ليست في(ظ، ك).

(6) أي العمل بالعلم والاتباع في العبادة.

(7) في (ب) " به ".

(8) في (أ ، ب) " لا ".

(9) في (ك) " وفيهم ".

(10) خير البريَّة هم المؤمنون، قال تعالى:" **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** "[البينة: ٧]، وشر البريَّة هم الكفار من أهل الكتاب والمشركون، قال تعالى:" **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية** "[البينة: ٦].

(11) في (أ، ب) " فيهم ".

(12) في الأصل وسائر النسخ" إبراهيم ومحمد "، والمثبت من(ظ، ك).

وسلم[١] ، ومحمد سَيِّدُ ولد آدم[٢] ، وأفضل الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين[٣] ، وإمامهم إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا[٤] ، وهو المعروج به إلى ما فوق الأنبياء؛ كلهم إبراهيم وموسى وغيرهما[٥] .

وأفضل الأنبياء بعده إبراهيم ؛ كما ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك[٦]عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنَّ إبراهيم خيرُ البَرِيَّة »[٧] .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنَّه كان يقول في خطبة يوم[٨] الجُمُعَة : « خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد »[٩] .

---

[١] في(ك) " عليهما السلام ".

[٢] قال عليه الصلاة والسلام:" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من يَنْشَقُّ عنه القبر، وأوَّلُ شافعٍ ، وأوَّل مُشَفَّع "، رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ١٧٨٢/٤ رقم(٢٢٧٨).

[٣] قال تعالى :" **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** "[الأحزاب: ٤٠].

[٤] كما قال صلى الله عليه وسلم:" أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذا أَيِسُوا، لواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر "، رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨٥/٥ رقم(٣٦١٠)، وقال:" هذا حديث حسن غريب ".

[٥] حديث الإسراء والمعراج، رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٣٧١/٦ رقم(٣٢٠٧).

ـ ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات ٤٥/١ رقم(١٦٢).

[٦] " بن مالك " ليست في سائر النسخ.

[٧] الحديث رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم١٨٣٩/٤ رقم(٢٣٦٩)،عن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك إبراهيم عليه السلام ".

[٨] " يوم " ليست في سائر النسخ.

[٩] الحديث رواه مسلم ، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ رقم(٨٦٧)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ونصه:

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشْتَدَّ غضبه، حتى كأنه مُنْذِرُ جَيْشٍ، يقول: صبَّحكم أو مسَّاكم، ويقول بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، ويفرِّق بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى الناس بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضيَاعاً فإليَّ وعَلَيَّ ".

وكذلـــك[1] كـــان عبد الله[2] بن مسعود يَخْطُبُ بذلك يوم الخميس كما رواه[3] البخاري في صحيحه[4] .

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة [رضي الله عنها أنها][5] قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ[6] خادماً له، ولا امرأةً، ولا دابةً ، ولا شيئاً قَطّ ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نِيلَ منه قَطّ شيء فانتقم لنفسه ، إلا أن تُنْتَهَكَ محارم الله ، فإذا انتُهِكَتْ محارم الله، لم يَقُمْ لغضبه شيء حتى ينتقم لله »[7].

وقال أنس : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي أُفٍّ[8] قَطّ، وما قالي لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته، وكان بعض أهله إذا عَتَبَنِي[9]على شيء قال:دعوه فلو قُضِيَ شيءٌ لكان»[10].

---

[1] " كذلك " سقطت من (ك).

[2] " عبد الله " سقطت من (ع).

[3] في (ع) " روى ".

[4] هذا الأثر رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١٠/١٣ رقم(٧٢٧٧)، ونصه:

قال عبد الله: " إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشَرَّ الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين ".

ـ وأما كون ذلك يوم الخميس، فقد ورد في رواية، الطبراني في المعجم الكبير ٩٩/٩ رقم(٨٥٢٠).

ـ والدارقطني في العلل ٣٢٣/٥ رقم(٩١٦).

[5] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[6] " بيده " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[7] الحديث رواه البخاري، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٧٠٢/٦ رقم(٣٥٦٠)، بلفظ مقارب.

ـ ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مُبَاعدته صلى الله عليه وسلم للآثام ١٨١٤/٤ رقم(٢٣٢٨)، عن عائشة، ونصه:

" ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل ".

[8] أصل الأُفِّ الوسخ الذي حول الظفر، ثم صارت كلمة تقال عند استقذار شيء أو التضجر منه.

انظر: لسان العرب ٧٣/١.

[9] في(ع) " عنفني ".

[10] ما ذكره الشيخ ـــ رحمه الله ـــ جَمْعٌ بين حديثين:

أما الأول: فرواه البخاري ، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٥٥٩/١٠ رقم=

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك الإرادة

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلائق ، وسَيِّدُ ولد آدم ، وله الوسـيلة في المقامات كلها[1] ، ولم يكن حاله أنه لا يريد شيئاً ، ولا أنه يريد كل واقع ، كما أنه لم يكن حاله أنه[2] يَتَّبِعُ الهوى ، بل هو مُنَزَّهٌ[3] عن هذا وهذا .

قـال [الله][4] تعالى : « **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** » [النجم: ٣] ، وقال تعالى : « **وأنَّه لما قام عبد الله يدعوه**[5] » [الجن: ١٩] ، وقال [

= (٦٠٣٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ونصه:

" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ قط، ولا لم صنعت ولا ألا صنعت ".

ـ ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلُقا ١٨٠٤/٤ رقم(٢٣٠٩).

وأما الثاني: فقد رواه الإمام أحمد في المسند ٢٣١/٣، عن أنس، ونصه:

" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سنين، فما أمرني فتوانيت عنه أو ضَيَّعْتَهُ فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: دعوه فلو قُدِّرَ، أو قال: لو قُضِيَ أن يكون كان ".

ـ ورواه الطبراني في الأوسط ٧٤/١٠ رقم(٩١٤٨)، بلفظ آخر مطولا.

ـ وابن حبان في صحيحه ١٤٥/١٦ رقم(٧١٧٩) ، (الإحسان).

ـ وأبو نعيم في الحلية ١٧٩/٦.

ـ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١٦٢/١ رقم(٢٥١)، وقال:" قال الدارقطني: تَفَرَّدَ به محمد بن مهاجر، وقال ابن حبان: كان يَضَعُ الحديث ".

ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥١/٦، إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق.

والحديث قال عنه الهيثمي : " في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم "، وقال شعيب الأرنؤوط:" إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

انظر: المجمع ١٦/٩، والإحسان لابن بلبان(بتحقيق الأرنؤوط) ١٤٥/١٦.

[1] قال صلى الله عليه وسلم:" ...ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها مَنْزِلَةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّتْ له شفاعتي "، رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ٢٨٨/١ رقم(٣٨٣).

[2] في الأصل و(أ ، ب، ع) " أن "، والمثبت من(ظ، ك، ش).

[3] في (أ ، ب) " ينزه ".

[4] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب).

[5] في (ك) زيادة " كادوا يكونون عليه لبدا ".

تعـالى][(١)] : « **وإن كنـتم في ريب مما نَزَّلْنَا على عبدنا** »[البقرة: ٢٣] ، وقال : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً** »[الإسراء: ١] ، والمراد بعبده : عابده المطيع لأمره ، وإلا فجميع المخلوقين عباد ؛ بمعنى أنهم مُعَبَّدون مخلوقون مُدَبَّرون[(٢)] .

وقد قال الله تعالى لنَبيِّه[(٣)] : « **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** »[الحجر: ٩٩] ، قال الحسن البصري : « لم يجعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون الموت »[(٤)] .

وقد قال الله له[(٥)] : « **وإنك لعلى خلق عظيم** »[القلم: ٤] ، قال ابن عباس ، ومن وافقه ، كابن عيينة[(٦)] ، وأحمد بن حنبل : « على[(٧)] دين عظيم »[(٨)] ؛ والدين فعل ما أُمِرَ به .

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ع).

(٢) تكلم الشيخ ــ رحمه الله ــ عن الفرق بين العبد بمعنى العابد ، والعبد بمعنى المُعَبَّد ، في كتابه العبودية، انظر: شرح العبودية ص٢٨-٢٩.

(٣) في (أ ، ب، ظ، ش) "وقد قال الله لنبيه "، وفي(ع) " وقد قال لنبيه "، وفي (ك) " وقد قال تعالى لنبيه ".

(٤) الأثر رواه عبد الله بن المبارك في الزهد ص٧ رقم(١٨)، عن الحسن البصري، ونصه:
" أيْ قَوْم! المداومة المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ".
ــ ورواه الإمام أحمد في الزهد ص٣٣٢.
ــ والطبري في تفسيره ٧٤/١٤، عن الحسن في قوله :"حتى يأتيك اليقين، قال: الموت ".

(٥) في الأصل " وقال الله له"، وفي(أ، ب، ش) "وقد قال الله تعالى"، وفي(ع) "وقد قال تعالى"، والمثبت من(ظ، ك).

(٦) أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي، كان جده أبو عمران ــ واسمه ميمون ــ مولىً لمحمد بن مُزَاحِم.
ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وطلب الحديث وهو غلام، وكان أبوه صَيْرَفِيًا بالكوفة ، فلما ركبه الدين رحل بولده ــ ومنهم سفيان ــ إلى مكة.
كان إماماً محدِّثاً ، آية في الحفظ والثبت، صاحب سنة واتباع، وقد كان طلبة الحديث يتكلَّفون الحج، وما المحرك لهم سوى لُقْيَا سفيان بن عيينة لإمامته وعلو إسناده.
توفي ــ رحمه الله ــ بمكة سنة ١٩٨هـ، ودفن بالحجون.
انظر: طبقات ابن سعد ٤٩٧/٥، وتهذيب الكمال ١١٧/٤، والسير ٤٥٤/٨، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/١.

(٧) " على " سقطت من (ك).

(٨) الأثر رواه عن ابن عباس: الطبري في تفسيره ١٨/٢٩، ونصه:
عن ابن عباس قوله :(وإنك لعلى خلق عظيم) يقول: " دين عظيم "، ورواه أيضا عن مجاهد وأبي زيد والضحاك.
ــ وذكره البغوي في معالم التنزيل ١٨٧/٨، عن ابن عباس ومجاهد . =

وقالت عائشة : « كان خُلُقُهُ القرآن »[1] رواه مسلم .

وقـــد أَخْبَرَتْ أنه لم يكن يُعاقب لنفسه ولا ينتقم لنفسه[2] ، لكن يُعاقب لله وينتقم لله ، وكذلك أخبر أنس أنه كان يعفو[3] عن حُظُوْظِهِ[4] .

وأمـــا حـــدود الله فقـــد قال : « والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقَطَعْتُ يدها »[5] أخرجاه في الصحيحين .

وهذا هو كمال الإرادة ، فإنه أراد ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح ، وأمر بذلك ، وكَرِهَ ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ، ونهى عـــن ذلك ، كما وصفه الله تعالى بقوله : « **ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ،والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، يأمرهم بالمعـــروف ويـــنهاهم عـــن المنكر ، ويُحِلُّ لهم الطيبات ويحرم عليه الخبائث ،**

=ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥١/٦ إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وعبد بن حميد.

[1] الحديث رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٢ رقم(٧٤٦)، في حديث طويل، في قصة سؤال سعد بن هشام بن عامر لعائشة رضي الله عنها، وفيه: "...فقلت يا أم المؤمنين: أنبئيني عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أَلَسْتَ تقرأ القرآن، قلت: بلى، قالت: فإن خُلُقَ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن ...".

[2] في الأصل كُررت عبارة" يعاقب لنفسه ولا ينتقم لنفسه " مرتين.

[3] في الأصل و(أ ، ب، ش) " يعفوا "، والمثبت من سائر النسخ.

[4] سبق ذِكْرُ الشيخ لحديثي عائشة وأنس ، وسبق تخريجهما ص٣٠٢.

[5] الحديث رواه البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع ١٠٢/١٢ رقم(٦٧٨٧)، عن عائشة رضي الله عنها، ونصه:

أن أسامة كَلَّمَ النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة، فقال: إنما هلك من كان قبلكم ؛ أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون على الشريف، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها ".

ـ ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٣١٥/٣ رقم(١٦٨٨)، عن عائشة أيضا.

ويضع عنهم إِصْرَهُمْ والأغلال[1] التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وَعَزَّروه[2] ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون »[الأعراف: ١٥٦-١٥٧] .

وأمـــا لحـــظِّ نفسه[3] فلم يكن[4] يُعاقب ولا[5] ينتقم ، بل يستوفي حقَّ ربه، ويعفو[6] عن حَظِّ نفسه .

وفـــي حـــظِّ نفسه[7] ينظر إلى القَدَرِ فيقول : « لو قُضِيَ[8] شيءٌ لكان » ، وفـــي حق الله يقوم بالأمر ؛ فيفعل ما أمره[9] الله به ، ويجاهد في سبيل الله أكمل الجهاد الممكن ؛ فجاهدهم أولاً بلسانه بالقرآن الذي أُنزل عليه ، كما قال تعالى [له][10] : « **ولـــو شـــئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ، فلا تُطِعِ الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً**[11] »[الفرقان: ٥١-٥٢] ، ثم لما هاجر إلى المدينة، وأُذِنَ له في القتال[12] جاهدهم بيده[13] .

---

[1] أصل الإصر: الثُقل والشِّدة ، والغُلُّ : جامعة توضع في اليد أو العنق.
والمراد به هنا التشديد الذي كان على بني إسرائيل ؛ كتحريم العمل يوم السبت والغنيمة ونحو ذلك.
انظر: جامع البيان ٨٤/٩- ٨٥، ولسان العرب ٦٧/١، ١٠٠٩/٤.

[2] عزّروه: أي حموه ووقروه.
انظر: جامع البيان ٨٤/٩- ٨٥.

[3] في الأصل " لحظه "، والمثبت من سائر النسخ.

[4] " يكن " سقطت من(ع).

[5] في (ع) " لم ".

[6] في الأصل و(ع، ش) " ويعفوا ".

[7] حَظُّ النفس: نصيبها.
انظر: لسان العرب ٦٦٦/١.

[8] في (ع) " قدر ".

[9] في (أ ، ب، ع، ش) " ما أمر ".

[10] ما بين المعكوفين زيادة من(ظ، ك).

[11] روى الطبري بسنده عن ابن عباس، في قوله:(**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به..**)قال:" بالقرآن ".
انظر: جامع البيان ٢٣/١٩.

[12] في (ب) " القيام ".

[13] أول آية نزلت في الأمر بالقتال هي قوله تعالى:" **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** " [البقرة: ١٩٠]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة ممنوعا من =

المعنى الصحيح لحديث احتجاج آدم وموسى

وهذا مطابقٌ لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة ، وهو معروفٌ[1] أيضـــاً من حديث عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في حديث : احتجاج آدم وموسى ، لمَّا لاَمَ موسى لآدم[2] لكونه أخرج نفسه وذُرِّيَّتَه من الجنة؛ بالذنب الذي فعله ، فأجابه آدم: بأن هذا كان مكتوباً عليَّ قبل أن أُخْلَقَ بمدة طويلة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فَحَجَّ آدمُ موسى »[3] .

= القتال مأمورا بالصَّفْحِ والإعراض عن الكفار.

انظر: تفسير القرطبي ٣٤٧/٢.

[1] المعروف عند المُحَدِّثين يُطْلَقُ على : الحديث الذي يخالفه حديث آخر، مع ضعف هذا المخالف، فيسمى الأول معروفا ويسمى الثاني منكراً.

انظر: تدريب الراوي ٢٤١/١.

[2] كذا في الأصل وسائر النسخ.

[3] الحديث رواه البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله ٦١٨/١١ رقم(٦٦١٤)، عن أبي هريرة، ونصه:

" احتج آدم وموسى ، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه، وخَطَّ لك بيده، أتلومني على أمر قَدَّره الله عَلَيَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدمُ موسى، فحج آدمُ موسى ثلاثا ".

ـ ورواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٢/٤ رقم(٢٦٥٢)، عن أبي هريرة.

ـ وأما ما أشار إليه الشيخ من رواية عمر بن الخطاب: فقد رواها أبو داود في ، كتاب السنة ، باب القدر ٤/ ٢٢٦ رقم(٤٧٠٢).

ـ وابن أبي عاصم في السنة ص٧٨ رقم(١٣٧).

ـ وابن خزيمة في التوحيد ٣٤٦/١ رقم(٢٠٥).

ـ والآجري في الشريعة ٥٢٠/١ رقم(١٨٥).

ـ وابن منده في الرد على الجهمية ص٦٨ رقم(٣٨).

ـ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣٧٠/٢ رقم(٥٥١).

ـ وقوام السنة في الحجة ١٨٥/١ رقم(٧٠).

ـ والبيهقي في الأسماء والصفات ٣١٦/١.

وهذه الرواية قال عنها شيخ الإسلام : " وهو مروي أيضا من طريق عمر بن الخطاب بإسناد حسن..."، وقال عنها الألباني:" قلت: هذا إسناد حسن، رجاله ثقات،رجال الشيخين،غير هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام ".

انظر: مجموع الفتاوى ٣٠٤/٨، والسلسلة الصحيحة للألباني ٢٧٧/٤ رقم(١٧٠٢)، والسنة لابن أبي عاصم(بتحقيق الألباني) ص٧٩.

ـ وهذا الحديث تَلَقَّتْهُ الأمة بالقبول، وخالف بعض المعتزلة ـ كأبي علي الجبائي ـ فأنكروه؛ وقالوا: لو صَحَّ لبطلت النبوات، ولكان القدر حُجَّة للعاصي على معصيته. =

وذلك لأن ملام موسى لآدم لم يكن لِحَقٍّ الله ، وإنما كان لما[1] لَحِقَهُ وغيره من الآدميين من المصيبة بسبب ذلك الفعل، فذكر له آدم أن هذا كان أمراً مُقَدَّراً[2] لابد من كَوْنِه .

والمصـــائب التي تُصيب العباد يُؤمرون فيها بالصبر[3] ، فإنَّ هذا هو الذي ينفعهم ، وأما لومهم لمن كان سبباً فيها ، فلا فائدة لهم[4] في ذلك .

وكذلك ما فاتهم من الأمور التي تنفعهم ، يؤمرون في ذلك بالنَّظَرِ إلى القدر، وأما التَّأَسُّفُ والحزن فلا فائدة فيه[5] .

فما جرى به القدر من فَوْتِ منفعةٍ لهم، أو حصول مَضَرَّةٍ لهم ، فلينظروا في ذلـــك إلى القدر[6]، وأما ما كان بسبب أعمالهم فليجتهدوا في التوبة من الماضي[7] والإصلاح في المستقبل، فإن هذا الأمر ينفعهم[8]، وهو مَقْدُوّر لهم بمعونة الله لهم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «المؤمـــن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍ خير،احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز،وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فَعَلْتُ[9]

= وسبب قولهم هذا هو خطؤهم في فهم معنى الحديث؛ إذ الحديث ليس فيه احتجاج بالقدر على المعصية، بل هو ــ على المعنى المشهور ــ احتجاج بالقدر على المصيبة؛ وهي الخروج من الجنة، لا على سببها وهو المعصية بالأكل من الشجرة، وذكر ابن القيم أنه يمكن الاحتجاج بالقدر على المعصية إذا تاب منها العبد.

وقد تَكَلَّم الشيخ ــ رحمه الله ــ بمزيد بحث عن هذا الحديث، في رسالة مستقلة، انظرها: في مجموع الفتاوى ٣٠٣/٨-٣٧١، وانظر في ذلك أيضا: شفاء العليل ٨١/١-٩٧.

[1] في (ع) " لام ".

[2] في (ع) " مقدوراً ".

[3] كما قال تعالى: " **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين؛ الذي إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** "[البقرة: ١٥٤-١٥٥].

[4] في (ب) " فلهم ".

[5] قال تعالى بعد ذكره أن المصائب بقدر الله: " ...**لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور** " [الحديد: ٢٣].

[6] من قوله " وأما التأسف ..." إلى هنا سقط من (ك).

[7] في (أ ، ب) " من المعاصي ".

[8] في(ع) " لا ينفعهم ".

[9] في (ع) زيادة " كذا ".

لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل؛فإن لو[1] تَفْتَحُ عمل الشيطان »[2].

أمر [النبي][3] صلى الله عليه وسلم بِحِرْصِ العبد على[4] ما ينفعه ، والاستعانة[5] بالله ، ونهاه عن العَجْز[6] ، وأَنْفعُ ما للعبد طاعة الله ورسوله ؛ وهي عبادة الله تعالى .

وهذان الأصلان هما حقيقة قوله تعالى: « **إياك نعبد وإياك نستعين** »[الفاتحة: ٥] ، ونهاه عن العجز ؛ وهو الإضاعة والتفريط والتواني[7].

كما قال في الحديث الآخر: « الكَيِّسُ[8]من دَانَ نفسه[9][10] وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها،وتَمَنَّى على الله الأماني »[11]رواه الترمذي.

---

[1] في الأصل " اللو "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] الحديث رواه مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز ٢٠٥٢/٤ رقم(٢٦٦٤)، عن أبي هريرة، ونصه:

" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش)، وفي(ك) " وأمره ".

[4] في (ك) " بالحرص على ".

[5] الاستعانة/ هي طلب العون من الله عز وجل.

انظر: الدر النضيد للشوكاني ص١٤، ومعارج القبول ٥٦١/٢.

[6] العجز/ هو ترك ما يجب فعله بالتسويف، وهو عام في أمور الدنيا والدين.

انظر: النهاية لابن الأثير ١٨٦/٣.

[7] في الأصل وسائر النسخ " بالتواني "، والمثبت من (ظ، ك).

[8] الكَيِّسُ: هو العاقل.

انظر: النهاية لابن الأثير ٢١٧/٤.

[9] في الأصل " النفس "، والمثبت من سائر النسخ.

[10] دان نفسه : أي أذلَّها واستعبدها ، وقيل: حاسبها.

انظر: النهاية لابن الأثير ١٤٨/٢.

[11] الحديث رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع ٥٥٠/٤ رقم(٢٤٥٩)، عن شَدَّادِ بن أوس، ونصه:

" الكَيِّسُ من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتَمَنَّى على الله "، وقال:" هذا حديث حسن ".

– ورواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٣/٢ رقم(٤٢٦٠). =

وفـــي سنن أبي داود : « أنَّ رجلين تحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقَضَى على أحدهما[1] ، فقال المَقْضِيُّ عليه : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله يلوم على العَجْزِ ولكن عليك بالكَيْسِ ، فإذا غلبك أَمْرٌ فقل : حسبي الله ونعم الوكيل »[2] فالكَيْسُ ضد العجز .

= ـ والإمام أحمد في المسند ١٢٤/٤.

ـ والحاكم في المستدرك ٥٧/١، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يُخَرِّجَاه "، وخالفه الذهبي، وقال:" قلت: لا والله أبو بكر(أي بن أبي مريم) وَاْهٍ ".

ـ والطبراني في الكبير ٣٣٨/٧، ٣٤١ رقم(٧١٤١، ٧١٤٣).

ـ وأبو نعيم في الحلية ٢٦٧/١.

ـ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٦٩/٣.

ـ والبغوي في شرح السنة ٣٠٨/١٤ رقم(٤١١٧)، وقال:" هذا حديث حسن ".

والحديث قال عنه الألباني:" وإسناده ضعيف "؛ وسبب ضعفه أن مدار الحديث على (أبي بكر بن أبي مريم الغساني)، وهو ضعيف، كما ذكر ابن حجر، وحكاه عن الإمام أحمد وابن معين وابن أبي زرعة وابن أبي حاتم والنسائي والدارقطني وابن حبان وابن سعد وابن عدي وغيرهم ؛ وذكر أن سبب ضعفه أنه طَرَقَهُ لصوصٌ فأخذوا متاعه فاختلط، فَضَعْفُهُ من جهة حفظه لا من جهة عدالته.

انظر: مشكاة المصابيح(بتحقيق الألباني) ١٤٥٤/٣، وشرح السنة للبغوي(بتحقيق الأرنؤوط) ٣٠٩/١٤، وتهذيب التهذيب ٣٠/١٢، وميزان الاعتدال ٣٣٥/٧.

ـ وأما زيادة(...الأماني) في آخر الحديث، فليست في الترمذي، ولم أجدها فيما اطَّلَعْتُ عليه من روايات الحديث .

[1] في (ع) " عليهما ".

[2] الحديث رواه أبو داود ، كتاب الأقضية، باب الرجل يحلف على حقه ٣١٣/٣ رقم(٣٦٢٧)، عن عوف بن مالك، ونصه:

" أن النبي صلى الله عليه وسلم، قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أَدْبَرَ: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يلوم على العَجْزِ، ولكن عليك بالكَيَسْ، فإذا غلبك امر[ؤ]، فقل : حسبي الله ونعم الوكيل ".

ـ ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٤/٦.

ـ والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا غلبه أمر ص٤٠٣ رقم(٦٢٦)، وقال:" سَيْفٌ لا أعرفه ".

ـ والطبراني في الكبير ٧٦/١٨.

ـ والبيهقي في السنن الكبرى ١٨١/١٠.

ـ وابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا غلبه أمر ص١٢٦ رقم(٣٤٩).

والحديث قال عنه الألباني:" إسناده حسن "، وقال عبد القادر الارنؤوط:" إسناده ضعيف ".

ـ ورواة الحديث من رجال مسلم عدا(سيف الشامي)، وهو تابعي ثقةٌ ذكره ابن حبان في الثقات ٣٣٩/٤، =

وفي الحديث : « كل شيء بِقَدَرٍ حتى العجز والكَيْس »[1] رواه مسلم .

وليس المراد بالعجز في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ما يضاد القدرة[2]؛ فإن من لا قُدْرَةَ له بحال لا يُلاَمُ ، ولا يؤمر بما لا يقدر عليه بحال .

ثـــم لمَّا أمره بالاجتهاد والاستعانة بالله ، ونهاه عن العجز ، أَمَرَهُ إذا غَلَبَهُ أَمْرٌ أن يَنْظُر إلى القدر ، ويقول : قَدَرُ الله وما شاء فعل ، ولا يَتَحَسَّر ويَتَلَهَّف ويحزن، ويقول : لو أني فعلت[3] كان كذا وكذا ، فإن اللو[4] تفتح عمل الشيطان .

وقـــد قال بعض الناس في هذا المعنى : «الأمر[5]أمران : أمر فيه حِيْلَةٌ ، وأمر لا حِيْلَةَ فيه؛ فما فيه حِيْلَةٌ لا يُعْجَزُ عنه، وما لا حِيْلَةَ فيه لا يُجْزَعُ[6]منه »[7].

وهذا هو الذي يذكره أئمة الدين ، كما ذكر الشيخ عبد القادر[8] وغيره ؛ فإنه لابد من فعل المأمور ، وترك المحظور ، والرضى أو الصبر على المقدور.

وقـــد قـــال تعالى حكاية عن يوسف : « **أنا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا، إنه من يتَّقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** »[يوسف: ٩٠] ، فالتقوى

= وقال عنه العجلي في الثقات ص٢١٣: (تابعي ثقة)، وانظر: تهذيب التهذيب ٢٩٨/٤.

ـ لكن في سنده(بَقِيَّة بن الوليد) وهو مُدلِّس لا تُقبل عنعنته، قال عنه الذهبي:" وقال غير واحد كان مُدلِّسا، فإن قال: عن، فليس بِحُجَة " الميزان ٤٥/٢، وقد عنعن هنا ؛ فَضَعُفَ لحديث لذلك.

[1] الحديث رواه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ٢٠٤٥/٤ رقم(٢٦٥٥)، عن عبد الله بن عمر، ونصه:

" كل شيء بقدر حتى العجز والكَيْس، أو الكَيْس والعجز ".

[2] بل معناه كما سبق بيانه ص٣٠٩؛ هو ترك ما يجب فعله بالتسويف.

[3] في (ع) زيادة " كذا وكذا ".

[4] في (ك) " لو ".

[5] في الأصل وسائر النسخ " الأمور " ، والمثبت من (ظ، ك).

[6] في (ب) " لا يجز ".

[7] نسب هذا القول شيخ الإسلام ــ في موضع آخر ــ إلى ابن المقفع ، ونسبه ابن القيم في إعلام الموقعين إلى بعض السلف ، ولم أجده فيما أطَّلعت عليه من مؤلفات ابن المقفع ؛ لكن ذكر بعضه المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح، يقول:" كان ابن المقفع يقول: إذا نزل بك أمر مهم فانظر ؛ فإن كان مما له حيلة فلا تجزع ".

انظر: مجموع الفتاوى ٣٩/١٦ ، وإعلام الموقعين ٣٣٦/٣ ، والجليس الصالح ٣٦٠/١.

[8] في قوله :" لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله...." مما قد سبق للشيخ شرحه في أول الكتاب.

تتضمن فِعْلَ المأمور وترك المحظور ، والصبر يتضمن الصبر على المقدور .

وقد قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة**[1] **من دونكم لا يألونكم خبالا**[2][3]**...** » إلى قوله : «**... وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً...** »[آل عمران: ١١٨-١٢٠] .

فبيَّن سبحانه أنه مع التقوى والصبر ،لا يَضُرُّ المؤمنينَ كيدُ أعدائهم المنافقين .

وقال تعالى[4] : « **بلى إن تصبروا وتتقوا،ويأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين** »[5][آل عمران: ١٢٥] ، فبيَّن[6] أنه مع الصبر والتقوى يُمِدُّهُم[7] بالملائكة ، وينصرهم على أعدائهم الذين يقاتلونهم .

وقال تعالى : « **لتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ، ولتَسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** »[آل عمران: ١٨٦] .

---

[1] البطانة هنا : هم خاصة الرجل وأَخِلاَّئُهُ.

انظر: جامع البيان: ٦١/٤، وتفسير القرطبي ١٨١/٤.

[2] قوله:" لا يألونكم خبالا " ؛ أي لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق، ويصافونهم المودة؛ لما كان بينهم في الجاهلية، فنهاهم الله عن ذلك.

انظر: جامع البيان ٦١/٤، وتفسير القرطبي ١٨١/٤.

[3] في الأصل وسائر النسخ زيادة قوله:" ودوا " ، والمثبت من(ظ، ك).

[4] " تعالى " ليست في(ك).

[5] هذه الآية نزلت في غزوة بدر، وقد اختلف في عدد الملائكة الذين أَمَدَّ الله بهم المسلمين ؛ فقيل أمدهم أولاً بألف لقوله:" **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** "[الأنفال: ٩]، ثم بثلاثة آلاف لقوله :" ...**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزَلين** "[آل عمران: ١٢٤] ، ثم بخمسة آلاف لقوله:" **بلى إن تصبروا...**"الآية.

وقيل بل لم يمدوا إلا بألف ، وأما الثلاثة والخمسة آلاف، فقد وعدوا بها إن جاء المشركين ما وعهم به(كرز بن جابر) من المدد، لكن كرزاً بلغه هزيمة المشركين فلم يمدهم، ولم ينزل الله الثلاثة والخمسة آلاف من الملائكة، ولهذا قال الله:"...ويأتوكم من فورهم هذا..." ؛ أي يأتيكم مدد الكفار، فلما لم يأت المدد لم يتحقق المشروط، لعدم وجود الشرط.

انظر: جامع البيان ٧٦/٤.

[6] في (ك) زيادة " سبحانه ".

[7] في (أ ، ب) " يمددهم ".

فأخبرهم أن أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب، لابد أن يؤذوهم بألسنتهم ، وأخبر أنهم إن يصبروا ويتقوا فإن ذلك من عزم الأمور .

فالصَّبر والتقوى يدفع شَرَّ العدوِّ المُظْهر للعداوة ، المؤذين[1] بألسنتهم والمؤذين بأيديهم[2] ، وشرَّ العدوِّ المُبْطن للعداوة[3] وهم المنافقون .

وهذا[4] الذي كان خُلُقُ الرسول[5] صلى الله عليه وسلم ، وَهَدْيُهُ هو أكمل الأمور.

الأنبياء والصالحون متفاوتون في الأخذ بالمباحات

فأما من أراد ما يحبه الله تارة وما لا يحبه تارة ، أو لم يرد لا هذا ولا هذا، فكلاهما دون خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يكن على واحد منهما إثم .

كالذي يريد ما أُبِيْحَ له من نَيْلِ الشهوة المباحة ، والغضب والانتقام المباح ؛ كما هو خُلُقُ بعض الأنبياء والصالحين[6] ، فهو وإن كان جائزاً لا إثم فيه ، فَخُلُقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل منه[7] .

وكذلك من لم يُرِدْ الشهوات المباحة ، وإن كان يُستعان بها على أمر مستحب ، ولم يرد أن يغضب وينتقم ويجاهد[8] إذا جاز العفو ،

---

[1] في (ك) " والمؤذين ".

[2] وهم المشركون وأهل الكتاب ، قال الله تعالى فيهم: " **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** " [الممتحنة: ٢].

[3] المبطن للعداوة: هو المخفي لها.

انظر: لسان العرب ٢٢٨/١.

[4] أي إرادة ما يحبه الله ، وبغض وترك ما يكرهه الله .

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " رسول الله ".

[6] مثل سليمان حينما سأل الله أن يُعطِيَهُ مُلْكَاً لا ينبغي لأحد من بعده، قال تعالى : " **قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** " [ص: ٣٥].

[7] ولهذا قال الله تعالى:" **زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين...**" الآية، ثم قال سبحانه بعد ذلك: " **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ؛ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** " [آل عمران: ١٤- ١٥].

وقال سبحانه في فضل ترك الانتقام إذا كان لحظ النفس:" **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** " [النحل: ١٢٦].

[8] في (ك) " ويجاهد وينتقم ".

[وإن][1] كــان الانــتقام لله أرْضَــىْ لله ، كما هو أيضاً خُلُقُ بعض الأنبياء والصــالحين[2] ، فهذا وإن كان جائزاً لا إثم فيه ، فخُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل منه .

وهــذا والــذي قبله إذا كان شريعة لنبيٍّ ، فلا عَيْب على نبيٍّ[3] [فيما][4] شرع[5] الله له ، لكن قد فَضَّلَ الله بعض النبيين على بعض ، وفَضَّلَ بعض الرسل على بعض[6] .

والشريعة التي بُعث بها محمد[7] صلى الله عليه وسلم أفضل الشرائع[8] ؛ إذ كــان محمــد صــلى الله علــيه وسلم أفضل الأنبياء والمرسلين ، وأُمَّته خير أُمَّةٍ أُخْرِجَــتْ للــناس ، قــال أبــو هريــرة فــي قوله[9] : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس**...»[آل عمران: ١١٠] ، [قال][10]: « كنــــتم خيــــر النــــاس للناس[11] ؛

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ، ك).

[2] مثل: عيسى عليه السلام؛ فإنه لم يتزوج، ولم يجاهد في سبيل الله، بل كان يأمر أتباعه بالصفح والعفو ولين الجانب؛ ولهذا لم يَدْعُ على قومه بالهلاك أو العذاب ــ مع أنهم كذَّبوه ــ بل سأل الله أن يغفر لهم قال تعالى على لسانه :" **إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** " [المائدة: ١١٨].
يقول شيخ الإسلام :" فبعث الله المسيح عليه السلام باللِّين والصفح، والعفو عن المسيء ، واحتمال أذاه؛ ليُلَيِّن أخلاقهم(أي اليهود)، ويزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة . فأفرط هؤلاء(أي النصارى) في اللين حتى تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وتركوا الحكم بين الناس بالعدل، وإقامة الحدود، وترهب عبادهم منفردين ".
الجواب الصحيح ٥/٨٣.

[3] في الأصل " شيء "، والمثبت من سائر النسخ.

[4] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[5] في الأصل وسائر النسخ " شرعه "، والمثبت من (ظ ، ك).

[6] قال تعالى: " **ولقد فَضَّلْنا بعض النبيين على بعض**..." [الإسراء: ٥٥] ، وقال سبحانه :" **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**..." [البقرة: ٢٥٣].

[7] في(أ، ب، ع) " بعث الله بها محمد "، وفي(ش) " بعث بها محمداً ".

[8] قال تعالى :" **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** " [التوبة: ٣٣] ، وقال سبحانه: " **وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومُهَيْمِناً عليه**..." [المائدة: ٤٨].

[9] في (أ) زيادة " تعالى ".

[10] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش). =

وذلـــك أنهـــم[1] يأتون[2] بهم في الأقْيَادِ والسَّلاسل حتى يُدْخِلُوهم[3] الجنة » [4]، ويَـــبْذُلون أنفســـهم وأموالهم[5] في الجهاد لِنَفْعِ الناس ، فهم خير الأمم[6] للخَلْقِ ، والخَلْقُ عِيَالُ الله[7] فأحبهم إلى الله[8] أنفعهم لعياله[9] .

= [11] قوله:" قال: كنتم خير الناس للناس " سقط من (ك).

[1] قوله :" وذلك أنهم " سقط من (أ ، ب، ع، ش).

[2] في (ع) " تأتون ".

[3] في (ع) " تدخلوهم ".

[4] الأثر رواه البخاري، كتاب التفسير، باب(**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) ٢٨٤/٨ رقم(٤٥٥٧)، ونصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه(كنتم خير أمة أخرجت للناس)، قال: " خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام ".

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " أموالهم وأنفسهم ".

[6] في (ع) " الخلق ".

[7] عِيَال الرجل: من تلزمه نفقتهم .

وسُمِّي الناس عيالاً لله ؛ لأن الله يعولهم: أي يرزقهم.

انظر: النهاية لابن الأثير ٣٢١/٣، ولسان العرب ٩٣٢/٤.

[8] في (ع) " فأحبهم إليه ".

[9] يشير الشيخ ــ رحمه الله ــ إلى الحديث الذي رواه أبو يعلى في مسنده ٦٥/٦ رقم(٣٣١٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ونصه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الخلق عِيَالُ الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ".

ــ ورواه الشاشي في مسنده ٤١٩/١، عن عبد الله بن مسعود.

ــ وابن حبان في المجروحين ٢٣٨/٢، عن ابن مسعود.

ــ والطبراني في الكبير ١٠٥/١٠ رقم(١٠٠٣٣)، وفي الأوسط ٢٥٢/٦ رقم(٥٥٣٧)، كلتيهما عن ابن مسعود.

ــ وابن عدي في الكامل ١٦٢/٥، عن ابن مسعود.

ــ وأبو نعيم في الحلية ٢٣٧/٤، عن ابن مسعود.

ــ والبيهقي في شعب الإيمان ٤٣/٦ رقم(٧٤٤٥)، عن أنس.

ــ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٣٤/٦ رقم(٣٣٧٦)، عن ابن مسعود.

ــ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٥١٩/٢ رقم(٨٥٩)، عن ابن مسعود.

والحديث ضعيف بروايتيه:

فأما الأولى/ عن أنس، فقد قال عنها الهيثمي:" وفيه يوسف بن عطية الصفار، وهو متروك " ، وقال ابن حجر :" قلت تَفَرَّدَ به يوسف وهو ضعيف جداً "، وانظر ترجمته في الكامل لابن عدي ١٥٢/٧، وفي الميزان ٧/ ٣٠١.

وأما الثانية/ عن ابن مسعود، فقد قال عنها ابن الجوزي:" هذا حديث لا يصح "، وقال الهيثمي:" فيه موسى=

وأمـــا غير الأنبياء فمنهم[1] من يكون ذلك شَرْعُهُ ؛ لاتِّبَاعِه لذلك[2] النبي ، وأمـــا من كان من أهل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه ، فإنْ كان ما تــركه واجــباً عليه ، وما فعله مُحَرَّماً عليه ، كان مُسْتَحِقّاً للذَّم والعقاب ، إلا أن يكــون مُتأَوِّلاً[3] مُخطئاً ، فالله قد وَضَعَ عن هذه الأمة الخطأ والنسيان[4] ، وذنب أحدهم قد يعفو الله عنه بأسبابٍ متعددة[5] .

من أسباب الانحراف في الزهد

ومـــن أســباب هذا الانحراف ؛ أن من الناس من يَغْلِبُ عليه طريقة الزهد في إرادة نفســـــه ، فـــيزهد فـــي مُوْجِـــبِ الشـــهوة والغضـــب ، كما يفـــعل ذلـــك من يفـــعلــــه من عُبَّـــادِ المشــــركيــــن[6]

=بن عُمَيْر وهو أبو هارون القرشي، متروك "، وانظر ترجمته في المجروحين لابن حبان ٢/٢٣٨، وفي الكامل ٦/٣٤٠، وفي الميزان ٦/٥٥٤، وفي اللسان ٧/١٢١.

انظر: مسند أبي يعلى (بتحقيق حسين سليم أسد) ٦/٦٥، والعلل المتناهية ٢/٥١٩، ومجمع الزوائد ٨/١٩٤، والمطالب العالية لابن حجر ١/٣٨٤.

(1) في (ك) " منهم ".

(2) في (ع) " ذلك ".

(3) التأويل في اصطلاح المتأخرين/ هو صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره. والمُتأول: هو من يفعل ذلك.

انظر: الصواعق المرسلة ١/٧٩.

(4) كما قال تعالى:" **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...**" [البقرة: ٢٨٦] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه "، رواه ابن ماجه في سننه ١/٥٦٩ رقم(٢٠٤٣).

(5) كالــتوبة فإنها تجب ما قبلها، وإتباع السيئة الحسنة ، كما قال عليه الصلاة والسلام: " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها..." رواه الترمذي ٤/٣٥٥ رقم(١٩٨٧) ، وكذلك أداء الفرائض والنوافل من صلاة وصوم وحج وعمرة ، فإنها مكفرات لما بينها من الصغائر ، قال تعالى:" **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين** " [هود: ١١٤].

(6) المشركون هم الذين يجعلون مع الله شريكا في ربوبيته أو في ألوهيته ، وإذا أطلق الشرك فإنه ينصرف إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة ، وهو نوعان:

١ــ شرك في الربوبية ؛ وهو الاعتقاد بأن غير الله يخلق أو ينفع أو يضر أو يملك شيئا من مخلوقات الله ملكاً مطلقاً.

٢ــ شرك في الألوهية ؛ وهو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ؛ كالدعاء والذبح والنذر والاستعانة والتوكل والخوف والرجاء وغيرها.

انظر: مجموع الفتاوى ١/٨٨-١٠٠، ومعارج القبول ٢/٥٧٣- ٦١٩.

وأهلِ الكتاب[1] ؛ كالرُّهبان[2] وأشباههم .

وهؤلاء يرون الجهاد نقصاً[3] ؛ لما فيه من قتل النفوس وسَبْيِ الذُّرِّيَّة وأخذ الأمـــوال ، ويـــرون[4] أن الله لم يجعل عمارة بيت المقدس[5] على يد داود ؛ لأنه جرى على يديه سَفْكُ الدِّماء[6] .

ومنهم من لا يرى ذَبْحَ[7] شيءٍ من الحيـــوان ؛ كما عليـــه البراهمة[8] ،

---

(1) أكثر ما يطلق لفظ أهل الكتاب على اليهود؛ كما في قوله تعالى:" **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر...**" [الحشر: ٢]، وقد يُراد به اليهود والنصارى؛ كما في قوله تعالى:" **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل...**" [المائدة: ٦٨] ، وقد يراد بهم النصارى فقط؛ كما في قوله تعالى:" **يا أ هل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق؛ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه...**" [النساء: ١٧١].

والمراد به هنا النصارى لأنهم هم الذين ظهر فيهم الزهد والرهبنة.

(2) الرُّهبان/ جمع راهب وهو المجتهد من النصارى في العبادة.

انظر: تفسير القرطبي ١٢٢/٨.

(3) في (أ ، ب) " نقضاً ".

(4) في (ب، ش) " ويروون ".

(5) بيت المقدس: هي أرض الأنبياء، وهي الأرض المباركة، وإليها مَحْشَرُ الناس، وبها المسجد الاقصى، أول قبلة صلى إليها المسلمون، ومَسْرَى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

والمسجد الأقصى هو ثاني بيت وضع للناس ليعبدوا الله فيه، بعد المسجد الحرام، وقد بناه سليمان عليه السلام، ويقع في الطرف الشرقي لبيت المقدس.

وبيت المقدس تقع في أرضٍ فضاء بين جبال، وأرضها كلها حَجَرٌ من الجبال التي هي عليها، فهي لا تصلح للزراعة، ولهذا كانت مزارعها على تلك الجبال التي حولها.

انظر: معجم البلدان ١٦٦/٥ وما بعدها.

(6) ذكر الله في القرآن أن داود عليه السلام هو الذي قتل جالوت، قال تعالى:" ...**وقتل داود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة...**" [البقرة: ٢٥١].

(7) في (أ ، ب) " دفع ".

(8) البراهمة: قبيلة من قبائل الهند ، يُنْسَبون إلى (برهمي) وهو ملك من ملوكهم، وهم أشراف الهند، ومن عقيدتهم القول بالتوحيد، لكنهم ينكرون النبوات ، بل هم أصل إنكارها ، ومنهم من يميل إلى الدهرية ، ومنهم من يقول بالوثنية.

والبراهمة يعتقدون أنهم جُزْءٌ من الآلهة؛ ولهذا يتميزون عن غيرهم بملابس خاصة، عليها خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف، وهم الذين يَتَوَلَّون الوظائف الدينية، وكذا الوظائف السياسية في الهند.

أما عدم ذبحهم الحيوان ، وعدم أكلهم اللحم ؛فسببه تقديسهم للبقر وسائر الحيوان، واعتقادهم حلول الإله فيها .

انظر: الفصل ٨٦/١، والملل والنحل ٢٥٠/٢.

ومنهم من لا يُحرِّمُ ذلك[1] ، لكنَّه هو يَتَقَرَّبُ[2] إلى الله بأنه لا يذبح حيواناً ولا يأكل لحمه ، بل[3] ولا ينكح النساء ، ويقول في مَمَادِحِهِ[4] فلان ما نَكَحَ ولا ذَبَحَ.

وقـد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء ، كما في الصحيحين عن أنـس : « أن نفـراً[5] من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عَمَلِهِ في السِّرِّ ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضـهم: لا آكل اللحم ، وقال بعضهم: لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثْنَى عليه ، فقال[6]: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنِّي أصـلي وأنام[7] ،وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء[8] ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[9] .

---

[1] في الأصل " يجزم بذلك " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في (أ ، ب) زيادة " به ".

[3] " بل " سقطت من (أ ، ب ، ع ، ش).

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " ويقول مادحه ".

[5] في رواية عبد الزاق في مصنفه ١٦٧/٦، رقم(١٠٣٧٤)، عن سعيد بن المسيب مرسلا: أن النفر الثلاثة هم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون.
وقد علَّق ابن حجر على ذلك بقوله: " ...لكن في عدِّ عبد الله بن عمرو معهم نظر؛ لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أَحْسَبُ ".
انظر: فتح الباري ١٢٩/٩-١٣٠.

[6] في (أ ، ب) " وقال ".

[7] في (أ ، ب، ش) " أصلي وأنام وأصلي ".

[8] في الأصل وسائر النسخ زيادة " وآكل اللحم "، والمثبت من (ظ).

[9] الحديث رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ١٢٩/٩ رقم(٥٠٦٣)، عن أنس بن مالك ، بلفظ مقارب ، وليس فيه" ...ولا آكل اللحم...".
ـ ورواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ١٠٢٠/٢ رقم(١٤٠١)، عن أنس، بلفظ:
" أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السِّر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

وقد قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تُحَرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**[1] »[المائدة: ٨٧]، نزلت في عثمان بن مظعون[2] وطائفة معه كانوا قد عزموا على التَّبَتُّلِ ونوع من التَّرَهُّبِ[3] .

وفي الصحيحين عن سعد أنه[4] قال : « رَدَّ رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التَّبَتُّلِ ، ولو أَذِنَ له لاختصينا[6] »[7] .

---

(١) قوله "...ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " ليست في سائر النسخ.

(٢) هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْبِ بن حُذافة الجُمَحِيُّ، من السابقين إلى الإسلام، ومن سادة المهاجرين، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى هو وابنه السائب.

عاد إلى مكة لما شاع إسلام أهلها، فلما تبيَّن له كذب الخبر ، دخل في جوار الوليد بن المغيرة، ثم رَدَّهُ عليه ورضي ما رضيه الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه.

لما شَقَّتْ عليه العُزُوْبَة في المغازي، سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن له في الخصاء والتبتل ، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وبيَّن له أنه لم يُبعث بالرَّهبانية، بل بعث بالحنيفية السمحة، وأرشده إلى الصوم.

توفي سنة ثلاث للهجرة ، بعد شهوده بدراً، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وبكى عليه حتى ابْتَلَّتْ وجنتاه، وكان أول من دُفِنَ من المهاجرين في البقيع.

انظر: معجم الصحابة ٢٥٨/٢، والاستيعاب ١٠٥٣/٣، وأسد الغابة ٥٩٨/٣، والإصابة ٣٨١/٤، والتجريد ١/ ٣٧٥.

(٣) روى الطبري بسنده عن قتادة، في هذه الآية: أنها نزلت في عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وجماعة معهما، لما عزموا على أن يتزهَّدوا ويتركوا النساء.

انظر: جامع البيان ٩/٧.

(٤) " أنه " ليست في سائر النسخ.

(٥) في(ك) " النبي ".

(٦) الخِصَاءُ: هو سَلُّ خِصْيَيْ الفحل، ويكون في الدواب والناس ، قال يزيد بن الصَّعِق:

وإن الفحل تُنزع خصيتاه فيضحي جافراً قَرِحَ العِجَانِ

انظر: لسان العرب ٨٤٤/٢.

(٧) الحديث رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التَّبتل والاختصاء ١٤٥/٩ رقم(٥٠٧٣)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ونصه:

" رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا ".

– ورواه مسلم، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ١٠٢٠/٢ رقم(١٤٠٢)، عن سعد أيضاً.

الزهد المشروع

والزُّهد النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو: الزهد فيما لا ينفع في الآخـــرة[1] ، فأما ما ينفع في الآخرة ، وما يُستعان به على ذلك ، فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته .

والزُّهد إنما يُراد لأنه زهد فيما يضر ، أو زهد فيما لا ينفع ، فأما الزهد في الـــنافع[2][3] فَجَهْلٌ وضَلالٌ ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز »[4] .

والنَّافع للعبد هو عبادة الله وطاعته[5] وطاعة رسوله ، وكلما صَدَّهُ عن ذلك فإنـــه ضـــار لا نافع ، ثم الأنفع له أن تكون[6] كُلُّ أعماله عبادة لله وطاعة له[7] ، وإن أَدَّى الفـــرائض وفعل[8] مباحاً لا يُعِيْنُهُ على الطاعة ، فقد فعل ما ينفعه ومالا ينفعه ولا يضره .

الورع المشروع

وكذلك الوَرَعُ المشروع هو: الورع عما قد تُخَافُ عاقبته[9] ، وهو ما يُعْلَمُ

---

[1] هذا هو تعريف شيخ الإسلام للزهد، وقد قال فيه ابن القيم :" وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد...".

ومن التعريفات الأخرى له:

ـ عرَّفه الإمام أحمد: بأنه قِصَرُ الأمل ، وكذا قال سفيان الثوري.

ـ وعرَّفه عبد الله بن المبارك: بأنه الثِّقة بالله مع حب الفقر، وهو قول شقيق البلخي ، ويوسف بن أسباط.

ـ وقال سفيان بن عيينة: هو الشكر عند النعمة، والصبر عند البلاء.

ـ وقال الزهري: الزاهد من لا يغلب الحلالُ شكرَه والحرامُ صبرَه.

انظر: الزهد الكبير للبيهقي ص ٧٩، ومدارج السالكين ٢/١٠-١١.

[2] في (ك) " المنافع ".

[3] أي النافع في الآخرة كالجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو في الدنيا ويستعان به على ما ينفع في الآخرة، كالأكل والشرب والنكاح.

[4] سبق تخريج هذا الحديث ص٣٠٩.

[5] في الأصل " طاعة الله وعبادته "، وفي (ع) " عبادة الله وطاعة رسوله " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في (ع) " يكون ".

[7] " له " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[8] في (أ ، ب، ش) " جعل ".

[9] هذا هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للورع، وقد عرَّفه غيره من علماء السلف بتعاريف مشابهة، منها:

ـ عرفه إبراهيم بن أدهم: بأنه ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك، وهو ترك الفضلات.

ـ وعرفه يحيى بن معاذ: بأنه اجتناب كل ريبة ، وترك كل شبهة. =

تحـــريمه ، وما يُشَكُّ[1] في تحريمه[2] ، وليس في تركه[3] مفسدةٌ أعظم من فعله ؛ مثل فعل محرمٍ بِيَقِيْن ؛ مثل من يترك أخذ الشُّبهة[4] وَرَعَاً مع حاجته إليها ، ويأخذ بدل ذلك محرماً بَيِّناً تحريمه[5] ، أو يترك[6] واجباً تَرْكُهُ أعظم فساداً من فعله مع الشُّـــبهة ؛ كمن يكون على أبيه أو عليه ديون هو مطالب بها ، وليس له وفاء إلا من مال فيه شبهة[7] فيتورع عنها ، ويدع ذِمَّتَهُ وذِمَّةَ[8] أبيه مُرْتَهَنَةً .

وكذلـــك مـــن الورع الاحتياط بفعل ما يُشَكُّ في وجوبه[9] لـــكن على هذا الوجه[10].

وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخَيْرَيْنِ وشر الشَّرَّيْنِ ، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها[11] .

وإلا فمن لم يُوازن ما في الفعل والترك من المصلحة[12] الشرعية والمفســدة

= ــ وقال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك شيء فاتركه.

انظر: الزهد الكبير للبيهقي ص٣١٦، ومدارج السالكين ٢/٢١-٢٢.

[1] في الأصل " تشك "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] كما قال عليه الصلاة والسلام :" إن الحلال بيِّنٌ، وإن الحرام بيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام..." رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ رقم(١٥٩٩).

[3] أي المشكوك في تحريمه.

[4] الشُّبْهَة/ هي ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً.

انظر: التعريفات ص١٢٧، ولسان العرب ٣/٢٦٦.

[5] مثاله: من يترك الأخذ من بيت المال تورعاً ، ثم يذهب يسأل الناس، مع عدم حِلِّ المسألة له.

[6] في (ك) " ويترك ".

[7] كالمال الذي يؤخذ من بيت المال إذا كان الحاكم ظالماً.

[8] في (أ ، ب) " أو ذمة ".

[9] كزكاة الحُلِيِّ المستعمل، وصلاة الوتر ، وغسل الجمعة فإنها مشكوك في وجوبها.

[10] أي على وجهٍ لا يكون في فعله ترك لما هو مُتَيَقَّنٌ وجوبه، أو فِعْلُ أمر مُتَيَقَّنٍ تحريمه.

[11] هذه قاعدة شرعية عظيمة ، فالشريعة لم تأت إلا لتحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم.انظر في ذلك: المستصفى١/٢٨٤، وروضة الناظر ٢/٥٣٧وما بعدها، وضوابط المصلحة للبوطي ص٦٩وما بعدها.

[12] المصلحة عند الأصوليين/ هي جلب المنفعة ودفع المضرة، المفضي إلى مقصود الشارع؛ من حفظ دين الخلق وأنفسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم.

انظر: المستصفى١/٢٨٦(بتصرف).

الشرعية ، فقد يَدَعُ واجبات[1] ويَفعلُ محرمات [2] ، ويرى ذلك من الورع ؛ كمن يَـدَعُ الجهاد مع الأمراء الظَّلَمَة ويرى ذلك ورعاً ، ويَدعُ الجُمُعة والجماعة خلف الأئمـــة الذيـــن فيهم بِدْعة أو فُجُور[3] [4] ، ويرى ذلك من الورع ، ويَمْتَنِعُ عن[5] قـــبول شهادة الصادق ، وأخذ علم العالم ؛ لما في صاحبه من بدعة خَفِيَّةٍ ، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع .

عَوْدٌ إلى الكلام على الزهد المشروع

وكذلـــك الزُّهد والرَّغبة[6] ؛ من[7] لم يُرَاعِ ما يحبه الله ورسوله من الرَّغبة والزهد وما يكرهه من ذلك ، وإلا فقد يدع واجبات ويفعل محرمات ؛ مثل من يدع ما يحتاج إليه من الأكل ، أو أكل[8] الدَّسَم[9] ؛ حتى يَفْسُدَ عقله ، أو تضعف قُوَّتُهُ عمـــا يجـــب علـــيه من حقوق الله [تعالى][10] وحقوق[11] عباده ، أو يَدَعُ الأمر بالمعـــروف والنهي عن المنكر[12] ، والجهاد في سبيل الله ؛ لما في فعل ذلك من

---

[1] في (أ ، ب، ع، ش) " واجباً ".

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " محرما ".

[3] في (أ ، ب) " وفجور ".

[4] فَجَرَ الرجل فُجُوراً: انبعث في المعاصي، والفجور: الفسق والكذب.
انظر: لسان العرب ١٠٥٤/٤.

[5] في (ع) " من ".

[6] الرغبة في الشيء : ضد الزهد فيه.
انظر: لسان العرب ٥٤/٣.

[7] في (ك) " ومن ".

[8] في (ك) " وأكل ".

[9] الدَّسَمُ: كل شيء له وَدَكٌ، من اللحم والشحم، قال ابن مقبل:
وقِدْرٍ كَكَفِّ القِرْدِ لا مُستعيرها يُعار ولا من يأتها يَتَدَسَّمُ
انظر: لسان العرب ٩٧٩/٢.

[10] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[11] في (أ ، ب، ع، ش) " أو حقوق ".

[12] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة من فرائض الإسلام، وسبب لأفضلية هذه الأمة على غيرها، قال تعالى :" **كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله...**" [آل عمران: ١١٠].
وقد كان مفروضا على الأمم قبلنا؛ ولهذا بيّن الله أن سبب لعن بني إسرائيل هو تركهم لذلك ، قال تعالى: " **لعن الذين كفوا من بني إسرائيل....**" إلى قوله"...**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**" =

أذى بعض الناس والانتقام منهم ، حتى يستولي[1] الكفار والفُجَّار[2] على الصالحين الأبرار[3] ، فلا يَنْظُرُ المصلحة الراجحة في ذلك .

و[قد][4] قال تعالى : « **يسألونك عن الشهر الحرام قتَالٍ فيه ، قل قتالٌ فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عـند الله ، والفتـنة أكبر من القتل...** »[البقرة: ٢١٧] ، يقول سبحانه [وتعالى][5] وإن كـان قَتْلُ النفوس فيه شر ، فالفتنة[6] الحاصلة بالكفر وظهور أهله أعظم من ذلك ، فيُدْفَعُ أعظم الفسادين بالتزام أدناهما[7] .

وكذلك الذي يَدَعُ ذبح الحيوان ويرى[8] أن في ذبحه ظلماً له ، هو جاهلٌ ؛ فـإن هذا الحيوان لابد أن يموت ، فإذا قُتِلَ لمنفعة الآدميين وحاجتهم ، كان خيراً من أن يموت موتاً لا ينتفع به أحد ، والآدمي أكمل منه[9][10] ، ولا تَتِمُّ مصلحتـه

= [المائدة: ٧٨-٧٩] ، ومدح طائفة من أهل الكتاب ؛ لأنهم: " **يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...**" [آل عمران: ١١٤].

وحُكْمُهُ أنه فرض كفاية، ويصير فرض عين على القادر إذا لم يَقُمْ به غيره، بل ما من مؤمن إلا ويجب عليه؛ إما بيده أو بلسانه أو بقلبه، وذلك حسب استطاعته.

وقد كان القائم بهذا الواجب يسمى المحتسب، وله اختصاصات وواجبات تكلّم عنها ابن القيم في (الطرق الحكمية) فليرجع إليه.

انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/٦٠-١٧٩، والطرق الحكمية ص٣٤٤-٣٥٠، وإغاثة اللهفان ١/١١٠-١٨٠.

[1] في الأصل " يستولوا "، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في(ع) " الفجار والكفار ".

[3] في (ك) " والأبرار ".

[4] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[5] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[6] في (ش) " فللفتنة ".

[7] انظر في ذلك : جامع البيان ٢/٣٤٧.

[8] في (أ ، ب) " أو يرى ".

[9] في الأصل " منهم " ، والمثبت من سائر النسخ.

[10] كما قال تعالى:" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** " [الإسراء: ٧٠].

إلا باستعمال الحيوان في[1] الأكل والركوب ونحو ذلك[2] .

لكــن مــا لا يُحتاج إليه من تعذيبه ، نهى الله[3]عنه ؛ كصَبْر البهائم[4][5]، وذبحها في غير الحلق واللَّبَّةِ[6][7] مع القُدْرة[8] على ذلك[9] .

وأوجب الله الإحسان بحسب الإمكان فيما أباحه من القتل والذبح[10] ؛ كما في صحيح مسلم عن[11] شدَّاد بن أوس[12] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: « إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء ،فإذا قتلتم فاحسنوا القِتْلَة ، وإذا ذبحتـــــم

---

[1] في الأصل و(ك) "من " بدل " في ".

[2] ولهذا بيَّن الله سبحانه أنه سخر الأنعام لنا لنأكل منها ونركب ، قال تعالى:" **والأنعام خلقها ، لكم فيها دفئ ومنافع ومنها تأكلون** " [النحل: ٥] ، وقال سبحانه:" **الله الذي خلق لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون** " [غافر: ٧٩].

[3] في (ك) زيادة " ورسوله ".

[4] صبر الدواب: أن تُمْسَكَ حَيَّةً ثم تُرمى بشيء حتى تموت ؛ كسهم ونحوه.

انظر: النهاية لابن الأثير ٨/٣ ، ولسان العرب ٤٠٣/٣.

[5] في الحديث الصحيح: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقتل شيء من الدواب صبراً " ، رواه مسلم، كتاب الصيد، باب النهي عن صبر البهائم ١٥٥٠/٣ رقم(١٩٥٩).

[6] في (أ ، ب، ع، ش) " اللية ".

[7] اللَّبة: بفتح اللام المشددة؛ وسط الصدر وموضع النحر من الإبل وغيرها.

انظر: لسان العرب ٣٣٠/٥.

[8] " القدرة " سقطت من (ع).

[9] وأما ما لم يقدر على ذبحه كالصيد ، فيجوز أكله إذا ذكر اسم الله عليه ، قال الله تعالى:" **وما علَّمتم من الجوارح مكلِّبين تعلمونهن مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه...**" [المائدة: ٤].

[10] " والذبح " سقطت من (ع).

[11] في (ع) " من حديث " بدل " عن ".

[12] أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، ابن أخ حسان بن ثابت رضي الله عنه، وأبوه ممن شهد بدراً ، واستشهد يوم أحد.

كان من علماء الصحابة وزُهَّادهم، كانت عنده نعلين للنبي صلى الله عليه وسلم، فبقيت عنده إلى أن توفي، ثم أخذ إحداهما المهدي، وترك الأخرى لابن شداد(محمد).

نزل رضي الله عنه بيت المقدس، وبقي بها إلى أن توفي سنة ٥٨هـــ ،ودفن بها .

انظر: معجم الصحابة ٣٣٣/١ ، والاستيعاب ٦٩٤/٢ ، وأسد الغابة ٥٠٧/٢ ، والإصابة ٢٥٨/٣ ، والتجريد ٢٥٣/١.

فأحسنوا الذِّبْحَة ، وليَحُدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ[1] وليرح ذبيحته »[2] .

في مقابل الزاهدين في الإرادات طائفتان ضالتان

وهــؤلاء الذيــن زهدوا في الإرادات[3] ، حتى فيما يحبه الله ورسوله من الإرادات ، بإزائهم[4][5] طائفتان :

طائفــة رغبــت فــيما كــره الله ورسوله الرَّغبة[6] فيه ؛ من الكفر والفسوق والعصيان.

وطائفــة رغبت فيما أمر الله ورسوله ، لكن لِهَوَى[7] أنفسهم ، لا لعبادة الله [تعــالى][8] ، وهــؤلاء الذيــن يأتون بِصُوَرِ الطاعات مع فساد النِّيَّات ، كما في الصــحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه قيل له : يا رسول الله! الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حَمِيَّةً[9] ، ويقاتل رياء ، فأيُّ ذلك في سبيل الله ، فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[10] .

---

[1] الشَّفْرَة: هي السِّكِّين العريضة.

انظر: لسان العرب ٣/٣٣٣.

[2] الحديث رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ١٥٤٨/٣ رقم(١٩٥٥)، عن شداد بن أوس قال:

ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح ، وليَحُدَّ أحدكم شَفْرته ، فليُرح ذبيحته ".

[3] في (ع) " الإرادة ".

[4] في (أ، ب) " بأرائهم ".

[5] بإزاء : أي بمحاذاة.

انظر: لسان العرب ٥٨/١.

[6] في الأصل " للرغبة " ، والمثبت من سائر النسخ.

[7] في الأصل " لهوا " ، والمثبت من سائر النسخ .

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب).

[9] الحميَّة : هي الأنفة والغيرة؛ وغالباً ما تطلق على نصرة أبناء القبيلة بعضهم بعضاً.

انظر: لسان العرب ٧٣١/١.

[10] الحديث رواه البخاري ، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:" **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** " ١٣/ ٥٤١ رقم(٤٧٥٨)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ونصه:

"جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل رياء ، فأي ذلك في سبيل الله ، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ". =

قال الله تعالى[1] : « **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى ، يُراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً** »[النساء: ١٤٢].

وهؤلاء أهل إرادات فاسدة مذمومة ؛ فهم مع تركهم الواجب فعلوا المحرَّم ، وهم يشبهون اليهود كما يشبه أولئك[2] النصارى .

قال [الله][3] تعالى : « **ضُربت عليهم الذِّلة أينما ثُقفوا ، إلا بحبل من الله وحبل من الناس[4] ، وباءوا[5] بغضب من الله ، وضُربت عليهم المسكنة ؛ ذلك بـأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق[6] ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** »[آل عمران: ١١٢]..

وقال تعالى: « **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يـروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغيِّ[7] يتخذوه سبيلا** »[الأعراف: ١٤٦] .

= ورواه مسلم، كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ١٥١٣/٣ رقم(١٩٠٤).

[1] في (أ ، ب ، ش ، ك) " قال تعالى " ، وفي (ع) " وقال تعالى ".

[2] أي الذين زهدوا في الإرادات؛ وهم الذين يعملون بلا علم ؛ من الصوفية وغيرهم.

[3] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[4] أي أن اليهود لزمتهم الذلة في أي مكان وجدوا .

وحبل الله هنا هو عهد الله ، وحبل الناس هو عهدهم ؛ والمعنى أنهم لا تحصل لهم العِزَّةُ إلا بأحد هذين العهدين.

انظر: جامع البيان ٤٧/٤-٤٨.

[5] باءوا: أي رجعوا.

انظر: لسان العرب ٢٨٣/١.

[6] من الأنبياء الذين قتلهم بنوا إسرائيل: أشعياء، وزكريا، ويحيى عليهم الصلاة والسلام.

انظر: تفسير القرطبي ٢٥/٢.

[7] الغَيُّ: هو الضلال والخيبة.

انظر: لسان العرب ٢٣٨/١.

وقــال تعالى[1] : « **واتل عليهم نبأ الذي[2] آتيناه آياتنا فانسلخ منها ،فأتبعه الشــيطان فكــان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنَّه أخلد إلى الأرض[3] واتَّــبع هواه ؛ فمثله كمثل الكلب إن تَحْمِلْ عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذي كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** »[الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فهــؤلاء[4] يتبعون أهوائهم غَيّاً مع العلم بالحق ، وأولئك[5] يتبعون أهوائهم مــع الضلال والجهل بالحق ، كما قال تعالى : « **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل** »[المائدة: ٧٧] .

وكــلا الطائفتيــن تاركــة[6] مــا أمر الله ورسوله [به][7] من الإرادات والأعمــال الصــالحة ، مرتكبة لما نهى الله ورسوله عنه من الإرادات والأعمال الفاسدة .

* * *

---

(١) " تعالى " سقطت من (ع).

(٢) اختلف المفسرون في من هو المقصود هنا:

ـ فقيل: هو رجل من بني إسرائيل يقال له(بلعام بن باعرا).

ـ وقيل: بل بلعام هذا من الكنعانيين.

ـ وقيل: بل هو رجل من اليمن.

ـ وقيل: بل المراد به أمية بن الصلت ، الذي عرف الحق ولم يؤمن به.

انظر: جامع البيان ١١٩/٩-١٢١.

(٣) أخلد على الأرض: ركن إليها وسكن وأقام فيها ؛ وهو كناية عن التعلق بالدنيا وإيثارها على الآخرة.

انظر: لسان العرب ٨٧٦/٢.

(٤) أي اليهود.

(٥) أي النصارى.

(٦) في(ك) " باذلة ".

(٧) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

فصـــــل

معنى أمر الشيخ عبدالقادر وغيره من فضلاء الصوفية بترك الإرادة

فأمْرُ الشيخ عبد القادر وشيخه حَمَّاد [الدَّبَّاس][1][2] وغيرهما من المشايخ أهــل الاستقامة رضي الله عنهم ، بأنه[3] لا يريد السَّالِكُ مراداً قط ، وأنه لا يريد مــع إرادة[4] الله عز وجل[5] سواها ، بل يجري فعله فيه[6] فيكون هو مراد الحق ــ إنما قصدوا به فيما لم يعلم العبد أمر الله ورسوله فيه، فأما ما علم أن الله أمر[7] به ، فعليه أن يُرِيْدَهُ ويعمل به ، وقد صرحوا بذلك في غير موضع[8] .

وإن كان غيرهم من الغالطين يرى القيام بالإرادة الخَلْقِيَّة هو الكمال ؛ وهو الفناء في توحيد الربوبية ، وأن[9] السلوك إذا انتهى إلى هذا الحد ، فصحابه إذا قام

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[2] هو حمَّاد بن مسلم بن دَدُوْه الدباس الرحبي؛ نسبة إلى (رحبة مالك بن طوق) وهي: بلدة على الفرات بين الرقّة وبغداد.

نشأ في بغداد، وكان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، لكنه سلك طريق الصوفية فصار من شيوخهم، ويروي عنه الصوفية كرامات وخوارق كثيرة لا تصح.

كان أول أمره يتردد عليه الناس، وينذرون إليه النذور، فيقبل الأموال ويفرقها على أصحابه، ثم كره ذلك وتركه.

قال عنه الذهبي:" كان شيخ العارفين في زمانه "، وهو الذي أخذ عنه الشيخ عبد القادر التصوف، بل هو شيخه الأول فيه.

توفي سنة ٥٢٥هـــ .

انظر: السير ٥٩٤/١٩ ، والعبر ٦٤/٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٦/٥ ، وشذرات الذهب ٧٣/٤.

[3] في (أ ، ب) " بأن ".

[4] " إرادة " سقطت من (أ ، ب).

[5] " عز وجل " ليست في (ظ ، ك).

[6] في (أ ، ب) " منه ".

[7] في الأصل " أمره " ، والمثبت من سائر النسخ.

[8] من ذلك قول الشيخ عبد القادر :" افن عن الخلق بإذن الله تعالى ، وعن هواك بأمر الله...".

فتوح الغيب ص٨ (المقالة السادسة).

[9] في (أ ، ب ، ع ، ش) " فإن ".

بالأمر فلأجل غيره ، أو أنه لا يحتاج أن يقوم بالأمر ، فتلك أقوال وطرائق فاسدة قد تُكُلِّم عليها في غير هذا الموضع[1] .

المستقيمون من مشايخ الصوفية لا يجيزون الخروج عن الشرع

فأما المستقيمون من السالكين ؛ كجمهور مشايخ السلف ؛ مثل: الفُضَيْل ابن عِيَاض[2] ، وإبراهيم بن أدهم[3] ، وأبي سليمان الداراني[4] ،

---

[1] هذه هي مسألة سقوط التكاليف عن الواصل ، التي قال بها بعض الصوفية ، وقد تكلَّم شيخ الإسلام عن هذه المسألة بمزيد تفصيل في مواضع أخرى .

انظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٠١-٤٣٣ ، ٥٢٤-٥٣٩ ، ٦١٢-٦١٦.

[2] أبو علي الفُضَيْلُ بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخرساني ، إمام الزهاد والعُبَّاد في عصره، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد ، وكان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، ثم تاب إلى الله ، وزهد في الدنيا، وذهب إلى مكة فجاور في الحرم.

كان زاهداً ، ورعاً ، ثقة ، صدوقا، ولم يكن يأخذ جوائز الملوك ، بل كان يعيش على صلة عبد الله بن المبارك ، وقصته مع هارون الرشيد لما أتاه في بيته في مكة فوعظه الفضيل وذكَّره مشهورة.

قال عنه أبو حاتم :" صدوق " ، وقال الدارقطني:" ثقة " ، وقال عبد الرحمن بن مهدي:" فُضَيْلُ رجل صالح، ولم يكن بحافظ ". توفي مجاوراً بمكة سنة ١٨٧هـ .

انظر: تهذيب الكمال ٢٣/٢٨١ ، والسير ٨/٤٢١ ، والميزان ٥/٤٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/٢٤٥ ، وتهذيب التهذيب ٨/٢٩٤.

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي الخراساني ، كان أبوه من أهل الشرف والمال في خراسان ، وكان هو لاهياً في الدنيا مشتغلا بالصيد والعبث ، ثم هداه الله فتنسَّك ، ولبس لباس الزهد ، وترك خرسان إلى العراق ثم إلى الشام واستقر بها.

كان لا يأكل إلا من عمل يده ؛ حيث يشتغل أجيراً في موسم الحصاد ، ويحتطب الحطب ويبيعه ، ويأكل ثمنه ، وكان كثير الصلاة ، قليل الكلام ، زاهداً ثقة مأمونا.

توفي بالشام سنة ١٦٢ هـ .

انظر: حلية الأولياء ٧/٣٦٧ ، وتهذيب الكمال ٢/٢٧ ، والسير ٧/٣٨٧ ، وتهذيب التهذيب ١/١٠٢ ، وشذرات الذهب ١/٢٥٥.

[4] أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العَنَسِي الداراني ، أصله من واسط ، وقدم بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام فأقام بداريّا (وهي قرية بغوطة دمشق) حتى توفي ؛ فلذا نسب إليها ، فقيل الداراني.

وأما العنسي فنسبة إلى (عنس بن مالك بن مذحج) وهي من قبائل اليمن.

كان زاهداً ورعاً تقياً صاحب ديانة وتَعَفُّف ، ولم يكن من رواة الحديث ، لكن ذكر له الخطيب البغدادي إسنادا ، وقال: (لا أعلم له غيره).

توفي سنة ٢٠٥هـ .

انظر: حلية الأولياء ٩/٢٥٤ ، وتاريخ بغداد ١٠/٢٤٨ ، ووفيات الأعيان ٣/١٣١ ، والسير ١٠/١٨٢ ، والشذرات ٢/١٣.

ومعـــروف الكَرْخِـــي[1] ، والسَّرِيُّ السَّقْطي[2] ، والجنيد بن محمد[3] وغيرهم من المُتَقَدِّمِيْــنَ ، ومثل: الشيخ عبد القادر[4] ، والشيخ حمَّاد[5] ، والشيخ أبي البيان[6] وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يُسوِّغون للسالك[7] ولو طار في الهواء[8] ، أو

---

[1] أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي البغدادي ، شيخ السري السقطي ، كان أبواه من الصابئة ، فأسلم وأسلم أبواه بإسلامه ، ثم تنسَّك وانقطع للعبادة.
كان كثير الصيام والاجتهاد في العبادة ، لا يكاد يَفْتُرُ عن الذكر والدعاء ، وقيل: كان مستجاب الدعوة ، وتروى عنه كرامات كثيرة الله أعلم بصحتها.
قيل: كان حاجبا لعلي الرضا ، لكن أنكر الذهبي ذلك ، وقال :" لعل الرضا كان له حاجب اسمه معروف ، فوافق اسمه اسم زاهد العراق ".
توفي في بغداد سنة ٢٠٠هـــ .
انظر: حلية الأولياء ٣٦٠/٨ ، ووفيات الأعيان ٢٣١/٥ ، والسير ٣٣٩/٩ ، والشذرات ٣٦٠/١.

[2] أبو الحسن السري بن المُغَلِّس السقطي ، صاحب معروف الكرخي ، وشيخ الجنيد بن محمد ، من الزهاد العبَّاد ، كان كثير العبادة والأوراد ، والمخافة من الله عز وجل ، مترفعا عن حطام الدنيا.
قال عنه السخاوي:" كان إمام البغداديين في الإشارات ، وكان يلزم بيته ولا يخرج منه ، ولا يراه إلا من قصده إلى بيته ، انقطع عن الناس وعن أسبابهم ".
ولد سنة ١٦٠هـــ ، وتوفي سنة ٢٥٣هـــ .
انظر: حلية الأولياء ١١٦/١٠ ، وتاريخ بغداد ١٨٧/٩ ، والسير ١٨٥/١٢ ، وشذرات الذهب ١٢٧/٢.

[3] سبقت ترجمته ص٢٩٢.

[4] هو الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله ، انظر ترجمته وافية في أول الرسالة ص٤٢.

[5] هو الشيخ حماد الدباس ، وقد سبقت ترجمته ص٣٢٨.

[6] أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ الطريقة البيانية المنسوبة إليه بدمشق ، كان عالما عابدا زاهدا ورعا ، يعرف الفقه واللغة والشعر ، وله نظم وقصائد حِسَان، منها قصيدة في الصاد والضاد.
وله أذكار كثيرة مسجوعة، وقد كان هو والشيخ أرسلان صاحبين ، وكانا شيخي الصوفية بدمشق في عصرهما.
قال عنه الذهبي:" كان حسن الطريقة ، صَيِّنًا دَيِّنًا تَقِيًّا ، محباً للسنة والعلم والأدب ، له أتباع ومُحِبُّون ".
توفي بدمشق سنة ٥٥١هـــ ، ودفن بالباب الصغير.
وقد أقام له الملك نور الدين رباطا بعد وفاته بأربع سنين ، في شرقي دمشق عند درب الحجر.
انظر: السير ٣٢٧/٢٠ ، والعبر ١٤٤/٤ ، وطبقات الشافعية ٣١٨/٧ ، والشذرات ١٦٠/٤.

[7] في (أ ، ب) " لسالك ".

[8] في (أ ، ب، ع، ش) " الهوى ".

مشـــى علـــى المـــاء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين ، بل عليه أن يفعل المـــأمور ويَدَعَ المحظور إلى أن يموت[١] ، وهذا هو الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف[٢] .

كلام الشيخ عبدالقادر في وجوب التزام الشرع ومخالفة هوى النفس

وهذا كثير في كلامهم كقول الشيخ عبد القادر في كتاب[٣] فتوح الغيب[٤] : « اخرج من نفسك ، وتَنَحَّ[٥] عنها ، وانعزل عن مُلْكِكَ ، وسَلِّمِ الكُلَّ إلى الله تبارك

---

[١] وهذا كثير في كلا مهم ، ومن ذلك:

ـ قول أبو يزيد البسطامي(مع ما كان عليه من الضلال) :" لو نَظَرْتُم إلى رجل أُعطي من الكرامات،حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به،حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة".

ـ وقال: " الذي يمشي على الماء ليس بعجب ، لله خلق كثيرون يمشون على الماء ليس لهم عند الله قِيْمَة ".

ـ وقال أبو حمزة البزار :" لا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله ".

ـ وقال أبو سليمان الداراني :" ربما تقع في قلبي النُّكْتَةُ من نُكَتِ القوم أياماً ، فلا أقبل منه إلا بشاهدي عدل: الكتاب والسنة ".

ـ وقال الجنيد:" الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام ".

ـ وقال : " ...عِلْمُنَا هذا مُقَيَّد بالكتاب والسنة " ، وسيذكر الشيخ كلاما له في ذلك لاحقا ص٣٩٨.

ـ وقيل لعبد الله المرتعش: إن فلانا يمشي على الماء ، فقال: من مَكَّنَهُ الله تعالى من مخالفة هواه ، فهو أعظم من المشي في الهواء ".

ـ وقال الشيخ عبد القادر:" احفظ أبدا أمره، وانته أبدا نهيه، وسلم إليه مقدوره..." .

ـ وقال أيضا :" احذر معصية الله عز وجل جِدًّا ، والزم بابه حقًّا ، وابذل طوقك وجهدك في طاعته معتذرا متضرعا مفتقرا خاضعا ".

ـ وقد نقل الكلاباذي إجماع متقدمي الصوفية على ذلك ، يقول:" أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد في كتابه، وأوجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَرْضٌ واجبٌ ، وحَتْمٌ لازم على العقلاء البالغين، لا يجوز التَخَلُّف عنه....وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة؛ من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله "، وهذا لا يسلم له ؛ إذ من متقدميهم من كان يقول بسقوط التكاليف ؛ كالحلاج والبسطامي، لكن قد يقال إن متقدمي الصوفية لم يكونوا يعدون الغلاة منهم. ، والله أعلم.

انظر: التعرف ص ٧٣-٧٤ ، وحلية الأولياء ١٠/٤٠ ، والرسالة القشيرية ص ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤١١ ، ٤٣٠ ، ٤٣١، ، وفتوح الغيب ص١٠(المقالة السابعة) ،٣٤(المقالة الرابعة والعشرون).

[٢] انظر في هذه المسألة المبحث الثالث من الدراسة ص١٨٢.

[٣] " كتاب " ليست في (ظ ، ك).

[٤] فتوح الغيب ص ١٠(المقالة السابعة).

[٥] تنحى عن الشيء : مال عنه وانصرف .

انظر: لسان العرب ٦/٦٠٠.

وتعالى[١] ، وكُنْ[٢] بَوَّابَهُ على باب قلبك ، وامتثل أمره تبارك وتعالى[٣] في إدخال من يأمرك بإدخاله ، وانته نهيه[٤] في صَدِّ من يأمرك بصدِّه[٥]، فلا تُدْخِلْ الهوى[٣] قلبك بعد أن خرج منه .

فإخـراج[٦] الهـوى مـن القلب بمخالفته ، وترك متابعته في الأحوال كلها ، وإدخالـه فـي القلـب بمتابعته وموافقته[٧] ، فلا تُرِدْ[٨] إرادة غير إرادته تبارك وتعـالى[٩] وغـير ذلك منكَ تَمَنِّي[١٠] ، وهو وادي الحمقى[١١] ، وفيه حَتْفُكَ[١٢]، وهلاكك ، وسقوطك من عينه تبارك وتعالى[١٣] ، وحِجَابُك عنه .

احفـظ أبداً أمره ، وانْتَه أبداً نهيه ، وسَلِّمْ إليه أبداً مقدوره[١٤] ، ولا تُشْرِكْهُ بشيءٍ من خَلْقِهِ ، فإرادتك وهواك وشهواتك كلها[١٥] خلقه ، فلا ترد ولا تهو[١٦] ، ولا تَشْتَهِ[١٧] كيلا[١٨] تكون مشركاً[١٩] .

---

[١] " تبارك وتعالى " ليست في فتوح الغيب .

[٢] في فتوح الغيب " فكن ".

[٣] " تبارك وتعالى " ليست في فتوح الغيب.

[٤] في فتوح الغيب " بنهيه ".

[٥] في (أ ، ب) " في صده " ، وفي (ك) " في ضد من يأمرك بضده ".

[٣] في الأصل " الهوا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٦] في الأصل وسائر النسخ "وإخراج " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[٧] في فتوح الغيب " ومواقاته " ، والظاهر أنها تصحيف ، والصحيح ما أثبته الشيخ.

[٨] في (أ) " فلا يريد " ، وفي (ب) " فلا يرد ".

[٩] " تبارك وتعالى " ليست في فتوح الغيب ، و في (ك) " إرادته تعالى " .

[١٠] في فتوح الغيب " تمنٍ ".

[١١] في الأصل و(أ ، ب) " الحمقا " ، والمثبت من سائر النسخ ، وفي فتوح الغيب " الحمقاء ".

[١٢] الحَتْفُ : هو الموت .

انظر: لسان العرب ٥٦٣/١.

[١٣] " تبارك وتعالى " ليست في فتوح الغيب.

[١٤] في فتوح الغيب " وسلم أبداً لمقدوره ".

[١٥] " كلها " ليست في سائر النسخ ، وهي مثبتة في الأصل و فتوح الغيب.

[١٦] في سائر النسخ " ولا تهوى ".

[١٧] في (ع، ش) " ولا تشتهي ".

[١٨] في (أ ، ب، ع) " لئلا ".

=

قـــال [الله][1] تعالى : «... **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** »[الكهف: ١١٠] .

لـــيس الشرك عبادة الأصنام فحسب بل هو أيضاً متابعتك لهواك[2][3] ، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه ؛ من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها ، فما سواه تبارك وتعالى[4] غيره ، فإذا رَكَنْتَ إلى غيرِه فقد أشركت به غيرَه[5].

فـــاحذر ولا تَرْكَـــنْ ، وخَفْ ولا تَأْمَنْ ، وفَتِّشْ ولا تغفل[6] فتطمئن [7] ، ولا تُضِفْ إلى نفسك[8] حالاً ولا مقاماً[9] ، ولا تَدَعْ شيئاً من ذلك » .

وقال الشيخ عبد القادر أيضاً [10]: « إنما هو الله ونفسك ، وأنت المخاطب، والـــنفس ضـــد الله وعدوته[11] ، والأشياء كلها تابعة لله .... فإذا وافقت الحق في مخالفة النفس وعداوتها[12] ، فكنت[13]خصماً له[14] على نفسك » .

=[19] في (أ ، ب) " يكون شركا ".

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، أ ، ب ، ع)

[2] في فتوح الغيب " بل هو متابعتك هواك ".

[3] ولهذا بيَّن الله سبحانه أن من سار تَبَعَاً لهواه فقد اتخذه إلها، قال تعالى:" **أرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلا** " [الفرقان: ٤٣].

[4] في فتوح الغيب " عز وجل ".

[5] في الأصل و(ش) وفتوح الغيب " فقد أشركت به عز وجل ".

[6] في فتوح الغيب " فلا تغفل ".

[7] " فتطمئن " سقطت من (ك).

[8] في (أ ، ب) " ولا تصف نفسك ".

[9] الحال عند الصوفية / معنى يَرِدُ على القلب من غير تَعَمُّدٍ ، ولا اجتلاب، ولا اكتساب ؛ من طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قبض ، أو شوق ، أو انزعاج ، أو هيبة ، أو اهتياج.
والمقام / ما يتوصل إليه بنوع تَصَرُّفٍ ، ويتحقق بضرب تَطَلُّبٍ ومقاساة وتَكَلُّفٍ ، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك.
انظر: اصطلاحات الصوفية ص٥٧ ، والرسالة القشيرية ص٥٦-٥٧ ، والتعريفات ص٨٦ .

[10] فتوح الغيب ص ١٥(المقالة العاشرة).

[11] في فتوح الغيب " وعدوه ".

[12] في فتوح الغيب " فإذا وافقت الحق عز وجل في مخالفة النفس وعدوانها ".

[13] في (ظ ، أ ، ب، ع، ش) " كنت "، والمثبت من الأصل و(ك) وهي كذلك في فتوح الغيب.

[14] في فتوح الغيب " لله ".

إلـــى أن قال [١]: « فالعبادة كُلُّ العبادة[٢] في مخالفتك نفسك وهواك[٣] ، قال تعالى[٤] : « **ولا تَتَّبع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله...** »[ص: ٢٦] .

إلـــى أن قـــال[٥] : « والحكاية[٦] المشهورة عن أبي يزيد البسطامي[٧] ــ رحمـــه الله[٨] ــ لمـــا رأى رب العزَّة في المنام ، فقال له : كيف الطريق إليك يا بَارَخْذَاهُ[٩][١٠] ، فقال[١١]: اترك نفسك وتعال ، فقال[١٢] أبو يزيد[١٣] : فَانْسَلَخْتُ من نفسي كما تَنْسَلِخُ الحَيَّة من جلدها[١٤] .

فـــإذا ثَبَتَ أن الخير كله[١٥] في معاداتها في الجملة في الأحوال كلها ؛ فإن كنـــت في حال التـــقوى[١٦] ، فخـــالف[١٧] النـــــفس بـــأن تـــخرج[١٨]

---

[١] فتوح الغيب ص ١٥(المقالة العاشرة).

[٢] " كل العبادة " سقطت من (أ).

[٣] " وهواك " ليست في فتوح الغيب.

[٤] في فتوح الغيب " قال الله تعالى ".

[٥] فتوح الغيب ص١٥(المقالة العاشرة).

[٦] " والحكاية " مطموسة في (ب).

[٧] سبق التعريف به ص٢٨٨.

[٨] " رحمه الله " سقطت من (ك).

[٩] " يا بارخذاه " ليست في (أ ، ب، ع، ش) وفتوح الغيب.

[١٠] بَارَخْذَاهُ ، أو بارخدا : كلمة فارسية تعني (الله تعالى).

انظر: المعجم الفارسي د/ إبراهيم الدسوقي ٢٦٠/١.

[١١] في فتوح الغيب " قال ".

[١٢] في (ظ ، أ ، ب، ع، ش) " قال ".

[١٣] " أبو يزيد " ليست في فتوح الغيب.

[١٤] هذا القول عن أبي يزيد البسطامي ذكره:

ــ القشيري في رسالته ص ٣٦٩، ، قال: وروي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : رأيت ربي عز وجل في المنام ، فقلت: كيف الطريق إليك؟ ، فقال : اترك نفسك وتعال ".

ــ والسهلجي في النور من كلمات أبي طيفور(ضمن كتاب شطحات الصوفية) لعبد الرحمن بدوي ص٦٤.

[١٥] في فتوح الغيب " فإذا الخير كله ".

[١٦] حال التقوى عند الصوفية/ هي شهادة الأحوال على قَدَم الانفراد ، أو أن لا ترى في قلبك شيئاً سواه.

انظر: معجم المصطلحات الصوفية ص٤٧.

[١٧] في الأصل " تخالف " ، والمثبت من سائر النسخ.

[١٨] في (ع) " يخرج ".

مــن حــرام[1] الخلق وشُبَهِهِم ومِنَنِهم[2] ، والاتِّكَالِ عليهم ، والثِّقَةِ بهم ، والخوف منهم ، والرجاء لهم ، والطَّمع فيما عندهم من حُطَامِ[3] الدنيا ، فلا تَرْجُ عطاءهم[4] علــى طــريق الهديَّة ، أو الزكاة ، أو الصدقة ، أو الكفَّارة ، أو النَّذر[5] ، فاقطع همَّــك منهم من سائر الوجوه والأسباب ، .... فاخرج من الخلق جِدَّاً[6]، واجعلهم كالباب يُرَدُّ ويُفتتح، وكالشجرة[7] يوجد فيها ثمرة تارة ، وتَحِيْل[8][9] أخرى ، كل ذلــك بفعــل فاعل ، و تدبير مُدَبِّرٍ، وهو الله تبارك وتعالى[10] ، فإذا صَحَّ لك هذا كُنْتَ مُوَحِّدَاً له تبارك وتعالى[11] .

عقيدة الشيخ عبد القادر في القدر

ولا تنسى مع ذلك كَسْبَهُم[12] لتَخَــلُص[13] من مذهــب الجَبْــرِيَّـــــة[14] ،

---

[1] في (أ) " جرام ".

[2] في (أ ، ب، ش) وفتوح الغيب " ومنتهم ".

[3] في فتوح الغيب " أحكام ".

[4] في فتوح الغيب " فلا تبرح عطاياهم "، وهو مناقض للمعنى كما هو ظاهر.

[5] في فتوح الغيب " الهدية والزكاة والصدقة أو النذر ".

[6] من معاني الجِدّ : الحَقُ ، فيكون المعنى: فاخرج من الخلق حقاً. انظر: لسان العرب ٤١٥/١.

[7] في فتوح الغيب " وشجرة ".

[8] في فتوح الغيب " وتختل " ، وهو تصحيف.

[9] حالت النخلة: إذا حملت عاماً، ولم تحمل آخر.

انظر: لسان العرب ٧٦٠/١.

[10] في فتوح الغيب " جل وعلا ".

[11] في فتوح الغيب " وهو الله جل وعلا لتكون موحدا للرب ".

[12] مقصود الشيخ عبد القادر هنا هو إثبات الكسب المؤثر في إيجاد الفعل ، وليس الكسب غير المؤثر الذي تقول به الأشاعرة ، يدل على ذلك أن الشيخ كان سلَفِيَّ الاعتقاد ، كما يدل عليه قوله قبل ذلك: " واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله " ، فَنَفْيُهُ أن تَتِمَّ أفعال العباد بهم دون الله ، دليل على أنه يثبت لأفعالهم تأثيرا ، لكنها تحت مشيئة الله ؛ لأنه قال:".. لا تتم بهم.." ولو لم يثبت لهم فعلا لقال مثلا: "... لا تتم إلا بالله.."

وقد سبق الكلام على ذلك في عقيدة الشيخ في ثنايا ترجمته ص٤٨.

[13] في (أ ، ب، ع، ش) " لتتخلص ".

[14] الجبرية : ليس هناك فرقة بهذا الاسم ، إنما هو فكْرٌ قالت به بعض الفرق ، وهي متفاوتة فيه تفاوتاً عظيماً.

وأشد الفرق غلواً في الجَبْرِ هم الجهمية ؛ الذين قالوا إن الإنسان مجبور على أفعاله ، وأنه ليس له استطاعة في الفعل أو الترك ، بل هو مع القدر كالريشة في مهب الريح.

ومن قال بالجبر أيضاً الأشاعرة ؛ الذين قالوا: إن الله خالق أفعال العباد ، وهي كسب لهم ، لكن ليس لهذا =

واعـتقد أن الأفعـال لا تَـتمُّ بهم[1] دون الله تبارك وتعالى[2] ؛ لكيلا[3] تعبدهم[4] وتنسـى الله [تبارك][5] وتعالى[6] ، ولا تَقُلْ[7]: فعَلُهُمْ دون الله فتكفر[8] وتكون قَدَرِيّـاً[9] ، ولكـن[10] قل هي لله خَلْقاً وللعباد كَسْباً ، كما جاءت به الآثار ؛ لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب .

وامتثل أمر الله فيهم ، وخَلِّصْ قِسْمَكَ[11][12] منهم بـأمره ولا تجـاوزه ،

= الكسب تأثيرٌ في إيجاد الفعل ، وإنما هو مقارن للفعل ومصاحب له.

انظر: الفرق بين الفرق ص٢١١ ، والملل والنحل ٨٧/١ ، وشفاء العليل ٣٦٣/١ وما بعدها ، والصواعق المرسلة ٢٣٢/١ ، ١٥٤٧/٤-١٥٥٠.

[1] في (أ ، ب، ع، ش) " لهم ".

[2] " تبارك وتعالى " ليست في فتوح الغيب.

[3] في الأصل " كيلا " ، وفي فتوح الغيب " لا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[4] في (ش) " يعبدهم ".

[5] ما بين المعكوفين زيادة من(ع).

[6] " تعالى " سقطت من (ع).

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " ولا تقبل ".

[8] في (ش) " فيكفر ".

[9] القدرية : هم الذين ينكرون قدر الله السابق ، وينسبون الأفعال إلى العباد إرادة وخلقاً أو أحدهما.

وأول من قال بالقدر في الإسلام(معبد الجهني) ، ثم (غيلان الدمشقي) ، حيث أنكروا القدر وقالوا: إن الله لم يُرِدْ ولم يخلق الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، بل العباد هم الفاعلون لها استقلالاً.

ومن القدرية أيضا المعتزلة ؛ الذين قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد ، وإن كان عالما بها قبل وقوعها ، بل العباد فاعلون لها استقلالاً.

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أن القدرية هم مجوس هذه الأمة ، قال عليه الصلاة والسلام:" القدرية هم مجوس هذه الأمة ؛ إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم " ، رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر ٢٢٢/٤ رقم(٤٦٩١)، وقال الألباني: حديث حسن، انظر: السنة لابن أبي عاصم ص ١٦٢؛ ولهذا امتنع جمع من الصحابة من الصلاة على معبد الجهني وأصحابه. ووجه الشبه بين القدرية وبين المجوس ــ والله أعلم ــ أن كُلاً منهم يقول بوجود خالقين ؛ فالمجوس يقولون بخالقين أحدهما: خلق الخير ، والآخر: خلق الشر ، والقدرية يعتقدون أن الله خالق الكون ، والعباد خالقون لأفعالهم ، وليس الله خالقها.

انظر: الفرق بين الفرق ص١٨ ،١١٤ ، والملل والنحل ٥٦/١ ، ومجموع الفتاوى ٦٣/٨.

[10] في الأصل و(ك) " لكن " ، والمثبت من سائر النسخ.

[11] في (ع) " نفسك ".

[12] قِسم الإنسان: حظه ونصيبه.

انظر: لسان العرب ٨٧/٥.

فحكمه قائم يحكم عليك وعليهم[1] ، فلا تكن أنت الحاكم .

وكونك معهم قَدَرٌ ، والقدر ظُلْمَةٌ ، فادخل في الظلمة بالمصباح[2] وهو الحُكْمُ كتاب الله[3] وسنَّة رسوله[4] صلى الله عليه وسلم ، لا تخرج عنهما .

موقف الشيخ عبد القادر من الخاطر والإلهام

فإن خَطَرَ خَاطِرٌ[5] ، أو وُجِدَ إلهام[6] ، فاعرضهما[7] على الكتاب والسنة ، فإن وجدت فيهما[8] تحريم ذلك ؛ مثل أن تُلْهَم بالزنا أو الربا[9] أو مخالطة أهل الفسق[10] والفجور وغير ذلك من المعاصي ، فادْفَعْهُ عنك ، واهجره، ولا تَقْبَلْهُ ، ولا تعمل به ، واقْطَعْ بأنه من[11] الشيطان اللعين .

وإن وجدت فيهما[12] إباحته كالشهوات المباحة ؛من الأكل والشرب[13] واللُّبس والنكاح ، فاهجره أيضاً ولا تقبله ، واعلم أنه[14] من إلهام النفس وشهواتها، وقد أُمِرْتَ بمخالفتها وعدواتها » .

---

[1] في فتوح الغيب " فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم ".

[2] في (ع) " في المصباح ".

[3] في فتوح الغيب " فادخل بالظلمة في المصباح ، وهو كتاب الله..." ، وهو تصحيف كما لا يخفى.

[4] في (ع) " رسول الله ".

[5] الخاطر عند الصوفية / هو ما يرد على القلب من الخطاب ، أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٥٨ ، والتعريفات ص١٠٠.

[6] في (أ ، ب، ع) " وجدت إلهاماً " ، وفي (ش) " وجد إلهام ".

[7] في فتوح الغيب " فاعرضه ".

[8] في فتوح الغيب " فيها ".

[9] في الأصل وفتوح الغيب " أو الريا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[10] في(أ ، ب، ع، ش) " الفسوق ".

[11] " من " ليست في فتوح الغيب.

[12] في فتوح الغيب " فيها ".

[13] " والشرب " ليست في (ظ ، ك).

[14] في (أ) " أن ".

قلـت[١] : ومــراده بهجر المباح إذا لم يكن مأموراً به ، كما قد بيَّن مراده في غـير هذا الموضع[٢]. فإن المباح المأمور به إذا فَعَلَهُ بحكم الأمر ، كان ذلك من أعظم نعمة[٣] الله عليه ، وكان واجباً عليه[٤] .

وقد قَدَّمْتُ أنه يدعو إلى طريقة السَّابقين المقرَّبين ، لا يقف عند طريقة الأبرار أصحاب اليمين .

قــال[٥] : « وإن لم[٦] تَجِدْ في الكتاب والسنة تحريمه ولا إباحته[٧] ، بــل هــو أمــر لا تعقله[٨] ؛ مثل أن يقال لك[٩] : ائْتِ[١٠] موضع كذا وكذا ، الْقَ فلانا الصَّــالح[١١] ، ولا حاجة لك هناك ولا في الصَّالح ؛ لاستغنائك عنه بما أولاك الله تعــالى[١٢] مــن نِعَمِه[١٣] ؛ من العلم والمعرفة ، فتوقَّف في ذلك ولا تُبَادِرْ إليه ؛ فتقول: هل هذا الإلهام[١٤] من الحق[١٥] فأَعْمَلُ به ؟! ، بل انتظر الخير[١٦] في ذلك

---

[١] القائل هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

[٢] كقوله :" لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله ، ونهي يجتنبه..." ، وقوله:" احفظ أبدا أمره ، وانته أبدا نهيه..."، وسيذكر الشيخ لاحقاً من كلام الشيخ عبد القادر ما يبيِّن ذلك ص٣٤٥. انظر: فتوح الغيب ص ٥ ، ١٠-١١.

[٣] في الأصل " نعم " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٤] بناء على قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) ؛ ومثاله: ما لو شرب وأكل ونام ليتقوى بذلك على طاعة الله ، فإنه يكون مثاباً على ذلك ، بل إن ذلك يكون واجباً عليه ، لأنه لا تكون له القدرة على القيام بالطاعات الواجبة ما لم يفعل هذه الأشياء.

[٥] فتوح الغيب ص١٦ (المقالة العاشرة).

[٦] " لم " سقطت من (ش).

[٧] في فتوح الغيب " تحريمه وإباحته ".

[٨] في (ش) " لا يعقله " ، وفي (ك) " لا تفعله ".

[٩] في فتوح الغيب " مثل السائق لك " ، وهو تصحيف فيما يظهر.

[١٠] في (أ) " أنت ".

[١١] في فتوح الغيب " صالحاً ".

[١٢] " تعالى " ، سقطت من(ك) ، وهي ليست في فتوح الغيب

[١٣] في فتوح الغيب " نعمته ".

[١٤] في فتوح الغيب " هل هذا إلهام ...".

[١٥] في (أ ، ب، ع، ش) " إلهام إلا من الحق " ، وفي فتوح الغيب " من الحق جل وعلا ".

[١٦] في فتوح الغيب " الخير كله ".

وفِعْـلَ الحــقِ[١]؛ بأن يتكرر[٢]ذلك الإلهام وتُؤْمَرَ بالسَّعْيِ، أو علامةً تظهر لأهل العلم[٣] بالله[٤] تبارك وتعالى[٥] يعقلها[٦] العقلاء من أولياء الله[٧] والمُؤيَّدون[٨] من الأبدال[٩] .

وإنما لم تُبَادِرْ إلى ذلك؛ لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه،ورُبَّما[١٠] كان[١١]فيه فتنةٌ وهلاكٌ ومكرٌ من الله سبحانه[١٢]وامتحان،فاصبر حتى يكون هو[١٣] عــز وجل الفاعلَ[١٤] فيك ، فإذا تَجَرَّدَ الفعل وحُمِلْتَ إلى هناك ، واستقبلتك فتنةٌ ،

---

[١] في فتوح الغيب " الحق عز وجل ".

[٢] في (أ ، ب) " يكون " ، وفي (ش) " بتكون " ، وفي فتوح الغيب " ينكر ".

[٣] في (ك) " المعرفة ".

[٤] في الأصل " بأن الله " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٥] في فتوح الغيب " عز وجل ".

[٦] في (أ ، ب، ع، ش) " يفعلها ".

[٧] في فتوح الغيب " من الأولياء ".

[٨] في الأصل و(ع) " والمريدون " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٩] الأبدال أو البدلاء عند الصوفية: هم طائفة من الأولياء ، ومرتبة من مراتبهم ليس بعدها إلا مرتبة القطب أو الغوث؛سُمُّوا بذلك لأنهم ــ حسب زعمهم ــ أبدال الأنبياء وحلفاءهم،وعددهم سبعة لا يزيدون ولاينقصون. ويزعمون أن الله يحفظ بهم الأقاليم السبعة للعالم ، لكل بدلٍ إقليم ، وهو على قدم نبي من الأنبياء ، فالأول له الأقليم الأول ، وهو على قدم إبراهيم ، والثاني له الثاني وهو على قدم الكليم(موسى) ، والثالث له الثالث ، وهو على قدم هارون ، والرابع له الرابع ، وهو على قدم إدريس ، والخامس له الخامس ، وهو على قدم يوسف ، والسادس له السادس ، وهو على قدم عيسى ، والسابع له السابع ، وهو على قدم آدم.
كما يزعمون أن هؤلاء الأبدال عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها.
ولا يتصور أن الشيخ عبدالقادر يقصد بالأبدال ما يقصده ضلاَّل الصوفية ، وإنما هي عنده مرتبة من مراتب الولاية، وليس لصاحبها مكانة فوق مكانة البشر مما هو من خصائص الألوهية، يقول شيخ الإسلام:" وإنما توجد هذه الصورة(أي ترتيب الأولياء إلى أبدال وغيرهم) عند بعض المتوسطين من المشايخ، وقد قالها إما آثراً لها عن غيره ، أو ذاكراً لها " مجموع الفتاوى ٤٣٣/١١.
انظر: اصطلاحات الصوفية ص ٣٦ ، والتعريفات ص٤٨ ، والتوقيف للمناوي ص٢٩.

[١٠] في الأصل " ربما " والمثبت من سائر النسخ.

[١١] في فتوح الغيب " وما كان ".

[١٢] " سبحانه " ليست في سائر النسخ ، ولا في فتوح الغيب.

[١٣] أي الله تعالى.

[١٤] في (أ ، ب، ش) " هو عز وجل هو الفاعل فيك " ، وفي (ع ، ك) " يكون عز وجل هو الفاعل فيك ".

كنـــت محمولاً محفوظاً فيها ؛ لأن الله تعالى[1] لا يُعاقبك على فعله ، وإنما تَتَطَرَّقُ العقوبة[2] نحوك لكونك في الشيء[3] » .

قلـــت : فقد أمر ــ رضي الله عنه[4] ــ بأنَّ ما كان محظوراً في الشرع يجـــب تركه وَلاَبُدّ ، وما كان معلوماً أنه مباح بعينه ؛ لكونه يُفْعَلُ بحكم الهوى لا بأمـــر الشارع[5] فيُترك أيضاً ، وأما ما لم يُعلم هل هو بعينه مباح لا مضرة فيه ، أو فـــيه[6] مضرة ؛ مثل السفر إلى مكان معيَّن ، أو شخص معيَّن ، والذهاب إلى مكـــان معيَّـــن ، أو شخص معيَّن[7] ، فإن جنس هذا العمل ليس محرَّماً ، ولا كل أفـــراده مـــباحة ، بل يحرم على الإنسان أن يذهب إلى حيث يحصل له ضرر في دينه[8] .

فأمَـــرَهُ[9] بـــالكفِّ عن الذهاب حتى يُقهر ، أو يتبيَّن[10] له في الباطن أن هذا مصلحة[11] ، لأنه إذا لم يتبيَّن له أن الذهاب واجب ولا مستحب[12] لم يَنْبغِ[13] له فعلـــه ، وإذا خـــاف الضرر انْبَغَى[14] له تركه ، فإذا أُكره على الذهاب ، لم يكن

---

(1) " تعالى " ليست في فتوح الغيب.

(2) في الأصل وسائر النسخ " العقوبات " ، والمثبت من (ظ ، ك).

(3) أي إنما تعاقب على الفعل لكونك أحدثته باختيارك ، وهذا صحيح فإن مناط التكليف والثواب والعقاب هو الاختيار ؛ ولهذا كان المكره غير معاقب على فعله ، ولو كان هذا الفعل هو الكفر بالله ، قال تعالى:"**من كفر بالله بعد إيمانه ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...** "[النحل: ١٠٦] .

(4) في (ك) " رحمه الله ".

(5) في (أ ، ب) " الشرع ".

(6) في (ك) " أو منه ".

(7) في الأصل " شخص معين أو مكان معين " ، والمثبت من سائر النسخ.

(8) مثل من يؤمر بالخروج إلى الصحراء من غير زاد أو راحلة ، أو يؤمر بالذهاب إلى سلطان ظالم يخاف أن يفتنه في دينه ، أو يؤمر بترك أكل اللحم أو الدسم ؛ بحيث يضعفه ذلك عن طاعة الله ، فإذا وجد العبد في نفسه من يأمره بشيء من ذلك ، أو رأى ذلك في المنام ، فليعلم أنه من الشيطان ، وليمتنع من تنفيذ ذلك.

(9) أي أمَرَ الشيخ عبدُ القادر العبدَ.

(10) في الأصل " يبين " ، والمثبت من سائر النسخ.

(11) في (ع) " أنه مصلحة ".

(12) في الأصل وسائر النسخ " أو مستحب " ، والمثبت من (ظ ،ك).

(13) في الأصل و(ع ش) " ينبغي ".

(14) في (ع) " ينبغي ".

علـيه حرجٌ ، فلا يُؤخذ[1] بالفعل ، بخلاف ما إذا فعله باختياره وشهوته[2] ، وإذا تبيَّن [له][3] مصلحة راجحة[4] كان حسناً .

الأدلة من السنة على عدم جواز التعرُّض للبلاء

وقـد[5] جاءت شواهد السنة بأنّ[6] من ابْتُلي بغير تَعرُّضٍ منه أُعين ، ومن تعرَّض للبلاء خِيف عليه؛مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سَمُرَة[7]: « لا تسأل الإمارة ؛ فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها ، وإن أُعطيتها عن[8] غير مسألة أُعِنْتَ عليها »[9].

---

[1] في (أ ، ب) " يؤاخذ " ، وفي (ش) " يوجد ".

[2] في (أ ، ب) " أو شهوته ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[4] أي إذا تبين للعبد مصلحة راجحة في ذلك الفعل ؛ كمن أمر بالذهاب على أماكن الفسق والفجور ، ورأى مصلحة في الذهاب إلى هناك ؛ من نصح أهل الفسق ودلالتهم على الحق ، أو أمر بالذهاب إلى الأضرحة والقبور وتسويتها بالأرض ، مع عدم حصول ضرر أعظم له أو للمسلمين ، فإن ذهابه في مثل هذه الحال ، حسن بل قد يكون واجباً.

[5] في (ع) " قد ".

[6] في (أ ، ب، ش) " بل ".

[7] أبو سعيد عبد الرحمن بن سَمُرَة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي(نسبة إلى عبد شمس) القرشي ، أسلم يوم الفتح ، وكان اسمه عبد كلال فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

شهد فتوح العراق ، وهو الذي فتح سجستان في خلافة عثمان ، فولاَّه عبد الله بن عامر عليها ، ثم خرج منها إلى خرسان ففتح بها فتوحاً ، ومعه يومئذ المهلب بن أبي صفرة ، والحسن بن أبي الحسن ، وقطري بن الفجاءة ، ثم رجع إلى البصرة وبقي بها ، وإليه تنسب سكة (بن سمرة)فيها.

توفي في البصرة سنة ٥٠هـ .

انظر: الاستيعاب ٨٣٥/٢ ، وأسد الغابة ٤٥٤/٣ ، والإصابة ٢٦٢/٤ ، والسير ٥٧١/٢.

[8] في الأصل " من " ، والمثبت من سائر النسخ.

[9] الحديث رواه البخاري ، كتاب الأحكام ، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ١٥٤/١٣ رقم(٧١٤٦)، عن عبد الرحمن بن سمرة ، ونصه:

" يا عبد الرحمن بن سمرة! لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها ، فكفِّر عن يمينك ، وائت الذي هو خير ".

– ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب نَدْبِ من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ، ويكفِّر عن يمينه ١٢٧٣/٣ رقم(١٦٥٢).

ومـــنه قولـــــه : « لا تتمنوا[1] لقاء العدو ، واسألوا[2] الله العافية [فإذا لقيتموهم فاصبروا][3] »[4][5] .

وفي السنن[6] : « من سأل القضاء واستعان عليه وُكِلَ إليه ، ومن لم يسأل القضـــاء ولم يستعن عليه ، أَنْزَلَ الله عليه مَلَكَاً يُسَدِّدُهُ» ، وفي رواية: «وإن أكره عليه»[7] .

---

[1] في (ع) " ولا تتمنوا ".

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " وسلوا ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[4] هذا الحديث تأخر ذكره في (ك) إلى آخر الفصل.

[5] الحديث رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار ، أخَّرَ القتال حتى تزول الشمس ١٤٨/٦ ، رقم(٢٩٦٥ ، ٢٩٦٦) ،عن عبد الله بن أبي أوفى ، بلفظ: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لَقِيَ فيها ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيبا ، قال: أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ،فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال: اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الاحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم ".

ـــ ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تَمَنِّي لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ١٣٦٢/٣ رقم(١٧٤٢).

[6] إذا أطلقت السنن فالمراد بها السنن الأربع (سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه).

[7] الحديث رواه أبو داود، كتاب الأقضية، باب في طلب القضاء والتسرع إليه ٤٠٨/٣ رقم(٣٥٧٨) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه:

" من طلب القضاء واستعان عليه وُكِلَ إليه ، ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه أنزل الله مَلَكاً يُسَدِّدُهُ ".

ـــ ورواه الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي ٦٠٥/٣ رقم(١٣٢٣) ، وقال:" هذا حديث حسن غريب ".

ـــ وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب ذكر القضاة ٧٧٤/٢ رقم(٢٣٠٩).

ـــ والإمام أحمد في المسند ١١٨/٣.

ـــ والطبراني في الأوسط ٤٤٥/٦ رقم(٥٩٥٥) ، وقال:" لا يُرْوَى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد ، تَفَرَّدَ به عبد الأعلى الثعلبي ".

ـــ والحاكم في المستدرك ٩٢/٤ ، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه " ، ووافقه الذهبي.

ـــ والبيهقي في السنن الكبرى ١٠٠/١٠.

والحديث قال عنه شعيب الأرنؤوط :" إسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ، وبلال بن أبي موسى: وهو ابن مرداس " .

انظر: مسند الإمام أحمد(بتحقيق الأرنؤوط) ٢٢١/١٩. =

وفـــي الصـــحيحين أنه [صلى الله عليه وسلم][1] قال في الطَّاعُوْنِ[2] :« إذا ســـمعتـــم بـــه[3] بـــأرضٍ ، فلا تقدموا عليـــه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا[4] فرار منه »[5] .

ومنه أنه صلى الله عليه وسلم « نهي عن النذر »[6][7] .

= ــ وأما رواية:"... وإن أكره عليه.. " التي أشار إليها الشيخ ؛ فقد رواها الترمذي في سننه ٦٠٥/٣ ، بعد الرواية السابقة مباشرة، وقال:" هذا حديث حسن غريب وهو أصح من حديث إسرائيل عن عبد الأعلى(وهي الرواية السابقة) ".

ــ وهذه الرواية ضعيفة كسابقتها ؛ وسبب ضعفهما واحد ؛ إذ هما عن عبد الأعلى الثعلبي عن بلال بن مرداس ، وكلا هما ضعيف كما سبق.

[1] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ع، ش).

[2] الطاعون: وَرَمٌ رديء قتَّال يخرج معه تَلَهُّبٌ شديدٌ يؤلم ، يتجاوز المقدار في ذلك، ويخرج في الإبط، وخلف الأذن، وأرنبة الأنف ونحوها؛ وسببه فساد الهواء بالأوبئة والأمراض، والأخلاط الفاسدة.

انظر: زاد المعاد ٣٥/٤ ، ولسان العرب ٥٩٦/٤.

[3] " به "سقطت من (أ).

[4] في (ع) زيادة " منها ".

[5] الحديث رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ٢٢٠/١٠ رقم(٥٧٢٩)، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في قصة خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى الشام في العام الذي وقع فيه طاعون عَمْوَاسٍ، وساق الحديث بطوله، وفيه:

" ...فجاء عبد الرحمن بن عوف ــ وكان مُتَغَيِّبا في بعض حاجاته ــ فقال: إنَّ عندي في هذا علماً ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف ".

ــ وساقه البخاري أيضاً ــ بهذا اللفظ ــ مختصرا، من رواية عبد الله بن عامر رضي الله عنه برقم(٥٧٣٠) ، وبلفظ آخر عن أسامة بن زيد، وليس فيه ذكر لقصة طاعون عمواس رقم(٥٧٢٨).

ــ ورواه مسلم، مختصرا ، في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ١٧٤٢/٤ رقم(٢٢١٩).

[6] الحديث رواه البخاري ، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر ٧٠٥/١١ رقم(٦٦٩٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ونصه:

" نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر ، وقال إنه لا يَرُدُّ شيئاً ، ولكنه يُستخرج به من البخيل ".

ــ ورواه مسلم، كتاب النذر، باب النهي عن النذر ، وأنه لا يرد شيئاً ١٢٦١/٣ رقم(١٦٣٩).

[7] وجه دخول النهي عن النذر في هذا الباب ، أن الناذر يُلزِمُ نفسه بما لم يلزمه الشرع به ، فربما يعجز عن الوفاء فيأثم ، وكذلك الذي يتعرض للبلاء من غير أمر الشرع ، قد يعجز عن الصبر والثبات فيه فيأثم ، ولهذا دعا الشيخ عبد القادر إلى عدم المبادرة إلى الفعل حتى يؤمر به العبد من قبل الشرع.

ومنه قوله [صلى الله عليه وسلم][1] : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »[2] .

* * *

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[2] سبق تخريج هذا الحديث ص٢٢٥.

فصـــل

كلام الشيخ عبدالقادر على حال الحقيقة

قال الشيخ عبد القادر[1] : « وإن كنت في حال الحقيقة[2] ـ وهي حالة الولاية ـ فخالف هواك واتَّبِعْ الأمر في الجُملة .

واتِّباع الأمر على قسمين :

أقسام اتّباع الأمر عند الشيخ عبدالقادر :

أحدهمـــا : أن تأخذ من الدنيا القوت ؛ الذي هو حقُّ النفس ، وتترك[3] الحَظَّ ، وتؤدي الفرض ، وتشتغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن .

والقســم الثاني : ما كان بأمر باطن[4] وهو أَمْرُ الحق تبارك وتعالى[5] ، يأمر عبده وينهاه.

وإنما يَتَحَقَّقُ هذا[6] الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع ، على معنى أنه ليس من[7] قبيل[8] النهي[9] ولا من قبيل الأمر الواجب ، بل هو مُهْمَلٌ ،تُرِكَ[10] العـبد يتصـــرف فيه[11] باختياره فسُمِّي[12] مباحاً ، فلا يُحْدِثُ العبد فيه شيئاً من عـنده ، بل ينتظر الأمر فيه ، فإذا أُمِرَ امتثل ، فتصير[13] جميع حركاته وسكناته بـالله [تعالى][14] ؛ ما في الشرع حكمه فبالشرع ، وما ليس له حكم في الشرع

---

[1] فتوح الغيب ص ١٧ (المقالة العاشرة).

[2] حال الحقيقة عند الصوفية / هي إقامة العبد في محل الوصال إلى الله ، ووقوف سِرِه على محل التنزيل.
انظر: معجم المصطلحات الصوفية ص ٧٩.

[3] في الأصل " وترك "، وفي (ش) " وبترك "، والمثبت من سائر النسخ.

[4] الأمر الباطن كالإلهام ونحوه.

[5] في فتوح الغيب " عز وجل ".

[6] في فتوح الغيب " بهذا ".

[7] " من " سقطت من (ع).

[8] في الأصل " قبل " ، والمثبت من سائر النسخ.

[9] في(ك) " المنهي ".

[10] في الأصل " بترك " ، والمثبت من سائر النسخ.

[11] " فيه " سقطت من (ع).

[12] في (ع) " فيسمى ".

[13] في (أ ، ب) " فيصير ".

[14] ما بين المعكوفين زيادة من(أ، ب، ع، ش) ، وفي فتوح الغيب " عز وجل ".

فبالأمر الباطن ، فحينئذ يصير مُحِقّاً من أهل الحقيقة ، وما ليس فيه أمر باطن فهو مُجَرَّدُ الفعل حالة التسليم[1] .

كلام الشيخ عبدالقادر على حالة حقِّ الحقِّ

وإن كنت في حالة[2] حَقِّ الحقِّ[3] ؛ وهي حالة المَحْوِ[4] والفناء[5] ، حالة الأبدال[6] المُنْكَسِري القلوب لأجل الحق[7] ، المُوَحِّدِيْنَ العارفين ، أرباب العلوم والفعل[8] ، السادة الأمراء ، الشِّحَنْ[9][10] الخُفَرَاْءُ[11][12] للخلق[13] ، خلفاء الرحمن وأخِلاَّئِهُ[14] ، وأعيانه[15] وأحبابه[16] عليهم السلام ـ فاتِّبَاعُ الأمر فيها

---

[1] أي أن الأمر الذي لا يكون العبد مأمورا فيه بأمر ظاهر من الكتاب والسنة ، ولا باطن كالإلهام ، فإنه يسلم فيه لمجاري الأقدار، ويكون الباعث لفعله له هو مجرد التسليم للقدر.

[2] في الأصل " حال " ، والمثبت من سائر النسخ ، وفتوح الغيب.

[3] حالة حق الحق عند الصوفية/ وضحها الشيخ عبد القادر بأنها حالة المحو والفناء ؛ وهي أعلى درجات السلوك عند الصوفية ، حيث يشهد الواصل الحَقِّ(أي الله) عياناً ، فيستغني بهذا الشهود عن الخلق.

وانظر: مبحث الفناء من الدراسة ص١٤٤.

[4] المحو عند الصوفية / هو فناء أفعال العبد في فعل الحق.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص٨١ ، والتعريفات ص٢٠٤.

[5] في الأصل " المحو والثناء " ، وفي (أ ، ب، ع، ش) " المحق والفناء " ، والمثبت من(ظ ، ك) ، وفتوح الغيب.

[6] سبق التعريف بالأبدال ص٣٣٩.

[7] في فتوح الغيب " لأجله ".

[8] في فتوح الغيب " والعقل ".

[9] في الأصل و(أ) " السحن " ، والمثبت من سائر النسخ، وفتوح الغيب.

[10] الشِّحَنُ: جمع شِحنة بالكسر ، قال في اللسان: " قال ابن بري : وقول العامة في الشحنة إنه الأمير غلط".

انظر: لسان العرب ٢٧٩/٣.

[11] في الأصل " الخضراء " ، وفي(ع) " الفخر "، والمثبت من سائر النسخ.

[12] الخفراء: جمع خفير ، وقد سبق التعريف به ص٢٩٥.

[13] في فتوح الغيب " خفراء الخلق ".

[14] في (ع) " وأجلاه ".

[15] أعيان القوم: أشرافهم وأفاضلهم.

انظر: لسان العرب: ٩٤٧/٤.

[16] في فتوح الغيب " وأحبائه ".

بمخالفتك إيَّاك ؛ بالتَّبَرِّي من الحول والقوة ، وأن لا يكون[1] لك إرادة وهِمَّةٌ في شيء البَتَّة دنيا وأُخْرَى[2] ، عَبْدُ المَلِكِ لا عَبْدُ المُلْكِ ، عبد الأمر[3] لا عبد الهوى، كالطفل مع الظئر[4][5] ، والميت الغسيل[6] مع الغاسل ، والمريض المَغْلُوب على جنبه[7] مع الطبيب فيما سوى الأمر والنهي » .

كلام الشيخ عبد القادر على وجوب اتّباع الشرع في كل حال

وقال أيضاً[8] : « اتَّبِعْ الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة[9] التقوى ؛ التي هي القَدَمُ[10] الأولى[11] ، واتَّبِعِ الأمر في حالة[12] الولاية ووجود الهوى ولا تتجاوزه ؛ وهي القَدَمُ الثانية ، وارْضَ بالفعل ، ووافق ، وافْنَ في حالة البدليَّة[13] والعَيْنِيَّة[14][15]

---

[1] في (أ ، ب) " تكون ".

[2] في فتوح الغيب " وعقبى ".

[3] في (ع) " وعبد ".

[4] في (ش) " الطير ".

[5] الظئر : هي العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له ، من الناس والإبل.
انظر: لسان العرب ٤/٦٣٩.

[6] في الأصل " الغسل " ، وفي سائر النسخ " المغسل " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " حسّه " ، وفي فتوح الغيب " المقلوب على جنبيه ".

[8] فتوح الغيب ص٢٨ (المقالة الثامنة عشر).

[9] في (أ ، ب، ع، ش) " حال ".

[10] القَدَمُ عند الصوفية / هي السابقة التي حكم الحق بها للعبد أزلاً ، ويُخَصُّ بما يكمل ، ويتم به الاستعداد؛ من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد.
انظر: اصطلاحات الصوفية ص ١٤٣.

[11] في الأصل الأول ، والمثبت من سائرالنسخ.

[12] في الأصل " حال " ، والمثبت من سائر النسخ.

[13] البدلية هي مرتبة الأبدال وقد سبق التعريف بهم ص٣٣٩.

[14] في (ع) " البدلية والغوثية والقطبية ".

[15] لعلها (الغوثية) ــ كما في فتوح الغيب ــ وهي/ مرتبة من مراتب الولاية عند الصوفية ، والغَوْثُ / هو القطب حينما يُلْتَجَأُ إليه ، ولا يُسمَّى في غير ذلك الوقت غوثاً ، وممن يطلق عليه هذا اللقب عند الصوفية: الشيخ عبد القادر الكيلاني ، بل هو عندهم الغياث الأعظم.
انظر: اصطلاحات الصوفية ص ١٦٧ ، والتعريفات ص١٦٥.

والصِّدِّيقِيَّة[1] وهي المنتهى .

تَنَحَّ عن طريق[2] القدر ، خَلِّ عن سبيله ، رُدَّ نفسك[3] وهواك ، كُفَّ لسانك عن الشكوى ، فإذا فعلت ذلك؛ إن كان خيراً[4]زادك المولى طيبة ولَذَّةً وسروراً[5]، وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه ، وأزال عنك الملامة ، وأفقدك[6] فيه[7] ؛ حتى يتجاوز عنك ، ويرحل[8][9] عند انقضاء أجله ، كما ينقضي الليل فيُسْفِرُ عن النهار ، والبَرْدُ في الشتاء فيُسْفِرُ عن الصيف .

ذلك[10] أُنْمُوْذَجٌ[11][12] عندك فاعتبر به[13] ، ثم ذنوب وآثام وإجرام[14] ، وتلويث[15] بأنواع المعاصي والخطيئات[16] ، ولا يَصلُحُ لمجالسة[17] الكريم إلا طاهر[18] عن أنجاس الذنوب والزَّلَّات [ولا يُقْبَلُ

---

[1] الصِّدِّيقِيَّة: هي أعلى مراتب الولاية عند الصوفية ، وهي منتهى طريقهم.

والصِّدِّيق / هو المُبالغ في الصدق ، وهو الذي كمل تصديق كل ما جاءت به الرسل علماً وقولا وفعلا.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٣٨ ، ومجموع الفتاوى ١١/١٧.

[2] في الأصل و(ع، ش) " عن الطريق ".

[3] في (ك) " إلى نفسك ".

[4] في الأصل " كنت خبيراً " ، والمثبت من سائر النسخ.

[5] في فتوح الغيب " سرورا ولذة ".

[6] في (ك) " وفقدك ".

[7] الضمير هنا عائد على الله سبحانه وتعالى.

[8] في الأصل و(ع، ش) " ويريحك ".

[9] أي ما يأتي به القدر من الشرِّ.

[10] في (ع) " وذلك ".

[11] في الأصل و(ك) " بأنوذج " ، والمثبت من سائر النسخ.

[12] الأنموذج : لفظ أعجمي معناه: القليل من الكثير.

انظر: التوقيف للمناوي ص١٠٠.

[13] في فتوح الغيب " بهم ".

[14] الإجرام: هو الذنب والمعصية والتعدي.

انظر: لسان العرب ١/٤٤٥.

[15] في فتوح الغيب " وتلويثات ".

[16] في (أ ، ب، ع، ش) " الخطايا ".

[17] في (أ ، ب) " لمجالسه ".

[18] في الأصل " طاهراً " ، والمثبت من سائر النسخ.

علـــى شِدَّته[1] إلا طيِّبٌ من الدَّعْوَى[2][3] والهَوَاْشَاتِ[4][5] ، كما لا يَصلُحُ لمجالسة الملوك ، إلا الطاهر من الأنجاس ، وأنواع الفتن والأوساخ ، فالبلايا مُكفِّرات[6] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُمَّى يوم كفارة سنة »[7]][8] .

---

[1] في فتوح الغيب " سُدته " ، وسُدَّةُ الدار: بابه ، أو هي السقيفة التي على الباب.

انظر: لسان العرب ١١٨/٣.

[2] في فتوح الغيب " الدعاوى ".

[3] الدَّعوى: هي ما يدعيه الإنسان.

انظر: لسان العرب ٩٨٦/٢.

[4] في (ع، ش) " الهوشات ".

[5] الهَوَاْشَاتُ: هاش القوم هَوْشاً : اختلطوا وفسدوا.

انظر: لسان العرب ٨٤٤/٦.

[6] في فتوح الغيب " مكفرات مطهرات ".

[7] الحديث ــ بهذا اللفظ ــ رواه تمام الرازي في الفوائد ١٢١/٢ رقم(١٣١٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ونصه:

" حمى يوم كفارة سنة ، وحمى يومين كفارة سنتين ، وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين ".

ــ وروى نحوه القضاعي في مسند الشهاب ٧١/١ ، عن عبد الله بن مسعود، بلفظ:

" الحمى حضٌ كل مؤمن من النار ، وحمى ليلة يُكَفِّرُ خطايا سنة مُجَرَّمة ".

ــ وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٩٤ إلى: القضاعي في مسند الشهاب، وتمام في فوائده ، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ، عن أبي الدرداء(موقوفا) بلفظ: " حمى ليلة كفارة سنة ".

والحديث ضعيف بروايتيه:

ــ فأما رواية أبي هريرة فقد قال عنها ابن القيم: " وقد رُوِيَ في أثر لا أعرف حاله..." ، وقال محقق فوائد تمام :" موضوع مسلسل بالكذابين والضعفاء ".

ــ وأما رواية ابن مسعود فقد قال عنها المناوي : " وأعلَّه ابن طاهر بالحسن بن صالح ، وقال: تركه يحيى القطان وابن مهدي ، فقول شارحه العمري إنه صحيح خطأ صريح " ، والحسن بن صالح هذا ، قال عنه الذهبي في الميزان:" فيه بدعة تَشَيُّع قليل ، وكان يترك الجُمُعة " ثم نقل قول الثوري فيه:" ذاك يرى السيف على الأمة ؛ يعني الخروج على الولاة الظَّلَمَة " ، وقال الألباني عن الحديث :" ضعيف جداً " .

وفي سنده أيضا (أحمد بن راشد الهلالي) ، قال عنه الذهبي في الميزان:" أتى بخبر باطل ".

انظر: مسند الشهاب(بتحقيق حمدي السلفي) ٧١/١ ، وفوائد تمام(بتحقيق حمدي السلفي) ١٢١/٢، و زاد المعاد(بتحقيق الارنؤوط) ٢٩/٤ ، وميزان الاعتدال ٩٧/١ ، ٤٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٢٨٥/٢ ، ولسان الميزان ٢٥٨/١ ، وفيض القدير ٤٤٢/٣ ، وضعيف الجامع الصغير للألباني ١١٤/٣ ، والسلسلة الضعيفة ٨/ ٢٨ رقم(٣٥٣٢).

ــ وللحديث شاهد رواه الترمذي ، كتاب الطب، باب(٣٥) رقم(٢٠٨٩) ، عن الحسن موقوفاً، بلفظ:

" كانوا يرتجون الحمى ليلة كفارة لما نقص من الذنوب ". =

قلـــت : فقد[1] بيَّن الشيخ [عبد القادر][2] رضي الله عنه ، أن لزوم الأمر والنهي لابد منه في كل مقام ، وذَكَر الأحوال الثلاث[3] التي جعلها : حال صاحب الـــتقوى ، وحال الحقيقة ، وحال حَقِّ الحَقِّ ، وقد فَسَّرَ مقصوده بأنه لابد للعبد في كل حال من أن يريد فعل ما أُمِرَ به في الشرع ، وترك ما نُهِيَ عنه في الشرع ، وأنه إذا أَمَرَ[4] العبد بترك إرادته ، فهو فيما لم يُؤْمَرْ به ولم يُنْهَ عنه ، وهذا حَقٌّ؛ فإنه لم يُؤمر به فتكون[5] له إرادة في وجوده ، ولا نُهي عنه فتكون[6] له إرادة في عدمه ، فيخلو في مثل هذا عن إرادة النقيضين[7] .

= ـ ورواه الإمام أحمد في الزهد ص٣٤١ .

ـ والبيهقي في شعب الإيمان ١٦٧/٧ .

ـ وقال عنه المنذري:" رواه ابن أبي الدنيا أيضاً ، ورواته ثقات " ، انظر: الترغيب ١٥٣/٤.

ـ وله شاهد آخر رواه الإمام أحمد في المسند ٢٥٢/٥ ، من حديث أبي أمامة ، بلفظ:

" الحمى من كِيْرِ جهنم ، فما أصاب المؤمن منها ، كان حَظَّهُ من النار ".

ـ ورواه الطبراني في الكبير ١١٠/٨ رقم(٧٤٦٨).

ـ والروياني في مسنده ٣٠٢/٢.

ـ والبيهقي في شعب الإيمان ١٦١/٧.

ـ وابن عبد البر في التمهيد ٣٥٩/٦.

ـ وقال عنه المنذري في الترغيب ١٠٨/٦: " رواه أحمد بإسناد لا بأس به ".

ـ وفي الباب حديث جابر بن عبد الله الذي رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ١٩٩٣/٤ رقم(٢٥٧٥) ، في قصة زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأم السائب لما أصابتها الحمى ، وفيه:

" ...لا تَسُبِّي الحُمَّى فإنها تذهب خطايا بني آدم ؛ كما يُذهب الكِيْرُ خَبَثَ الحديد ".

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[1] في الأصل " قد " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[3] في الأصل و(ش) " الثلث ".

[4] أي الشيخ عبد القادر.

[5] في الأصل و(ع ، ش) " فيكون " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في (ع، ش) " فيكون ".

[7] النقيضان / هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

انظر: درء التعارض ١٧٤/٨ ، والرد على المنطقيين ص١٠٨.

وقـد بيَّن أن صاحب الحقيقة عليه أن يَلْزَمَ الأمر دائماً ؛ الأمْرُ[١] الشرعي الظاهر إن عرفه ، أو الأمر الباطن .

وبيَّـن أن الأمر الباطن[٢] إنما يكون فيما ليس بواجب في الشرع ولا محرَّم ، وأن مثل هذا يَنْتَظِر فيه الأمر الخاص[٣] حتى يفعله بحكم الأمر .

الفرق بين صاحب حال الحقيقة وصاحب حال حق الحق

فإن قلت : فما الفرق بين هذا ، وبين صاحب التقوى الذي قبله ، وصاحب حقِّ[٤] الحق الذي بعده ؟ .

قيل : أما الذين[٥] بعده الذين سماهم الأبدال ، فهم الذين لا يفعلون إلا بأمر الحـق ، ولا يفعلون إلا به ، فلا يشهدون لأنفسهم فعلاً فيما فعلوه من الطاعة[٦] ، بـل يشـهدون أنه هو الفاعل بهم ؛ ما قام بهم من طاعة أمره[٧] ، ولهذا قال : « فاتِّبَاعُ الأمر فيها بمخالفتك[٨] إياك ؛ بالتَّبَرِّي من الحول والقوة » .

فهؤلاء يشهدون توحيد الربوبية مع[٩] توحيد الإلهية ، فيشهدون أن الله هو الذي خلق ما قام بهم من أفعال البر[١٠] والخير ، فلا يرون لأنفسهم حمداً ولا مِنَّةً علـى أحد ، ويرون أن الله خالق أفعال العباد ، فلا يرون أحداً مسيئاً إليهم ، ولا يـرون لهـم حقّاً على أحد ؛ إذ قد شهدوا أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد

---

[١] في (أ ، ب، ع، ش) " والأمر ".

[٢] قوله " وبين أن الأمر الباطن " سقط من (ع).

[٣] الأمر الخاص هنا كالإلهام مثلا.

[٤] " حق " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[٥] في (أ ، ب، ع، ش) " الذي ".

[٦] في الأصل " الطاعات " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٧] وهذا هو غاية العبادة والتَّذَلُّل والخضوع لأمر الله تعالى ، وقد ورد نحو من هذا عن بعض أنبياء الله ؛ فقد ورد عن داود عليه السلام أنه قال:" إلهي! كيف أشكرك؛ وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ، فأوحى الله إليه: يا داود! ألست تعلم أن الذي بك من النعَمِ منِّي ، قال: بلى أي رب ، قال: فإني أرضى بذلك منك شكراً " رواه الإمام أحمد في الزهد ص٩١.
فداود عليه السلام أقَرَّ هنا بأنه إن شكر الله وعبده ، فليس له في ذلك مِنَّة ، بل المنة لله عليه أن وفقه لذلك الشكر والعبادة.

[٨] في الأصل " مخالفتك " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٩] قوله:" توحيد الربوبية مع " سقط من (أ ، ب، ع، ش).

[١٠] في (ع) " السر ".

وغـيرها ، وهــم يعلمون أن العباد لا يستحقون من أنفسهم ولا بأنفسهم على الله شيئاً، بل هو الذي كَتَبَ على نفسه الرحمة[1] .

ويشهدون أنه يستحق أن يُعْبَدَ لا يُشْرَكَ[2] به شيئاً[3] ، وأنه يستحق أن يُتَّقى حقَّ تقاته ؛ وحقُّ تقاته أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر[4]، فيرون أن ما قام بهم من العمل الصالح ، فهو بفضله وجوده[6] وكرمه ، له الحمد في[7] ذلك ، ويشهدون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأمــا ما قام بالعباد من أذاهم فهو[8] خالقه[9] ، وهو من عدله ، وما تركه الــناس مــن حقوقهم التي يستحقُّونها على الناس ، فهو الذي لم يخلقه ،وله الحمد على كل حال ؛ على ما فعل وما لم يفعل .

ولهذا كانوا مُنْكَسِرَةً قلوبهم ؛ لشهودهم[10] وجوده الكامل وعدمهم المَحْض،

---

[1] كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم..." ، رواه ابن ماجه، المقدمة ، باب في القدر ٢٩/١ رقم(٧٧).

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " ولا يشرك ".

[3] وهذا هو حَقُّ الله على العباد ؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ : " هل تدري ما حق الله على العباد ، قال: قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: فإن من حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...." ، رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٥٨/١ رقم(٣٠).

[4] روى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر في تفسير قوله تعالى :" **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** "[آل عمران: ١٠٢] ، قال : " حق تقاته ؛ أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر " .

انظر: جامع البيان ٢٧/٤.

[6] في (أ ، ب، ع، ش) " جوده وفضله ".

[7] في (ك) " على " ، بدل " في ".

[8] في (ك) " فالله ".

[9] في (ع) " خلقه ".

[10] الشُّهُودُ عند الصوفية / هو رؤية الحق بالحق ، وهذا يعني أنهم يرون ذات الله تعالى ، وهذا باطل ، بل الشهود الحق: هو شهود صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة ، وشهود الأفعال والمخلوقات التي يستدل بها على وجود الخالق سبحانه ، ويعظم بها إيمان العبد بالله حتى كأنه يشاهده.

انظر: اصطلاحات الصوفية ص١٥٣ ، والتعريفات ص١٣٢، ومدارج السالكين٢٣٢/٣ وما بعدها.

ولا أعظـــم انكساراً ممن لم يَرَ لنفسه[1] إلا العدم ، لا يرى[2] له شيئاً ولا يرى به شيئاً.

وصاحب الحقيقة الذي هو دون هذا قد شاركه في إخلاص الدين لله ، وأنه لا يفعـــل إلا مـــا أُمِرَ به[3] ، فلا يفعل إلا لله[4] ، لكن قَصُرَ عنه في شهود توحيد الربوبية ورؤيته ، وأنه[5] لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ليس له في الحقيقة شيء، بل الرب[6]هو [الخالق][7] الفاعل لكل ما قام به، وأن كمال هذا الشهود لا يُبْقِي[8] شيئاً من العُجْب ، ولا الكبر ونحو ذلك .

وكلاهمـــا[9] قائمٌ بالأمر مُطيعٌ لله ، لكن هذا[10] يشهد أن الله هو الذي جعله مســلماً مصـــلِّياً ، وأنه هو[11] في الحقيقة لم يحدث شيئاً ، وذاك[12][13] وإن كان يؤمن بهذا[14] ويُصدِّق به ــ إذ كان[15]مُقِرًّا بأن الله خالق أفعال العباد ــ [لكن][16] قد لا يَشْهَدُهُ[17] شُهُوْدَاً يجعله فيه بمنزلة المعدوم .

---

[1] في (ع) " نفسه ".

[2] في (أ ، ب) " ولا يرى ".

[3] " به " سقطت من (ك).

[4] في (أ ، ب، ش) " الله ".

[5] في الأصل و(ك) " أنه " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في الأصل " للرب " ، والمثبت من سائر النسخ.

[7] ما بين المعكوفين زيادة من(ظ ، ك، أ ، ب).

[8] في (أ ، ب) " لا يتقي " ، وفي (ع، ش) " لا ينفي ".

[9] أي صاحب الحقيقة ، وصاحب حقِّ الحق.

[10] أي صاحب حقِّ الحقِّ.

[11] " هو " سقطت من (ع).

[12] في (أ، ب) " وذلك ".

[13] أي صاحب الحقيقة.

[14] أي بشهود توحيد الربوبية ، وأن الله هو الذي جعله مسلما مصليا.

[15] في الأصل وسائر النسخ " إذا كان " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[16] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[17] في (أ ، ب) " لا يشهد ".

وأيضاً بينهما فَرْقٌ من جهة ثانية ؛ وهي أن الأول[١] تكون[٢] له إرادة في أمور فيتركها ، فهو يُمَيِّزُ في مُراداته بين ما يؤمر به وما ينهى[٣] عنه ، وما لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، وهذا[٤][٥] لم يبق له مراد[٦] أصلاً إلا [ما][٧] أراده الرب ؛ إمَّا أمراً به ، فيتمثله هو بالله[٨] ، وإما فعلاً فيه ، فيفعله الله به ، ولهذا شُبِّه بالطفل مع الظِّئْرِ[٩] في غير الأمر والنهي .

الفرق بين صاحب حال التقوى وصاحب حال الحقيقة

وأما الأول الذي هو في مقام التقوى العامة فإن له شهوات للمحرمات ، وله التفات إلى الخلق ، وله رؤية نفسه ، فيحتاج إلى المجاهدة بالتقوى ، بأن يَكُفَّ عن المحرمات ، وعن تناول الشهوات بغير الأمر ، فهذا يحتاج أن يُمَيِّزَ بين ما يفعله وما لا يفعله ؛ وهو التقوى .

وصاحب الحقيقة لم يَبْقَ له ما يفعله[١٠] إلا ما يُؤمر به فقط ، فلا يفعل إلا ما أُمر به في الشرع ، وما كان مباحاً لم يفعل إلا ما أمر به [باطناً][١١] .

وأما الثالث[١٢] فقد تَمَّ[١٣] شهوده في أنه لا يفعل إلا لله[١٤] وبالله ، فلا يفعل إلا ما أمر [الله][١٥] به ؛ لله ، ويشهد أن الله هو الذي فعل

---

[١] أي صاحب الحقيقة.

[٢] في (ع) " يكون ".

[٣] في (أ ، ب) " وينهى ".

[٤] في (أ ، ب) " ولهذا ".

[٥] أي صاحب حق الحق.

[٦] في الأصل و(أ، ب، ش) " مراداً ".

[٧] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[٨] في (ك) زيادة " تعالى ".

[٩] في (ب) " الطير " ، وفي(ع) " الضئر ".

[١٠] قوله: " وهو التقوى ، وصاحب الحقيقة لم يبق له ما يفعله " سقط من(أ ، ب).

[١١] ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك).

[١٢] وهو صاحب حق الحق.

[١٣] في الأصل " ثم " ، والمثبت من سائر النسخ.

[١٤] في (ش) " الله ".

[١٥] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

ذلـــك[1] في الحقيقة ، ولا يكون هَمُّهُ إرادة[2] أن يفعل لنفسه ولا لغير الله[3] ، ولا يفعل بنفسه ولا بغير الله [تعالى][4][5] .

والـــثلاثة مشتركون في الطريق[6] ؛ في أن كلاً منهم لا يفعل إلا الطاعة ، لكن يتفاوتون بكمال المعرفة والشهادة ، وبصفاء النية والإرادة والله أعلم[7] .

---

(1) في الأصل " ذاك " ، والمثبت من سائر النسخ.

(2) في (أ ، ب، ع، ش) " ولا تكون له همة أو إرادة ".

(3) أي أنه لا يفعل فعلا لحظ نفسه ، ولا لأجل الناس ، بل تكون أفعاله كلها خالصة لله تعالى ، كما قال تعالى " **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين** "[الأنعام: ١٦٢].

(4) ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب).

(5) أي أنه يعتقد أن ما يصدر عنه من الطاعات ، إنما هو بتوفيق الله له ، فيحمد الله ويشكره على ذلك ؛ لأن الله هو خالق أفعال العباد ، قال تعالى" ...**والله خلقكم وما تعملون** "[الصافات: ٩٦] ، وهو الذي يهدي ويضل ، قال تعالى:"... **فإن الله يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء**..."[فاطر: ٨].

وليس مقصود الشيخ عبد القادر بذلك ما قد يتبادر إلى أذهان متأخري الصوفية ؛ من الفناء في ذات الله ، أو حلول الله في عبده، حاشا وكلا ؛ إذ لا يمكن ــ مع ما عرف عنه من سلامة المعتقد ــ أن يقول مثل هذا الكلام.

(6) الطريق عند الصوفية / هو عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، فإنَّ تَتَبُّعَ الرُّخص سَبَبٌ لِتَنْفِيسِ الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق.

انظر: التعريفات ص١٤٤، والتوقيف للمناوي ص٤٨٢.

(7) قسم الشيخ عبدالقادر المؤمنين إلى ثلاثة أقسام:

الأول/صاحب التقوى ؛ وهو الذي يفعل الطاعات ، ويجتنب المحرمات، لكن له شهوة للمحرمات ــ وإن لم يفعلها ــ والتفات إلى الخلق، وتعلق بهم، وتطلع إلى ما في أيديهم، فيحتاج إلى مجاهدة نفسه؛ حتى لا تميل مع الشهوات فتقع في المعاصي، وحتى يكتمل توكله على الله ، ويترك التعلق بالمخلوقين.

والثاني/ صاحب الحقيقة؛ وهوأعلى درجة من صاحب التقوى؛ فهو بالإضافة إلى أنه لا يفعل إلا الطاعات، فإنه ليس له التفات إلى الشهوات المحرمة، ولا تعلق بغير الله، لكن بقيت لديه الإرادة في فعل ما يريد؛ ولهذا فإنه ينتقم لنفسه إذا أوذي ، ويكون لحظ النفس فيه بقية.

والثالث/ صاحب حق الحق؛ وهو الذي ليس له إرادة إلا في فعل ما أمره الله به؛ سواء كان أمراً ظاهراً وهو الشرع، أو باطناً وهو الإلهام. كما أنه إذا فعل الطاعة لم ير لنفسه منة ولا فضلاً، بل يشهد أن الله هو الذي وفقه لفعل الطاعة ، وأن ذلك نعمة تستوجب الشكر. أما ما آذاه العباد به أو تركوه من حقه ، فإنه لا ينتصر لنفسه ؛ لاعتقاده أن ذلك مقدَّر عليه ، إلا أن تنتهك محارم الله فإنه ينتصر لله.

وهذا التقسيم يختلف عن التقسيم الشرعي المشهور؛ وهو المسلم والمؤمن والمحسن ، أو الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ؛ وذلك أن الثلاثة الذين ذكرهم الشيخ عبدالقادر هم ممن بلغوا مرتبة الإيمان،=

هل هناك من الحوادث ما ليس فيه حكم شرعي بحيث يقف فيها العبد مع القدر ؟

فإن قيل : كلام الشيخ كله يدور على أنه يَتَّبِعُ الأمر مهما[١] أمكن معرفته ظاهراً وباطناً ، وما ليس فيه أمر باطنٌ ولا ظاهر ، يكون فيه مُسَلِّماً لفعل الرب ، بحيث لا يكون له اختيار[٢] لا في هذا ولا في هذا ، بل إن عرف الأمر كان معه، وإن لم يعرفه كان مع القدر ، فهو مع أمر الرب إن عرف[٣] وإلا فمع خلقه ، فإنه سبحانه له الخلق والأمر[٤]،وهذا يقتضي أن من[٥] الحوادث ما ليس فيه أمر ولانهي[٦] ، فلا يكون لله فيه حكم لا باستحباب ولا كراهة[٧] .

وقد صَرَّحَ بذلك هو والشيخ حماد الدبّاس[٨] ، وأنَّ السَّالك يصل إلى أمور لا يكون فيها حكم شرعي[٩] ؛ بأمر[١٠] ولا نهي ، بل يقف العبد مع القدر[١١] .

وهذا الموضع هو الذي يكون السالك فيه عندهم مع الحقيقة القدرية

=وليس فيهم ظالم لنفسه ؛ يدل على ذلك أن أدناهم درجة ــ وهو صاحب التقوى ــ لا يفعل إلا الطاعة ، ولا تقع منه المعاصي ، وهذه حال المؤمن ، بخلاف المسلم والظالم لنفسه فإنهما يشملان مرتكب الكبيرة ؛ ممن فعل واجبا أو ترك محرماً ، والله أعلم.

[١] في (أ ، ب، ش) " بهما ".

[٢] في (ك) " اعتبار ".

[٣] قوله :" الرب إن عرف " مكانه بياض في(ك).

[٤] قال تعالى:" **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**"[الأعراف: ٥٤].

[٥] في (ع) " في ".

[٦] وهو المباح الذي لم تصحبه نية الاستعانة به على طاعة أو معصية ، وسيأتي من كلام الشيخ ما يوضح ذلك ، وانظر: المبحث الأول من الدراسة ص١٦٩.

[٧] في الأصل " كراهية " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٨] سبق التعريف به ص٣٢٨.

[٩] " شرعي " سقطت من (ع).

[١٠] في الأصل " يأمر " ، والمثبت من سائر النسخ.

[١١] من ذلك قول الشيخ عبد القادر:" وأن لا يكون يكون لك إرادة وهمة في شيء البَتَّة دنيا وعقبى...كالطفل مع الظئر ، والميت الغسيل مع الغاسل ، والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب فيما سوى الامر والنهي ".

فتوح الغيب ص١٧(المقالة العاشرة).

المحضة ؛ إذ ليس هنا حقيقة شرعية[1] .

وهذا مما يُنَازِعُ فيه أَهْلُ العلم بالشريعة ، ويقولون : [2]الفعل إما أن يكون – بالنسبة إلى الشرع – وُجُوْدُهُ راجحاً على عدمه، وهو الواجب[3]والمُستحب[4]، وإمـــا أن يكون عدمه راجحاً على وجوده ، وهو المحرَّم[5] والمكروه[6] ، وإما أن يستوي الأمران وهو المباح[7] ، هذا التقسيم بحسب الأمر المطلق[8] .

ثـــم الفعـــل المُعَيَّنُ الذي يقال هو مباح ؛ إما أن تكون[9] مصلحته راجحة للعبد؛ لاستعانته به على طاعة[10] ، ولحسن[11] نِيَّته ، فهذا يصير أيضاً[12] محبوباً

---

[1] قال ناسخ (ع) هنا :" قف فتأمل " ، وهو كما قال ؛ إذ هو مطلب نفيس.

[2] في (ك) زيادة " إن ".

[3] الواجب عند الأصوليين/ هو الفعل المطلوب الذي يلام تاركه شرعاً. وسيذكر الشيخ له تعريفاً آخر بعد قليل ص٣٦٤.

انظر: المسودة ١٠٠٤/٢، وروضة الناظر ١٥٠/١ .

[4] المستحب أو المندوب عند الأصوليين/ مأمور لا يلحق بتركه ذم ، من حيث تركه ، من غير حاجة إلى بدل.

انظر: روضة الناظر ١٨٩/١ ، والمسودة ١٠٠٥/٢.

[5] المحرم أو المحظور عند الأصوليين/ ما تُوُعِّد بالعقاب على فعله.

انظر: روضة الناظر ٢٠٨/١ ، المسودة ١٠٠٥/٢.

[6] المكروه عند الأصوليين/ هو ما نُهي عنه قصداً ولم يحرَّم.

انظر: المسودة ١٠٠٦/٢، وروضة الناظر ٢٠٦/١ .

[7] المباح عند الأصوليين/ هو الذي لا مَزِيَّةَ لفعله على تركه ، ولا لتركه على فعله شرعاً.

انظر: المسودة ١٠٠٦/٢ ، وروضة الناظر ١٩٤/١.

[8] انظر كلام ابن قدامة على هذا التقسيم في روضة الناظر ١٤٦/١– ١٤٨.

[9] في (ك، ع) " يكون ".

[10] في (أ، ب، ع، ش) " طاعته ".

[11] في (ع) " وحسن ".

[12] في (ع) " أيضا يصير ".

راجح الوجود بهذا الاعتبار ، وإما أن يكون مُفَوِّتاً للعبد ما هو أفضل له ؛ كالمباح الذي يُشْغِلُهُ عن مستحب ، فهذا عدمه خير له [1] .

والسَّالك المُتَقَرِّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، لا يكون[2] المباح المُعَيَّن فـــي حقِّـــه مُسْتَوِيَ الطرفين ، فإنه إذا لم يستعن[3] به على طاعة[4] ، كان تَرْكُهُ وفعـــل طاعـــة مكانه خيراً له ، وإنما قُدِّرَ وجوده وعدمه سواء إذا كان مع عدمه يشتغل بمباح مثله .

فَـــيُقال: لا فرق بين هذا وهذا[5] ، فهذا[6] يَصْلُحُ للأبرار أهل اليمين الذين يـــتقربون إلى الله بالفرائض : أداء[7] الواجبات وترك المحرَّمات ، ويشتغلون مع ذلك[8] بمباحات .

فهؤلاء قد يكون المباح المعيَّن يستوي[9] وجوده وعدمه في حقهم ؛ إذا كانوا عند عدمه يشتغلون بمباح آخر ، ولا سبيل إلى أن تترك النفس فعلاً إن لم تشتغل بفعل آخر يُضَادُ الأول ؛ إذ لا تكون مُعَطَّلَةً عن جميع الحركات والسكنات[10] .

---

[1] قال ناسخ (ع) هنا :" مطلب مفيد " ، وهو كما قال رحمه الله.

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " يكون ".

[3] في(ب) " يستغن ".

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " طاعته ".

[5] أي بين أن لا يفعل من المباحات إلا ما يُستعان به على طاعة ، وبين أن يفعل مطلق المباحات.

[6] أي فعل مطلق المباحات.

[7] في الأصل " إذا " ، وفي (أ ، ب، ع، ش) " وأداء " ، والمثبت من(ظ ، ك).

[8] قوله: " ويشتغلون مع ذلك " مكانه بياض في الأصل.

[9] في (ش) " يستوفي ".

[10] أي لا تكون النفس معطلة عن الحركات والسكنات ؛ وذلك أن النفس لابد لها من شيء تشتغل به ، فإن لم تشتغل بالحلال اشتغلت بالحرام ، فلا يمكن للنفس ــ بمقتضى حياتها ــ أن تكون معطلة عن الفعل ، وإنما يكون الإنسان معطلاً عن الفعل إذا مات.

إنكار الكعبي للمباح في الشريعة

ومن هنا[1] أنكر[2] الكعبيُّ[3] المباح في الشريعة ؛ لأن كل مباح فهو يَشْتَغِلُ به عن محرَّم ، وترك المحرم واجب ، ولا يمكنه تركه إلا أن يشتغل بِضِدِّه[4] وهذا المباح ضِدُّهُ ، والأمر بالشيء نهي عند ضده ، والنهي عنه أمر بضده المُعَيَّن إن لم يكن له إلا ضِدٌّ واحد ، وإلا فهو أمر بأحد[5] أضداده ، فأيُّ ضد تَلَبَّسَ بهكان واجباً من باب الواجب المُخَيَّر[6][7] .

---

[1] في (أ ، ب) " ومن هذا ".

[2] " أنكر " سقطت من (ع).

[3] أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي ، والمعروف بالكعبي ، شيخ المعتزلة.
كان يكتب الإنشاء لأحمد بن سهل متولي نيسابور ، فثار أحمد طلبا للملك ، فلم يتم له ما أراد ، فسُجن الكعبي ، ثم أطلقه وزير بغداد علي بن عيسى ، فقدم بغداد وناظر فيها على مذهبه.
إليه تنسب فرقة الكعبية من المعتزلة ؛ وهم الذين زعموا أن لا إرادة لله ولا مشيئة على الحقيقة ، وأن جميع أفعال الله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة ، كما أوجبوا على الله فعل الأصلح في باب التكليف.
كما زعموا أن الله لا يرى شيئا في الحقيقة ؛ لا نفسه ولا غيره ، كما أنه سبحانه لا يسمع على معنى الإدراك المُسَمَّى بالسمع ، وتأولوا السميع على معنى أنه عليم بالمسموعات.
من مؤلفاته:(المقالات ــ والجدل ــ والتفسير الكبير ...)وغيرها.
توفي ببلخ سنة ٣٢٩هـ .
انظر: تاريخ بغداد ٣٨٤/٩ ، والفرق بين الفرق ص١٨١-١٨٢ ، والأنساب ٤٤٤/١٠ ، ووفيات الاعيان ٣/ ٤٥ ، والسير ٣١٣/١٤.

[4] الضِدَّان/ صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما ، لكن يمكن ارتفاعهما ؛ كالسواد والبياض.
انظر: التعريفات ص١٤٠.

[5] في (ش) " باجد ".

[6] الواجب المُخَيَّر/ هو ما طلبه الشارع لا بعينه ، بل خيَّر في فعله بين أفراده المُعَيَّنة المحصورة.
انظر: روضة الناظر ١٥٦/١.

[7] انظر في إنكار الكعبي للمباح: الإحكام للآمدي ١٦٨/١ ، وروضة الناظر ٢٠٣/١ ، والمسودة ٨٨/١.

اعتراض الأصوليين على الكعبي في إنكاره للمباح

وسؤال الكعبي هذا أَشْكَلَ على كثير من النُظَّارِ ؛ فمنهم من اعترف بالعجز عن جوابه [كأبي الحسن][1]الآمدي[2][3] ، وقَوَّاهُ طائفة بناء على أن النهي عن الشيء أمر بضده كأبي المعالي[4][5] ، ومنهم من قال هذا فيما كانت أضداده محصورة ،

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[2] أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي.

تفقه على مذهب الإمام أحمد أوّل الأمر ، ونزل بغداد ، ودرَّس بها مدة ؛ الفقه والأصول ، وقصده الطلاب من كل البلاد.

ثم إنه دَرَسَ مذهب الشافعي ، وترك بغداد إلى مصر ، واشتغل بالكلام والمنطق والفلسفة ، وألَّف فيها وناظر ، حتى أُهدر دمه بمصر ورُمي بالانحلال ، فهرب إلى الشام ، وأقام بدمشق.

أسند إليه الملك المُعَظَّم بن العادل التدريس بعزيزية دمشق ، فكان يُدَرِّس بها علم الكلام ، ثم عُزل عنها ، ومُنع تدريس الكلام بها ، واقْتُصِرَ على تدريس التفسير والفقه ، فبقي الآمدي في بيته خاملا حتى توفي.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: " يغلب على الآمدي الحيرة والوقف " ، وقيل كان لا يصلي ، نعوذ بالله من الخذلان!.

من مؤلفاته:(الإحكام في أصول الأحكام ــ وأبكار الأفكار ــ ومنتهى السول في الأصول...) وغيرها.

توفي بدمشق سنة ٦٣١هـ ، ودفن بسفح جبل قاسيون.

انظر: وفيات الأعيان ٢٩٣/٣ ، والسير ٣٦٤/٢٢ ، والعبر ١٢٤/٥ ، والشذرات ١٤٤/٥.

[3] يقول الآمدي بعد ذكره لقول الكعبي:" وبالجملة وإن استبعده من استبعده ، فهو في غاية الغَوْصِ والإشكال ، وعسى أن يكون ثَمَّ غيري حَلَّهُ ".

الإحكام للآمدي ١٦٩/١.

[4] إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي.

تفقه في مذهب الشافعي على والده ، ثم لما مات دَرَّسَ مكانه ، وهو ابن عشرين سنة ، ثم ترك نيسابور إلى بغداد ، وناظر هناك فذاع صيته ، ثم عاد إلى نيسابور فدَرَّسَ في نظاميتها.

كان قليل العلم بالحديث ، متوسعا في علم الكلام ، فقاده ذلك إلى القول ببعض كلام الفلاسفة ؛ مثل: أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

لكنه تاب في آخر حياته ، ورجع إلى منهج السلف ، وتَبَرَّأَ من الكلام ، وحذَّر من الاشتغال به ، وتمنى أن يموت على دين عجائز نيسابور.

من مؤلفاته :(الإرشاد ، والبرهان ، وغياث الأمم ، والرسالة النظامية...) وغيرها.

توفي بنيسابور سنة ٤٧٨هـ .

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ ، وطبقات الشافعية ١٦٥/٥ ، والسير ٤٦٨/١٨ ، والشذرات ٣٥٨/٣.

[5] يقول الجويني:" مما يتعلق بالمناهي الرد على الكعبي في مَصِيْرِهِ إلى أنه لا مباح في الشريعة ، وبنى ذلك على أن كل فعل يشار إليه فهو عينه تَرْكُ المحظور ،وتَرْكُ المحظور واجب ، فلا شيء على هذا إلا ويقع واجباً ؛ من جهة وقوعه تركاً لمحظور ...ونحن لا ننكر أن المباحات تقع ذرائع إلى الانكفاف عن =

فأمـــا مـــا ليست أضداده محصورة ، فلا يكون النهي عنه أمراً بأحدها[1] ، كما[2] يُفرَّقُ بين الواجب المُطلق[3] والواجب المُخَيَّر[4] ، فيقال في المُخَيَّر : هو أمْرٌ بأحد الثلاثة ، ويقال في المطلق: هو أمْرٌ بالقَدْرِ المشترك ، وجَدُّنَا[5][6] يميل إلى هذا[7].

= المحظورات ".

البرهان في أصول الفقه للجويني ٢٠٥/٢.

[1] في (ك) " بأحدهما ".

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " لما ".

[3] الواجب المطلق / هو الذي لم يقيد طلب إيقاعه بوقت من العمر ؛ كالنذور المطلقة والكفارات.

انظر: موسوعة مصطلحات أصول الفقه د/ رفيق العجم ١٦٩٢/٢.

[4] سبق التعريف بالواجب المخير ص٣٥٩.

[5] في الأصل و(ك) " وجدي أبو البركات " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] هو مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحراني ، الإمام المقرئ المحدث المفسر الأصولي النحوي.

نشأ يتيماً وطلب العلم بحرّان صغيراً ، ثم ارتحل مع ابن عمه إلى بغداد ، وأقام بها ست سنين يطلب الفقه والأصول والتفسير والنحو ، وقد انبهر أهل بغداد بعلمه وذكائه ، وسألوه الإقامة عندهم ، فتعلَّل بالأهل والوطن ، ورجع إلى حرّان.

كان ــ رحمه الله ــ آية في الحفظ ، قال عنه شيخ الإسلام(حفيده):" كان جَدُّنَا عجباً في سَرْدِ المتون ، وحفظ مذاهب الناس ، وإيرادها بلا كُلْفَةٍ ".

وقال عنه جمال الدين بن مالك: " أُلين للشيخ المجد الفقه ، كما أُلين لداود الحديد ".

وقال الذهبي:" كان الشيخ مجد الدين معدوم النظير في زمانه ، رأساً في الفقه وأصوله ، بارعا في الحديث ومعانيه ، له اليد الطُّولى في معرفة القرآن والتفسير ".

من مؤلفاته:" المنتقى من أحاديث الأحكام ــ ومنتهى الغاية في شرح الهداية ــ والمسودة في أصول الفقه(التي زاد عليها ابنه عبد الحليم ثم حفيده شيخ الإسلام) ــ والمحرر في الفقه ...) وغيرها.

ولد بحرّان سنة ٥٩٠هــ ، وتوفي بها سنة ٦٥٣هــ .

انظر: فوات الوفيات ٣٢٣/٢ ، والسير ٢٩١/٢٣ ، وذيل ابن رجب ٢٤٩/٢ ، والمنهج الأحمد ٢٦٥/٤ ، والمقصد الأرشد ١٦٢/٢، والشذرات ٢٥٧/٥.

[7] قال في المسودة لآل تيمية : " النهي عن الشيء أمر بضده إن كان واحدا ، وإن تعددت فهو أمر بواحد منها من حيث المعنى ".

المسودة لآل تيمية ٢٢٣/١.

وقد ألزموا[1] الكعبيَّ إذا ترك الحرام بحرام آخر[2] ، وهو قد يقول : عليه ترك المحرمات كلها إلى ما ليس بمحرم ، بل إما مباح وإما مستحب وإما واجب .

جواب شيخ الإسلام في المسألة

وتحقيق الأمر أن قولنا[3] : الأمر[4] بالشيء نَهْيٌ عن ضِدِّه وأضداده[5] ، والنهي عنه أمر بضده أو بأحد أضداده ، من جنس قولنا : الأمر بالشيء أمر بلوازمه[6] ، وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب[7] ، و النهي عن الشيء نهي عن ما لا يتم اجتنابه إلا باجتنابه[8] ؛ فإن وجود المأمور [به][9] يستلزم[10] وجود لوازمه وانتفاء أضداده ، بل وجود كل شيء هو كذلك يستلزم وجود لوازمه وانتفاء أضداده ، وعدم المنهي[11] عنه بل وعدم كل شيء يستلزم عدم ملزوماته ، وإذا[12] كان لا يُعْدَمُ إلا بِضِدٍّ يَخْلُفه[13] كالألوان[14][15] ،

---

(1) اللازم / هو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء.

انظر: التعريفات ص١٩٠.

(2) مثاله : ما لو لم يمكن له ترك الزنا إلا بشرب الخمر ، فعلى هذه القاعدة يكون شرب الخمر واجباً ؛ لأنه اشتغل به عن محرم وهو الزنا ، وهذا باطل بيِّن البطلان.

انظر إلزامهم للكعبي بذلك في: الإحكام للآمدي ١/١٦٩.

(3) في (ك) " قلنا ".

(4) في (أ ، ب) " للأمر ".

(5) الذي عليه الحنابلة والحنفية والمالكية وأكثر الشافعية ، أن الأمر بالشيء نهي عن ضده من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وقالت الأشاعرة : هو نهي عن ضده من جهة اللفظ ، وذهب المعتزلة وأكثر الشافعية إلى أنه لا يكون نهيا عن ضده لا لفظا ولا معنى.

انظر: المسودة ١/١٦٢.

(6) قوله:" الأمر بالشيء أمر بلوازمه " سقط من (ك).

(7) سيأتي الكلام عن هذه القاعدة لاحقاً ص٣٦٤.

(8) " إلا باجتنابه " مكانه بياض في (أ ، ب، ع، ش).

(9) ما بين المعكوفين زيادة من (ظ ، ك).

(10) في الأصل " مستلزم " ، والمثبت من سائر النسخ.

(11) في (أ ، ب) " النهي ".

(12) في (أ ، ب) " إذا ".

(13) في (أ ، ب) " وبخلقه " ، وفي (ش) " ويخلقه ".

(14) في (أ ، ب، ع، ش) " كالأكوان ".

(15) فإن اللون الأبيض ــ مثلا ــ لا يرتفع إلا إن وجد بدله لون آخر كالأسود أو الأحمر ، فعدم هذا اللون مستلزم لوجود ضده وهو اللون الآخر.

فلابد عند عدمه من وجود بعض أضداده .

فهـــذا حَقٌ في نفسه ، لكن هذه اللوازم جاءت من ضرورة الوجود وإن لم تكـــن[1] مقصـــودة[2] للأمر[3] ، والفرق ثابت بين ما يؤمر به قصداً ، وبين[4] ما يَلْزَمُهُ في الوجود[5] .

فالأول هو الذي يُذَمُّ ويعاقب على تركه بخلاف الثاني ؛ فإن من أُمِرَ بالحج أو الجمعة ، وكان مكانه بعيداً ، فعليه أن يسعى من المكان البعيد ، والقريب يسعى مـــن المكـــان القريب ، فَقَطْعُ تلك المسافات من لوازم المأمور به ، ومع هذا فإذا تـــرك هذان الجمعة والحج ، لم تكن[6] عقوبة البعيد أعظم من عقوبة القريب ، بل ذاك[7] بالعكس أولى[8] ، مع أن ثواب البعيد أعظم[9] .

فلـــو[10] كانـــت اللـــوازم مقصودة للأمر لكان يعاقب بتركها ، فكان تكون عقوبة البعيد أعظم وهذا باطل قطعاً .

---

[1] في الأصل و(أ ، ب، ش) " يكن " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في (أ ، ب ، ش) " مقصوده ".

[3] في (أ ، ب، ع، ش) " الأمر ".

[4] " بين " ليست في سائر النسخ.

[5] فما أُمِرَ به قصداً مثل: ستر العورة في الصلاة ، وما أمر به لأنه لا يتم هذا الواجب إلا به هو شراء الثوب الذي تُستر به العورة ، فالأول أُمِرَ به قصداً ، والثاني أمر به لأنه من لوازم وجود الأول.

[6] في (ع) " يكن ".

[7] في (أ ، ب) " ذلك ".

[8] أي أن الأولى أن تكون عقوبة القريب أعظم من عقوبة البعيد ؛ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " لينتهين رجال ممن حول المسجد لا يشهدون العشاء الآخرة في الجميع ، أو لأحرقن حول بيوتهم بحزم الحطب " رواه الأمام أحمد في المسند٢/٢٩٢ ، وإسناده حسن، انظر: المسند (بتحقيق الأرنؤوط)١٣/٢٩٤ رقم(٧٩١٦) .

فقد خَصَّ النبي صلى الله عليه وسلم من حول المسجد بالوعيد ، وهذا يدل على أن تركه للصلاة أعظم ذنبا من ترك البعيد عن المسجد لها.

[9] مما يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبني سَلِمَة ، لما أرادوا الانتقال من ديارهم البعيدة ، إلى البقاع التي خلت حول المسجد:" ...يا بني سَلِمَة! دياركم تكتب آثاركم " ، رواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد ٤٦٢/١ رقم (٦٦٥).

[10] في الأصل " ولو ".

وهكذا إذا فعل المأمورَ به ، فإنه لابد من ترك أضداده ، لكنَّ ترك الأضداد هو من لوازم فعل المأمور به ليس مقصوداً للأمر ؛ بحيث أنه إذا ترك المأمور به عُوقب على تركه ، لا على فعل الأضداد التي اشتغل بها[1] .

وكذلك المنهي عنه مقصود الناهي عَدَمُهُ ، ليس مقصوده فعل شيء من أضداده ، وإذا تركه متلبساً بِضِدٍّ له ، كان ذلك من ضرورة الترك .

وعلى هذا إذا ترك حراماً بحرام آخر[2] ، فإنه يعاقب على[3] الثاني ، ولا يقال : فعل واجباً وهو تَرْكُ الأول ؛ لأن المقصود عدم الأول .

فالمباح الذي اشتغل به[4]عن محرَّم ، لم يُؤمر به ولا بأمثاله[5] أمراً مقصوداً، لكن نُهِيَ عن الحرام ، ومن ضرورة ترك المنهي عنه ، الاشتغال بِضِدٍّ من أضداده ، فذاك[6] يقع لازماً لترك المنهي عنه ، فليس هو الواجب المحدود بقولنا[7]:الواجب ما يُذم تاركه ويُعاقب تاركه، أو يكون تَرْكُهُ سبباً للذَّم والعقاب[8].

فقولنا : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، أو يجب التَّوَصُّلُ إلى الواجب بما ليس بواجب[9] ،

---

(1) مثاله: من نام عن صلاة الفجر عمداً ؛ فإنه لا يعاقب على ذات النوم ، بل يعاقب على ترك الفرض ؛ وهو الصلاة.

(2) مثل: من يترك السرقة إلى الرشوة ، وهو ما ألزم به الأصوليون الكعبي كما سبق في ص٣٦٢.

(3) قوله:" حراماً بحرام آخر ، فإنه يعاقب على " سقط من (ك).

(4) " به " سقطت من (ك).

(5) في (أ ، ب، ع، ش) " ولا بامتثاله ".

(6) أي الاشتغال بضد من أضداد المحرم.

(7) في (ع) " وبقولنا ".

(8) هذا هو تعريف الواجب عند الأصوليين ، انظره في روضة الناظر ١/ ١٥٠ ، والمسودة ٢/ ١٠٠٤.

(9) هذه المسألة هي المعروفة عند الأصوليين (بمقدمة الواجب) أو (وسيلة الواجب) .

وملخصها:(أن ما لا يتم الواجب المطلق إلا به ــ إذا كان مقدوراً للمكلف ــ فهو واجب مطلقاً ، يُعاقب على تركه ويُثاب على فعله) ، وهذا ما ذهب إليه ابن قدامة والقاضي أبو يعلى والغزالي والرازي ، وهو رأي أكثر الشافعية والحنابلة وجمهور العلماء والمتكلمين.

ويرى ابن قدامة أن هذا القول أولى من قولنا: (يجب التَّوصُّل إلى الواجب بما ليس بواجب) ، لأن في قولنا : (يجب ما ليس بواجب) تناقض.

وأما من أنكر وجوب المقدمة أو الوسيلة ، فإنه احتَجَّ بأنها لو كانت واجبة ، لعوقب على تركها كما يثاب=

يتضمن إيجاب[1] اللوازم .

والفرق ثابتٌ بين الواجب الأول والثاني ؛ فإن الأول: يُذَمُّ تاركه ويعاقب ، والثاني: واجب وقوعاً ؛ أي لا يحصل الأول[2] إلا به ، ويؤمر به أمراً بالوسائل ، ويُثاب عليه ، لكن العقوبة[3] ليست على تركه .

ومــن هذا الباب : إذا اشتبهت الميتة بالمُذَكَّى[4] ؛ فإن المحرَّم الذي يعاقب على فعله أحدهما ؛ بحيث إذا[5] أكلهما جميعاً لم يعاقب عقوبة من أكل مَيْتَتَين ، بل عقوبة من أكل ميتة واحدة ، والأخرى وجب تركها وجوب الوسائل .

فقــول من قال : كلاهما محرم ، صحيح بهذا الاعتبار[6] ، وقول من قال : المحرم في نفس الأمر أحدهما ، صحيح أيضاً بذلك الاعتبار[7][8] .

=على فعلها ؛ فإنه من المعلوم أن المُكَلَّف يثاب على طول المسافة بينه وبين المسجد ، لكن ليس عقاب البعيد عن المسجد ــ إذا تَخَلَّف عن الصلاة ــ بأكثر من عقاب القريب منه ، فعُلِمَ أن الوسيلة ليست بواجبة لأنه لا يعاقب عليها.

وقد أجاب شيخ الإسلام عن ذلك بقوله:" والتحقيق أن وجوبه(أي الواجب الثاني أو اللازم) بطريق اللُّزُوْم العقلي ، لا بطريق قصد الأمر ، بل الأمر بالفعل لا يُقْصَدُ طلب لوازمه ، وإن كان عالماً بأنه لابد من وجودها ، وإن كان ممن تجوز عليه الغفلة ، فقد لا تخطر بقلبه اللوازم ".

وقد بيَّن الشيخ ــ رحمه الله ــ في المتن أن حاصل هذا النزاع لفظي ؛ لأن كلا الفريقين يُقِرُّ بأن الواجب الثاني يُثاب على فعله ، لكن لا يعاقب على تركه ، لكن النزاع بينهما في هل يسمى واجباً أم لا؟.

انظر: المستصفى ٧١/١ ، والإحكام للآمدي ١١٠/١ ، وروضة الناظر ١٨٠/١-١٨٥ ، ومجموع الفتاوى ١٥٩/٢٠-١٦١.

[1] في (ك) " إيجابه ".

[2] " الأول " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[3] " العقوبة " سقطت من (ك).

[4] في (ك) " المذكى بالميت ".

[5] في (ك) " لو ".

[6] أي باعتبار وجوب الكف عن كليهما.

[7] أي باعتبار أن من أكل منهما لم يعاقب عقوبة من أكل ميتتين ، بل عقوبة من أكل ميتة واحدة ؛ لأن الثانية وقع الأكل منها في الحقيقة حلالاً ، وهذا بحسب الافتراض الذهني ، أما الحكم الشرعي فإنه لا عقوبة في هذه الحالة كما سيُبيِّن الشيخ في ص٣٦٦.

[8] قال ابن قدامة:" وإذا اختلطت أخته بأجنبية ، أو ميتة بمذكاة ، حرمتا ؛ الميتة بعلة الموت ، والأخرى بعلة الاشتباه. =

وهذا نَظِيْرُ قول من قال: يجب التوصل إلى الواجب بما ليس بواجب .

وإنكار أبي حامد[1][2] وأبي محمد[3][4] على من قال هذا ، ومن قال : المحرم أحدهما ، لا يناسب[5] طريقة الفقهاء ، وحاصلـه يرجع إلى نـزاع لفظي[6] ؛ فإن الوجـوب[7]والحرمـة[8] الثابتـة لأحدهمـا ليسـت ثابتـة للآخر ،

= وقال قوم: المُذَكَّاة حلال ، ولكن يجب الكف عنهما ، وهذا متناقض ؛ إذ ليس الحلُ والحرمة وصفا ذاتيا لهما ، بل هو مُتَعَلِّقٌ بالفعل ، فإذا حرم فعل الأكل فيهما ، فأي معنى لقولنا : هي حلال ".

وقال في المسودة:" وعلى القول الآخر: أحدهما هو الواجب في الحقيقة ، والآخر يثبت فيه أحد نوعي الوجوب ؛ وهو الوجوب ظاهراً لا باطناً ، وهذا هو التحقيق" .

انظر: روضة الناظر ١/١٨٤- ١٨٥ ، والمغني ٧/٤٣٣ ، والمسودة ١/١٩٠.

[1] هو أبو حامد الغزالي ، وقد سبقت ترجمته ص٢٥٣.

[2] قال الغزالي:" قال قائلون إذا اختلطت منكوحة بأجنبية وجب الكَفُّ عنهما ، لكن الحرام هي الأجنبية ، والمنكوحة حلال ويجب الكَفُّ عنها ، وهذا متناقض ، بل ليس الحرمة والحل وصفا ذاتيا لهما ، بل هو مُتَعَلِّق بالفعل ، فإذا حَرُمَ فعل الوطء فيهما ، فأي معنى لقولنا وطء المنكوحة حلال ، ووطء الأجنبية حرام ، بل هما حرامان ؛ إحداهما بعلة الاجنبية ، والأخرى بعلة الاختلاط بالأجنبية فلا اختلاف في العلة ولا في الحكم ".

انظر: المستصفى ١/٧٢.

[3] هو أبو محمد موفق بن الدين ابن قدامة المقدسي ، وقد سبقت ترجمته ص٢٥٣.

يقول ابن قدامة فيما إذا اختلطت أخته بأجنبية أو ميتة بمذكاة:" ... وقال قوم: المذكاة حلال ، لكن يجب الكف عنها ، وهذا متنافض ؛ إذ ليس الحل والحرمة وصفاً ذاتيا لهما ، بل هو مُتعلِّق بالفعل ، فإذا حَرُمَ فعل الأكل فيهما ، فأي معنى لقولنا: هي حلال.

وإنما وقع هذا في الأوهام ؛ حيث ظاهى الوصف بالحِلِّ والحرمة الوصف بالسواد والبياض والأوصاف الحسية ، وهذا وهم على ما ذكرناه ، والله أعلم ".

انظر: روضة الناظر: ١/١٨٤.

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " أبي حامد الغزالي وأبي محمد المقدسي ".

[5] " لا يناسب " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[6] لأن كلا من الفريقين يقول بأنه يَحْرُمُ على المكلَّف الأكل من الميتة والمشتبه بها ، لكن هم مختلفون في هل يقال عن الثانية: بأنها محرَّمة أم لا ؟ ؛ فالفريق الأول يرى بأنها محرَّمة ، والثاني يرى أنه لا يُطلَق عليها بأنها محرمة ، لكن يقال يجب عليه الكف عن الأكل منها.

[7] في (ك) " الواجب ".

[8] في (أ ، ب) " المحرمة ".

بل هي[1] نوع آخر[2].

حتى لو اشتبهت مملوكته بأجنبية بالليل[3] ووطَئها[4] ؛ يعتقد حِلّ وَطْءِ[5] إحداهما ، وتحريم وطءِ الأخرى ، كان ولده من مملوكته ثابتاً نسبه ، بخلاف الأخرى .

ولو قدَّرنا[6] أنه اشتبهت أخته بأجنبية ، وتزوج إحداهما فَحُدَّ مثلاً ، ثم تزوج الأخرى[7] ، لم يُحدَّ حَدَّيْنِ ، مع أنه لا حد في ذلك ؛ لجواز أن تكون المنكوحة هي الأجنبية[8] .

وبهذا تَنْحَلُّ[9] شُبْهَةُ الكعبي ؛ فإن المحرَّم تَرْكُهُ مقصود ، وأما الاشتغال بضد من أضداده فهو وسيلة .

فإذا قيل : المباح واجب بمعنى وجوب الوسائل ؛ أي قد[10] يُتَوَسَّلُ به إلى فعل واجب ، وترك محرَّم[11] فهذا حق .

---

(1) " هي " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

(2) فالحرمة الثابتة للميتة حرمة أصليَّة دائمة ، بينما الحرمة الثابتة للمشتبهة هي حرمة عارضة مؤقتة ؛ ولهذا فإنها تزول بزوال الاشتباه.

(3) " بالليل " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

(4) " ووطئها " مكانه بياض في (ك).

(5) " وطئ " سقطت من (أ ، ب) ، وفي (ك) " معتقداً وطئ ".

(6) قوله :" وتحريم وطئ الأخرى ، كان ولده من مملوكته ثابتا نسبه بخلاف الأخرى ، ولو قدرنا " مكانه بياض في (ك).

(7) قوله :" بأجنبية، وتزوج إحداهما فحد مثلا ، ثم تزوج الأخرى " مكانه بياض في (ك).

(8) لأنه وطءٌ بشبهة ، والحدود تُدرأ بالشبهات ، كما قال عليه الصلاة والسلام:" ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ؛ فإن كان له مخرج فَخَلُّوا سبيله..." رواه الترمذي ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في درء الحدود ٣٣/٤ رقم(١٤٢٤).

(9) حل العقدة : فتحها ونقضها فانحلت ، وحل الشبهة: نقضها.

انظر: لسان العرب ٧٠٥/١.

(10) " قد " سقطت من (ك).

(11) في الأصل " ترك محرم وفعل واجب " ، والمثبت من سائر النسخ.

ثم إنَّ هذا يُعتبر فيه القصد؛ فإن كان الإنسان يقصد أن يشتغل بالمباح ليترك[1] المحـــرم ؛ مـــثل مـــن يشتغل بالنَّظر إلى امرأته ووطئها ، لِيَدَعَ بذلك النَّظر إلى الأجنبــية ووطئها ، أو يأكل طعاماً حلالاً ليُشْغِلَهُ[2] عن الطعام الحرام ، فهذا يُثاب على هذه النية والفعل .

كما بيَّن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « وفي بُضْعِ أحدكم صدقة، قالوا : يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ، قال : أرأيتم لو وضعها فـــي حـــرام أما كان عليه وزر ؟ ، قالوا: بلى[3] ، قال فلم تحتسبون بالحرام ولا تحتسبون[4] بالحلال »[5] .

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يُحب أن يُؤخذ برخصه ، كما يكره تُؤتى معصيته » [6] [رواه أحمد وابن خزيمة[7] في صحيحه][8] .

وقـــد يقـــال المبـــاح يصيـــر واجبـــاً بهـــذا الاعتـــبـــار[9] ،

---

[1] في الأصل " لترك " ، والمثبت من سائر النسخ.

[2] في الأصل وسائر النسخ " ليشتغل به " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[3] " قالوا بلى " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[4] في الأصل و(ك) " تعتدون " بدل " تحتسبون " في الموضعين.

[5] سبق تخريج هذا الحديث ص٢٢٢.

[6] سبق تخريج هذا الحديث ص٢٢٣.

[7] أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السُّلمي النيسابوري الشافعي ، من أئمة الحديث.
بدأ طلب الحديث بنيسابور ، ثم رحل إلى مرو والري وبغداد والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها.
كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، ولا يكتب حديثاً حتى يَستَخيِرُ ، سخياً كريماً ، آيةً في الزهد والورع والترفع عن حطام الدنيا ؛ حتى أنه لم يكن يميز في النقود بين العشرة والعشرين.
وكان صحيح الاعتقاد سلفياً ، شديدا على المبتدعة ، حتى أنه تبرأ من بعض تلاميذه لما علم ميلهم إلى بعض أقوال ابن كلاب.
قال عنه ابن حبان:" لم ير مثل ابن خزيمة في حفظ الإسناد والمتن " ، وقال الدارقطني:" كان إماما معدوم النظير ".
من مؤلفاته:(صحيحه ــ والتوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل...) وغيرها.
انظر: السير ٣٦٥/١٤ ، وتذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢ ، والوافي بالوفيات ١٩٦/٢ ، والشذرات ٢٦٢/٢.

[8] ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

[9] أي باعتباره يشغل العبد عن الوقوع في الحرام.

وإن تَعَيَّنَ طريقاً صار واجباً مُعَيَّناً[1] ، وإلا كان واجباً مُخَيَّراً .

لكن هذا مع القصد[2] ، وأما مع الذُّهُولِ[3]عن ذلك [4] ، فلا يكون واجباً أصلاً إلا وجوب الوسائل إلى الترك ، وترك[5] المحرم لا يُشترط فيه القصد ، فكذلك ما تُوُسِّلَ[6] به إليه[7] .

وإذا[8] قيل : هو مباح من جهة نفسه[9]، وأنه قد يجب وجوب المُخَيَّرات[10] من جهة الوسيلة لم يُمْنَعْ ذلك .

فالنِّزاع في هذا الباب نزاع لفظيّ اعتباريّ ، وإلا فالمعاني الصحيحة لا يُنازع فيها من فَهِمَها[11][12] .

---

[1] الواجب المُعَيَّن/ هو ما طلبه الشارع بعينه دون تخيير بينه وبين غيره.

انظر: روضة الناظر ١/١٥٦.

[2] أي قصد استصحاب نية الاستعانة بالمباح على الواجب.

[3] ذهل عن الشيء: تركه عن عمد ، أو غفل عنه ، أو نسيه لشُغْلٍ.

انظر: لسان العرب ٢/١٠٨٢.

[4] أي الذهول عن النية ، حال فعل المباح.

[5] " وترك " تكررت في (ب).

[6] في الأصل وسائر النسخ " يتوسل " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[7] أي أن فعل المباح ــ مع الغفلة والذهول ــ لا يكون واجباً إلا كوجوب الوسائل التي تؤدي بالعبد إلى ترك المحرم ، وهذه لا يشترط وجود النية حال فعلها ، كما أنه لا تشترط النية حال ترك المحرم .

لكن العبد في هذه الحال لا يثاب على فعل المباح ــ وإن كان واجباً في حقه وجوب الوسائل ــ لعدم وجود النية ، كما أنه لا يثاب على ترك المحرم إذا لم ينو بذلك متابعة الشرع ، مع أن ترك المحرم واجب عليه .

[8] في (أ ، ب، ع، ش) " فإذا ".

[9] " نفسه " مكانها بياض في (ك).

[10] " وجوب المخيرات " مكانه بياض في (ك).

[11] سبق الكلام على المباح ، وتلخيص شبهة الكعبي ، ورد شيخ الإسلام عليها ، ص١٦٩ وما بعدها.

[12] السبب الذي جعل الشيخ ــ رحمه الله ــ يستطرد في ذكر المباح ، وبيان الخلاف في كونه مأمورا به أم لا ؛ هو أنه ــ والله أعلم ــ أراد أن يبين أنه ليس في أحكام الشرع ما يمكن أن يترك العبد معه الإرادة ، ويسير فيه مستسلما للقدر .

وذلك أن الصوفية يرون أن ما لم يرد فيه أمر ولا نهي ــ وهو المباح ــ يسوغ للسَّالك أن يسلِّم فيه للقدر ، لأنه لا يعلم أمر الله فيه فيمتثله ، فلهذا يسير مع قدر الله حيث لم يعرف أمره.

والصحيح أنه ما من مباح إلا ويستعان به ؛ إما على طاعة فيكون مأموراً به ، أو على معصية فيكون منهياً عنه ، إذ لا يمكن للعبد أن يفعل الفعل من غير استحضار نية مُعَيَّنَة ، وهذا هو الذي بيَّنه الشيخ رضي الله =

السابقون ليس في أفعالهم ما يستوي وجوده وعدمه

والمقصـــود هنا أن الأبرار أصحاب اليمين قد يشتغلون عن مباح بمباح[١] آخـــر ، فــيكون كُلٌّ من المُبَاحَيْنِ يستوي وجوده وعدمه في حقهم ، أما السابقون المُقَـــرَّبون فهـــم إنمـــا يستعملون المباحات إذا كانت طاعة ؛ لحُسن القصد فيها ، والاستعانة على طاعة الله ، وحينئذ فمباحاتهم طاعات[٢] .

وإذا[٣] كـــان كذلـــك ، لـــم تكـــن الأفعال في حقهم إلا ما يَتَرَجَّحُ وجوده ، فــيُؤْمرون به[٤]شرعاً أَمْرَ[٥] استحباب ، أو ما يترجح عَدَمُهُ ، فالأفضل لهم أن لا يفعلـــوه ، وإن لم يكن فيه إثمٌ ، والشريعة قد بَيَّنَتْ[٦] أحكام الأفعال[٧] كُلِّهَا ، فهذا سؤال .

التسليم للقدر ليس مما يُحمد عليه العبد

وسؤال ثانٍ وهو أنه إذا قُدِّرَ أن من أفعالهم[٨] ما ليس فيه أمر ولا نهي؛كما في حـــقِّ[٩] الأبرار ، فهذا الفعل لا يُحمد ولا يُذم ، ولا يُحب ولا يُبغض ، ولا يُنظر فيه إلى وجود القدر وعدمه ، بل إن فعلوه لم يُحمدوا ، وإن لم يفعلوه لم يُحمدوا ، فلا يُجعل من ما[١٠] يُحمدون عليه ؛ أنهم يكونون[١١] في هذا الفعل[١٢] كالميت بين يدي الغاسل ؛ مع كون هذا الفعل صدر باختيارهم وإرادتهم ، إذا الكلام في ذلك .

المكره على فعل ما لا يحبه الله ليس له التسليم بقلبه

وأما غيـــــر الأفعـــــال الاختيـــــارية ؛ وهو ما فُعِـــلَ بالإنســـان[١٣]

= عنه ، وسياتي من كلامه ما يبين ذلك لاحقاً.

لكن هذا لا يعني تسمية المباح مأموراً به ــ كما فعل الكعبي ــ بل يقال:إنه واجب وجوب الوسائل،والله أعلم.

[١] في (أ ، ب، ع، ش) " بمباح عن مباح ".

[٢] لا لأنها مأمور بها ، بل لاستصحاب النية فيها.

[٣] في (أ ، ب، ع، ش) " فإذا ".

[٤] " به " سقطت من (ك).

[٥] في الأصل " أم " ، وفي (ك) " إما أمرا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٦] في (ك) " تثبت ".

[٧] في (ب) " أفعال الأحكام ".

[٨] في الأصل وسائر النسخ " الأفعال " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[٩] " حق " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[١٠] في (ك، أ ، ب، ع، ش) " مما ".

[١١] في (ك) " لم يكونوا ".

[١٢] أي الفعل الذي ليس فيه أمر ولا نهي من قبل الشرع.

[١٣] في (أ ، ب، ع، ش) " ما فعل الإنسان ".

[بغير اختياره][1]؛ كما يُحمل الإنسان وهو لا يستطيع الامتناع ، فهذا خارج عن التكليف.

مــع أن العــبد مأمور في مثل هذا أن يُحبه إن كان حسنة ، ويُبغضه إن كان سيئة[2] ، ويخلو[3] عنهما[4] إن لم يكن حسنة ولا سيئة .

فمن جعل الإنسان فيما يستعمله فيه القدر من الأفعال الاختيارية ؛ كالميت بين يدي الغاسل ، فقد رفع الأمر والنهي عنه في الأفعال الاختيارية[5] ، وهذا باطل .

التسليم المطلق للقدر يؤدي إلى القول بسقوط التكاليف

وســؤال ثالث : وهو أن حقيقة هذا القول طَيٌّ بساط[6] الأمر عن العبد في هذه الأحوال ، مع كون أفعاله اختيارية[7] ، وهب أنه ليس له هوى[8] ، فليس كل مــا[9] لا هوى فيه ، يسقط عنه فيه الأمر والنهي ، بل عليه أن يُحب ما أحبه الله ورسوله ، ويُبغض ما أبغضه الله ورسوله .

قيل : هذه الأسولة أسولة[10] صحيحة .

وفصــل الخطاب أن السَّالك قد يخفى عليه الأمر والنهي ؛ بحيث لا يدري هل ذلك الفعل مأمورٌ به شرعاً ، أو منهيٌ عنه شرعاً ، فيبقى[11] هواه لأن لا[12]

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ك).

[2] في الأصل " شية " والمثبت من سائر النسخ.

[3] في الأصل و(ك) " ويخلوا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[4] أي عن الحب له والبغض له.

[5] من قوله:" كالميت بين يدي الغاسل..." إلى هنا سقط من (ك).

[6] الطَّيُّ: نقيض النشر، وطي البساط هنا كناية عن القول برفع الشرعية وسقوط التكاليف.
انظر: لسان العرب ٤/٦٣١.

[7] " اختيارية " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[8] في (ش) " هو ".

[9] في الأصل و(ك، أ ، ب، ع، ش) " كلما " ، والمثبت من (ظ).

[10] الأسولة : جمع سوال ، وهي لغة في سؤال ؛ وذلك أن العرب استثقلت الهمزة ، فحذفتها.
انظر: لسان العرب ٣/٢٤٤.

[11] في الأصل " فبقي " ، والمثبت من سائر النسخ.

[12] كذا في جميع النسخ ، والصحيح " لئلا ".

يكـــون له هوى فيه ، ثم يُسلِّم فيه للقدر[1] ؛ وهو فعل الرب ؛ لعدم معرفته برضا الرب وأمره وحبه في ذلك الفعل .

وهـــذا يَعـِــرُض لكثير من أئمة العبَّاد وأئمة العلماء ؛ فإنه قد تكون عندهم أفعـــال وأقوال[2] لا يعرفون حكم الله الشرعي فيها ، بل قد تعارضت عندهم فيها الأدلة ، أو خفيت الأدلة بالكُلِّيَّة ، فيكونون معذورين ؛ لخفاء الشرع عليهم .

وحكم الشرع إنما يثبت في حق العبد إذا تمكن من معرفته[3] ، فأما ما لم[4] يبلغه ، ولم يتمكن من معرفته فلا يطالب به ، وإنما عليه أن يَتَّقِيَ الله ما استطاع .

وهذا[5] خطأً في العلم وليس خطأً في العمل ، وهو كالمجتهد المخطئ له أجر على قصده واجتهاد ، وخطؤه[6] مرفوع عنه[7] .

فإن قيل : فإذا كان الأمر هكذا فالواجب على العبد أن يتوقف في مثل هذه الحال ، إذا لم يتبيَّن له أن ذلك الفعل مأمورٌ به أو منهيٌ عنه ، وهو[8] لا يريد أن يفعـــل شـــيئاً لا مـــدح فيه ولا ذم ، فيقف لا يستسلم للقدر[9] ، ويصير مَحَلاً لما يُســـتعمل فيه من الأفعال ، اللهم إلا إذا فعل غيره فعلاً ، فهو لا يمدحه ولا يذمه ، ولا يرضاه ولا يسخطه ، إذا لم يَتَبَيَّن له حكمه .

فأما كونه هو من أفعاله الاختيارية ، يصير مُسْتَسلِماً لما يستعمله القدر فيه، كالطفل مع الظِّئْرِ والميت مع الغاسل ، فهذا ما لم يَأمر الله به ولا رسوله ، بل

---

[1] " ثم يسلم فيه للقدر " تكررت في الأصل.

[2] في (ك ،أ ، ب، ش) " أو أقوال ".

[3] بناء على قاعدة العذر بالجهل المقررة في الشريعة ، كما سبق في ص٢٩٧.

[4] في (أ ، ب) " فأما من لم ".

[5] أي عدم العمل بالأمر ؛ بسبب الجهل به.

[6] في (ش) " وخطا ".

[7] كما قال عليه الصلاة والسلام:" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " رواه مسلم ، كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ١٣٤٢/٣ رقم(١٧٦١).

[8] في (ع) زيادة " أن ".

[9] قوله: " يريد أن يفعل شيئاً ، لا مدح فيه ولا ذم ، فيقف لا يستسلم للقدر " مكانه بياض في الأصل.

هـــذا محـــرَّم ، وإن عُفِيَ عن صاحبه ، وحَسْبُ صاحبه أن يُعفي عنه ؛ لاجتهاده وحسن قصده .

أما كونه يُحمد على ذلك ، ويُجعل هذا أفضل المقامات ، فليس الأمر كذلك، وكونه مُجَرَّداً عن هواه ليس مُسَوِّغاً له أن يستسلم لكل ما يُفعل به .

أنواع أفعال العبد من جهة الاختيار :

ثم يُقَالُ : الأمور مع هذا نوعان :

أحدهمـــا : أن يُفْعَلَ به بغير اختياره ؛ كما يُحْمَلَ الإنسان ولا يمكنه الامتناع ، وكمـــا تُضْـجَعَ[١] المرأة قهراً وتوطأ ، فهذا لا إثم فيه باتفاق العلماء[٢] ، وإما أن يكـره بالإكـراه الشـرعي حتى يفعل ، فهذا أيضاً مَعْفُوٌّ[٣] عنه في الأفعال عند الجمهور ، وهو أصح الروايتين عن أحمد[٤] ؛ لقوله[٥] تعالى : « ...**ومن يُكْرِهْهُنَّ فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** »[النور: ٣٣] .

[٦]وأمـــا إذا لـــم يكره الإكراه الشرعي ، فاستسلامه للفعل المطلق الذي لا يعـــرف أخيرٌ هو أم شرٌ ، ليس هو مأموراً به ، وإن جرى على يده خرق[٧] عادة أو لم يجر، فليس هو مأموراً أن يفعل إلا ما هو خير عند الله ورسوله .

قيل : هذا السؤال صحيح .

---

[١] في (أ ، ب، ع، ش) " تضطجع ".

[٢] ويسمى الإكراه المُلجئ / وهو أن يُحمل المكلف على أمر يكرهه ولا يرضاه ولا تتعلق به قدرته واختياره ؛ ومثاله: ما لو ألقي من شاهق على إنسان فقتله ، فهذا لا إثم فيه بالإجماع لأنه غير مكلف.
انظر: روضة الناظر ٢٢٧/١ ، والمسودة ١٤٢/١.

[٣] في الأصل " معفوا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٤] يسمى هذا النوع بالإكراه غير الملجئ/ وهو أن يُحمل المكلف على أمر يكرهه ولا يرضاه ، ولكن تتعلق به قدرته واختياره وإرادته ؛ مثل من قيل له: اقتل أخاك المسلم وإلا قتلناك ، وقد اختلف في تكليفه: فذهب الجمهور إلى أنه مكلف ، وذهب أبو حنيفة والمعتزلة إلى أنه غير مكلف ، لأنه لا يصح منه فعل غير ما أكره عليه فلا يبقى له خيرة.
انظر: المستصفى ٩٠/١ ، وروضة الناظر ٢٢٧/١ ، والمسودة ١٤٢/١.

[٥] في (ا ، ب) " كقوله ".

[٦] هذا هو النوع الثاني.

[٧] في (ع) " يديه خارق ".

وحقيقة الأمر أن السَّالكين إذا وصلوا[1] إلى هذا المقام ؛ فَبِحُسْنِ[2] قصدهم ، وتسليمهم لربهم ، وطلبهم منه أن يختار لهم ما هو الأصلح ، إذا استُعْمِلُوا في أمْرٍ وهم[3] لا يعرفون حكمه في الشرع ، رجوا أن يكون خيراً ؛ لأن معرفتهم بحكمه قد تتعذر[4] عليهم ، والإنسان غير عالم في كل حال بما هو الأصلح له في دينه ، وبما هو رضا[5] الله ورسوله .

استخارة العبد إذا لم يعرف حكم الفعل المعين

فيبقى[6] حالهم حال المُسْتَخِيْرِ[7] لله فيما لم يعلم عاقبته ، إذا قال : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تَقْدِرُ ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم[8] ، وأنت علاَّم الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدره لي ، ويَسِّرْهُ لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر[9] لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، فاصرفه عنِّي ، واصرفني عنه[10] ، واقدر لي الخير حيث ، كان ثم رَضِّنِي به »[11] .

فإذا استخار الله ، كان ما شُرِحَ له[12] صدره ، وتيسر له من الأمور هو الذي اختاره الله له ؛ إذ لم يكن معه[13] دليل شرعي على أن عين[14] هذا الفعل هو مأمور به في هذه الحال .

---

[1] قوله:" إذا وصلوا " مكانه بياض في (ك).

[2] في (أ ، ب) " فيحسن ".

[3] قوله:" منهم أن يختار لهم ما هو الأصلح ، إذا استعملوا في أمر وهم " ، مكانه بياض في (ك).

[4] في (أ ، ب) " تعذرت ".

[5] في (أ ، ب) " رضي ".

[6] في (ع) " فتبقى ".

[7] في (ش) " المستجير ".

[8] في (ع) " فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر ".

[9] في (ب) " شراً ".

[10] " واصرفني عنه " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[11] حديث الاستخارة سبق تخريجه ص٢٣٨.

[12] " له " سقطت من (ك).

[13] في (ع) " له " بدل " معه ".

[14] في (ك) " غير ".

فـــإنَّ الأدلة الشرعية إنما تَأْمُرُ بأمرٍ مطلقٍ عامٍ ، لا بعين[1] كُلِّ فعل[2] من كـــل فـــاعل ؛ إذ[3] كان هذا ممتنعاً[4] ، وإن كان ذلك المُعَيَّن يمكن إدراجه تحت بعض خطاب الشارع العام ؛ إذ[5] كانت الأفراد المعيَّنة داخلة تحت الأمر العام[6] الكُلِّـــي[7]، لكـــن لا يقْدِر كل أحد على استحضار هذا[8] ، ولا على[9] استحضار أنواع الخطاب[10] .

ليس في كل حادثة دليل يخصُّها

ولهذا كان الفقهاء يَعْدِلُوْنَ إلى القياس عند خفاء ذلك عليهم .

ثم القياس أيضاً قد لا يحصل في كل واقعة ؛ فقد يخفى على الأئمة المجتهدين من الصحابة[11] والتابعين[12] لهم بإحسان دخول الواقعة المعيَّنة تحت خطاب عام،

---

[1] في (ك) " لا تعين ".

[2] في الأصل تكررت كلمة " فعل ".

[3] في الأصل " إذا " والمثبت من سائر النسخ.

[4] وذلك لكثرة الحوادث وتَعَدُّدُها واختلافها ، بحيث يتعذَّر معه أن يكون في كل حادثة دليل يَخُصُّها ، بل إن من الحوادث ما لم يكن موجوداً في زمن نزول الوحي ، فلا يمكن أن يكون لها في هذه الحال دليل يخصها ، ولهذا شرع الله الأدلة العامة ؛ مثل قوله تعالى:" ...**ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** "[الأعراف: ١٥٧] ، وقوله عليه الصلاة والسلام:" لا ضرر ولا ضرار " رواه ابن ماجه ، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٧٨٤/٢ رقم(٢٣٤١).

[5] في الأصل " إذا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في (أ ، ب) " الأم العالم " ، وفي (ش) " الأمر العالم ".

[7] قوله:" إذ كانت الأفراد المعينة داخلة تحت الأمر العام الكلي " سقط من (ع).

[8] أي استحضار إدراج الحادثة المعينة في الأمر العام الكلي ؛ وذلك لتفاوت فهوم الناس وعقولهم.

[9] " على " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[10] أي لا يقدر كل إنسان على استحضار أنواع خطاب الشرع ؛ من عموم وخصوص ، وإطلاق وتقييد ، ونحو ذلك ، بل لا يستطيع كل إنسان استحضار خطاب الشرع ذاته ؛ بسبب تفاوت معرفة الناس بأدلة الكتاب والسنة ؛ لتفاوت فهومهم ، أو تفاوت حرصهم على تحصيلها.

[11] الذي عليه جمهور المُحَدِّثين في تعريف الصحابي/ أنه من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال إسلامه ، ومات على ذلك ، وإن لم تطل صحبته له ، وإن لم يَرْوِ عنه شيئاً.

انظر: الباعث الحثيث ص١٦٣ ، وتدريب الراوي ٢٠٩/٢.

[12] التابعي عند المحدثين / هو من صحب الصحابي .

فاشترطوا الصحبة لا مجرد اللقيا كما في الصحابي ؛ وذلك أن لقيا النبي صلى الله عليه وسلم ليست كلقيا غيره.

انظر: الباعث الحثيث ص١٧٤.

أو اعتــبارها بنظيرٍ لها فلا يُعْرَفُ لها أصل ولا نظير ، هذا مع كثرة نظرهم في خطــاب الشــارع[1] ، ومعرفة معانيه[2] ودلالته[3] على الأحكام ، فكيف من[4] لم يكن كذلك.

ثم السَّالك ليس قصده معرفة الحلال من الحرام[5] ، بل مقصوده أن هذا الفعل المُعَيَّن خير من هذا ، أو هذا[6] خير من هذا ، وأيهما[7] أحب إلى الله في حقه في تلك الحال[8] .

وهــذا باب واسع لا يحيط به إلا الله ، ولكل سالك حال تخصُّه[9] قد يؤمر فيها بما ينهى عنه غيره ، ويؤمر في حال بما ينهى عنه في حال آخر[10] .

فقــالوا[11]: نحــن نفعــل الخــير بحســب الإمكان ؛ وهو فعل ما علمنا أنَّـــا أُمِرْنَـــا بـــه ، ونتــرك أصــل الشـــر وهو هــوى النفس[12] ،

---

[1] " الشارع " سقطت من (أ ، ب، ع، ش).

[2] في (أ ، ب) " معاينة ".

[3] في (أ ، ب) " ودلاليه ".

[4] في الأصل و(ك) " بمن " ، والمثبت من سائر النسخ.

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " والحرام ".

[6] في الأصل " وهذا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " أو أيهما ".

[8] لأن مقصود السالك العمل والعبادة ، وليس الخوض في خلافات العلماء ، التي قد لا يَتَّضِحُ للمجتهد فيها ترجيح مُعَيَّن ، بل إن المجتهد نفسه ــ كما ذكر الشيخ قبل ذلك ــ قد يستعين في الترجيح بين القولين بالاستخارة أو بإلهام يقع في قلبه ، إذا تعارض الدليلان وتعذَّر الترجيح بينهما بأي وجه من وجوه الترجيح المعروفة عند الأصوليين والفقهاء.

[9] في (أ، ب، ع، ش) " يخصه ".

[10] في (أ ، ب) " في أخرى " ، وفي (ع، ش) " في حال أخرى ".

[11] أي أهل الاستقامة من سالكي الصوفية.

[12] هوى النفس من أصول الشر ؛ ولهذا قال يوسف عليه السلام:" ...**وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي**" [يوسف: ٥٣] ، وحذَّر الله سبحانه وتعالى من اتباع هوى النفس، قال تعالى:" ...**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**..."[ص: ٢٦] ، وقال عليه الصلاة والسلام:" ثلاث مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه..." رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/٤٧١ رقم(٧٤٥).
ومن أصول الشر: الشيطان ؛ ولهذا بين الله سبحانه أنه يأمر بالفحشاء، قال تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان ، فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**..." [النور: ٢١].

ونلجأ إلى الله فيما سوى ذلك ، أن[1] يُوَفِّقَنَا لما هو أحب إليه وأرضى له ، فما استعلمنا فيه رجونا أن يكون من هذا الباب[2] ، ثم إن أصبنا فلنا : أجران ، وإلا فلنا : أجرٌ، وخطؤنا مَحْطُوّط عَنَّا ، فهذا هذا .

مقارنة شيخ الإسلام بين العالم الفاجر والعابد الجاهل

وحينئذٍ فمن قُدِّر أنه علِم المشروع وفعله ، فهو أفضل من هذا[3] .

ولكنْ كثيرٌ ممن يعلم المشروع لا يفعله ، ولا يقصد[4] أحب الأمور إلى الله ، وكثير منهم يفعله [بِشَوْبٍ[5]][6] من الهوى ، فيبقى هذا[7] يفعل[8] المشروع بهوى، وهذا[9] يترك[10]ما لم[11] يعلم أنه مشروع بلا هوى ، فهذا نقص في العلم ، وذاك نقص في العمل ؛ إذ العمل بهوى النفس نقصٌ في العمل ، ولو كان المفعول واجباً[12].

---

[1] في (ع) " إن لم ".

[2] أي مما يحبه الله ويرضاه.

[3] أي من الذي يعبد الله من غير أن يعلم تفصيل ما أمر الله به.

[4] في (ك) " وهو يقصد ".

[5] الشَّوبُ: هو الخلط ، والمشوب: هو الذي اختلط به غيره.
انظر: لسان العرب ٣٧٨/٣.

[6] ما بين المعكوفين بياض في الأصل ، وهو في سائر النسخ.

[7] أي العالم الفاجر.

[8] في الأصل وسائر النسخ " فعل " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[9] أي العابد الجاهل.

[10] في الأصل وسائر النسخ " ترك " ، والمثبت من(ظ ، ك).

[11] في (ع) "ما لا ".

[12] بل إذا أراد العالم بعمله الدنيا كان من باب الرياء ، كما قال عليه الصلاة والسلام:" ...ورجل تعلَّم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فَأُتِيَ به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال: فما عملت فيها ، قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته ، وقرأت القرآن ، قال: كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم ، وقرأت القرآن، ليقال: قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه وألقي في النار..." رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ١٥١٣/٣ رقم(١٩٠٥) .
ويقول شيخ الإسلام:" وليس صلاح الإنسان في مجرد أن يعلم الحق دون أن لا يحبه ويريده ويتبعه ، كما أنه ليس سعادته في أن يكون عالماً بالله ، مقراً بما يستحقه ، دون أن يكون محباً لله، عابداً لله ، مطيعاً لله ، بل أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، فإذا علم الإنسان الحق وأبغضه وعاداه كان مستحقاً من غضب الله وعقابه ما لا يستحقه من ليس كذلك " مجموع الفتاوى٥٨٦/٧.

فيقال : إن تاب صاحب الهوى من هواه ، كان أرفع بعلمه[1] ، وإن لم يتب فله نصيب من عالم السوء .

ولهذا تشاجر رجلان من المتقدمين عام الحكمين[2][3] في مثل هذا ؛ فقال أحدهما لصاحبه : إنما مَثَلُكَ مثل[4] الكلب إن تَحمِلْ عليه يلهث أو تتركه يلهث[5] ، وقال الآخر : أنت كالحمار يحمل أسفاراً[5][6] ،

---

[1] وذلك أن الله فضّل العالم العامل بعلمه على العابد ، قال تعالى:" **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** "[الزمر: ٩] ، وقال عليه الصلاة والسلام :" فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب..." رواه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣ رقم(٣٦٤١).

[2] " عام الحكمين " سقطت من(ع).

[3] عام الحكمين هو العام الذي اجتمع فيه الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ للإصلاح بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، فاتفقا على أن يردا الأمر إلى الذين توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان ذلك في سنة ٣٧ هـ.

انظر: تاريخ الطبري ١١١/٣ ، والبداية والنهاية ٢٧٦/٧، والعواصم من القواصم ص١٧٩ وما بعدها.

[4] في (ع) " كمثل ".

[5] يشير إلى قوله تعالى:" **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ".[الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وقد سبق الكلام في من المراد بهذه الآية ص٣٢٧.

[5] يشير إلى قوله تعالى:" **مثل الذين حُمِّلوا التوراة ، ثم لم يحملوها ؛ كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين** "[الجمعة: ٥].

[6] هذه الحادثة رواها الطبري في تاريخه ١١٣/٣ ، في سياق ذكره لحادثة اجتماع الحكمين في دُوْمَةِ الجندل ، ونسب ذلك إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ولفظه:

"...فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله ؛ غدرت بي وفجرت ، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا...".

وهذه القصة لا تثبت ، بل هي منحولة مختلقة ؛ لوجوه:

١- أن الطبري لم يلتزم صحة الأخبار التي يذكرها في تاريخه ، بل يُوردها بالسند ، تاركا تحقيق صحتها أو ضعفها إلى قارئها ، ومنهج الطبري في ذلك معروف ، وقد بيَّنه في مقدمة تاريخه ، يقول:"...فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤْتَ ذلك من قِبَلِنَا وإنما أُتِيَ من قِبَلِ بعض ناقليه إلينا ، وأنَّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا..." تاريخ الطبري ١٣/١ ، فالطبري أقر بوجود قصص مختلقة في تاريخه ، ولا شك أن هذه القصة واحدة منها ، كما سيتبين في الوجوه التالية. =

فهذا[1] أحسن قصداً و[هذا][2][3] أقوى علماً .

ولهـــذا تجـــد أصحاب حُسْنِ القصد إنما يعيبون على هؤلاء[4] اتِّبَاعَ الهوى ، وحـــب الدنيا والرئاسة ، وأهل العلم يعيبون على أولئك[5] نَقْصَ علمهم بالشرع[6] وعدولهم عن الأمر والنهي فهذا هذا .

والله هو[7] المسئول أن يهدينا الصراط المستقيم ؛ صراط الذين أنعم عليهم؛ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [وحسن أولئك رفيقاً][8][9] .

وقد قال بعض أهل الفقه والزهد : « من النـــاس من ســـلك الشريـــــعة ،

= ٢- أن القصة لا تثبت من جهة السند ؛ لأنه منقطع ؛ إذ قد رواها الطبري عن أبي مخنف عن أبي جناب الكلبي ، وأبو مخنف توفي قبل سنة ١٧٠هـــ ، وأما الطبري فقد ولد سنة ٢٢٤هـــ ، فأين الواسطة بينهما؟!.

٣- ثم إن أبا مخنف(واسمه لوط بن يحيى) إخباريٌّ تالف لا يُوثق به ــ كما ذكر ذلك الذهبي في الميزان ــ وتركه أبو حاتم وغيره ، وقال الدارقطني:" ضعيف " ، وقال ابن معين:" ليس بثقة " ، وقال ابن عدي:" شيعي محترق صاحب أخبارهم " انظر: الميزان ٥٠٨/٥.

٤- أما أبو جناب الكلبي(واسمه يحيى بن أبي حيَّة) فقد قال عنه الذهبي:" قال يحيى القطان: لا أستَحِلُّ أن أروي عنه ، وقال النسائي والدارقطني: ضعيف ، وقال أبو زرعة: صدوق يُدلِّس ، وقال ابن الدورقي: أبو جناب ليس به بأس إلا انه كان يُدلِّسُ " انظر: الميزان ١٧٠/٦.

٥- ثم إن القصة لا تثبت من جهة المتن ؛ إذ كيف يليق بصحابيين أن يصدر منهما مثل هذا الكلام البذيء ، وقد نهانا الله سبحانه عن التعرض لأصحابه بما يكرهون ، قال عليه الصلاة والسلام: " لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه "رواه البخاري، كتب مناقب الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا" ٢٤/٧ رقم(٣٦٧٣) ، والحق أن هذا من دسائس الرافضة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يؤكد ذلك أن أحد رواة الخبر ــ وهو أبو مخنف ــ كان رافضياً ، وليس هذا أول دسهم ، بل قد أتهموا عمراً بأنه خان أبا موسى الأشعري، والله المستعان.

[1] أي العابد الجاهل.

[2] ما بين المعكوفين زيادة من(ظ ، ك).

[3] أي العالم الذي يتبع هواه.

[4] أي على العلماء الفجار.

[5] أي على العبَّاد الجهال.

[6] في (ع) " الشروع ".

[7] في (أ ، ب، ع، ش) " تعالى " بدل "هو ".

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[9] **قال تعالى:" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا "[النساء: ٦٩].**

ومنهم من سلك الحقيقة »[1] .

ولعلـــه أراد هؤلاء وهؤلاء ؛ فإن هؤلاء[2] يُرَجِّحون[3] بما يُيَسِّره[4] الله ، مع حسن القصد ، واتِّباع الأمر والنهي المعلوم لهم ، مع خفاء الأدلة الشرعية في ذلك المتيســر لهم ، وهؤلاء[5] يُرَجِّحون بالأدلة الشرعية ؛ من الظواهر ، والأقيسة ، وأخبار الآحاد[6] ، وأقوال العلماء ، مع خفاء الأمر المُتَيَسِّر لهم .

وأيضاً فهؤلاء[7] قد يشهدون ما في ذلك الفعل المقدور من المصلحة والخير فيُرَجِّحونه بحكم الإيمان ، وإن لم[8] يعرفوا دليلاً من النص على حُسنه، وأولئك[9] إنمـــا يُرَجِّحون بالنصوص[10] وما استُنْبِطَ منها ، فهؤلاء لهم القرآن ، وهؤلاء لهم الإيمان.

وسبب هذا أن كلاً من الطائفتين خفي عليه ما مع[11] الأخرى[12]من الحَقِّ ،

---

[1] لم أجده بهذا اللفظ ، لكن للصوفية كلام كثير في هذا الباب ؛ من ذلك قول القشيري:" الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، والشريعة جاءت بتكليف من الخالق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر ".

الرسالة القشيرية ص٨٢-٨٣.

[2] أي العبَّاد الجهال.

[3] في الأصل " يترجحون " ، والمثبت من سائر النسخ.

[4] في الأصل " يسره " والمثبت من سائر النسخ.

[5] أي العلماء.

[6] الآحاد عند المحدثين/ هو ما قصر عن صفة التواتر .

انظر: الكفاية ص ١٦ ، والمنهل الروي ص ٣٢.

[7] أي أهل الحقيقة أو العبَّاد.

[8] " لم " سقطت من (أ).

[9] أ ي أهل الشريعة أو العلماء.

[10] في (أ ، ب، ع، ش) " من النصوص ".

[11] في (أ، ب، ع، ش) " مانع ".

[12] في (ع) " الآخر ".

وكُلٌّ من الطائفتين في طريقها حق وباطل[١] .

فأمـــا المُدَّعــون للحقيقة بدون مراعاة الأمر والنهي الشرعيين فهم ضالون ، كالذيــن يعــرفون الأمــر والنهي ، ولا يفعلون إلا ما يهوونه[٢] من الكبائر فإنهم فساق.

وهــؤلاء وهــؤلاء[٣] الذين قيل فيهم : « احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما[٤] فِتْنَةٌ لكل مفتون »[٥] .

والحقيقة[٦] قد تكون قدريَّة ، وقد تكون ذَوْقِيَّة ، وقد تكون شرعيَّةً ، ولفظ الشرع يتناول[٧] المُنَزَّل المُؤَوَّل والمُبَدَّل[٨][٩] .

---

[١] فالحق عند العلماء حرصهم على طلب العلم ، والباطل عندهم اتِّباعهم لأهوائهم ، والحق عند العبَّاد حسن قصدهم واجتهادهم في العبادة ، والباطل عندهم أنهم عبدوا الله على ضلال لقلة علمهم.

[٢] في الأصل " ما يهووا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[٣] " وهؤلاء " سقطت من (أ ، ب).

[٤] في (ش) " فتنتيهما ".

[٥] هذا الأثر رواه الإمام أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال ١١٨/٣ رقم(٤٥٠١) ، عن سفيان بن عيينة ، ونصه:

" تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل ، ومن فتنة العالم الفاجر ؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ".

ـ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩٢/١ .

ـ والبيهقي في شعب الإيمان ٣٠٨/٢ رقم(١٨٩٦) ، عن سفيان أيضا ، وفي المدخل إلى السنن ص٣٣٥ رقم(٥٤٤) ، عن سفيان أيضا.

ـ وأبو نعيم في الحلية ٣٦/٧ ، عن سفيان.

ـ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٩٢/١ ، عن عبد الله بن المبارك.

[٦] " والحقيقة " مكانها بياض في (ك).

[٧] قوله:" وقد تكون ذوقية وقد تكون شرعية ، ولفظ الشرع يتناول " مكانه بياض في (ك).

[٨] في الأصل " المبدل والمؤول والمنزل " ، وفي (ع) " النازل والمؤول والمبدل " ، وفي(ش) " المنازل والمؤول والمبدل " ، والمثبت من (ظ، ك، أ، ب).

[٩] الشرع المُنَزَّل/ هو ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة.

والشرع المُؤَوَّل/ هو ما اجتهد فيه العلماء من الأحكام.

والشرع المُبَدَّل/ هو الأحاديث المكذوبة ، والتفاسير المقلوبة ، والبدع المُضِلَّة التي أدخلت في الشرع وليست منه ، والحكم بغير ما أنزل الله.

انظر: مجموع الفتاوى ٥٠٧/١١ ، ٣٩٥/٣٥ ، والطرق الحكمية ص١٤٥.

والمقصـــود هنا ذكر أهل الاستقامة من الطائفتين ، والكلام على حال أهل العــبادة والإرادة[1] ؛ الذين خرجوا عن الهوى ؛ وهو الفَرْقُ الطَّبَعِيُّ ، وقاموا بما علموه من الفَرْقِ الشرعي[2] ، وبقي قِسْمٌ ثالث ليس لهم فيه[3] فَرْقٌ طبعي[4] ، ولا عندهم فيه فَرْقٌ شرعي ، فهو الذي جروا[5] فيه مع الفعل والقدر .

وأمـــا من جرى مع الفَرْقِ الطبعي[6] ؛ إما عالماً بأنه عاصٍ ، وهو العالم الفاجــر ، أو مُحْتَجّاً بالقدر أو بِذَوْقِهِ[7] ووجده مُعْرِضاً عن الكتاب والسنة ، وهو العابد الجاهل ، فهذا خارج عن الصراط[8] المستقيم .

الصحابة جمعوا بين العلم والعبادة وحسن القصد

وهـــذا مما يُبيِّن كمال حال[9] الصحابة [رضي الله عنهم][10] وأنهم خير قرون هذه الأمة[11] ، إذ كانوا في خلافة النبوَّة يقومون بالفروق الشرعية في جَلِيْلِ

---

[1] في (ع) " الإرادة والعبادة ".

[2] الفرق الشرعي/ هذا الفرق فَرْضٌ على كل مسلم ، وصاحبه يشهد أن لا إله إلا الله ، ويعلم أن الله هو المعبود دون ما سواه ، وأنه أرسل الرسل يأمرون الناس بطاعته ، وينهونهم عن معصيته.

وهذا الفرق هو الذي دعا إليه الجنيد بن محمد ويكون بعد الجمع، وأكثر الصوفية لا يعترفون به.

وأما الفرق الطبعي فيكون قبل الجمع ؛ وهو عند الصوفية/ الاحتجاب بالخلق عن الحق ، وبقاء رسوم الخليقة بحالها.

انظر: الرد على البكري ٧٩٤/٢ ، والتعريفات ص١٦٨.

[3] " فيه " سقطت من (أ ، ب).

[4] في(ع) " طبيعي ".

[5] في الأصل " جزوا " ، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في (ع) " الطبيعي ".

[7] في (أ) " أو يذوقه ".

[8] في (أ ، ب) " الكتاب ".

[9] في (أ ، ب) " حال كمال ".

[10] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[11] يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو صاحبه ٣/٧ رقم(٣٦٥٠)، عن عمران بن حصين ، ونصه:

"خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم..." الحديث.

ـ ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ١٩٦٢/٤ رقم(٢٥٣٣).

الأمور ودقيقها[1] مع اتِّسَاعِ[2] الأمر .

والواحد[3] من المتأخرين قد يعجز عن معرفة الفروق الشرعية فيما يَخُصُّهُ ، كما أن الواحد من هؤلاء يَتَّبِعُ هواه في أمر قليل .

فأولــئك[4] مع عظيم ما دخلوا فيه من الأمر والنهي ، لهم العلم[5] الذي[6] يُمَيِّزون به[7] بين الحسنات والسيئات ، ولهم القصد الذي[8] يفعلون فيه الحسنات.

والكثــير من المتأخرين العالمين والعابدين[9] ، يفوت أحدهم العلم في كثير مــن الحســنات والســيئات ، حتى يَظُنَّ السيئة[10] حسنة وبالعكس[11] ، أو يفوته القصد في كثير من الأعمال ، حتى يَتَّبِعَ هواه فيما وضح له من الأمر والنهي[12].

فنســأل الله أن يهديــنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم[13] من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

هـــــــذا لَعَمْــــرِي[14] إذا كـــــان عنــــــد العـــــالِـــــم

---

[1] جليل الأمور: عظيمها ، ودقيقها: صغيرها.
انظر: لسان العرب ٤٨٧/١ ، ٩٩٧/٢.

[2] في (أ ، ب) " التساع ".

[3] في (أ ، ب) " والواجد ".

[4] أي الصحابة رضوان الله عليهم.

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " العمل ".

[6] في (أ) " الذين ".

[7] " به " سقطت من (ك).

[8] قوله:" يميزون به بين الحسنات والسيئات ، ولهم القصد الذي " سقط من (أ ، ب، ع، ش).

[9] في (ع) " العالمين العابدين ".

[10] في الأصل " إليه " بدل " السيئة " ، والمثبت من سائر النسخ.

[11] وهذه هي حال كثير من الصوفية ، والجهال من العباد والسالكين.

[12] وهم علماء السوء ؛ الذين طلبوا بعلمهم الدنيا والرياسة.

[13] في (ش) " أنعم الله عليهم ".

[14] اختلف في المراد بقوله:(لَعَمْرِي) ؛ فقيل معناه: لَحَيَاتِي ، فهي حَلِفٌ بالحياة ، ومنه قوله تعالى:" **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** " [الحجر: ٧٢] ، وقيل: معنى لعمرك: أي لدينك الذي تعمر به ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المُنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يجتمعان

معنى عمرك الله: أي عبادتك الله.

=

مـــا[1] هو أَمْرُ الشارع ونهيه حقيقة ، وعند العابد حُسْنُ القصد الخالي عن الهوى حقـيقة ، فأما من خَلَطَ الشرع المُنَزّل بالمُبَدّل[2] والمُؤَوّل ، وخلط القصد الحسن باتِّبَاع الهوى ، فهؤلاء وهؤلاء مُخَلِّطُون في علمهم وعملهم[3] .

وتخلـــيط هـــؤلاء[4] فـــي العلم سوى تخليطهم وتخليط غيرهم في القصد ، وتخليط هؤلاء[5] في القصد سوى تخليطهم وتخليط غيرهم في العلم .

العمل وحسن القصد من أعون الأشياء على تحصيل العلم

فإنه من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم[6] ، وحُسْنُ القصد من أَعْوَنِ الأشـــياء على نَيْلِ العلم ودَرَكِهِ[7] ، والعلم الشرعي من أَعْوَنِ الأشياء على حسن

= فهي إذاً ــ على المعنى الأول ــ حلف بالحياة ؛ ولهذا كرهها كثير من العلماء ، قال إبراهيم النخعي:" يكره للرجل أن يقول: لعمري ؛ لأنه حلف بحياة نفسه ، وذلك من كلام ضعفة الرجال " .

وقال الإمام مالك: " إن المستضعفين من الرجال والمؤنثين يُقْسِمون بحياتك وعيشك ، وليس من كلام أهل الذكران ، وإن كان الله سبحانه أقسم به في هذه القصة ؛ فذلك بيان لشرف المنزلة والرفعة لمكانه ، فلا يُحْمَلُ عليه سواه ، ولا يستعمل في غيره " .

وقال القرطبي:" كره كثير من العلماء أن يقول الإنسان: لعمري ؛ لأن معناه : وحياتي ".

وقد روي عن الإمام أحمد أنه أجازه ؛ فقد سُئل رضي الله عنه: " يكره لعمري ولعمرك ، قال: ما أعلم به بأساً ".

قال الشيخ بكر أبو زيد: " والتوجيه أن يقال: إن أراد القسم مُنِعَ ، وإلا فلا ، كما يجري على اللسان من الكلام مما لا يراد به حقيقة معناه ".

انظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١٣٥/٢ ، وتفسير القرطبي ٤٠/١٠ ، ولسان العرب ٤/ ٨٨١ ، ومعجم المناهي اللفظية ص٤٧١.

[1] قوله:" هذا لعمري إذا كان عند العالم ما " مكانه بياض في(ك).

[2] في الأصل " والمبدل ".

[3] " وعملهم " سقطت من (ك).

[4] أي علماء السوء.

[5] أي العبَّاد الجهال.

[6] هذا الأثر ذكره أبو نعيم في الحلية ١٥/١٠ ، عن أنس مرفوعا ، ونصه:

" من عمل بما يعلم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم ".

ثم قال أبو نعيم:" ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام ، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد ".

[7] كما قال تعالى:" ...**واتقوا الله ويعلمكم الله** ..."[البقرة: ٢٨٢] ، فتقوى الله ، وحسن النية والقصد ، من أهم الأسباب المعينة على تحصيل العلم.

القصد والعمل الصالح[١] ، فإن العلم قائدٌ ، والعمل سائقٌ ، والنفس حَرُونٌ[٢] ، فإن وَنِيَ[٣] قائدها لم تَسْتَقِمْ لسائقها ، وإن وني[٤]سَائِقُها لم تَسْتَقِمْ لقائدها[٥] .

فـــإذا ضَـــعُفَ العلم حَارَ السَّالك ، ولم يدر أين يسلك ، فغايته أن يستطرح[٦] للقـــدر، وإذا ترك العمل ، حاد[٧][٨] السالك[٩] عن الطريق فسلك غيره ، مع علمه أنه تركه[١٠] ، فهذا[١١] حائرٌ لا يدري أين يسلك مع كثرة سَيْرِهِ ، وهذا[١٢] حائد[١٣]

---

[١] قال تعالى:"...**إنما يخشى الله من عباده العلماء...**" [فاطر: ٢٨].

[٢] حرنت الناقة فهي حرون : وهي التي إذا اشتد بها الجري وقفت ، ولم تنقد لراكبها.

انظر: لسان العرب ٦٢٠/١.

[٣] وني: فتر وتعب.

انظر: لسان العرب ٩٩٠/٦.

[٤] في (ش) " وفي " في الموضعين.

[٥] يشير الشيخ هنا إلى الأثر الذي رواه اللالكائي في شرح السنة٩٢٨/٤ رقم(١٥٧٩) ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه قال:

" الإيمان قائدٌ ، والعمل سائقٌ ، والنفس حَرُون ، فإذا وَنِيَ قائدها لم يستقم سائقها ، وإن وَنِيَ سايقها لم تستقم لقائدها ، الإيمان بالله مع العمل ، والعمل مع الإيمان ، ولا يصلح هذا إلا مع هذا ؛ حتى يقدمان على الخير إن شاء الله ".

ـ ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٨٢/١.

وعبد الله بن عبيد بن عمير من تابعي التابعي توفي سنة ١١٣هـ .

انظر ترجمته في: الحلية ٣٥٤/٣.

[٦] طرح الشيء : رمى به ، فكأنه رمى بنفسه للقدر واستسلم له يقضي فيه ما شاء .

انظر: لسان العرب ٥٧٨/٤.

[٧] في الأصل " جاز " ، وفي سائر النسخ " حار " ، والمثبت من (ظ ، ك) ، وقال ناسخ (ع) :لعله" حاد ".

[٨] حاد عن الطريق: عدل عنه وتركه.

انظر: لسان العرب ٧٦٦/١.

[٩] قوله:" ولم يدر أين يسلك ، فغايته أن يستطرح للقدر ، وإذا ترك العمل حاد السالك " مكانه بياض في (ك).

[١٠] في (أ) " ترك ".

[١١] أي العابد الجاهل.

[١٢] أي العالم الفاجر.

[١٣] في الأصل " جائز " ، وفي سائر النسخ "جائر " ، والمثبت من (ظ، ك) ، وقال ناسخ(ع): لعله " حائد ".

عن الطريق زائغ عنه مع علمه به .

قـــال [الله][1] تعالى : «... **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**... »[الصف: ٥] ، هـــذا جاهل وهذا ظالم[2] [قال تعالى][3] : « ...**وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا** »[الأحزاب: ٧٢] ، مع أن الجهل والظلم متقارنان[4].

لكـــنَّ الجاهل لا يدري أنه ظالم ، والظالم جَهِلَ الحقيقة المانعة له من العلم ، قـــال [الله][5] تعـــالى : « **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**... »[6][النساء: ١٧] .

قال أبو العالية[7] : سألتُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لي : «كُلُّ من عصى الله فهو جاهل، وكُلُّ[8]من تاب قبل الموت،فقد تاب من قريب»[9].

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[2] في (أ ، ب) " ظاهر لم ".

[3] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ع، ش) ، وفي (ش) زيادة " الله ".

[4] في الأصل وسائر النسخ " متقاربان " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[5] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[6] في (ع) زيادة " الآية ".

[7] رُفَيْع بن مِهْران الرِّياحي البصري ، من كبار التابعين ، كان مولى لامرأة من بني رياح من بني تميم ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولقي أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم من كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

سكن البصرة وعبد الله بن عباس والٍ عليها ، فكان ابن عباس يُقَدِّرُهُ ويرفعه معه على سرير المُلْكِ ، ويقول : هكذا العلم يزيد الشريف شرفا ، ويُجلس الملوك على الأسرَّة.

كان عالما بالقرآن والتفسير ، وقد أخذ القرآن عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ، وقيل: إنه هو أول من أذَّن في بلاد ما وراء النهر ، وكان ممن اعتزل القتال يوم صفين.

كان زاهداً ورعاً ، ينكر على من لبس الصوف ، ويقول: هذا زيُّ الرهبان ، لا يحب الشهرة ؛ حتى قال عاصم الأحول: " كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم ".

توفي سنة ٩٣هـــ .

انظر: طبقات ابن سعد ١١٢/٧ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٣٢٦/٣ ، والسير ٢٠٧/٤ ، وتذكرة الحفاظ ٦١/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٨٤/٣.

[8] في الأصل وسائر النسخ " وإن " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[9] الأثر رواه الطبري في تفسيره ٨٩/٥ رقم(٨٨٣٢) ، عن أبي العالية مختصرا، ونصه:

" أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبدٌ فهو بجهاله" .

ــ ورواه بتمامه البيهقي في شعب الإيمان ٤٠٠/٥ رقم(٧٠٧٣ ، ٧٠٧٤) ، عن مجاهد والضحاك. =

وقـــد روى الخلاَّل[1] عن أبي حيان التيمي[2] قال : « العلماء ثلاثة : فعالم بـــالله ليس عالماً بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالماً بالله ، وعالم بالله وبأمره ؛ فالعالم بالله الذي يخشاه ، والعالم بأمر الله الذي يعرف أمره ونهيه »[3] .

= ــ وذكره القرطبي في تفسيره عن (قتادة وابن عباس والضحاك ومجاهد والسدي).

ــ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٢ ، إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

[1] أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخَلاَّل الحنبلي ، والخلال نسبة إلى صنعته ؛ إذ كان يبيع الخل.

قيل رأى الإمام أحمد بن حنبل ، فإن صح وإلا فقد لقي كبار أصحابه: كحرب بن إسماعيل ، وابن المنادي ، وعبد الله بن الإمام أحمد ، وأبو بكر المروذي ، وإبراهيم الحربي وغيرهم.

رحل في طلب مسائل الإمام أحمد إلى فارس والشام ومصر ، ودَوَّنَهَا في المُدَوَّنات الكبار مثل: الجامع في الفقه من كلام أحمد ، وكتاب العلل عن الإمام أحمد وغيرها.

قال عنه ابن شهريار:" كُلُّنا تبع لأبي بكر الخلال ، لم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحد ".

من مؤلفاته كتاب(السنة ــ وأخلاق أحمد ــ والطبقات...) وغيرها.

ولد سنة ٢٣٤هــ ، وتوفي ببغداد سنة ٣١١هــ ، ودفن إلى جنب شيخه أبو بكر المروذي.

انظر: طبقات الحنابلة ١٢/٢ ، والوافي بالوفيات ٩٩/٨ ، وتذكرة الحفاظ ٧٨٥/٣ ، والسير ٢٩٧/١٤ ، والشذرات ٢٦١/٢.

[2] أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي ، والتيمي نسبة إلى تيم الرباب.

روى عن أبيه وعمه والشعبي والضحاك ، وروى عنه أيوب السختياني والأعمش وشعبة والثوري وهشيم وعيسى بن يونس وابن المبارك.

قال عنه الخريبي:" كان أبو حيان عند سفيان الثوري " ، يعني يُعَظِّمُهُ ويُوَثِّقه ، وقال العجلي:" ثقة صالح مُبَرِّزٌ صاحب سُنَّة " ، وقال مسلم:" كوفي من خيار الناس " ، وقال النسائي:" ثقة ثبت " ، وقال يحيى بن معين :" ثقة " ، وذكره ابن حبان في الثقات. توفي سنة ١٤٥هــ .

انظر: طبقات ابن سعد ٣٥٣/٦ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٧٦/٨ ، ومعرفة الثقات للعجلي ٣٥٢/٢ ، والثقات لابن حبان ٥٩٢/٧ ، وتهذيب التهذيب ٢١٤/١١ ، والشذرات ٢١٧/١ .

[3] الأثر رواه الدارمي في سننه ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ٣٧٣/١ رقم(٣٧٥) ، عن سفيان بن عيينة قال: كان يقال:" العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله ، فذاك العالم الكامل ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله ، فذلك العالم الفاجر ".

ــ ورواه يحيى بن معين في تاريخه ٥٣٧/٣ رقم(٢٦٢٤) عن أبي حيان التيمي.

ــ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩١/١ ، عن سفيان.

ــ وأبو نعيم في الحلية ٢٧٩/٧ ، عن سفيان.

ــ والبيهقي في شعب الإيمان ٣١٤/٢ رقم(١٩١٩) ، عن سفيان ، وفي المدخل إلى السنن ص٣٢٩ رقم(٥٢٩) ، عن أبي حيان.

ــ ونسبه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٠١/٤ ، إلى عيسى عليه السلام. =

قلــت : والخشية تمنع اتباع الهوى قال [الله][1] تعالى[2] : « **وأما من خاف مقام ربه[3] ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** »[4] [النازعات: ٤٠] .

الرسول صلى الله عليه وسلم هو أكمل الناس علماً وقصداً

والكمال في عدم الهوى وفي العلم[5]هو لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم[6] الذي[7] قال[تعالى][8] فيه : « **والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى[9] وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** »[النجم: ١-٤] ، فنفى عنه الضلال والغيّ، ووصــــفه بأنه ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل وهو الوحي[10] ، فهذا كمال العلم ، وذاك[11] كمال القصد ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[12] .

ووصف أعداءه بضدِّ هذين فقال [تعالى][13] : « **إن يتبعون إلا الظن وما**

= وإسناد الاثر واحد ؛ لأن سفيان الثوري رواه عن أبي حيان كما في رواية يحي بن معين ، والبيهقي في المدخل إلى السنن ، وقد قال عنه مُحَقِّقُ سنن الدارمي:" ...وهذا إسناد صحيح إلى أبي حيان ، إن كان عمر بن عبد الرحمن الأبَّار سمعه من سفيان".

انظر: سنن الدارمي(بتحقيق حسين سليم أسد) ٣٧٣/١.

[1] ما بين المعكوفين زيادة من(ع).

[2] قوله: " والخشية تمنع اتباع الهوى ، قال الله تعالى " مكانه بياض في الأصل.

[3] خاف مقام ربه: أي حذر مقامه بين يدي ربه ، وذلك يوم الحساب.

انظر: تفسير القرطبي ٢٠٧/١٩.

[4] في (ع، ش) زيادة الآية.

[5] في (ك) زيادة " ذلك ".

[6] في (ع) " صلوات الله وسلامه عليه ".

[7] في (أ ، ب، ش) " ولا الذي ".

[8] ما بين المعكوفين زيادة من (ك).

[9] الغَيُّ: هو الضلال والخيبة، وهو عكس الرشد ، قال المرقش:

فمن يلق خيرا يَحْمَدِ الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغيِّ لائماً

انظر: جامع البيان٤١/١٧، ولسان العرب ١٠٣٢/٤ .

[10] ومما يدل على كمال علمه عليه الصلاة والسلام ، قوله:"...إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا " ، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أعلمكم بالله ٩٥/١ رقم(٢٠).

[11] في (أ ، ب، ع، ش) " ذلك ".

[12] في (ك، أ، ب، ع، ش) " صلى الله عليه وسلم ".

[13] ما بين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ع، ش).

تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[النجم: ٢٣] .

كمال الإنسان هو في عبادة الله بعلم وحسن قصد

فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علماً وقصداً ، قال تعالى : **« ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »**[الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى[١] : **« وأنه لما قام عبد الله يدعوه... »**[الجن: ١٩] ، وقال [تعالى][٢] فيما حكاه عن إبليس :« [قال][٣] **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المُخْلَصين »**[ص: ٨٢-٨٣] ، وقال [تعالى][٤] : « **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان... »**[الحجر: ٤٢] ، وقال [تعالى][٥] : « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المُخْلَصين »**[يوسف: ٢٤] ، وقال [تعالى][٦] : « **إنه ليس له سُلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سُلطانه على الذين يتولّونه ، والذين هم به مشركون »**[٧] [النحل: ٩٩-١٠٠] .

وعبادته [تعالى هي][٨] طاعة أمْرِه ؛ وأمْرُهُ لنا[٩] ما بلَّغه الرسول عنه ، فالكمال في كمال طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً.

[ومَنْ][١٠] كان لم يعرف ما أمر الله به ، فتَرَك هواه واستسلم للقدر ، أو اجتهد في الطاعة ، فأخطأ فعل المأمور به ، إلى ما اعتقده مأموراً به ، أو تعارضت عنده الأدلة ، فتوقف عما هو طاعة في نفس الأمر ، فهؤلاء مطيعون لله يثابون[١١] على ما أحسنوه من القصد لله[١٢]، واستفرغوه من وسعهم في طاعة الله،

---

(١) " تعالى "سقطت من (ك).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من(ظ، أ، ب، ع، ش)

(٣) مابين المعكوفين زيادة من(أ ، ب، ش).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ظ، ك، ع).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(٧) في (ع) قدّم الآية الأخيرة قبل قوله تعالى:" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ".

(٨) ما بين المعكوفين زيادة من (ط ، ك).

(٩) في (ك) زيادة " إنما هو ".

(١٠) ما بين المعكوفين زيادة من سائر النسخ.

(١١) في (أ ، ب، ع، ش) " مثابون ".

(١٢) " لله " سقطت من (ك، أ).

وما عجزوا عن علمه ، فأخطئوه[1] إلى غيره ، فمغفورٌ لهم .

من أسباب الفتن التي تقع بين العلماء عدم معرفة بعضهم ما لدى الآخر من الحق

وهــذا من أسباب[2] فِتَنٍ تَقَعُ بين الأمة ؛ فإن أقواماً يقولون ويفعلون أموراً هم مجتهدون فيها وقد أخطئوا ، فتبلغ أقواماً ، فيظنون أنهم تعمَّدوا فيها الذنب ، أو يظـنون أنهـم لا يُعْذرون بالخطأ ، وهم[3] أيضاً مُجتهدون مُخطئون ، فيكون هذا مُجتهداً مُخطئاً في فعله ، وهذا مجتهداً مخطئاً في إنكاره ، والكُلُّ مغفورٌ لهم .

وقـد يكـون أحدهما مُذْنِباً ، كما قد يكونان جميعاً مذنبين ، « وخير الكلام كـلام الله ، وخـير الهـدي هدي محمد[4] ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »[5] .

حصول الرياسة والتصرف للعبد في الدنيا ليس دليلاً على كماله

والواحـد مـن هؤلاء قد يُعْطَى تَصَرُّفاً[6] بالأمر والنهي ، فَيُوَلِّي ويعزل ، ويعطـي ويمـنع ، فيظـن الظَّانُّ أن هذا كمال ، وإنما يكون كمالاً إذا كان موافقاً للأمـر ، فيكون طاعة لله ، وإلاَّ فهو من جِنْسِ المُلْكِ ، وأفعالُ المَلِكِ إما ذنبٌ[7] ، وإما عفوٌ[8] ، وإما طاعةٌ[9] .

فالخلفاء الراشدون أفعالهم طاعة وعبادة ، وهم أتباع العَبْدِ الرسول صلى الله عليـه وسـلم[10] ، وهي طريـق[11] السـابقيـن المقربيـن ،

---

(1) في (ع) " فأخطأوا ".

(2) قوله:" إلى غيره فمغفور لهم ، وهذا من أسباب " مكانه بياض في(ك).

(3) أي الذين ينكرون على المجتهدين المخطئين.

(4) في (أ ، ب، ع، ش) زيادة " صلى الله عليه وسلم ".

(5) سبق تخريج هذا الحديث ص٣٠١.

(6) في (أ ، ب، ش) " تطرفاً " ، وفي (ع) "طرفاً ".

(7) قوله " إما ذنب " تكرر في الأصل.

(8) العفو من الشيء: ما فَضَلَ وزاد عن الحاجة ، ومنه قوله تعالى:" **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**..."[البقرة: ٢١٩] ؛ أي ما فَضَلَ عن الحاجة من أموالهم ، وهذا قبل أن تفرض الزكاة.
والعفو من الأفعال: الفضل منها مما لا ثواب عليه ولا عقاب ، كفضول المباح.
انظر: لسان العرب ٨٢٨/٤

(9) فما كان من أفعال المَلِكِ معصية فهو الذنب ، وما كان من أفعاله موافقاً لأمر الله فهو الطاعة ، وما كان من فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة أو معصية فهو العفو.

(10) " صلى الله عليه وسلم " ليست في سائر النسخ.

(11) في(ك) " طريقة ".

وأمـــا طـــريق[1] الملوك العادلين ؛ فإما طاعة وإما عفو[2] ، وهي طريقة الأنبياء الملوك ، وطريقة الأبرار أصحاب اليمين .

وأمـــا طريقة الملوك الظالمين فتتضمن المعاصي ، وهي طريقة الظالمين لأنفســـهم ، قـــال [الله][3] تعالى : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمـــنهم ظالم لنفسه ، ومنه مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضـــل الكبير** »[فاطر: ٣٢] ، فلا يخرج الواحد من المؤمنين عن أن يكون من أحد هذه الأصناف ؛ إما ظالم لنفسه ، وإما مقتصدٌ ، وإما سابقٌ بالخيرات .

أقسام خوارق العادات :

وخوارق العادات ؛ إما مُكَاشَفَةٌ وهي من جِنْسِ العلم الخارق ، وإما تَصَرُّفٌ وهو من جنس القدرة الخارقة[4] ، وأصحابها لا يخرجون عن الأقسام الثلاثة[5].

* * *

---

[1] في (أ ، ب) " طريقة ".

[2] سبق بيان معنى العفو ص٣٩٠.

[3] ما بين المعكوفين زيادة من (ع).

[4] خوارق العادات إما أن تكون من جنس العلم الخارق ؛ كإخباره عليه الصلاة والسلام بزوال ملك الفرس والروم ، وإما أن تكون من جنس القدرة الخارقة ؛ كانشقاق القمر ، وإحياء الموتى ، والعصا التي تنقلب ثعباناً مبيناً.

وقد تكلم الشيخ عن هذه الأقسام بالتفصيل ، وذكر أمثلة كثيرة على ذلك ، في مجموع الفتاوى ٣١٣/١١ ، فليرجع إليه.

[5] أي السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه، وصاحب الخوارق يمكن أن يكون من هؤلاء الثلاثة ؛ إذ خوارق العادات ليست دليلاً على كمال الولاية ، أو أن صاحبها أفضل من غيره ، بل قد يكون فاسقاً أو كافراً كما سبق أن ذكر الشيخ رحمه الله.

فصـــــل[1]

الفلاسفة يظنون أن كمال النفس في مجرد العلم

وقد تفرَّق الناس في هذا المقام[2] ، الذي هو غاية مطالب العباد ؛ فطائفة من الفلاســفة[3] ونحوهــم[4] يظنون أن كمال النفس في مجرَّد العلم ، ويجعلون العلم الذي به تكمل[5](6) ، ما يعرفونه هم من علم ما بعد الطبيعة[7] ، ويجعلون العبادات رياضــة لأخــلاق الــنفس ؛ حتى تَسْتَعِدَّ[8] للعلم[9] ، فتصير النفس عالماً معقولاً موازناً للعالم الموجود[10].

---

(1) من بداية هذا الفصل إلى نهاية الكتاب هو الفصل الساقط من طبعة الكتاب ضمن مجموع الفتاوى.

(2) وهو كيف يتم تحقيق كمال النفس الإنسانية ؟.

(3) الفلاسفة / هم المشتغلون بالفلسفة ؛ والفلسفة كلمة يونانية تعني(محبة الحكمة) ، ومضمونها البحث العقلي المجرد في حقائق الأشياء.

وأشهر الفلاسفة على الإطلاق(أرسطو طاليس) الذي يسميه الفلاسفة(المعلِّم الأول) ؛ لأنه هو أول من وضع لهم قواعد علم المنطق والفلسفة ، وكانت قبله غير مرتبة ولا مهذبة.

أما الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام فأشهرهم(الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن الطفيل) وغيرهم.

وقد كفَّر العلماء الفلاسفة ، وألف الغزالي كتابه المشهور(تهافت الفلاسفة) في بيان كفرهم ، كما كتب شيخ الإسلام رسائل عدة في الرد عليهم انظرها في: الجزء الثاني من مجموع الفتاوى.

انظر: الملل والنحل ٣٦٩/٢ ، وإغاثة اللهفان ٢٥٦/٢.

(4) في (أ ، ب، ع، ش) " وغيرهم ".

(5) في (أ ، ب) " يكمل ".

(6) أي النفس.

(7) علم ما بعد الطبيعة/ هو أحد أقسام الفلسفة ، وقد اختُلِفَ في تعريفه ؛ وهو عند أرسطو/ علم المبادئ العامة والعلل الأولى، ويُسَمَّى الفلسفة الأولى ، أو العلم الإلهي ؛ وموضوع بحث هذا العلم هو الله والنفس.

وسبب تسميته بذلك ؛ أنه لما رُتِّبَتْ فلسفة أرسطو، وقع وراء الفصل الخاص بالطبيعة ، فأصبح يسمى بـــ (ما بعد الطبيعة) ، على أن هذا يتفق مع موضوعه ؛ إذ هو يبحث في ما وراء الطبيعة والحس وهي الإلهيات.

انظر: تاريخ الفكر العربي لفروخ ص١١٢، والمعجم الفلسفي(الجامعة العربية) ص١٩٧ ، والمعجم الفلسفي لصليبا ٣٠٠/٢.

(8) في (أ ، ب) " يستعد ".

(9) " للعلم " سقطت من (ع).

(10) يقول ابن سينا في تعريف الفلسفة/ صناعة نَظَرٍ يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه ، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله ؛ لتشرف بذلك نفسه وتستكمل ، وتصير عالماً معقولاً=

من أسباب كفر وضلال الفلاسفة:

وهؤلاء ضالون بل كافرون[1] من وجوه منها :

أنهم اعتقدوا الكمال[2] في مجرَّد العلم ، كما اعتقـد جَهْمٌ[3] والصَّالحي[4]

=مضاهياً للوجود ، وتستعدُّ للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية.

انظر: تسع رسائل لابن سينا ص٧١.

[1] أجمع المسلمون على أن الفلاسفة كفار ؛ فقد كَفَّرهم الغزالي في التهافت في ثلاث مسائل ؛ هي قولهم أن الله لم يخلق العالم بل فاض عنه بغير إرادته ، وقولهم بأن الله لا يعلم الجزئيات ، وإنكارهم لبعث الأجسام.

ويقول شيخ الإسلام في بيان كفرهم:" ثم الفلاسفة والباطنية هم كفار ، كفرهم ظاهر عند المسلمين ، كما ذكر هو(أي أبو حامد الغزالي) وغيره ، وكُفْرُهم ظاهر عند أقل من له علم وإيمان من المسلمين ، إذا عرفوا حقيقة قولهم ، لكن لا يعرف كفرهم من لم يعرف حقيقة قولهم ".

بل قد جعل ابن القيم ــ رحمه الله ــ كفرهم من أغلظ أنواع الكفر، يقول:" وغِلَظُ الكفر الموجب العذاب من ثلاثة وجوه:

أحدها/ من حيث العقيدة الكافرة نفسها ؛ كمن جحد رب العالمين بالكلية ، وعطَّل العالم عن الرب الخالق المدبر ، فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر ؛ ولهذا لا يُقَرُّ أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء ، ولا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم اتفاقاً ؛ لتَغلُّظِ كفرهم ، وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة...".

انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٦٤ ، وطريق الهجرتين ص ٦٠٦.

[2] في (أ) " لكمال ".

[3] أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي السمرقندي ، مولاهم.

أسُّ الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدل ، وهو كاتب الأمير حارث بن سريح التميمي.

كان يُنكر الصفات ، ويقول بخلق القرآن ، وأن الله في كل الأمكنة حتى في أماكن القاذورات .

وعقيدته في الإيمان أنه مجرد العلم بالله ، وأنه عَقْدٌ بالقلب ، وإن تلفظ صاحبه بالكفر.

وقد أخذ مقالته هذه عن الجعد بن درهم ، لكن الفرقة نسبت إليه (فقيل الجهمية) ؛ لأنه هو الذي شهر تلك المقالة وأظهرها.

وقد قتله ــ على الردة ــ سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار سنة ١٢٨هــ .

انظر: المغني في الضعفاء ١/١٣٨ ، والسير ٦/٢٦ ، والميزان ٦/٢٧٢ ، ولسان الميزان ٢/٢٥٧ .

[4] أبو عبد الله صالح بن عمر الصالحي ، إليه تنسب فرقة (الصالحية) إحدى فرق المرجئة.

وهو ممن قال بأن الإيمان هو المعرفة بالله والكفر هو الجهل به ، وقال إن قول القائل (إن الله تعالى ثالث ثلاثة) ليس بكفر ، لكنه لا يظهر إلا من كافر ، وزعم أن معرفة الله هي المحبة والخضوع له.

وقال: من جحد الرسل لا يكون مؤمنا ، لا من أجل أن ذلك محال ؛ لكن لأن الرسول قال: (من لا يؤمن بي فليس مؤمنا بالله) ؛ إذ يصح في العقل أن يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله!.

وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج طاعات وليست عبادات لله ، وأن لا عبادة لله إلا الإيمان به ؛ وهو معرفته ، والإيمان خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص ، وكذلك الكفر.

وقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقال أبو عبد الله الصالحي: إن الإيمان مجرد تصديق القلب=

والأشـــعري[1][2] ــ فـــي المشهور من قوليه[3][4] ــ وأكثرُ أتباعه أنَّ الإيمان مجرَّد العلم .

=ومعرفته، لكن له لوازم ، فإذا ذهبت دل ذلك على عدم تصديق القلب ، وأنَّ كلَّ قول أو عمل ظاهر دلَّ الشرع على أنه كفر ، كان ذلك لأنه دليلٌ على عدم تصديق القلب ومعرفته ، وليس الكفر إلا تلك الخصلة الواحدة ، وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة ".

انظر: مقالات الإسلاميين ٢١٤/١ ، والفرق بين الفرق ص٢٠٧ ، والملل والنحل ١٤٥/١ ، ومجموع الفتاوى ٥٠٩/٧.

[1] " الأشعري " مطموسة في (أ).

[2] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق(أبي بشر) الأشعري البصري ، ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

نشأ على مذهب الأعتزال ؛ لاتصاله بزوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، ثم رجع عن الاعتزال لَمَّا بلغ الأربعين من عمره ، إلى قول ابن كُلاَّب ، ثم عاد إلى منهج السلف الصالح ، وصَرَّحَ باتِّباعه للإمام أحمد بن حنبل كما في كتابه(الإبانة) ، لكن بقيت عليه بعض الشوائب من مذهب ابن كلاب لم يستطع التخلص منها.

ومسألة رجوع الأشعري إلى منهج السلف فيها خلاف ؛ هل كان رجوعا كاملا أم لا ؟.

وما ذكرته هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، يقول:" وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة ، سلك طريقة ابن كلاب ، ومال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد كما قال ذلك في كتبه كلها ؛ كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها، وكان مختلطاً بأهل السنة والحديث؛ كاختلاط المُتَكَلِّم بهم ".

وللشيخ/ عبد الرحمن المحمود بحثٌ موسعٌ ونفيسٌ ، في كتابه(موقف ابن تيمية من الأشاعرة) انتهى فيه إلى ترجيح هذا القول الذي ذكره شيخ الإسلام ، فليرجع إليه.

من مؤلفاته(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ــ والإبانة عن أصول الديانة ــ ومقالات الإسلاميين ــ ورسالته إلى أهل الثغر...) وغيرها.

ولد سنة ٢٦٠هــ ، وتوفي سنة ٣٣٠هــ.

انظر: تاريخ بغداد ٣٤٦/١١ ، والأنساب ٢٦٦/١ ، ووفيات الأعيان ٢٨٤/٣ ، ودرء التعارض ١٦/٢ ، والسير ٨٥/١٥ ، والشذرات ٣٠٣/٢ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣٦١/١-٤٠٩.

[3] في الأصل " قوله " والمثبت من سائر النسخ.

[4] للأشعري في الإيمان قولان:

الأول/ أنه قول واعتقاد وعمل ، وهو موافق لقول السلف في ذلك.

الثاني/ أنه هو التصديق ، وتارة يُعَبِّرُ عنه الأشاعرة بالمعرفة ، موافقين لقول جهم في ذلك.

انظر: المواقف ص٣٨٤ ، والإيمان لشيخ الإسلام ص١٨٩ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣٥٠/٣.

الفلاسفة أشد كفراً من الجهمية

لكن المتفلسفة أسوأ حالاً من الجهمية[1] ، فإن الجهمية يجعلون الإيمان هو العلم بالله[2] ، وأولئك يجعلون كمال النفس في أن تعلم الوجود المطلق[3] من حيث هو وجود[4] .

ردُّ شيخ الإسلام على الفلاسفة في قولهم بالوجود المطلق

والمطلق بشرط الإطلاق ، إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان ، والمطلق لا بشرط ، لا يوجد أيضاً في الخارج إلا مُعَيَّناً ، وإن علموا الوجود الكلي المنقسم إلى واجب وممكن ، فليس لمعلوم عِلْمِهِمْ وجود في الخارج[5] .

وهكذا[6] من تصوف وتَألَّه[7]

---

[1] الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان وقد سبق التعريف به ، وبيان اعتقاده ص٣٩٣.

[2] هذا هو تعريف الإيمان عند الجهمية ؛ حيث قالوا: بأن الإيمان هو المعرفة أو العلم ، والكفر هو الجهل، ويلزم من ذلك أن كفار قريش بل إبليس مؤمنون ؛ إذ أنهم عارفون بالله ، كما ذكر الله عز وجل عن كفار قريش: " **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله...**" [لقمان: ٢٥] ، وإبليس يعرف أن الله ربه، قال تعالى:" **قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون** "[الحجر: ٣٦].

[3] الوجود المطلق عند الفلاسفة/ هو اسم للشيء الذي لا يتوقف تَصَوُّره أو وجوده على شيء آخر غيره ؛ لأنه علة وجود نفسه ، ويقصدون بذلك الله تعالى.
انظر: المعجم الفلسفي لصليبا ٣٣٨/٢.

[4] ومع هذا فالإجماع منعقد على كفر الجهمية أيضاً.
انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٢ ، وبيان تلبيس الجهمية ١٥٩/١.

[5] يرى الفلاسفة وأشباههم من الاتحادية ، أن الله هو الوجود المطلق ؛ أي الذي لا يَحُدُّهُ شيء ، ولا يمكن أن يوصف بشيء. ومن المعلوم أن الوجود المطلق بشرط الإطلاق لا يمكن أن يوجد في الواقع ؛ لأنه يلزم من وجوده أن يشغل كل الحيز الذي في الوجود ، وهذا ممتنع بوجود غيره في هذا العالم ، فيكون غاية الوجود المطلق أن يوجد في الذهن فقط.
وأما المطلق لا بشرط الإطلاق ؛ فإما أن يقال: أنه لا وجود له في الخارج كسابقه ، وإما أن يقال : هو موجود في الخارج لكن بشرط التعيين إذ ليس في الخارج إلا وجود معين.
فعلى الاحتمال الأول يكون الله غير موجود في الواقع، وعلى الاحتمال الثاني يكون الله هو عين الموجودات ، وهذا هو عين مذهب الاتحادية ، وكلا القولين باطل ، فتبين بذلك فساد قولهم أن الله هو الوجود المطلق.
انظر: بغية المرتاد ص٤١٠ وما بعدها ، ودرء التعارض ٢٨٥/١-٢٩٠ ، وبيان تلبيس الجهمية ٣٧٩/٢-٣٨٢ ، والصفدية ٢٩٦/١-٣٠٣.

[6] في (ش) " وهكذي ".

[7] التألُّه/ هو التنسك والتعبد ، قال الشاعر:

لله در الغانيات المُدَّهِ سبَّحن واسترجعن من تألُّهي

انظر: لسان العرب ٨٨/١.

على[1] طريقتهم، كابن عربي[2]وابن سبعين[3] ونحوهما .

وأيضـــاً فـــإن الجهمية مُقِرُّون[4] بالرسل وبما جاءوا به من حيث الجملة ، مقرُّون بأن[5] الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وغير ذلك مما[6] جاءت به الرسل ، بخلاف المتفلسفة .

---

[1] في (أ ، ب، ش) " عن ".

[2] أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المُرسيّ ، المعروف بـــ(محيي الدين ابن عربي).

كان كاتبا للإنشاء لبعض أمراء المغرب ، ثم تزهَّد وسلك طريق التصوف ، وعمل الخلوات ، وهو القائل بوحدة الوجود ، التي كفَّره العلماء لأجلها.

قال عنه العز بن عبد السلام:" شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يُحَرِّم فَرْجاً ".

وقال عنه القضاعي: " وقد صرح بكفر هذا الرجل(يعني ابن عربي) ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام " ثم ساق أقوال جماعة من العلماء في تكفيره.

وقال الذهبي:" من أردأ تواليفه كتاب(فصوص الحكم) ؛ فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والمنجاة ، فواغوثاه بالله ".

من مؤلفاته: (فصوص الحكم ــ والفتوحات المكية).

ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـــ ، وهلك بدمشق سنة ٦٣٨هـــ.

انظر: طبقات الأولياء ص٤٦٩ ، والسير ٤٨/٢٣ ، والميزان ١٠٨/٣ ، ولسان الميزان ٣٩٧/٦ ، وتنبيه الغبي ص ١٥٠ ، والشذرات ١٩٠/٥.

[3] عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المُرْسي الرقوطي ، من فلاسفة المتصوفة الإشراقيين.

وهو ممن قال بالاتحاد ، وقال بأن النبوة مُكْتَسَبَةٌ ، ولأجل ذلك جاور في غار حراء ؛ طمعاً في نزول الوحي عليه.

من أقواله الكفرية:" لقد كذب ابن أبي كبشة(يعني الرسول صلى الله عليه وسلم) على نفسه حيث قال:(لا نبي بعدي)" .

له طائفة تنسب إليه يعرفون بالسبعينية ، عُرِفُوا بترك الفرائض ، والانحلال والوقوع في الفواحش .

قال عنه ابن دقيق العيد:" جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر ، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تفهم مركباته ". توفي سنة ٦٦٩هـــ.

انظر: فوات الوفيات ٢٥٣/٢ ، والعبر ٢٩١/٥ ، والشذرات ٢٣٩/٥ ، ولسان الميزان ٢٩٣/٣ .

[4] في (ك) " يقرون ".

[5] في (أ ، ب) " أن ".

[6] في (أ ، ب) " بما ".

وبالجملـــة فكمال النفس ليس في مجرد العلم ، بل لابد[1] مع العلم بالله من محبَّــته وعــبادته والإنابــة إلــيه ، فهــذا عمل النفس وإرادتها ، وذلك[2] علمها ومعرفتها.

الوجه الثاني من وجوه كفر الفلاسفة

الوجــه الثاني / أنهم ظنوا أن العلم الذي تكمل به النفس هو علمهم[3] ، وكثيرٌ منه جهلٌ لا علم .

الثالــث / أنهــم لم يعرفوا العلم الإلهي الذي جاءت به الرسل ؛ وهو العلم الأعلى الذي به تكمل[4] النفس ، مع العمل[5] بموجبه .

الــرابع / أنهــم يــرون[6] أنه إذا حصل لهم ذاك[7] العلم ، سقطت عنهم واجبات الشــرع وأبيحــت لهم محرماته[8] ، وهذه طريقة الباطنية[9] ؛ من الإسماعيلية[10]

---

[1] " لابد " مكانها بياض في (ك).

[2] في (أ ، ب، ع، ش) " ذلك ".

[3] أي ما يسمونه بعلم الفلسفة.

[4] في الأصل وسائر النسخ " تكمل به " ، والمثبت من (ظ ، ك).

[5] في (أ، ب، ع، ش) " العلم " ، وقال ناسخ (ع) : لعله: العمل.

[6] في الأصل " يريدون " ، والمثبت من سائر النسخ.

[7] في (ع) " ذلك ".

[8] في الأصل " محرمات " ، والمثبت من سائر النسخ.

[9] الباطنية/ هو الذين يقولون بأن للقرآن ظاهراً وباطنا ؛ ظاهرٌ يعرفه كل أحَدٍ ، وباطنٌ لا يعرفه ــ بزعمهم ــ إلا أئمتهم ، وأن من عرف هذا الباطن ، سقطت عنه الآصار والأغلال ؛ أي الأعمال الظاهرة من صلاة وصوم وحج ونحوها.

وأول من قال بالباطن (ميمون بن ديصان القداح) مولى جعفر الصادق ، الذي ادَّعى انتسابه لآل البيت ، وعاونه في ذلك جماعة من المجوس والمزدكية وغيرهم من الإباحيين.

وأشهر فرق الباطنية(الدروز ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والاتحادية ، والحلولية من غلاة الصوفية).

وقد أجمع المسلمون على تكفير الباطنية ، بل هم أعظم خطراً على الإسلام من اليهود والنصارى ، بل إن ضررهم ــ كما ذكر البغدادي ــ أعظم من ضرر الدَّجال.

انظر: الفرق بين الفرق ص٢٨١-٣١٢ ، وبيان تلبيس الجهمية ١/٢٥٩.

[10] الإسماعيلية/ إحدى فرق الرافضة من الشيعة ، ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم إلى ابنه محمد ، وعدد أئمتهم سبعة ؛ ولهذا يسمون السبعية.

من عقائدهم نفي الأسماء والصفات عن الله ، والقول بأن النبوة مكتسبة ينالها من توفرت فيه شروطها ، كما ينكرون البعث والنشور ، ويقولون بتناسخ الأرواح. =

وغـيرهم ؛ مـثل أبـي يعقوب السجستاني[1][2] صاحب (الأَقَالِيْدُ المَلَكُوتِيَّة)[3] وأمثاله، وطريقة من وافقهم من ملاحدة الصوفية، الذين يتأولون قوله [تعالى][4]: « **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** »[الحجر: ٩٩] ؛ أنك تعمل حتى يحصل لك[5] العلم، فإذا حصل العلم سقط عنك العمل[6] .

وقـد قيل للجنيد[7] : إنَّ قوماً يقولون : إنهم يصلون من طريق البرِّ ، إلي أن تسقط عنهم الفرائض ، وتُباح لهم المحارم ــ أو نحو هذا[8] الكلام ــ فقال : الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر أحسن حالاً من هذا[9][10] .

= وهم ممن قال بالتأويل الباطني ، وسقوط التكاليف ؛ حيث أولوا شرائع الإسلام بتأويلات تخالف ظاهرها ؛ كقولهم عن الصلاة هي: طاعة الإمام ، والصوم هو: كتمان أسرار المذهب ، والحج هو: زيارة الإمام.

انظر: الفرق بين الفرق ص٦٢ ، والملل والنحل ٢٢٦/١ ، ومجموع الفتاوى ١٦٢/٤ ، والإسماعيلية لظهير.

[1] في (أ ، ب، ع، ش) " أبي إسحاق السجستاني ".

[2] إسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي ، ويعرف بـ(بنداه ، أو دندان).

من دعاة الإسماعيلية المعاصرين لأئمتهم في دور الظهورـ كما يزعمون ـ ، ومن أشهر علمائهم ، كان اليد اليمنى لأبي عبد الله محمد بن أحمد النسفي ، الذي كان داعية للإسماعيلية في بلاد ما وراء النهر.

من مصنفاته(الينابيع ــ والأقاليد الملكوتية ــ وأساس الدعوة ــ وتأويل الشرائع).

ولد سنة ٢٧١هـ ، وعاش في بخارى ، وقُتِلَ في تركستان سنة ٣٣١هـ .

انظر: الفرق بين الفرق ص٢٨٣ ، والأعلام ٢٩٣/١ ، والإسماعيلية لظهير ص٧١٩، وأعلام الإسماعيلية ص١٥٤-١٥٦.

[3] كثيرا ما يشير الشيخ إلى هذا الكتاب، بل إنه ينسب مؤلفه إليه؛ فيقول" صاحب الأقاليد الملكوتية "، كما في المتن، ومجموع الفتاوى٩٥/٢، ومنهاج السنة٢٧/٨ وغيرها؛ مما يدل على اشتهار الكتاب.

لكني لم أجده، ولم يذكره من ترجم لمؤلفه ــ وهم قلة ــ في مؤلفاته، لكن أشار د/عبدالرحمن بدوي إلى أن من مؤلفاته كتاب (المقاليد) وأن له مخطوطة في المكتبة المحمدية الهمدانية، فلعله كتاب الأقاليد الملكوتية الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله. انظر: مذاهب الإسلاميين لبدوي ص٩٤٠.

[4] ما بين المعكوفين زيادة من (أ، ب، ع، ش).

[5] في (أ ، ب، ع، ش) " حتى تحصَّل ".

[6] انظر في مسألة سقوط التكاليف ، المبحث الثالث من الدراسة ص١٨٢.

[7] هو الجنيد بن محمد ، وقد سبق التعريف به ص٢٩٢.

[8] في (ك) زيادة "من ".

[9] في (ك) " الزنا والسرقة وشرب الخمر خير من هذا ".

[10] ذكر ذلك عن الجنيد القشيري في رسالته ص٤٣٠ ، قال:" يقول أبو علي الروباذي: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة ، وقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله عز=

ومن هؤلاء من يكون طلبه للمكاشفة[1] ونحوها من العلم ، أعظم من طلبه لمـــا فـــرض الله علـــيه ، ويقـــول في دعائه : « اللهم إنِّي[2] أسألك العصمة في الحـــركات[3] ، والسَّـــكنات ، والخطرات ، والإرادات ، والكلمات ، من الشكوك والظنون[4] والأوهام ، الساترة للقلوب[5] عن مُطَالَعَةِ الغيوب[6] »[7] .

من الصوفية من يكون طلبه للمكاشفة أعظم من طلبه لما فرضه الله عليه

وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي[8] هي الكمال عندهم هي : التَّشَبُّهُ بالإله[9] على قدر الطاقة[10] ، وهم يقولون أن حركات الأَفْلَاكِ ؛ لأجل التشبه بالأوَّل[11] .

الفلسفة عند الفلاسفة هي التشبه بالله

= وجل ، فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلَّموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندي عظيمٌ ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فإنه العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها ، ولو بَقِيتُ ألف عامٍ لم أُنْقِصْ من أعمال الرب ذرَّة ، إلا أن يُحال بي دونها ".

[1] المُكَاشَفَةُ عند الصوفية/ هي حضور القلب بِنَعْتِ البيان ، أو هي بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً.

انظر: الرسالة القشيرية ص٧٥ ، ومدارج السالكين٣/٢٢٢ ، والتوقيف للمناوي ص٦٧٢.

[2] " إني " سقطت من (ك).

[3] في (أ ، ب) " الحركاة ".

[4] في (أ ، ب، ع، ش) " الظنون والشكوك ".

[5] في الأصل " السائرة في القلوب "، والمثبت من سائر النسخ.

[6] في (أ ، ب) " العيوب ".

[7] هذا جزء من (حِزْبِ البَحْرِ) المنسوب لأبي الحسن الشاذلي ؛ الذي تنسب إليه الطريقة الشاذلية من طرقَ الصوفية ، والحزب يبدأ بقوله:" يا علي يا عظيم يا حليم...." ، ثم يأتي بعد ما ذكره الشيخ، ونصه: "...نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات ، من الظنون والشكوك والأوهام ، الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب...".

انظره كاملاً في: المدرسة الشاذلية ص١٨٠-١٨٣.

[8] " التي " سقطت من (ع).

[9] في (أ) " بالتشبه بالأدلة " ، وفي (ب، ع، ش) " بالتشبه بالإله ".

[10] قال الجرجاني:" الفلسفة/ هي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية ؛ لتحصيل السعادة الأبدية ، كما أمر الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله:" تَخَلَّقوا بأخلاق الله " ؛ أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات ".

التعريفات ص١٧٠.

[11] هذا القول هو قول أرسطو الذي يسميه الفلاسفة(المعلم الأول)، حيث يرى: " أن السموات تشتهي أن تحيا حياة شبيهة بحياة المحرك(الله) ما أمكن ، ولكنها لا تستطيع لأنها مادية ، فتحاكيها بالتحرك حركة متصلة دائمة هي الحركة الدائرية ".

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص١٨١ ، وتاريخ الفكر العربي لفروخ ص ١١٤.

وعلـــى هذا بنى أبو حامد كتابه في شرح الأسماء الحسنى[1] ، وتَخَلُّقُ العبد بأخلاق الله [تعالى][2][3] .

وأنكر ذلك عليه المازري[4] وغيره ، وقالوا : ليس لله خُلقٌ يتخلَّق به العبد[5].

---

[1] هو كتاب(المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى) لأبي حامد الغزالي ؛ وهو كتاب شرح فيه الغزالي معاني أسماء الله التسعة والتسعين ، كما تكلم فيه عن بعض القضايا التي لها مساس بأسماء الله تعالى ؛ مثل: الاسم والمسمى ، ووجوب التخلق بأخلاق الله(وهو الذي أشار إليه الشيخ) ، والتوقيف في أسماء الله تعالى ، ومعنى إحصائها الوارد في الحديث وغير ذلك.

والكتاب مطبوع عدة طبعات ؛ منها طبعة بتحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، وتقع في (١٦٨) صفحة من الحجم الصغير.

[2] ما بين المعكوفين زيادة من (أ، ب).

[3] يقول الغزالي:"...الحظ الثالث/ السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات ، والتخلُّق بها ، والتَّحلِّي بمحاسنها ، به يصير العبد ربانيا ؛ أي قريبا من الرب تعالى ".

المقصد الأسنى ص٣٣.

[4] أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي ؛ ومازر: بلد من جزيرة صِقلِّية.

درس الحديث، وتفقَّه على مذهب الإمام مالك، حتى صار إمام المالكية في عصره، كما تعلَّم الطب وبرع فيه.

قال عنه القاضي عياض: " لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ، ولا أقوم بمذهبهم ".

من مؤلفاته: (المُعلِّم بفوائد شرح مسلم ــ وإيضاح المحصول ــ وشرح البرهان للجويني ــ والكشف والإنباء عن كتاب الإحياء) ، وكتاب المعلم هو الذي بنى عليه القاضي عياض كتابه(الإكمال).

ولد بالمهدية في أفريقية سنة ٤٥٣هـــ ، وتوفي بها سنة ٥٣٦هـــ.

انظر: وفيات الأعيان ٢٨٥/٤ ، والفوات ١٥١/٤ ، والسير ١٠٤/٢٠ ، والشذرات ١١٤/٤.

[5] الظاهر أن المازري أنكر ذلك على الغزالي في كتابه (الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء)، ولم أقف عليه، لكن نقل عنه شيخ الإسلام في شرح الأصفهانية ص١٧٠-١٧٢، والذهبي في السير١٩/٣٣٠-٣٣٢ ، ٣٤٠-٣٤٢، والسبكي في طبقات الشافعية١٢٢/٤، وليس في هذه النقول إشارة إلى مسألة التخلق بأخلاق الله ، وقد بحثت في المطبوع من كتب المازري(وهو كتاب المُعلم) ، ولم أظفر بشيء في هذه المسألة.

وممن أنكر على الغزالي أيضاً: ابن العربي، وأبو بكر الطرطوشي، وابن عقيل، وابن حمدون القرطبي، وابن الجوزي، وابن الصلاح وغيرهم.

والقول الصحيح في ذلك ــ كما ذكر شيخ الإسلام ــ هو أن من أسماء الله ما يُحمد للعبد التخلق به؛ كالحليم والعليم والحكيم ، ومنها ما يذم؛ مثل: الله والإله والمتكبر والجبار.

وكذلك فإن للعبد من الصفات التي يحمد عليها ويؤمر بها ، ما يمنع اتصاف الرب بها ؛ كالعبودية والافتقار والحاجة والتذلل ونحو ذلك ، فعلم من ذلك أن تخلق العبد بأخلاق الله غير جائر في كل حال ، بل في بعض الأحوال والصفات ، دون البعض الآخر.

انظر: مجوع الفتاوى٦٦/٤، ودرء التعارض٢٣٩/٦، والصفدية٣٣٧/٢-٣٣٩.

وعدل أبو الحكم بن برجان[1][2] عن لفظ التَّخلُّقِ إلى لفظ[3] التَّعبُّدِ[4] .

وعلـــى هذا الأصل الفلسفي بنى[5] ابن عربي معنى وليُّ الله ، وأنه المُتَشَبِّهُ به[6] المُتَخَلِّقُ بأخلاقه[7] ، كما يُفَسِّرُ[8] أبو حامد التَّقَرُّب من الله بالتشبه به[9][10] .

وابن عربي[11] ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي[12] ، بناء على أصولهم

---

(1) في (أ ، ب) " ابن حبان ".

(2) أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرِّجَالِ اللَّخمي المغربي الإفريقي ثم الأندلسي الإشبيلي المشهور بـــ(ابن برجان). من مشايخ الصوفية ، درس القراءات ، وسمع صحيح البخاري ، وخاض في علم الكلام والتصوف، وكان زاهدا مجتهدا في العبادة.

كان يوسف بن تاشفين قد غَرَّبَهُ عن بلده ، عندما تَوَهَّمَ أنه وابن العريف سيثوران عليه ؛ طمعا في الملك ، كما فعل ابن تومرت. من مؤلفاته(تفسير للقرآن (لم يكمله) ــ وشرح أسماء الله الحسنى).

توفي بمراكش سنة ٥٣٦هـــ مغربا عن وطنه ، ودفن بإزاء صاحبه ابن العريف.

انظر: وفيات الأعيان ٢٣٦/٤ ، والفوات ٣٢٣/٢ ، والسير ٧٢/٢٠ ، والشذرات ١١٣/٤.

(3) قوله :" التخلق إلى لفظ التعبد " سقط من (ك).

(4) ذكر ابن برجان ذلك في كتابه(شرح الأسماء الحسنى) ؛ حيث عَدَّدَ فيه أسماء الله تعالى ، ثم ذكر بعد كل اسم كيفية التعبد به أو بمقتضاه ؛ يقول مثلا بعد ذكره لاسمي (الظاهر والباطن): " من أرفع التعبد بمعنى هذه الأسماء العلم بها ".

انظر: شرح الأسماء الحسنى لابن برجان ؛ مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم(١٩٩ ف) ، ورقة ٢٨/ب .

(5) في (أ ، ب) " بنا " ، وفي(ش) " ابنا " ، وقال الناسخ" ظ: بنى " ؛ أي الظاهر أنه بنى.

(6) " به " سقطت من (ك).

(7) يقول ابن عربي:" ما كان وليا إلا بعد تحصيله شرائط الولاية ؛ من الأخلاق الإلهية والاتصاف بها ، من كون الله تعالى تَسَمَّى بالولي الحميد ".

فصوص الحكم ص ٦٤.

(8) في (أ ، ب، ع، ش) " فسر ".

(9) في (أ ، ب) " وبه ".

(10) سبق ذكر كلام الغزالي في ذلك ص٤٠١.

(11) في (أ، ب) " ابن عربي " بدون الواو.

(12) يقول ابن عربي في تفضيل الولي على النبي: " ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتمُّ وأكمل من حيث هو رسول ، أو ذو تشريع وشرع ".

فصوص الحكم ص١٣٥.

الفلسفية الاتحادية[1] .

الكمال عند الصوفية وبعض الفقهاء هو في السلطان والرياسة

وطائفـــة أخرى[2] عندهم أن الكمال في القدرة والسلطان[3] والتَّصرُّفُ في الوجـــود بـــنفاذ الأمـــر والنهي ؛ إما بالمُلْك والولاية الظاهرة ، وإما بالباطن[4] ، وتكون عبادتهم ومجاهدتهم لذلك[5] .

وكثـــير من هؤلاء يَدْخُلُ في الشِّرك والسحر ، فيعبد الكواكب والأصنام ؛ لتُعِيْنَهُ الشياطين على مقاصده[6] ، وهؤلاء أضلُّ وأجهل من الذين قبلهم[7] .

وعامـــة من يعبد الله لطلب خوارق العادات[8] يكون فيه نصيب من هذا ؛ ولهذا كان منهم من يموت[9] [كافراً ، ومنهم من يموت][10] فاسقاً أو مسلوبـــاً ،

---

(1) الاتِّحاد عند الصوفية/ هو أعلى مقامات النفس ويصبح الواصل معه ، وكأنه والبارئ شيء واحد . فيخترق الحجب ، ويرى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.
المعجم الفلسفي ص٧٥ ، وانظر: التعريفات ص١٣ ، واصطلاحات الصوفية ص٢٤.

(2) وهم أكثر الصوفية ، ومن اتبعهم من أصحاب الهوى من الفقهاء والقضاة.

(3) في (ع) " السلطان والقدرة ".

(4) كالكشوفات ، والكرامات ونحوها.

(5) في (ك) " كذلك ".

(6) من ذلك ما تفعله الرفاعية من الصوفية من المخاريق ؛ مثل الدخول في النار ؛ بزعم أنها لا تضرهم ، ومن أكل الحيَّات ، والاستعانة بالشياطين .
وقد ناظرهم الشيخ ــ رحمه الله ــ في مجمع كبير ، حضره الأمراء وقُوَّادُ الجيش ، فتحداهم الشيخ أن يدخل هو وإياهم في النار ، بعد أن يغسلوا أجسادهم بالخل والماء الحار ؛ لأنهم كانوا يدهنون أجسادهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع ، وباطن قشر النارنج ،وغيرها.
فلما رأوا ذلك من الشيخ تراجعوا عن تحديهم ، وسُقِطَ في أيديهم ، ونصر الله الشيخ عليهم.
انظر مناظرته لهم في مجموع الفتاوى ٤٤٥/١١.
كما ذكر شيخ الإسلام أن من الصوفية من يستعين بالشياطين ، فترفعه في الهواء ، أو تحمله إلى مكة فيحج ، فيظن أن هذه كرامة من الله ، وهي ليست كذلك ، بل حَجُّهُ هذا غير مقبول ؛ إذ الواحد منهم لا يُحْرِمُ ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يرمي الجمار ونحوها من أعمال الحج.
انظر: بغية المرتاد ص١٤٠ ، ومجموع الفتاوى ٨٣/١.

(7) بل هم كفار ؛ لأنه لا يمكنهم الاستعانة بالشياطين ، إلا إذا عبدوهم من دون الله ، كما قال الله عن السحرة: " ...**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** "[البقرة: ١٠٢].

(8) في (ع) " العادة ".

(9) في (أ ، ب، ش) " كان من يموت منهم ".

(10) ما بين المعكوفين سقط من الأصل ، وهو في سائر النسخ.

من الناس من جعل الكمال في الغواية والرياسة جميعاً

وكلهم ضُلَّال جُهَّال .

وطائفة [أخرى][1] تجعل[2] الكمال في مجموع الأمرين[3] . فيدخلون في أقـوالٍ وأعمـالٍ من الشرك والسحر ؛ ليستعينوا بالشياطين على ما يطلبونه من الإخبار بالأمور الغائبة ، وعلى ما يَنْفُذُ به تَصَرُّفُهُمْ في العالم .

كمال النفس الحقيقي هو في عبادة الله وطاعته

وأما الحَقُّ المُبِيْنُ فهو أن كمال[4] الإنسان في[5] أن يعبد الله علماً وعملاً، كمـا أمـره ربُّـه ، وهؤلاء هم عباد الله ، وهم[6] المؤمنون[7] والمسلمون ، وهم أولـياء الله المُـتَّقون ، وحزب الله المفلحون ، وجُنْدُ الله الغالبون ، وهم أهل العلم الـنافع ، والعمـل الصالح ، وهم الذين زَكَّوا نفوسهم[8] وكَمَّلوها ؛ كَمَّلوا[9] القوَّة النظرية العلمية ، والقوَّة الإرادية العملية[10] .

كمـا قـال تعـالى : « **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصـار** »[ص: ٤٥] ، وقال تعالى : « **والـنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غـوى ، ومـا يـنطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** »[النجم: ١-٤] ، وقال تعـالى: « **اهدنـا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب علـيهم ولا الضـالين**[11] »[الفاتحة: ٦-٧] ، وقال تعالى : « **فإما يأتينكم مني هدى**

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من (أ ، ب، ع، ش).

[2] في (ك) " تجمع " ، وفي (ش) " يجعل " ، وفي (ع) " يجعلون ".

[3] أي في الاستعانة بالشياطين ، وفي الرئاسة والملك والتصرف.

[4] في (ك) " والحق المبين أن كمال ".

[5] " في " ليست في سائر النسخ.

[6] " وهم " سقطت من (ك).

[7] في (ع) زيادة " هم ".

[8] في (ك، أ ، ب، ع، ش) " أنفسهم ".

[9] في (ع) " وكملوا ".

[10] القوة النظرية/ هي القوة العقلية باعتبار إدراكها للكليات.

انظر: التعريفات ص١٧٩.

والقوة الإرادية ؛ أو القوة النُّزُوْعِيَّة / هي القوة المُحَرِّكة للنفس الإنسانية ، ولها شُعبتان ؛ شعبة تُسَمَّى قوة شهوانية ، وشعبة تسمى قوة غضبية.

انظر: المعجم الفلسفي د/مراد وهبة ص٣٣٨.

[11] في (ش) زيادة آمين.

فمن اتَّبع هداي فلا يضل ولا يشقى »[طه: ١٢٣] ، وقال تعالى : « **أولئك على هدى من ربهــم وأولئك هم المفلحون** »[البقرة: ٥] ، وقال تعالى: «... **إليه يصعد الكلم الطيــب والعمــل الصالح يرفعه...** »[فاطر: ١٠] ، وقال تعالى : « **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »[العصر: ٣].

وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً[1] .

* * *

[1] في (ك) " والله سبحانه وتعالى أعلم. آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه " ، وفي(أ) " تمت بعون الله تعالى ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " ، وفي(ب) " تم الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " ، وفي(ع) " آخره والحمد لله حق حمده وصلى الله على من لا نبي بعده" ، وفي(ش) " آخره والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد وآله وسلم ".

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

فهرس المصطلحات العلمية

المصطلح	رقم الصفحة

فهرس الألفاظ الغريبة

فهرس الفرق والأديان

فهرس الكتب الوارد ذكرها في النص

فهرس المراجع والمصادر

١- الآداب للبيهقي تحقيق/محمد عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمودة لابن بطة العكبري تحقيق/ رضا نعسان معطي دار الراية الرياض الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

٣- أبجد العلوم لصديق حسن خان تحقيق/عبدالجبار زكار وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٧٨م.

٤- الإبريز لعبدالعزيز الدباغ بدون تاريخ ، ولا مكان طباعة .

٥- أبو حامد الغزالي والتصوف عبدالرحمن دمشقية دار طيبة الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

٦- اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين الزبيدي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٧- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية تحقيق د/عواد المعتق مكتبة الرشد الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

٨- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان تحقيق/ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي دار صادر بيروت(مصورة عن طبعة ليدن).

١٠- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي تحقيق/ السيد الجميلي دارالكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى١٤٠٤هـ.

١١- إحياء علوم الدين للغزالي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ.

١٢- الإخنائية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ أحمد بن مونس العنزي دار الحراز الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

١٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد أبو المعالي الجويني تحقيق/ زكريا عميران دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٤- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/محمد رشاد سالم جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، تحقيق/ علي محمد البجادي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، تحقيق/ محمد البنا ، دار الشعب بدون تاريخ.

١٧- أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن رشيق المالكي (طبعه صلاح الدين المنجد على أنه لابن القيم) دار الكتاب الجديد بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٦هـ.

١٨- الإسماعيلية تاريخ وعقائد إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور بدون تاريخ .

١٩- الاشتقاق لابن دريد تحقيق/عبدالسلام هارون مؤسسة الخانجي ١٣٧٨هـ.

٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢١- اصطلاحات الصوفية ، القاشاني ، تحقيق د / محمد كمال جعفر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

٢٢- إصلاح غلط المحدثين للخطابي تحقيق د/محمد الرديني دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.

٢٣- أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي د/عبدالفتاح محمود مطبعة الإرشاد القاهرة ، ١٤٠٥هـ .

٢٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دارعالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ.

٢٥- الاعتصام للشاطبي تحقيق د/مصطفى الندوي دار الخاني الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٢٦- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد البيهقي تحقيق/ أحمد أبو العنين دار الفضيلة الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٢٧- الأعلام خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٨م .

٢٨- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية عمر البزار تحقيق/ زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

٢٩- إعـلام الموقعيـن عـن رب العالمين لابن قيم الجوزية تحقيق/ طه عبدالرؤوف سعد دار الجبل بيروت ١٩٧٣م .

٣٠- أعـيان العصـر وأعـوان النصـر للصفدي تحقيق د/علي أبو زيد دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣١- إغاثـة اللهفـان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية تحقيق/ محمد حامد الفقي دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ .

٣٢- أفضـل الصـلوات على محمد سيد السادات ، النبهاني ، دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ .

٣٣- أقـاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات مرعي بن يوسف الحنبلي تحقيق/ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بدون تاريخ.

٣٤- الاقتصـاد في الاعتقاد عبدالغني المقدسي تحقيق/ أحمد بن عطية الغامدي مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٣٥- اقتضـاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم شيخ الإسلام ابن تيمـية تحقيق د/ ناصر العقل دار العاصمة الطبعة السادسة ١٤١٩ هـ.

٣٦- إلـى التصـوف يا عباد الله أبو بكر الجزائري مطبعة المدني القاهرة الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

٣٧- الأنساب للسمعاني تحقيق/ محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٣٨- الإنسـان الكـامل فـي معـرفة الأواخـر والأوائل عبدالكريم الجيلي المطبعة الأزهرية المصرية الطبعة الأولى١٣١٦هـ.

٣٩- أنـوار التـنزيل وأسـرار الـتأويل للبيضاوي مكتبة مصطفى البابي الحابي وأولاده بمصر الطبعة الثانية١٣٨٨هـ.

٤٠- أوراق مجموعـة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محمد الشيباني مكتبة ابن تيمية الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٤١- إيضـاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي وكالة المعارف استانبول١٩٤٥م.

٤٢- إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة الصنعاني تحقيق/ محمد صبحي حلاق دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٤٣- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ، تحقيق/ محمد أحمد حسب الله ، دار المعارف ، بدون تاريخ .
٤٤- كتاب الإيمان لابن أبي شيبة تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني دار الأمم الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
٤٥- الإيمان لابن منده تحقيق د/ علي فقيهي دار الفضيلة الرياض الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ .
٤٦- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام(ملحق بالإيمان لابن أبي شيبه).
٤٧- الإيمـان لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ .
٤٨- الباعـث الحثيـث شرح اختصار علوم الحديث ابن كثير تحقيق/ أحمد شاكر مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
٤٩- الـبحر الـزخار (المعـروف بمسند البزار) الحافظ البزار تحقيق د/ محفـوظ الرحمن زين الله مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
٥٠- البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف بيروت ١٤٢٠هـ .
٥١- الـبدر الطـالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
٥٢- الـبرهان فـي أصول الفقه لأبي المعالي الجويني تحقيق/ عبدالعظيم الديب دار الوفاء الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .
٥٣- البريولـية عقائد وتاريخ إحسان إلهي طهير إدارة ترجمان السنة لاهور الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٥٤- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد القائلين بـالحلول والاتحـاد شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ موسى الدويش مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ .
٥٥- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب عبدالقادر الجيلاني الشطنوفي المطبعة اليمنية بمصر ١٣٠٤هـ .
٥٦- بـيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية تحقيق/الشيخ محمد بن قاسم دار القاسم الطبعة الثانية ١٤٢١هـ .
٥٧- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي بدون تاريخ ولا دار نشر.

٥٨- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول لصديق حسن خان تحقيق/عبد الحكم شرف الدين المطبعة الهندية العربية بومباي الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٥٩- تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ترجمة د/عبدالحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

٦٠- تاريخ الأمم والملوك الطبري دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.

٦١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ.

٦٢- تاريخ التصوف الإسلامي د/ عبدالرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

٦٣- تاريخ جامع الشيخ عبدالقادر ومدرسته العلمية هاشم الأعظمي مطبعة الأزهر بغداد ١٩٧١م.

٦٤- تاريخ الفكر العربي عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٢هـ .

٦٥- تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم دار القلم بيروت بدون تاريخ .

٦٦- التاريخ الكبير للبخاري ، مؤسسة الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦٧- تاريخ يحي بن معين تحقيق د/أحمد محمد نور سيف مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

٦٨- التبرك وأنواعه وأحكامه د/ ناصر الجديع مكتبة الرشد الرياض الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ.

٦٩- تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي تحقيق/أحمد البدراوي دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ .

٧٠- تجريد أسماء الصحابة للذهبي دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.

٧١- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٧٢- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للبقاعي (ملحق بآخر كتاب تنبيه الغبي) .

٧٣- التحفة العراقية في الأعمال القلبية شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ يحي الهنيدي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٧٤- تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل د/ عبدالله عسيلان مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٥هـ .

٧٥- تخـريج أحاديـث إحـياء علوم الدين محمود الحداد دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
٧٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي السيوطي تحقيق/ عبدالوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ .
٧٧- الـتدمرية لشـيخ الإسـلام ابن تيمية تحقيق د/ عودة السعوي مكتبة العبيكان الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ .
٧٨- تذكـرة الحفـاظ للذهبـي دار إحياء التراث العربي تحقيق/ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي بدون تاريخ .
٧٩- ترصيع الجواهر المكية في تزكية الأخلاق المرضية للرافعي المطبعة العامرة الشرفية القاهرة ١٣٠١هـ.
٨٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف المنذري تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
٨١- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة الشيخ / صالح بن عثيمين تحقيق/ الشيخ / بكر بن عبدالله أبو زيد مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
٨٢- التصـوف بيـن الإفراط والتفريط د/ عمر عبد الله كامل دارابن حزم بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٨٣- التصـوف بيـن الحـق والخلق محمد فهر شقفة الدار السلفية الكويت الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .
٨٤- التصـوف المنشـأ والمصدر إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
٨٥- التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام عبدالكريم الخطيب دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٨٠م .
٨٦- الـتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي تحقيق/ محمود أمين النواوي المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
٨٧- الـتعريفات للجرجانـي ، تحقـيق/ محمد عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
٨٨- تفـريج الخاطـر في مناقب الشيخ عبدالقادر لعبد القادر الإربلي مطبعة مريس القاهرة سنة ١٣٠٠هـ.
٨٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٩٠- تقريـــب التهذيـــب لابن حجر تحقيق/عبدالوهاب عبداللطيف دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية١٣٩٥هـــ.

٩١- الـــتكملة والذيـــل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية الصغاني تحقيق/عبد العليم الصحاوي مطبعة دار الكتب القاهرة سنة ١٩٧٠هـــ.

٩٢- تلبيس إبليس ابن الجوازي تحقيق/ السيد الجميلي دار الكتاب العربي الطبعة السابعة ١٤١٤هـــ .

٩٣- تلخـــيص الحبـــير فـــي تخريج أحاديث الرافعي الكبير ابن حجر العســـقلاني تحقـــيق/ عبدالله هاشم اليماني شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٣٨٤هـــ .

٩٤- التمهـــيد لمـــا فـــي الموطـــأ مـــن المعانـــي والأســـانيد لابـــن عبد البر تحقيق/مصطفى العلوي وزارة الشؤون الإسلامية المغرب١٣٧٨هـــ.

٩٥- تميـــيز الطيب من الخبث فما يدور على ألسنة الناس من الحديث ابن الربيع الشيباني تحقيق/ محمد عثمان الخشب مكتبة الساعي الرياض بدون تاريخ .

٩٦- تنبـــيه الغبـــي إلـــى تكفير ابن عربي البقاعي تحقيق/ عبدالرحمن الوكيل مكتبة المؤيد الرياض بدون تاريخ .

٩٧- التـــنوير فـــي إســـقاط التدبـــير لابن عطاء الله السكندري تحقيق/موسى الموشي مجمع البحوث الإسلامية القاهرة بدون تاريخ.

٩٨- تـــنوير القلـــوب في معاملة علام الغيوب محمد أمين الكردي تحقيق محمد رياض دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ .

٩٩- تهذيـــب الأســـماء واللغات للنووي دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

١٠٠- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني مجلس دائرة المعارف النظامية الهند الطبعة الأولى ١٣٢٥هـــ .

١٠١- تهذيب الصحاح للزنجاني تحقيق/عبد السلام هارون دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

١٠٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي تحقيق د/بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـــ .

١٠٣- تهذيب اللغة للأزهري تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ.

١٠٤- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة مكتبة الرشد الرياض الطبعة السادسة ١٤١٨هـ .

١٠٥- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٠٦- التوسل أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ .

١٠٧- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي تحقيق د / محمد الداية دار الفكر المعاصر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١٠٨- التيجانية د/ علي آل دخيل الله دار العاصمة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٠٩- الثقات لابن حبان مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

١١٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ابن عبد البر المكتبة العلمية المدينة بدون تاريخ.

١١١- جامع البيان عن تأويل أي القرآن الطبري تحقيق أحمد ومحمود شاكر دار المعارف مصر بدون تاريخ .

١١٢- جامع البيان للطبري دار الفكر بيروت ١٤٠٨هـ (طبعة أخرى) .

١١٣- جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق/ محمد رشاد سالم مطبعة المدني الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

١١٤- الجامع الصحيح ، للترمذي ، تحقيق/ أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي ، مكتبة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ .

١١٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي تحقيق/ حسن اسبر دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١٦- جامع كرامات الأولياء النبهاني تحقيق/ إبراهيم عطوة عوض مكتبة البابي الحلبي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

١١٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ.

١١٨- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية محمد عزيز شمس دار عالم الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

١١٩- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند الطبعة الأولىسنة ١٣٧١هـ .

١٢٠- جـــلاء العينين في محاكمة الأحمدين الآلوسي مطبعة المدني القاهرة الطبعة الأولى١٤٠١هـــ.

١٢١- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لمعافى بن زكريا الجريري دار عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١م.

١٢٢- جمهـــرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق/عبدالسلام هارون دار المعرفة مصر ١٣٨٢هـــ.

١٢٣- جمهـــرة الأولـــياء وأعـــلام التصوف للمنوفي مؤسسة الحلبي القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٧هـــ .

١٢٤- جمهـــرة اللغة لابن دريد مكتبة المثنى بغداد مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن سنة١٣٤٥هـــ.

١٢٥- الجهـــل بمسائل الاعتقاد وحكمه عبدالرزاق بن طاهر معاش دار الوطن الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ .

١٢٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/عبدالعزيز العسكر دار العاصمة الطبعة الثانية ١٤١٩هـــ .

١٢٧- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني علي برادة المغربي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـــ .

١٢٨- الحاوي في تخريج أحاديث الفتاوي مجدي بن منصور الشوري ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـــ .

١٢٩- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة قوام السنة الاصبهاني تحقيق/ محمد أبو رحيم دار الراية الرياض الطبعة الثانية ١٤١٩هـــ .

١٣٠- الحـــذر في أمر الخضر ، ملا على القاري ، تحقيق/ محمد رمضان يوسف ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١١هـــ .

١٣١- الحركة الفكرية في المهدية د/محمد أبو سليم مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٨٩م .

١٣٢- حقـــائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية عبدالرحمن دمشقية دار المسلم الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ .

١٣٣- حقـــيقة البدعة وأحكامها سعيد بن ناصر الغامدي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الرابعة ١٤٢١هـــ .

١٣٤- حلـــية الأولـــياء وطـــبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـــ .

١٣٥- الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ، أحمد عبدالعزيز الحصين ، مكتبة البخاري ، بريدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٣٦- خطبة الحاجة محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

١٣٧- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي تحقيق /جعفر الحسيني المجمع العلمي العربي دمشق ١٣٧٠هـ.

١٣٨- درء تعارض العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم جامعة الإمام الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

١٣٩- دراسات في التصوف إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

١٤٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر دار الجيل بيروت بدون تاريخ.

١٤١- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للعليمي تحقيق د/عبد الرحمن العثيمين مكتبة التوبة الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٤٢- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد الشوكاني تحقيق/ أبو عبدالله الحلبي دار ابن خزيمة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٤٣- الدرالمنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، محمد أمين دمج وشركاؤه ، بدون تاريخ .

١٤٤- دلائل النبوة للبيهقي تحقيق/عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

١٤٥- دلائل النبوة قوام السنة الأصبهاني تحقيق/ محمد الحداد دار طيبة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

١٤٦- دول الإسلام للذهبي مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٤هـ.

١٤٧- ديوان ابن الفارض دار صادر بيروت ١٣٨٢هـ .

١٤٨- ديوان الحلاج وضعه/ كامل الشيبي دار الآفاق العربية بغداد الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

١٤٩- الذخر والعدة في شرح البردة ابن علان الصديقي ، تحقيق/ محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

١٥٠- ذم التأويل لابن قدامة المقدسي دار الفتح الشارقة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
١٥١- ذم ما عليه مدعوا التصوف موفق الدين ابن قدامة تحقيق/ زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
١٥٢- ذم الهوى لابن الجوزي تحقيق/ مصطفى عبدالواحد دار الكتب الحديثة القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
١٥٣- ذيل تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق/ مازن باوزير دار المغني الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٥٤- ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد للفاسي معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٥٥- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق/محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٢هـ.
١٥٦- ذيول العبر في خبر من غبر للذهبي تحقيق/محمد السيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
١٥٧- الرد على الجهمية لابن منده تحقيق د/علي فقيهي مكتبة الغرباء الاثرية المدينة الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .
١٥٨- الرد على الجهمية الدارمي تحقيق/ بدر البدر دار ابن الأثير الكويت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
١٥٩- الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام ... كافر ابن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق/ زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .
١٦٠- رسائل ابن سبعين تحقيق/ عبدالرحمن بدوي الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ .
١٦١- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري ، تحقيق/ معروف زريق ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .
١٦٢- رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام ابن تيمية ومحبة أهل العلم له لعبدالله بن حامد الشافعي تحقيق/ محمد الشيباني مكتبة ابن تيمية الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
١٦٣- الروح لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ.

١٦٤- روضة الناظر وجنة المناظر ابن قدامة المقدسي تحقيق د/ عبدالكريم النملة دار العاصمة الطبعة السادسة ١٤١٩هـ .

١٦٥- رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة للنبهاني تحقيق/ حسن تميم دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ .

١٦٦- زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة بيروت ١٤٠٧هـ .

١٦٧- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية تحقيق/ شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .

١٦٨- الزهد للإمام أحمد بن حنبل دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١٦٩- الزهد لعبد الله بن المبارك تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

١٧٠- الزهد الكبير للبيهقي تحقيق/ عامر أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .

١٧١- الزهد لهناد بن السري تحقيق/ عبدالرحمن الفريوائي دارالخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٧٢- كتاب الزيارات بدمشق للقاضي العدوي تحقيق/صلاح الدين المنجد المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٦هـ.

١٧٣- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة محمد بن حميد تحقيق/ الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

١٧٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١٧٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١٧٦- السنة لابن أبي عاصم تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ .

١٧٧- السنة للخلال تحقيق/ عطية الزهراني دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٧٨- السنة لعبدالله بن الإمام أحمد تحقيق د/ محمد القحطاني رمادي للنشر الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ .

١٧٩- السنة للمروزي تحقيق/سالم السلفي مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٨٠- سنن ابن ماجه تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ .

١٨١- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني تحقيق/ محمد محي الدين عبدالحميد المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ .

١٨٢- سنن الدارمي تحقيق/ فواز أحمد أزمرلي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٨٣- سنن الدارمي تحقيق/حسين سليم أسد دار المغني الرياض الطبعة الأولى١٤٢١هـ(طبعة أخرى).

١٨٤- سنن سعيد بن منصور تحقيق/الشيخ سعد بن عبدالله آل حميد دار الصميعي الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٨٥- السنن الكبرى ، البيهقي ، تحقيق/ محمد عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٨٦- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي تحقيق/ عبدالفتاح أبوغدة دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

١٨٧- السنوسية دين ردولة د/محمد شكري دار الفكر العربي ١٩٤٨هـ .

١٨٨- السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة د/ أحمد صبحي منصور الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١٨٩- سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق/ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .

١٩٠- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق/عمر تدمري دار الريان القاهرة الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

١٩١- السيف الرباني على عنق من اعترض على الجيلاني محمد المكي مطبعة شهادي بمباي بدون تاريخ .

١٩٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي دار ميسرة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

١٩٣- شــرح الأســماء الحسنى لابن برجان مخطوط بجامعة الإمام بالرياض برقم(١٩٩ف).
١٩٤- شــرح أصــول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي تحقيق/ أحمد بن حمدان الغامدي دار طيبة الرياض الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ .
١٩٥- شــرح صــحيح مسـلم للنووي تحقيق/ خليل الميس دار القلم الطبعة الأولى بدون تاريخ.
١٩٦- شرح الصدور بتحريم رفع القبور الشوكاني مكتبة دار السلام الرياض الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .
١٩٧- شرح العبودية د/ عبدالعزيز الراجحي دار الفضيلة الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
١٩٨- شــرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ إبراهيم سعيد مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
١٩٩- شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي تحقيق/ شعيب الأرنؤوط دار عالم الكتب الرياض الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .
٢٠٠- شــرح مشكل الآثار للطحاوي تحقيق/شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالةالطبعة الأولى١٤٠٨هـ.
٢٠١- الشريعة للآجري تحقيق د / عبدالله الدميجي دار الوطن الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
٢٠٢- شطحات الصوفية عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩م .
٢٠٣- شطحات المتصوفة في طبقات الشعراني حمدي عبد الرزاق دار الحقيقة للإعلام الدولي بدون تاريخ.
٢٠٤- شعب الإيمان البيهقي تحقيق/ محمد السيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
٢٠٥- شفاء السقام في زيارة خير الأنام تقي الدين السبكي دار كنز السعادة القاهرة بدون تاريخ .
٢٠٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية تحقيق/ عمر الحفيان مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
٢٠٧- الشــهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية مرعي بن يوسف الحنبلي تحقيق/ نجم خلف دار الفرقان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

٢٠٨- شيء من العبث الصوفي أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري دار ابن حزم الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٢٠٩- الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية د/سعيد بن مسفر القحطاني ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢١٠- الصارم المسلول على شاتم الرسول شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ محمد الحلواني رمادي للنشر الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٢١١- الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة ، محمد صفي الدين الحنفي ، تحقيق/ عبد الرحمن دمشقية ، دار عالم الكتب ، الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .

٢١٢- الصحاح للجوهري تحقيق/أحمد عطار مطابع دار الكتاب العربي بمصر بدون تاريخ.

٢١٣- صحيح ابن خزيمة تحقيق د/ محمد الأعظمي المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠هـ .

٢١٤- صحيح الترغيب والترهيب ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٢١٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى١٣٨٨هـ.

٢١٦- صحيح سنن ابن ماجه الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض توزيع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٢١٧- صحيح سنن الترمذي ناصر الدين الألباني مكتبة التربية العربي لدول الخليج الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ . (بإشراف المكتب الإسلامي زهير الشاويش).

٢١٨- صحيح مسلم مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي دار أحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ .

٢١٩- صفة الصفوة لابن الجوزي تحيقيق/ محمود فاخوري دار المعرفة بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ .

٢٢٠- صفة النفاق والمنافقين للفريابي تحقيق/الشيخ مقبل بن هادي الواعي دار ابن زيد بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٢١- الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/ محمد رشاد سالم دار الفضيلة الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٢٢٢- الصـــواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية تحقيق د/علي الدخيل الله دار العاصمة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .

٢٢٣- الصـــوفية نشـــأتها وتطورها محمد العبده مكتبة الكوثر الرياض الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .

٢٢٤- الصـــوفية الغزو المدمر أحمد عبدالعزيز الحصين دار عالم الكتب الرياض الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ .

٢٢٥- الصـــوفية فـــي نظر الإسلام سميح عاطف الزين دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

٢٢٦- الضـــعفاء الكبـــير للعقيلي تحقيق/ عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٢٧- ضـــعيف الجـــامع الصـــغير وزياداته ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

٢٢٨- طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها د/أحمد جلي دار خضر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢٢٩- طـــبقات الأولـــياء لابن الملقن تحقيق/ نور الدين شريبه مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

٢٣٠- طـــبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى تحقيق /محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة بدون تاريخ.

٢٣١- طـــبقات الشـــافعية تـــاج الديـــن الســـبكي تحقيق د/ محمود الطناجي مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٦هـ .

٢٣٢- الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت١٣٧٧هـ.

٢٣٣- الطبقات الكبرى الشعراني المطبعة العامرة الشرفية مصر ١٣١٥ هـ.

٢٣٤- طـــبقات المفســـرين للـــداوودي تحقيق/علي محمد عمر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى١٣٩٢هـ.

٢٣٥- الطـــرق الحكمـــية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية تحقيق د/محمد غازي مطبعة المدني القاهرة بدون تاريخ .

٢٣٦- الطـــرق الصـــوفية بيـــن الساســـة والسياسة في مصر المعاصرة ، د/ زكريا سليمان بيومي ، دار الصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢٣٧- الطـرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها د/ عامر النجار دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة بدون تاريخ .

٢٣٨- طـريق الهجرتيـن وباب السعادتين لابن قيم الجوزية دار طيبة الخضراء مكة المكرمة الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

٢٣٩- عـبدالقادر الجيلانـي حـياته وتصـوفه عبدالستار مختار أحمد نصار رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

٢٤٠- العـبر فـي خـبر من غبر ، الذهبي ، تحقيق/ صلاح الدين المنجد ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٣هـ .

٢٤١- عجائـب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي دار الجيل بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ.

٢٤٢- عـدة الصـابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية تحقيق/ زكريا يوسف دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

٢٤٣- العقـائد الدينـية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف د/ أحمد صبحي منصور الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م .

٢٤٤- العقـود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ابن عبدالهادي تحقيق/ محمد حامد الفقي مكتبة المؤيد بدون تاريخ .

٢٤٥- عقـيدة الإمـام أحمـد بن حنبل من خلال كتبه وأقواله د/محمد الخميس دار إيلاف الكويت بدون تاريخ .

٢٤٦- عقـيدة السلف وأصحاب الحديث الصابوني تحقيق د/ ناصر الجديع دار العاصمة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .

٢٤٧- العلـل المتناهـية لابن الجوزي تحقيق/ خليل الميس دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٢٤٨- العلـل الـواردة في الأحاديث النبوية ، للدارقطني ، تحقيق/ محفوظ السلفي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٢٤٩- العلل ومعرفة الرجال الإمام أحمد بن حنبل تحقيق/ رضي الله عباس المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٥٠- علمـاء الحـنابلة الشيخ / بكر بن عبدالله أبو زيد دار ابن الجوزي الدمام الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٢٥١- العلمـاء العزاب عبد الفتاح أبو غدة المطبوعات الإسلامية بحلب الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ .

٢٥٢- علمــاء نجــد خــلال ثمانية قرون الشيخ عبدالله البسام دار العاصمة الرياض الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .

٢٥٣- عمــل الــيوم واللــيلة لابن السني تحقيق/سالم السلفي دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

٢٥٤- عمــل اليوم والليلة للنسائي تحقيق/فاروق حمادة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٢٥٥- عــوارف المعارف السهروردي تحقيق د/ عبدالحليم محمود دار المعارف القاهرة بدون تاريخ .

٢٥٦- العواصــم مــن القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله علــيه وســلم لأبي بكر بن العربي مكتبة السنة بالقاهرة الطبعة السادسة ١٤١٢هـ.

٢٥٧- الغنــية لطالبــي طريق الحق عبدالقادر الجيلاني المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٨هـ .

٢٥٨- الغنية لطالبي طريق الحق (طبعة أخرى) مكتبة البابي الحلبي القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ.

٢٥٩- الفــتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق/حسنين مخلوف دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى١٣٨٦هـ.

٢٦٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني بتحقيق الشــيخ / عــبدالعزيز بــن باز، وترقيم/ محمد فؤاد عبدالباقي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

٢٦١- الفــتح الربانــي والفــيض الرحماني عبد القادر الجيلاني دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٢٦٢- فــتح المجيد شرح كتاب التوحيد الشيخ / عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق الشيخ / عبدالعزيز بن باز مكتبة المغني ١٤١٧هـ .

٢٦٣- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ، لابن عجيبة الحسني ، دار عالم الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٦٤- الفتوحات المكية لابن عربي المطبعة العربية القاهرة بدون تاريخ.

٢٦٥- فتوح الغيب عبدالقادر الكيلاني المكتبة الأزهرية للتراث العربي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٢٦٦- الفـرقان بـن أولـياء الرحمـن وأولياء الشيطان شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/عبدالرحمن اليحي دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
٢٦٧- الفـرق بيـن الفـرق عبد القاهر البغدادي ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ .
٢٦٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم تحقيق/ أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
٢٦٩- فصـوص الحكم ابن عربي تحقيق/ أبو العلا عفيفي دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .
٢٧٠- فضائح الصوفية عبد الرحمن عبد الخالق المكتبة الإسلامية الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ.
٢٧١- الفكـر الصـوفي في ضوء الكتاب والسنة ، الشيخ/ عبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الثانية ،١٤٠٦هـ .
٢٧٢- الفوائـد لـتمام الرازي ، تحقيق/ حمدى السلفي ، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
٢٧٣- الفوائـد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني تحقيق/الشيخ عبدالرحمن المعلمي المكتب الإسلامي.
٢٧٤- فـوات الوفـيات الكتبي تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر بيروت بدون تاريخ.
٢٧٥- فـيض القديـر شرح الجامع الصغير المناوي المكتبة التجارية الكبرى مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .
٢٧٦- القاموس المحيط للفيروزآبادي المكتبة التجارية الكبرى القاهرة بدون تاريخ.
٢٧٧- قصـص الأنبياء (المسمى عرائس المجالس) الثعلبي المكتبة الثقافية بيروت بدون تاريخ.
٢٧٨- القضـاء والقـدر ، د/ عبدالرحمـن المحمود ، دار الوطن الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ .
٢٧٩- قطعـة مـن مكتوب الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي تحقيق/ محمد الشيباني مكتبة ابن تيمية الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٢٨٠- قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء الشيخ محـي الدين عبد القادر الجيلاني التادفي المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة الطبعة الأولى بدون تاريخ .

٢٨١- قـوت القلـوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبـي طالـب المكـي تحقيق/ باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٢٨٢- القـول الجلـي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي صفي الدين الحنفي تحقيق د/ سالم الدخيل دار الوطن الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٨٣- الكافـية الشـافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم تحقيق/عبدالله العمير دار ابن خزيمة الطبعة الأوالى١٤١٦هـ.

٢٨٤- الكـامل فـي ضعفاء الرجال لابن عدي الجرجاني ، تحقيق د/سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ .

٢٨٥- كشـف الخفـاء ومـزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس العجلوني دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٥١هـ .

٢٨٦- كشـف الظـنون عـن أسامي الفنون حاجي خليفة دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ .

٢٨٧- كشـف المحجـوب الهجويـري تحقيق/ إسعاد عبد الهادي قنديل دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م.

٢٨٨- الكفايـة في علم الرواية للخطيب البغدادي المكتبة العلمية المدينة بدون تاريخ.

٢٨٩- كـنز العمـال في سنن الأقوال والأفعال المتقي بن حسان الدين الهندي تحقـيق/ الشـيخ بكـري حياني مكتبة التراث الإسلامي حلب الطبعة الأولى ١٣٩١هـ .

٢٩٠- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية المناوي مطبعة وورشة تجليد الأنوار ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .

٢٩١- الكواكـب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية مرعي بن يوسف الحنبلي تحقيق/ نجم عبدالرحمن خلف دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٢٩٢- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير دار صادر بيروت بدون تاريخ.

٢٩٣- لسان العرب لابن منظور تحقيق/ عبد الله العلايلي دار الجيل بيروت ١٤٠٨هـ .

٢٩٤- لسان الميزان لابن حجر حقق بإشراف/ محمد عبدالرحمن المرغلي دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٢٩٥- لطائف المنن لابن عطاء الله الاسكندري تحقيق د/ عبدالحليم محمود مطبعة إحسان القاهرة بدون تاريخ .

٢٩٦- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق لعبد الوهاب الشعراني تحقيق د/ عبدالحليم محمود دار عالم الفكر القاهرة الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٢٩٧- اللمع للطوسي تحقيق د/عبدالحليم محمود دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٠هـ.

٢٩٨- لواقح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية الشعراني دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٢٩٩- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان تحقيق/محمد زايد دار الواعي حلب الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٣٠٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي مؤسسة المعارف بيروت ١٤٠٦هـ .

٣٠١- مجمل اللغة لابن فارس تحقيق/زهير سلطان مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٠٢- مجموعة التوحيد تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط مكتبة المؤيد الرياض ١٤١٣هـ .

٣٠٣- مجموعة الرسائل المنيرية إدارة الطباعة المنيرية مكتبة طيبة الرياض بدون تاريخ.

٣٠٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمعه/ العلامة عبدالرحمن القاسم مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ .

٣٠٥- المختار من الأنوارفي صحبة الأخيار الشعراني دار عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

٣٠٦- مختصر طبقات علماء الحديث محمد بن عبدالهادي تحقيق/أكرم البوشي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٣٠٧- مختصر العلو للعلي الغفار الذهبي تحقيق/ ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

٣٠٨- المخصص لابن سيده المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت بدون تاريخ.

٣٠٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن قيم الجوزية تحقيق/ محمد حامد الفقي مكتبة السنة المحمدية بدون تاريخ .

٣١٠- المدخل إلى السنن الكبرى ، البيهقي ، تحقيق/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء الكويت .

٣١١- المدخل المفصل إلى فقه الإمام بن حنبل الشيخ / بكر بن عبدالله أبو زيد دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٣١٢- المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي ، د/عبدالحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣١٣- مذاهب الإسلاميين د/عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣١٤- مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي تحقيق/علي البجاوي دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ.

٣١٥- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة جمعه/ عبدالإله الأحمدي دار طيبة الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٣١٦- المستدرك على الصحيحين ، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للذهبي ، دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

٣١٧- المستصفي من علم الأصول لأبي حامد الغزالي المكتب الإسلامي (مصورة عن الطبعة الأميرية الأولى سنة ١٣٢٢هـ) .

٣١٨- مسند أبي داود الطيالسي تحقيق د/ محمد التركي دار هجر الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٣١٩- المسند لأبي سعيد الشاشي ، تحقيق د / محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم المدينة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٣٢٠- مسند أبي يعلي الموصلي تحقيق/ حسين سليم أسد دار الثقافة العربية دمشق الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

٣٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي بيروت بدون تاريخ.

٣٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (طبعة أخرى) بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط (٥٠ مجلداً) مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٣٢٣- مسند الروياني لأبي بكر الروياني تحقيق/أيمن أبو يماني مؤسسة قرطبة القاهرة القاهرة ١٩٩٥م.

٣٢٤- مسند الشهاب للقضاعي تحقيق/ حمدي السلفي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

٣٢٥- المسودة في أصول الفقه لآل تيمية تحقيق د/ أحمد الذروي دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٢٦- مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني الشيخ/ إبراهيم القطان دار البشير عمان الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ .

٣٢٧- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي١٣٩٩هـ.

٣٢٨- مصادر التلقي عند الصوفية هارون بشير أحمد صديقى دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

٣٢٩- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري تحقيق/ كمال يوسف الحوت دار الحنان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣٣٠- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة تحقيق/كمال الحوت دار تاج الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٣٣١- المصنف ، لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٣٣٢- المضنون به على غير أهله الغزالي تحقيق/ رياض مصطفي العبد الله ، دار الحكمة ، ١٩٨٦م .

٣٣٣- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر تحقيق/غنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن الرياض الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٣٣٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ حكمي تحقيق/ محمد صبحي حلاق دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٣٣٥- معارج القدس في مدارج النفس الغزالي دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٣٣٦- معالم التنزيل للبغوي تحقيق/محمد النمر دار طيبة الرياض ١٤١٢هـ.

٣٣٧- المعجــم الأوســط الطبراني ، تحقيق د / محمود الطحان ، مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هــ .
٣٣٨- معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت ١٣٧٤هــ.
٣٣٩- معجــم الشــيوخ للذهبي تحقيق/محمد الهيلة مكتبة الصديق الطائف الطبعة الأولى ١٤٠٨هــ.
٣٤٠- معجم الصحابة عبدالباقي بن قانع (ت٣٥١هــ) مكتبة الغرباء الأثرية المدينة الطبعة الأولى ١٤١٨هــ .
٣٤١- المعجم الفارسي د/ إبراهيم الدسوقي مكتبة القاهرة ١٤١٢هــ .
٣٤٢- المعجم الفلسفي د/ جميل صليبا دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٩م.
٣٤٣- المعجــم الفلسفي مجمع اللغة العربية القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هــ .
٣٤٤- المعجــم الفلسفي د/مراد وهبة دار مأمون القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٩هــ .
٣٤٥- المعجــم الكبــير ، الطبرانـــي ، تحقــيق/ حمدي عبد المجيد السلفي ، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هــ .
٣٤٦- معجــم ما استعجم البكري تحقيق/ مصطفى السقا دار عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٤٠٣هــ .
٣٤٧- معجم متن اللغة لأحمد رضا دار مكتبة الحياة بيروت١٣٧٨هــ.
٣٤٨- المعجــم المخــتص بالمحدثين للذهبي تحقيق/محمد الهيلة مكتبة الصديق الطائف الطبعة الأولى١٤٠٨هــ.
٣٤٩- معجــم المصطلحات الصوفية د/عبدالمنعم الحنفي دار المسرة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هــ .
٣٥٠- المعجــم المفهــرس لألفــاظ الحديث النبوي لمجموعة من المستشرقين دار الدعوة اسطانبول ١٩٨٨م .
٣٥١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هــ .
٣٥٢- معجــم المناهي اللفظية الشيخ /بكر عبدالله أبو زيد دار العاصمة الطبعة الثالثة ١٤١٧هــ .
٣٥٣- المعجــم الوســيط مجمع اللغة العربية دار الدعوة استطانبول ١٤١٠هــ .

٣٥٤- معـرفة الـثقات للعجلـي (بترتيـب الهيثمـي والسبكي) مكتبة الدار المدينةالطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٥٥- المغني لابن قدامة (بهامشه الشرح الكبير) دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣٥٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهرة على الألسنة ، السخاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .
٣٥٧- مقـالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري تحقيق/محمد محي الدين عبدالحميد مكتبة النهظة المصرية القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .
٣٥٨- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن ابن خلدون دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
٣٥٩- المقصـد الأرشـد فـي ذكـر أصـحاب الإمام أحمد ، لابن مفلح ، تحقيق د/عبدالرحمن العثيمين ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
٣٦٠- المقفـى الكبير للمقريزي تحقيق/محمد اليعلاوي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٦١- مكاشـفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب لأبي حامد الغزالي تحقيق/ محمد رشيد القباني دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
٣٦٢- مكتـبة المدرسـة القادريـة العامة نوري المفتي مكتبة المعارف بغداد ١٩٨٢هـ.
٣٦٣- الملل والنحل الشهرستاني تحقيق/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت .
٣٦٤- المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ .
٣٦٥- منازل السائرين للهروي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ.
٣٦٦- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي تحقيق د/ السيد الجميلي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
٣٦٧- المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي مؤسسة الكتب الثقافية بدون تاريخ .
٣٦٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية تحقيق د/محمد رشاد سالم الطبعة الأولى١٤٠٦هـ

٣٦٩- المـنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي تحقيق/ عبد القارد الأرنؤوط ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٣٧٠- المنهل الروي في علوم الحديث النبوي لابن جماعة تحقيق د/ محي الدين رمضان دار الفجر دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٣٧١- المـنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي تحقيق د/ محمد أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦هـ.

٣٧٢- المواعـظ والاعتـبار بذكـر الخطط والآثار للمقريزي مطبعة بولاق ١٢٩٤هـ .

٣٧٣- المواقف في علم الكلام الإيجي مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٧٤- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين د/ رفيق العجم مكتبة لبنان بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٣٧٥- موقف ابن تيمة من الأشاعرة د/ عبدالرحمن المحمود مكتبة الرشد الرياض الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

٣٧٦- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية د/ أحمد بناني جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣٧٧- موقف الإمام ابن القيم من الصوفية مصطفى مراد مكتبة الصحابة الشارقة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٣٧٨- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع د/ إبراهيم الرحيلي مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٧٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي تحقيق/ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٣٨٠- ميزان العمل الغزالي تحقيق/ سليمان البواب دار الحكمة بيروت ١٩٨٦م .

٣٨١- ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لخادمه إبراهيم الغياني تحقيق/محب الدين الخطيب المطبعة السلفيةالقاهرة ١٣٦٨هـ.

٣٨٢- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/عبدالعزيز الطويان أضواء السلف الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٣٨٣- الـنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر بدون تاريخ .

٣٨٤- نصـــب الـــراية لأحاديث الهداية جمال الدين الزيلعي (مع حاشية بغية الألمعـــي في تخريج الزيلعي) المجلس العلمي الهند الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـــ .

٣٨٥- نظـــرية الاتصال عند الصوفية سارة آل سعود دار المنارجدة الطبعة الأولى ١٤١١هـــ.

٣٨٦- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق/إبرهيم الأبياري دار الكتب الإسلامية الطبعة الثانية١٤٠٠هـــ.

٣٨٧- نهايـــة الأقـــدام فـــي علـــم الكلام الشهر ستاني تحقيق/ ألفرد جيوم مكتبة الثقافة الدينية القاهرة بدون تاريخ .

٣٨٨- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تحقيق/ طاهر الزاوي المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ.

٣٨٩- نـــوادر الأصول في أحاديث الرسول الحكيم الترمذي دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ .

٣٩٠- نـــيل الأوطـــار شـــرح منتقي الأخبار للشوكاني دار الجيل بيروت ١٩٧٣هـــ .

٣٩١- هـــذه هـــي الصوفية عبدالرحمن الوكيل دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

٣٩٢- الوابـــل الصـــيب من الكلم الطيب ابن قيم الجوزية تحقيق/ صالح الشامي المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٨هـــ .

٣٩٣- الوافـــي بالوفـــيات للصفدي تحقيق/هلموت ريتر دار النشر فرانز شتايز ١٣٨١هـــ.

٣٩٤- الـــورع للإمام أحمد بن حنبل تصنيف الخلال تحقيق/ محمد السيد بسيوني زغلول دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى١٤٠٦هـــ .

٣٩٥- وفـــيات الأعـــيان وأنباء أبناء الزمان لابن خكان تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر بيروت بدون تاريخ .

٣٩٦- الوفيات للسلامي تحقيق صالح مهدي عباس مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـــ.

٣٩٧- الولاء والبراء محمد سعيد القحطاني دار طيبة الطبعة العاشرة ١٤٢٢ هـــ.

فهرس الموضوعات